

**PDFZilla – Unregistered**

**PDFZilla - Unregistered**

**PDFZilla - Unregistered**




مجلة آداب \_ جامعة ذي قار

العدد ٢١ القسم الثالث لسنة ٢٠١٧م






**Arts Journal–Univesity of Thi–Qar**



**No.21, Section3, for the year 2017**





مجلة كلية الآداب فصلية علمية محكمة

الترقيم الدولي: ISSN: 155420736584

العدد ٢١ / القسم الثالث / لسنة ٢٠١٧م

جمهورية العراق - ذي قار - جامعة ذي قار - كلية

الآداب

موبايل: ٠٧٨١٦١٨٨٧٩٢

البريد الإلكتروني: [ARTS.Ma@yahoo.com](mailto:ARTS.Ma@yahoo.com)

جميع الحقوق محفوظة: كلية الآداب - جامعة ذي قار









## دعوة

تدعو مجلة آداب -ذي قار العلمية المحكمة

الباحثين الى الكتابة في محور النقد الثقافي

الاصول والتداخل والتجلي

وتتكفل المجلة باجور النشر للباحثين المشاركين وعرض البحوث على

الخبراء واصدارها في كتاب ترسل البحوث على البريد الالكتروني:

[ARTS.Ma@yahoo.com](mailto:ARTS.Ma@yahoo.com)

ا.د. عواد كاظم الغزي



## تعليمات النشر

ترحب هيئة تحرير مجلة آداب ذي قار بإسهامات الباحثين داخل البلد وخارجه، وهي تستقبل البحوث العلمية الانسانية ، ويتم النشر فيها بعد تقويم البحث علمياً من هيئة التحرير وخبراء معتمدين مشهود لهم بالكفاءة العلمية وتعتذر المجلة عن البحوث التي لا تخضع للضوابط الآتية .:

- ١ . يثبت عنوان البحث في الصفحة الاولى ، وأسم الباحث ومكان عمله .
- ٢ . يطبع البحث على وجه واحد من كل ورقة حجم ( A4 ) ولا تتجاوز الصفحات ( ٢٠ صفحة )
- ٣ . تجمع هوامش البحث في نهايته مثل المصادر والمراجع.
- ٤ . تسلم المجلة ثلاث نسخ ورقية ويكون قياس الصفحة ( ٢٤.٥×١٨ ) مع قرص مرن.
- ٥ . تنقل الجداول والمخططات والرسوم والخرائط والصور الى نهاية البحث قبل الهوامش وتثبت على شكل ملاحق ويشار اليها في المتن.
- ٦ . ينبغي أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً.
- ٧ . يتم إعلام الباحث بقرار هيئة التحرير بقبول النشر خلال مدة ( ٢٠ يوماً).
- ٨ . البحوث المنشورة لا يجوز إعادة نشرها الى بموافقة خطية من رئيس التحرير.
- ٩ . البحوث لاتعاد الى الباحثين سواء نشرت ام لم تنشر.
- ١٠ . يتحمل الباحث المسؤولية القانونية والاعتبارية في حال ظهور نقل او اقتباس لم يشر اليه.
- ١١ . تنشر البحوث وفقاً لرأي هيئة التحرير.
- ١٢ . تعاد البحوث الى اصحابها في حال ما اقترح الخبراء التعديلات.
- ١٣ . اجور نشر البحث تخضع للضوابط الوزارية وحسب المرتبة العلمية.



## الهيئة الاستشارية:

١١. د. ريم احمد عبد العظيم  
مصر
١٢. د. فايز عارف سليمان القرعان  
الاردن
١٣. د. منتهى طه الحراشنة  
عمان
١٤. د. بشرى موسى صالح  
العراق
١٥. د. فاطمة ابو الفتوح  
المغرب
١٦. د. زكية بنت محمد العتيبي  
السعودية
١٧. د. محمد احمد الرقيبات  
الاردن
١٨. د. بشرى اسماعيل احمد ارنوط  
مصر
١٩. د. لؤي حمزه عباس  
العراق
٢٠. د. خيرة مبارك  
تونس
١. د. مهند طالب الحمدي  
امريكا
٢. د. كاظم جهاد  
فرنسا
٣. د. اسماء غريب  
ايطاليا
٤. د. انسوية ابو القاسم خزعلي  
ايران
٥. د. عبد الحليم محمد  
ماليزيا
٦. د. احسان يعقوب الديك  
فلسطين
٧. د. وجيهه فانوس  
لبنان
٨. د. حياة الخياري  
تونس
٩. د. عمارية حاكم شريف  
الجزائر
١٠. د. خالد السعدون  
الامارات





## هيئة التحرير:

رئيس هيئة التحرير

١. أ. د. كاظم عبد نتيش

مدير التحرير

٢. أ. د. عواد كاظم لفتة

عضواً

٣. أ. د. عبد الحسن علي ههلهل

عضواً

٤. أ. د. علي حسين نمر

عضواً

٥. أ. د. مجيد مطشر عامر

عضواً

٦. أ. م. د. حسين خضير عباس

عضواً

٧. أ. د. رحيم حميد عبد

عضواً

٨. أ. د. حسين لفتة حافظ

عضواً

٩. أ. د. كاظم فاخر حاجم

م. د. حميد فرج السعداوي

المصحح اللغوي للعربية :

أ. م. د. خالد شاكر

المصحح اللغوي للإنكليزية :

م. م. شيماء زاحم حسوني

التنضيد والمتابعة :



## كلمة العدد

يشكل عام ٢٠١٧م انعطافة مهمة في مسيرة مجلة آداب ذي قار، إذ تمكنت المجلة من استقطاب باحثين كبار في مجال العلوم الانسانية تقاسموا الكتابة فيها او الاشراف على مسيرتها العلمية بوساطة وجودهم في الهيئة الاستشارية ، وإذ امتد فضاء الهيئة الاستشارية الى مختلف الجامعات العالمية، ويوازي هذا الانتشار العلمي جودة في البحوث المنشورة وجمالية في التنضيد والطباعة والاخراج، فضلاً عن سعي هيئة التحرير الى استصدار كتاب سنوي يتضمن البحوث التي فيها ابتكار و جودة ومواكبة للقضايا الآنية وتحاول هيئة التحرير اجتراح محاور تخصصية للكتابة فيها وتشجيع الباحثين على الانخراط في مواكبة الحداثة واستيعاب تطوراتها ، ولم يكن هذا لولا دعم عمادة كلية الاداب ممثلة بشخص عميدها الدكتور جابر محسن عليوي ومن الله التوفيق.

مدير التحرير

ا.د. عواد كاظم الغزي



## الفهارس

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
<b>محور الدراسات العربية</b>			
.١	الايقونة الحية في عتبات السياب النصية دراسة في سيمياء العنوانة	أ.م.د. كمال عبد الرزاق صالح العراق	١
.٢	أثر نهج البلاغة في شعر ناصر خسرو	م. د. علي مجيد البديري العراق	٢٧
.٣	الدلالات الصرفية لصيغ منتهى الجموع في الاستعمال القرآني	م. م. عباس نعيم محمد العراق	٤٥
.٤	القصة في شعر سعدي يوسف - البناء والرؤيا -	أ . م . د . صباح عبدالرضا إسويد العراق	٧٥
.٥	اثر التراث في شعر احمد مطر	م. قاسم محمد سلمان م. نضال حسن جاتول العراق	١٠٢
<b>محور الدراسات التاريخية</b>			
.٦	الموقف البريطاني تجاه المطالب السوفييتية بشأن المضائق التركية في مؤتمر بوتسدام	د شاکر ضیدان جابر د. محمود شاکر حمید العراق	١٢٢
.٧	الإمام الحسين (ع) وخيارات المواجهة قراءة في نصائح المتخلفين	م. د. شهيد كريم محمد الكعبي م. د. علي رحيم ابو الهيل. العراق	١٣٩

١٩٩	م. قاسم عبد سعدون العراق	الحياة السياسية للمنصور بن أبي عامر (٣٢٧ - ٣٩٢هـ / ٩٣٨ - ١٠٠٢ م)	.٨
٢٤٤	م.د. علي فيصل عبد النبي العامري العراق	اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكتب وخزائنها ٣٣٤ - ٥٦٧هـ / ٩٤٥ - ١١٧١ م	.٩
٢٦٩	ا.د. جاسم ياسين الدرويش ا.م.د. حسين جبار العلياوي العراق	الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس ١٣٨ - ٤٢٢هـ / ٧٥٥ - ١٠٣٠ م	.١٠
محور الدراسات المتفرقة			
٣١٢	د. علاء حسين علي شبع العراق	مدى إعمال القواعد ذات التطبيق الضروي في عقود التجارة الدولية ( (دراسة تحليلية مقارنة) )	.١١



# محور الدراسات العربية







## الايقونة الحية في عتبات السياب النصية

### دراسة في سيميائ العنونة

أ.م.د. كمال عبد الرزاق صالح

تتفق الدراسات الحديثة على أهمية العتبات النصية وفعاليتها في استكناه مجاهل النص والكشف المسبق عن مكنوناته الدالة وإيحاءاته الناجزة وفق مظاهر لغوية تركيبية وإيقاعية صوتية تنعكس تأثيراتها دلاليًا في ذهنية المتلقي وذلكته الفاحصة، ومن هنا تحتمت دراسة العتبات النصية بوصفها مفاتيح الولوج الى حيثيات البنى والدلالات في النص، إذ إن تحليل العتبات يرتبط بالاختيارات التي يقدمها تصور النص الموازي (١) ، وقد حدد جيرار جينيت - في كتابه ( العتبات ) - تلك العتبات بأنها : التقديم، اسم المؤلف، العناوين، الإهداءات، العناوين المتخللة... الخ بهدف فهم جيد لسياقها التاريخي ودلالاتها ووظائفها النصية(٢). لكن الدراسات الحديثة و بفضل الاستفاد مما تحقق من نتائج هامة في مجال الأبحاث اللسانية و السيميائية و تحليل الخطاب أولت العتبات عناية خاصة تجعل منها خطاباً قائماً بذاته، له قوانينه التي تحكمه . ولا غرابة في ذلك ما دامت العتبات في حقيقتها تصير بمثابة نص موازٍ للمتن، و من ثم فالواجب أن نحذر العتبات كما صرح بذلك جيرار جينيت و كما تقتضيه أدبيات القراءة (٣) . ولعل جينيت كان يشير بقوله:(فالواجب أن نحذر العتبات ) إلى أهميتها أولاً وحساسية موقعها ثانياً وتنوعها وتعدد أشكالها ثالثاً وهذا ما أكسبها قيمةً دلاليةً تنافس أو تضاهي قيمة النص(المتن) ولعل هذا وسواه ما حدا بعبد الرحمن منيف الى القول : ( فقد اهتمت السيميائية الحديثة بدراسة الإطارالذي يحيط بالنص كالعنوان والإهداء والرسومات التوضيحية وافتتاحيات الفصول وغير ذلك من النصوص التي أطلق عليها (النصوص الموازية) .والتي تقوم عليها بنايات النص ويأتي الدور المباشر لدراسة العتبات متمثلاً في نقل مركز التلقي من النص الى النص الموازي وهو الأمر الذي عدته الدراسات النقدية الحديثة مفتاحاً مهماً في

وجود لأحدهما إلا بوجود الآخر ، حتى في النصوص التي يتركها صاحبها من دون عنوان فيضع بضعة نقاط أو فراغاً من دون تنقيط ، تاركاً للمتلقى الحرية في اختيار عنوان يتلاءم مع مدى مساحة التأويل التي يتحرك في إطارها ، ولا غرابة حينئذٍ في أن يكون كلٌّ من العنوان والمتن دالاً ومدلولاً في الوقت نفسه ، وبذا يصير العنوان علامةً دالّةً ، أي إنّه في سبيل كينونته أيقونةً إذا ما توافرت فيه ميزة المشابهة مع واقعٍ خارجي ، إذ (( تتفق كل القواميس على ملاحظة أنّ الأيقونات هي العلامات التي لها علاقةٌ تشابه مع الواقع الخارجي )) (٧) ، ويعتمد شارل سندرس بورس خاصية المشابهة بين الأيقونة وما تمثله (٨) ، أمّا موريس فيري أنّ للعلامة الأيقونية خصائص المشار إليه ذاتها (٩) ، ولكن لا بد من الإنتباه إلى أنّ خاصيّة التشابه هذه يجب أن تكون محكومةً بضوابط او بحسب يوري لوتمان الذي أشار إلى هذه المسألة بقوله : (( إنّ مفهوم التشابه بين العلامة والموضوع الذي ترمز إليه يتميز بدرجة عالية من الشرطية ويخضع على الدوام للمسلّمات

دراسة النصوص المغلقة ، بحيث تجترح تلك العتبات نصاً صامداً للمتلقى له وميض التعريف بما يمكن أن تتطوي عليه مجاهل النص )) (٤). ونظراً لكثرة النصوص الموازية وتتوّعها ارتأينا تحديد البحث بعتبة العنوان ، وعلى الرغم من كثرة البحوث والدراسات التي تناولته تحليلاً وتقسيماً وتوضيحاً نوجّه النظر الى دراسة العنوان بوصفه ايقونةً حيةً تمثّل رأس الجسد النصي مانحةً إيّاه شحنّةً دلاليةً عاليةً التركيز في الوقت نفسه الذي تأخذ فيه العناوين طاقتها الإيحائية من المتن ، أي إنّها علاقة تضامنية تتواشج فيها عناصرهما لتنتج الأثر المطلوب .

فالعنوان (( يُعدُّ نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبّع دلالاته ومحاولة فك شفراته الرامزة )) (٥) ، أي كأنّ العنوان محطة وقود يتزوّد منها الباحث بمهادٍ تأويلي لسبر أغوار المتن ، إذ إنّ العنوان يمدّنا بزادٍ ثمين لتفكيك النص ودراسته (٦) ، واللطيف هنا أنّنا أمام نصّين ( العنوان - المتن ) أحدهما يشرح الآخر ، وأحدهما يُكمل الآخر ، وبهذا فلا

الإشارات (١٥) وهو بهذا التحديد لا يستثني وسائل الأداء اللغوي الأخرى، ولكن جاكوبسون كان أكثر حسماً حين أكد أن اللغة منظومة سيميائية خالصة (١٦)، لأننا - بحسب بورس - لانفكر إلا بواسطة الإشارات، ولأنّ الاستخدام الدلالي للإشارات هو الموضوع الأساس في السيميائية (١٧)، فالإنسان والنبات والحيوان والجماد يمكنها أن تكون علامات أيقونية لها محمولاتها الاجتماعية والفكرية ، فإن يكون الشيء أو المرء أيقونياً يعني أنه من المتوقع أن يتمّ التعرف إليه تلقائياً على أنه مشهور باعتباره عضواً في ثقافة أو ثقافة فرعية ما (١٨)، إذ يرى بورس أنّ للإيقونات صفات تشبه صفات الأشياء التي تمثلها وتثير أحاسيس نظيرة لها في الفكر (١٩) ، علماً بأنّ لفظ (أيقونة) ارتبط - بشكل أساس - بالصور والرسومات والأشكال ذات الدلالات الدينية حصراً ، ولكن توسّع استخدامها وتحميلها أوجهاً متعددة من الدلالات وفقاً على ما تشير إليه أو مانريدها نحن أن تكون على وفق مانحدده لها ، وما نرغب به أثناء الإستدلال .

الثقافية السائدة )) (١٠) . وطبقاً لهذه المسلّمات الثقافية نتوجّه إلى نمط خاص من الأيقونات يسمّى الأيقونات الحية نجد تمظهرها جلياً في العناوين ، مفيدين من السيميائية التي تردّ - بحسب بورس - كل الأنساق إلى حركيّة الفعل الإنساني، إنّها تجعل من الإنسان علامة، وتجعل منه صانعاً للعلامة، وتقدّمه كضحيّة لها في نفس الآن (١١) ، أي إنّ الإنسان وكل ما يحيط به وما ينتجه وما يتداوله علامة ، ولا شيء يفلت من سلطان العلامة، ولا شيء يمكن أن يشغل خارج النسق الذي يحدد له حجمه وامتداده وعمقه ، ولا يمكن أن يوجد شيء داخل هذا العالم حرّاً طليقاً يحلّق في فضاءات الكون لا تحكمه ضوابط أو حدود ولا يحدّ من نزواته نسق (١٢)، ولعل هذا ما أوجزه أمبرتو إيكو بقوله: (( تُعنى السيميائية بكل ما يمكن اعتباره إشارة )) (١٣) ، أمّا سوسيرفما ينفكّ ينظر بمنظار العلاقة بين اللغة والمجتمع إذ يرى أنّ (( السيميولوجيا هي عالم يدرس دور الإشارة كجزء من الحياة الاجتماعية )) (١٤)، ويرى سوسير أيضاً أنّ اللغة (لغة النطق) هي أهم منظومات

لغته ويجعلنا نتوحد مع أرواحنا في محاولة  
لاستنباتها في فعالياتنا الإبداعية، إته يقودنا إلى  
سبر العمق

ويكسبنا أدونيس جسداً لغويّاً موشوماً أجمل  
مايكون عليه الوشم ليلهينا بذلك عن تلافيفه التي  
تضيع في زحمة بهلوانيات اللغة ليبقى المعنى  
في بطنه يتحسّسه هنيئاً مريئاً، أمّا نحن فلنا  
غصّة اللغة وطققتها وربما سعالها (٢٢)،  
وقد فات الناقد أن ثمة فروقاً كثيرة بين الشاعرين  
ثقافياً واجتماعياً وبيئياً تحكمت في إنضاج  
تجربة كلّ منهما ، فضلاً عن واقعية السياب  
الجارفة مما انعكس بوضوح على تجربته  
الشعرية لغّة وصوراً ودلالات يتحكم بها أدونيس  
كله وبكل ملتعنيه هذه الكلمة ، وكذلك السياب  
كله وبكل ما يعنيه هذا الاسم .

ولو نظرنا إلى ديوان السياب (أنشودة المطر)  
لوجدنا تنوعاً واضحاً في عناوين القصائد البالغة  
(٣٢) قصيدة ، والتنوع المقصود هنا تنوع  
تركيبى ودلالي ، ونلاحظ ذلك بيسر من خلال  
استعراضها بتأنّ ورويّة لاستكناه محمولاتها (قبل

وعند النظر في عتبات السياب النصية تجلّى  
في عناوين قصائده ولعّ كامنٌ بتوظيف  
الأيقونات الحية وأنسنة الموجودات والسعي  
الحثيث - ربما من دون قصد - إلى النأي عن  
الترميز والغموض في اختيار العناوين ، أي إنّ  
سمة الوضوح والمباشرة هي السمة الغالبة في  
تلك العناوين ، ولعل ذلك يعود إلى الإحساس  
الإنساني الكامل لدى الشاعر وهو يعالج قضايا  
ملحة ذات صلة وثقى بالمجتمع ، (( لأنّ الشعر  
المعاصر محاولة لاستيعاب الثقافة الإنسانية بعامة  
وبلورتها وتحديد موقف الإنسان المعاصر فيها  
((٢٠)، ولعل هذا الشعور بالمسؤولية هو الذي  
دفع السياب للانحياز بشغف الى الواقع الإنساني  
بالكم الهائل من المأساة التي يزخر بها ، ولعل  
هذا أيضاً ما حدا بالناقد الدكتور حسن ناظم إلى  
القول (( : يمثّل السياب مثلاً أصفى على  
الإنشغال بالتجربة الروحية والانحياز إليها في  
الشعر أكثر من أي شيء آخر ، ويمثّل أدونيس  
إجمالاً مثلاً أصفى على الإنشغال عن التجربة  
الروحية والانحياز إلى سواها ))(٢١)، ويرجع  
ذلك إلى كون السياب يُكسبنا روحه في تضاعيف

بنكرة (غريب) ولكون النكرة تدل على العموم  
والمعرفة تدل على الخصوص (٢٤)، فقد وظّفَ  
الشاعر هذه النكرة ليس لزيادة الغموض والإبهام  
فحسب بل للإعلان عن مجهولية الغريب والزيادة  
في إعتام المشهد ، فابتدأ العنوان بنكرة ولايجوز  
هذا ما لم يكن ثَمَّةً مسوِّغٌ نحوي ، إلا إذا لجأنا  
إلى تقدير المحذوف من الكلام فنقول : ( أنا  
غريب على الخليج ) ، ولكن سياق الكلام في  
المتن لا يسمح لهذا التقدير إذ إنّ المفتتح النصي  
مشحون بالغياب :

• الريح تلهث بالهجيرة ، كالجنام، على  
الأصيل

وعلى القلوع تظلّ تطوى أو تنتشر للرحيل

زحم الخليج بهن مكتدحون جؤابو بحارٍ

من كل حافٍ نصف عاري.

وعلى الرمال ، على الخليج

جلس الغريب ، يسرّح البصر المحيّر في  
الخليج....(٢٥) .

وأثناء وبعد) قراءة النصوص التابعة لها ، أو كما  
يقول عبد الله الغدّامي: ومعظم وظائف العنوان  
تدرك من خلال النص ، فالنص إذن هو الذي  
يحدد طبيعة هذه الوظيفة لأنّ الباحث قد لا يدرك  
دور العنوان أو وظيفته في الشعر خاصة إلا  
بعد إتمام القصيدة(٢٣) .

وقد تكشّف البحث عن ثلاثة أنماط من  
الأيقونات الحية كانت لها الهيمنة على مجمل  
قصائد مجموعة ( أنشودة المطر ) ، ولتمكين  
التحليل سندرس ثلاثة نصوص تمثل عينات  
اختبارية منتقاة تعاملنا معها بوصفها نصوصاً  
نموذجية من حيث الموضوع ومساحة النص  
وطبيعة البناء وهيكلية كل منها :

١ - أيقونة الماء ..

ويتضح لنا هذا من خلال النظر بإمعان في  
قصيدة (غريب على الخليج) وهي أولى قصائد  
المجموعة التي تتأسس على الماء من عنوانها  
الرئيس ( أنشودة المطر) مروراً بكثير من  
عناوين القصائد ومضامينها ، ويستهلّ العنوان

الشاعر وحده الغريب ، فالبلد الذي هو فيه غريب أيضاً :

• لو جئت في البلد الغريب إليّ ما كمل اللقاء.....

• والمدن غريبة أيضاً :  
• بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة.....

والبلد الغريب والمدن الغريبة هي المنفى،  
• غنّيت تربتك الحبيبة  
• وحملتها فأنا المسيح يجرُّ في المنفى صليبه  
.....

والمنفى لفظ يحمل دلالة المكان المغاير وغير المرغوب فيه، أي إنّه مشحون بطاقة نفسية سلبية كبيرة ذات أثر محسوس ، يجعل الغريب يشعر بغربة كل شيء حتى الشمس والعيون :

• مازلت أصرب مترب القدمين أشعث في الدروب  
تحت الشمس الأجنبية  
متخافق الأطمار، أبسط بالسؤال يداً نديّة

مدخل النص وصفيّ محض ، ولفظ ( الغريب ) على الرغم من تعريفه فهو مكتنز بالغياب :

جلس - هو - الغريب  
ويستمر تمظهر ضمير الغائب (هو) ::

• ويهدُّ أعمدة الضياء بما يصعدُّ من نشيج أعلى من العباب يهدر رغوه ومن الضجيج .

ولكن هذ الغياب لم يدم طويلاً إذ ظهرت (الأنا) صادحةً صارخةً معلنةً وجودها :

• صوتٌ تفجّر في قرارة نفسيّ التكلّي عراق

فالياء في (نفسى) هي صورة من صور الضمير (أنا) ، ويستمر هذا الحضور على امتداد النص .

ولفظ (غريب) على وزن (فعليل) ، يوصف به الإنسان البعيد عن وطنه والمفارق لأهله إلى أرض أخرى لا يعرفه فيها أحد ولا يعرف فيها أحداً ، فهو لفظ ذو محمول مكاني ، أي إنّه مرهون بتغيّر المكان طوعاً أو كرهاً ، وليس

والتحسّر على العودة إليه حتى في آخر كلمة  
من القصيدة :

• فما لديك سوى الدموع

وسوى انتظارك دون جدوى ، للرياح وللقلوع !

والانتظار اللامجدي هو ملخّص الوضع النفسي  
والمادي الصعب الذي يمرُّ به الشاعر ، ولا نبالغ  
إذا قلنا إنّ كل كلمة في هذا النص تكثّف -  
بصدق فنّي عالٍ - التجربة الشعرية للسياب  
، وليس فقط في العنوان بحسب جان كوهن  
(٢٦).

والخليج مبنى لغوي ذو دلالات متناقضة :  
السفر والعودة ، الغرق والنجاة ، السطح والعمق  
، الأعلى والأسفل... الخ ، وهذه كلها وسواها  
دلالات مهيمنة في النص استدعت وجود لوازم  
مائية مصاحبة تكررت في المتن لتؤازر العنوان  
المائي (الخليج) الذي تكرر ٤ مرات في النص  
وساندته ألفاظ مائية أخرى مثل : (بحار ، المد ،  
السحابة ، الدموع ، العباب ، رغو ، الموج ،  
البحر ، قطرات ماء .... ) ، والسياب هو ابن

صفراء من ذلٍ وحمّى: ذلٌّ شخّاذٍ غريب  
بين العيون الأجنبية

بين احتقارٍ ، وانتهازٍ ، وازورارٍ ..أو "خطيئة"  
والموت أهون من "خطيئة"

من ذلك الإشفاق تعصره العيون الأجنبية.....

ومن البديهي أن يحضر لفظ الموت في نصّ  
معتم كئيب مكتظ بألفاظ الغربة والحزن والجوع  
والاحتقار والانتهاز والازورار ، ولازاد للغريب  
المفلس إلّا اجترار الذكريات التي تمنحه نشوة  
وقتية لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولا شك في  
أنّ النص بكامله عكس الحالة النفسية والأزمة  
التي يمرُّ بها الشاعر المطارد في بلده والمطرود  
من عمله والمريض والمفلس ، وهو يقف على  
الخليج ذلك السطح المائي الكبير الذي يبثّه  
الشاعر همومه وأحزانه وحسراته ، وحرف  
الجر(على) يفيد معنى الاستعلاء ، ففي كل  
الأحوال يكون الإنسان أعلى من مستوى سطح  
الماء، ولكون وقوف المهموم طويلاً يلزمه حينئذ  
الجلوس وممارسة الشكوى والتذكّر والبكاء  
واسترجاع المواقف القديمة والحنين الى الوطن

(٢٨) ، و المحلية العراقية - البصرية - الجيكرية ، التي تحدثنا عنها هنا لا تختلف كثيراً عن المكان الذي وقف فيه السياب على الخليج و هو غريب ، لذا نستنتج ان الغربة هنا ليست مكانية مطلقة بل هي غربة نفسية من ناحية و مادية من ناحية اخرى و يظهر ذلك جلياً من تأثير شخصيته بمواقفه من الشعر و السياسة و المجتمع ، و نلمح ذلك في الكثير من معالم القصيدة السيابية ، و ما ذلك إلا لأن السياب كان يدرك أن الثيمات المحلية التي يضمنها شعره قد لا تخطر على بال القارئ ولا تستطيع عيون المتلقي ان تصورها في المخيلة كما هي في ذلك المحل و هذا ينم عن ادراك عميق للاختلاف الجوهرى بين صورة ما يراه الشاعر و صورة ما يراه غيره حتى ضمن القصيدة نفسها ، و يرى الدكتور ابراهيم السامرائى ان السياب بارع في التقاط ما خفي من الاصوات في بيئته المحلية التي شب فيها مع الجياح و عرف اسرارهم التي يصعب على غيره ان يعرفها فقد يحكي الصوت حكاية يصور فيها البيئة القروية بمائها و شجرها فيعطي في ذلك صورة لا يعرفها

البصرة و شط العرب و الخليج ، وهو العاشق لتلك الأرض ، وهو كما قال في إحدى رسائله : لن تقوى أنياب سربروس كلب الجحيم على تجريد عظام الشاعر من لحمها ما دامت في فمه أغنية تتبع من تاريخ أمته و تمتزج بترية أرضه (٢٧) ، و لكون السياب يمثل هوية الشعر العراقي ، فقد امتاز بميله الى المحلية لانه تأثر ببيئته و استثمر كل طاقاته الابداعية في تصوير تلك البيئة و نقلها بطابع جمالي الى الشعر ، و المحلي هو الوصف الحي الدقيق لبيئة مكانية معينة تدور فيها احداث خاصة بحيث تلعب عبقرية هذه البيئة دوراً هاماً في تصوير هذه الاحداث و صبغها باللون المحلي ، و يمكن ان نحدد الملامح العامة و الابعاد الدلالية للمراد بـ ( المحلي في شعر بدر شاكر السياب ) فهو كل المفردات المحلية او التعابير ، او الإشارات و الرموز و الثيمات و الاساطير و التضمينات بل كل العناصر التي اتصلت بشكل جذري اصيل بالمحل - المكان ، سواء كان قرية صغيرة كجيكر او مدينة بسيطه كابو الخصيب او رقعة جغرافية مثل البصرة ، او كان المحل هو العراق



قصيدة ذكراً لقريته جيكور : مرثية جيكور ،  
تموز جيكور ، جيكور و ، المدينة ، العودة  
لجيكور ، وجيكور هذه التي خُذها السياب  
في شعره قرية صغيرة من قرى جنوب العراق  
تظل بيوتها الطينية أشجار النخيل التي تمر من  
خلالها العديد من الجداول الصغيرة ، ومنها  
نهير صغير يدعى ( بوب ) يتزود بمائه من  
فيضان شط العرب ، فهو شاعر تتلبسه بيئته  
القروية وتلاحقه حتى في انتقاله الى المدينة وفي  
سفره الى مدن العالم ، و هذه ظاهرة في شعره  
يكتشفها المتلقي من خلال تتبعه لقصائد الشاعر  
و دواوينه إذ إن الظاهرة الادبية - بحسب ريفاتير  
- ليست إلا علاقة جدلية بين النص والقارئ  
( ٣٠ ) ، فالعنوان هنا ليس إطاراً خارجياً منفصلاً  
عن جوهر النص ولا عن وعي الشاعر بل يشكل  
العنوان - بوصفه العلامة النصية الاولى -  
البؤرة المركزية التي يستند اليها النص في تشييد  
عمارته اللغوية ( ٣١ ) ، وكيف لا؟! والعنوان  
يمثل حجراً أساساً في البنية النصية بل هو  
بمثابة حجر ( سنّار ) الذي يركز المتن عليه  
بوجهيه الغامض والواضح .

ولا يتحسس جمالها غير اهلها ( ٢٩ ) ، ولا بد من  
الإشارة هنا الى ان معاناة السياب لا بد من ان  
يكون لها اثر واضح في تشكيل رؤياه ، فجوعه  
و فقره و امراضه و احباطاته الاخرى كلها كان  
لها اثر بالغ ليس فقط في إضفاء مضمون  
يتناسب و تلك المعاناة بل ان متغيرات العالم  
المعاصر حتمت ظهور نمط جديد من الشعر في  
منتصف القرن العشرين بعد ان ضاقت القوالب  
التقليدية بموضوعات عالما المعاصر لجأ  
الشعراء المحدثون الى تجريب نمط شعري جديد  
يبتعد عن القولية و يتحرر من حدود البيت  
الشعري و القافية لغرض استيعاب اوسع  
للمشاكل المعاصرة ، حتى ليتمكن القول ان معاناة  
الشعراء المحدثين و احباطاتهم تتشكل في  
اشعارهم بوصفها ظواهر ادبية او يمكن اعتبارها  
كذلك ، و من هنا نجد الانعكاس الابداعي لبيئته  
البصرية - المائية في شعره كما لاحظنا في  
مجموعة ( انشودة المطر ) التي تصور و تعكس  
تلك البيئة بتفاصيل دقيقة ، و عنوان هذه  
المجموعة ليس عنواناً مستقلاً عنها بل هو عنوان  
احد قصائدها الذائعة الصيت ، نجد في اكثر من

وثمة ما هو مشترك بين الأثنين :

غريب ..... الخليج

فكلّ منهما :

معلوم ومجهول / يأس وأمل / حياة وموت /  
حزن وفرح .....

وهي معانٍ محكومة بقوانين التضاد والتناقض  
والتضمن الناجزة في المربع السيميائي لغريماس  
، وهي عناصر حيوية وفاعلة تتمحور حولها  
المواقف والرغائب وفق قواعد لا تخضع للمحايدة  
التي تقتضي -وفق التحليل المحايد في  
المنظور البنيوي- عزل النص والتخلص من كل  
السياقات المحيطة به ، فالمعنى ينتج نص  
مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي  
شيء آخر (٣٢) ، فالواضح أنّ هذا النص  
وثيق الصلة بالحالة النفسية للشاعر وهو يبيث  
معاناته وإحساسه العميق بمأساته في الغربة  
والعوز، ومن هنا يتحقق الخلود لهذا النص، إذ -  
وبحسب بارت - إنّ الأثر لا يخلد لكونه فرض  
معنىً وحيداً على أناس مختلفين وإنّما لكونه

يوحي بمعانٍ مختلفة لإنسان وحيد يتكلم دائماً  
اللغة الرمزية نفسها خلال أزمنة متعددة (٣٣) .

وهذه القصيدة لا تعتمد البناء المقطعي بل  
تمتد على بساط من الإنثيالات العاطفية  
المتدافعة والمتناسجة وكأثها دفقة شعورية واحدة  
احتبست في صدر الشاعر ثم أخرجها مرةً واحدة  
محمّلةً بسيلٍ عارم من الأحاسيس ، أو كأنّ  
السياب كتبها في جلسة واحدة ، ليس فقط في  
حنينه المجنون للعراق :

• الريح تصرخ بي : عراق ،

والموج يعول بي : عراق ، عراق ، ليس سوى  
عراق !

البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ماتكون

والبحر دونك ياعراق

بالأمس حين مررت بالمقهى ، سمعتك ياعراق

..

وكنت دورة أسطوانة

هي دورة الأفلاك من عمري تكوّر لي زمانه

.....

الدروب ، الأطمار ، صفراء ، غريب ، احتقار ،  
انتهار ، ازورار ، تعصره ، قطرات .....

وهذا الركام التكراري لصوت الراء لعله يعكس  
روح السياب القلقة وانفعالاته اللامستقرة ، ويرى  
الدكتور حسن ناظم (( أن نصوص السياب  
تتوفر على تكرارات مقطعية توظف توظيفاً دقيقاً  
يكتسي النص من خلالها طابعاً خاصاً ))(٣٤)  
، فضلاً عن تكرار ألفاظ لها امتياز خاص عند  
الشاعر مثل : العراق - النقود - الخليج ..  
وخصوصية هذه الألفاظ تكمن في مساسها  
المباشر بتجربته الشعورية والشعرية .

ويمثّل الغريب في هذا النص أيقونة الحرمان من  
كل عزيز : الوطن ، الأهل ، المال ..

هو هكذا بتجرّده من كل شيء ، في حين  
يشخص الخليج أمله مكتنزاً عامراً بالحياة آملاً  
بالوصول بعد انقطاع .

٢ - أيقونة التراب ..

في قصيدة (حفار القبور) المطوّلة يظهر  
الشاعريقتاع كئيب ومرعب ، لا يتصّف بالقسوة

وحين يذكر العراق لابد من أن يتذكر الأغاني  
والأساطير وحكايات الجدّات والعجائز وكل  
ماله صلة بذكريات الطفولة ، ومشاهد الفقر  
والجوع :

• فسمعت وقع خطى الجياح تسير ، تدمى  
من عثار

فتنّز في عينيّ ، منك ومن مناسمها ، غبار  
مازلتُ اضربُ ، مترب القدمين اشعث ، في  
الدروب

تحت الشمس الاجنبية ،  
متخافق الأطمار أبسط بالسؤال يداً نديّة  
صفراء من ذلٍ وحمى ، ذلٌ شحاذ غريب  
بين العيون الأجنبية

بين احتقارٍ ، و انتهارٍ ، و ازورارٍ ، او "خطية"  
،

والموت اهون من "خطية" ، من ذلك الإشفاق  
تعصره العيون الاجنبية

قطرات ماء .. معدنية !

ولتكرار صوت الراء هنا وقع إيقاعي مميّز :  
تسير ، عثار ، تذر ، غبار ، أضرب ، مترب ،

كفان قاسيتان جائعتان كالذئب السجين

وفمّ كشقّ في جدار

مستوحد بين الصخور الصمّ من أنقاض

دار .....

وبهذه الصفات القاسية يعرض لنا السياب صورة ذلك الرجل المستوحد الذي يأنس بموت الناس ويدسّهم في التراب بكفّيه اللتين كرر ذكرهما ونعتهما بالبرودة إلى حدّ الإنجماد : ( كَفَّان جامدتان ) ، وهما كَفَّان (قاسيتان جائعتان ) ، وتحقق الإستعارة هنا فاعليّة الصورة المؤكّدة لمشاعر القسوة ويزيد التشبيه ( كالذئب السجين ) المشهد بشاعةً وكأنّ الشاعر يهيّء النفوس لمشاهد أشدّ قسوةً ، حين يتمنى الحفار أن يعمّ الموت والخراب والدمار بالحروب والأوبئة والكوارث ، وهاهو يشكو جوعه لله بعد أسبوع بلا عمل :

• ياربُّ..أسبوعٌ طويلٌ مرَّ كالعام الطويل

والقبرِ خاوٍ يفغر الفمّ في انتظار في

انتظار.....

فقط بل هو القسوة بعينها ، وكيف لا يكون كذلك وهويعتا ش من موت الآخر ين بل يتمنى موتهم بأية وسيلة ممكنة ، وتبدو الصورة معتمة من أول النص :

• ضوء الأصيل يغيم كالحلم الكئيب على

انتقور

واه كما ابتسم اليتامى أو كما بهتت شموع

في غيهب الذكرى يهوّم ظلُّهنّ على دموع ...  
(٣٥)

ويمهّد هذا الاستهلال الطويل الذي يتجاوز الثلاثين سطرًا شعرياً ، لمشهد ظهور حفار القبور :

• ثم ارتخت تلك الظلال السود وانجاب الظلام

فانجاب عن ظل طويل

يلقيه حفار القبور

كفّان جامدتان أبرد من جباه الخاملين

وكانّ حولهما هواء كان في بعض اللحد

في مقلة جوفاء خاوية يهوم في ركود

بالمهمّ والفاقة والذل ، عاشها الشاعر مستوحداً  
غريباً بالقناع كالحال في هذا النص ، وبدونه  
كالحال في النص السابق غريب على الخليج .

وحيثما تسمع بلفظ (حفار) تتمثل لك صورته  
بجسده القوي وملامحه القاسية ، وتتطلب هذه  
الكلمة لوازم مصاحبة كالفأس والمعول وغيرها ،  
وتحقق إضافة (حفار) الى ( القبور ) عنصر  
التحديد المباشر بعلاقة لفظ بلفظ مع كون الأول  
مفرداً والآخر جمعاً، علماً بأنّ المفرد هنا دلّ  
على الجمع بقريظة دلالاته على الكثرة بوساطة  
صيغة المبالغة (فَعَّال ) ، وهذان اللفظان  
يستدعي أحدهما الآخر :

حَفَّارٌ ----- القبور

فلفظ ( الحفّار ) يستدعي مكاناً يحفره وهو هنا  
(القبور) التي هي أحياء ترابية ومآب الإنسان  
بعدموته ، وقد كرر الشاعر ألفاظ :  
القبور..اللود..القبور..اللود ،خمساً وعشرين مرةً  
على امتداد حركة النص ، وهو تكرر ممل  
ومبالغ به يبعث على الإشمئزاز بشكل يتناسب

• واخيبتاه ألن أعيش بغير موت الآخرين  
؟

• فلتمطرثهم القذائف بالحديد وبالضرام

وبما تشاء من انتقام

من حُمَيَاتٍ أو جذام

نذرٌ عليّ لئن تشبَّ لأزرعَنَّ من الورود

ألفاً تُروى بالدماء.. وسوف أرصف بالنقود

هذا المزار ..وسوف أركض في الهجير بلا

حذاء ...

إنّها هستيريا الفرح والنشوة بفناء الناس ، لحظة  
اعتراف قاسية ولكنها حقيقية وصادقة تعكس  
حالة التوحد والتلذذ بعذاب الآخرين وموتهم  
بسادية مفرطة ومقرفة كي يدفنهم بكفّيه  
الجامدتين القاسيتين الجائعتين ، ثم يجني المال  
ليعيش .

وحفّار : صيغة مبالغة على وزن فعّال ، تدل  
على كثرة حدوث الفعل ودوام مزاولته ، ولعلّ من  
المناسب هنا القول إنّ اختيار السياب لقناع  
حفار القبور ليس عفويّاً ، بل عن قصدية محكمة  
التخطيط والإعداد الدقيق لسيناريو حياة مليئة

مع الصورة الكئيبة التي رسمها الشاعر لذلك الرجل الذي يدفن الناس في التراب بطريقة آليّة خالية من المشاعر وبأعصاب باردة وملامح قاسية .

فالعنوان بنية نصية وهو - بحسب حاتم الصكر - يشرف على النص لا ليضيئ ما يعتم منه فحسب بل ليوجه القراءة كلها وهذا ما يفهمه شعراء الحداثة من فلسفة العنوان واعتبار العنوان بنية نصية وليس لافتة مجردة من الدلالة فيحتمل العنوان قراءة نصية تستوقف وتوجه بقدر محمولها ذاته وما تشكل منه في عملية الكتابة أولاً (٣٦) .

إنّ حفّار القبور كائنٌ آدميٌّ حيٌّ ، يديم حياته بما يكسبه من موت الآخرين الذين يتمنى لهم الموت بأيّة وسيلة من الوسائل حتى لو كانت وسيلة وحشية مدمرة يهلك بها الحرث والنسل ، أمّا القبور فهي أيقونة المكان الذي لا يرغب به أحد ، لضيقه وعمته وعزلته ووحشته وانقطاعه وانقطاع الرجاء معه ، فلا عودة منه ولا خلاص ، ومن هنا جاء العنوان استفزازياً وصادماً

للمتلقي الذي يكره أن يسمع لفظ ( الموت ) وكل ما له صلة قريبة أو بعيدة به ، وقد تحققت للمتلقي صدمة أخرى تمثلت بكون هذه الحفرة ( القبر ) لا تحمل دلالة الموت فقط بل تحمل دلالة الحياة أيضاً ، لأنّ ذلك الرجل ( الحفار ) يعتاش على تلك الحفر التي يدسّ فيها أجساد الموتى .

٣- أيقونة النار ..

- عسافير أم صبيّة تمرح  
عليها سنا من غدٍ يلح  
وأقدامها العارية  
محار يصلصل في ساقية .....(٣٧)

تتجلى في قصيدة السياب (الأسلحة والأطفال) ثنائية الخير المتمثل بالأطفال وبراعتهم ، والشر المتمثل بتجار الحروب وهم يسعون إلى تحقيق مكاسب مادّية على حساب أرواح الناس :

- حديد عتيق  
رصاص حديد  
لك الويل من تاجر أشأم

ومن خائضٍ في مسيلِ الدم ...

إنَّها تجارة الموت التي تحصد الأرواح مقابل المال ، وقد استحضر الشاعر كثيراً من رموز الحياة : الأطفال ..العصافير..المرح ..الزهور.....

والأطفال هم أسمى معنى من معاني الحياة الصافية والبريئة والناعمة والنفية ، وهم الغد الواعد بالأمل والتجدد ، في حين تمثل الأسلحة النقيض لكل ذلك والهادمة لكل صور الحياة وجمالها ، لأنَّ الأسلحة تستدعي الحروب والدمار والموت :

• أرى الفوّهات التي تقصف

تسدُّ المدى واللظى والدماء

وينهلُّ كالغيث ملء الفضاء

رصاص ونار ووجه السماء

عبوسٌ لما اصطكَّ فيه الحديد

حديد ونار حديد ونار

وثمَّ ارتطام وثمَّ انفجار

ورعد قريب ورعد بعيد

وأشلاء قتلى وأنقاض دار

حديد عتيق لغزو جديد .....

والجمع بين المتناقضين صعب للغاية ، وحين يجمع الشاعر بينهما في عنوان بوعي كامل بجدوى ذلك في تكثيف الدلالة وتسليط الضوء

على المتن ، إذ إنَّ (( العنوان هو بمثابة الثريا للنص يضيء فضاءاته )) (٣٨) ، ويكشف

الطبقات العميقة من النص (٣٩) ، وهذا النص المدجج بألفاظ : الحديد..النار..الرصاص ، وهي

ألفاظ يستدعيها لفظ الأسلحة الذي تصدَّر العنوان وتقدَّم على لفظ الأطفال ، لكون الأسلحة

بأنواعها هي عنصر خراب لحياة هؤلاء الأطفال ، علماً بأن المقطع الختامي للقصيدة

مشحون بطاقة عالية من الأمل بعالم جديد يسوده السلام والسعادة :

• وأنَّ الدواليب في كل عيد

سترقى بها الريح.. جذلى تدور !

ونرقى بها من ظلام العصور

إلى عالم كل ما فيه نور .

الشعر العربي الحديث بأنها (( عالم ذو أبعاد ،  
عالم متموج متداخل ، كثيف بشفافية، عميق  
بتألؤ ، تعيش فيها وتعجز عن القبض عليها ،  
تقودك في سديم من المشاعر والأحاسيس يستقل  
بنظامه الخاص ))(٤٢) ، والتشكيل المقطعي  
في قصيدة الأسلحة والأطفال استدعى تطويلاً  
في النص ، والتطويل استدعى تكرارات نصية  
متنوعة صوتية حرفية ولفظية ، وتكرارات جمل  
ومقاطع ، من تلك التكرارات ماله صلة بـ)  
الأسلحة) ، مثل : رصاص /حديد/ حديد عتيق/  
نار / قبور / الموت / الدماء / انفجار .....الخ  
، ومن تلك التكرارات ما يتصل بـ( الأطفال) ،  
مثل :

- عصافير أم صبية تمرح
  - عصافير بل صبية تمرح
- أم الماء من صخرة ينضح  
وأقدامها العارية

مصاييح ملء الدجى تلمح .

و ثمة ظاهرة غريبة في المقطع السابع من  
القصيدة ، إذ تكرر لفظ ( سلام ) ثماني مرات ،

( رصاص ، رصاص، رصاص ، حديد حديد  
عتيق ) ..  
لكونٍ جديد !

والكون الجديد يصنعه جيل جديد ، جيل يبني  
الحياة الجديدة بدلاً من الحروب والتدمير والقتل  
بالحديد العتيق .

وتتألف هذه القصيدة المطولة من ثمانية مقاطع  
، ويعتمد الشاعر ألفاظ : حديد ، رصاص ، حديد  
عتيق ، حديد ونار ..بعشوائية مقصودة بوصفها  
فوا صل أو نقاط ارتكاز ليس فقط بين المقاطع  
بل خلال المقطع الواحد نفسه ، إذ إنَّ (( البناء  
الشعري المقطعي بناء يتَّسم بالتكامل والتوازن  
والتشكيل ، إذ تحتوي القصيدة في هذا التشكيل  
على مجموعة مقاطع كل مقطع يمثل جزءاً من  
تجربة القصيدة وبمجموع المقاطع تتشكّل  
الرؤية العامة للقصيدة)) (٤٠) ، وبهذا تكتسب  
القصيدة مبررات وجودها أو - وبحسب الشاعر  
صلاح عبد الصبور - إنَّ القصيدة التي تفتقد  
التشكيل تفتقد الكثير من مبررات وجودها (٤١)،  
ويتحدث أدونيس عن القصيدة المقطعية في



وهذا الإقتباس يشير إلى وعي الشاعر وتدقيقه في اختيار الموضوع المناسب الذي يتلاءم معه ، لأنَّ إيذاء الأطفال وتقتيلهم هو الخراب الحقيقي لأنَّه يدلُّ على خراب النفوس وفساد الإنسانية وخمود روحها ومشاعرها عند البشر .

ومن خلال هذه القراءة تبين لنا أنَّ الأطفال أيقونة الحياة والأمل بعالم جديد ، والأسلحة أيقونة ندمير هذه الحياة وقتل روح الأمل ومعاني الجمال :

- فمن يتبع الغيمة الشاردة ؟ ويلهو بلقط المحار ؟ ويعدو على ضفة الجدول ؟ ويسطو على العش والبلبل ؟ ومن يتهجَّى - طوال النهار - ومن يلثغ الرءاء في المكتب ؟ ومن يرتمي فوق صدر الأب إذا عاد من كدِّه المتعب ؟ ومن يؤنس الأم في كل دار ؟ أسيَّ موجع أن يموت الصغار

و تكرر حرف الجر ( على ) ١٨ مرة ، بشكل يكاد يكون مصاحباً لها بما يكون تركيباً ( سلام على ) :

- سلامٌ على العالم الأرحب
- سلامٌ على (الكنج) فاض النعيم
- سلام على الصين والحاصدين

والسلام المنشود هو لكل العالم شرقاً وغرباً ، هي دعوة إنسانية عامة شاملة تنتشل البشرية من ظلمات الكراهية إلى أنوار المحبة بلا حروب ولا استعمار .

وحين يقول السياب:

- ومن يفهم الأرض أنَّ الصغار يضيقون بالحفرة الباردة فهو يستلهم هذا المعنى متأثراً بالشاعرة إيديث سيتويل في قصيدتها أم ترثي طفلتها :
- إنَّ الأرض عجوز شاخت حتى لا تعلم بأنَّ الصغار حركون كظلال الربيع (٤٣) ،

فالشاعر كسر عدداً كبيراً من التوقعات والاختيارات الممكنة .

ولو أمعنا النظر في عناوين القصائد الثلاثة المنتخبة في البحث - غريب على الخليج ، وحفار القبور، والأسلحة والأطفال - لوجدناها تكوينات صورية تنطوي على طاقة تخيلية لاتقل عن الكثير من الصور الشعرية التي زخرت بها النصوص، ولهذه الصور وظائف يحددها وعي الشاعر وحالته النفسية ، إذ إنّ للصورة الشعرية وظيفتين : وظيفة تؤدّيها على المستوى النفسي أثناء عملية خلق و إبداع الصورة عند الشاعر التي تعدّ عيّنةً سايكولوجية ترتبط ارتباطاً عضوياً بالجانب النفسي و ذلك لأنّ معظم البحوث النفسية اعتبرت الفن عملية شبيهة بالحلم حيث يستطيع الفنان تحقيق رغباته في فنّه و إفراغها فيه و إنّ كان ذلك بشكل وهمي ، ففي الصورة الشعرية تتجلا خصائص صور الأحلام ، إلا أنّ ما يميّز الصورة الشعرية عن الصورة الحلمية هو الأصالة (( فكل صورة في الخلق الفني لها جذورها العميقة في عالم اللاشعور لأنّ وراء هذا

نعم إنه أسيّ وأي أسيّ أن يموت الصغار مهما تعددت عناوينهم أو أشكالهم أو أصولهم ، لذا قرن الشاعر اللفظين ببعضهما :

الأسلحة ..... الأطفال

لعلّه أراد إحداث مساحة من الترقّب والتوتّر من اقتران متناقضين ومتضادين يحملان شحنات عالية التأثير في ذهن المرسل والمتلقي في الوقت نفسه ، مع كون هذا الإقتران :

الأسلحة ..... ( و ) .....

الأطفال

لا يخفف من أيّ من الشحنتين المتضادتين مع انعدام التوازن بينهما ، إذ إنّ جبروت الأسلحة

وطاقتها السلبية تتفوق بكثير على كل معاني الطفولة وطاقاتها الإيجابية ، لأنّ هذا الإقتران غير مشروط أي إنّ وجود أحدهما لا يقتضي وجود الآخر ولا يشترط ملازمته ، فلفظ ( الأطفال ) يقتضي ألفاظاً مثل :

البراءة ، المرح ، الألعاب ، المدرسة ، الزهور ، الفراشات ، البالونات.....الخ

بشكل إيحائي ومعقد ايضاً، الشيء الذي سينتج عن هذا فهماً موحداً لهذه الصورة، و هذا النوع من الصور الشعرية اطلق عليه الصورة الإيحائية او الكلية او الرؤياوية او الرمزية، تبعاً لرؤية كل ناقد او اتجاه نقدي وإيمانه بهذا الشكل الصوري التعبيري، و تبقى الصورة الرؤياوية هي أعلى مرتبة من مراتب التصوير من جهة الانسجام و القدرة على خلق الدهشة و الفرادة في التجربة الشعرية (٤٦). وعناوين السياب - موضوع الدراسة - صور ناطقة تأسست بعيداً عن التشبيهات والاستعارات مع كونها صوراً تجسيدية كل لفظ فيها يصلح أن يكون مشهداً حيويّاً قائماً بذاته ، وتأتى ذلك من واقعية تلك الصور و الطاقة الحركية الملازمة للشخوص المجسدة لها ، وهذا ما أغنى الصورة وحملها دلالات إيحائية واسعة التأثير و ذات شحنات عاطفية متناقضة حباً أو كرهاً ، فنحن نتعاطف مع الغريب ونتوجس منه في الوقت نفسه ، وكذلك الحال مع الخليج وحقار القبور ، لكننا أمام قناعة تامة بكراهية الأسلحة ورفضها ، وبقين تام بحب الأطفال والحنو عليهم ، فالصورة الشعرية ((

الظاهر المضيء الذي نلحظه في ذات أنفسنا مجالاً مظلماً مجهولاً عامراً بالظواهر النفسية التي لا نعرف انعكاساته المعقدة المصورة وهو مجال اللاشعور ، وبتعبير الشاعر عن أحلامه الحبيسة يتحرر منها وهذا التحرر يقرب نظرية فرويد من نظرية التطهير عند أرسجو ((٤٤) ، أو أثناء التلقي بحيث التجاوب يكون بالأساس نفسياً بفعل الأثر الذي تتركه ، أما الوظيفة الثانية للصورة الشعرية فتؤديها على المستوى الدلالي من خلال تفجيرها لمستويات عدة من الدلالات مع كل قراءة جديدة ، وبتوضيح جلياً في إطار توصيل المعنى للقارئ أن للصورة الشعرية مرجعيتها الفكرية المخصوصة بها تتجدد معالمها و في مداها تتحدد أبعادها، فهناك من النقاد من يرى ان الصورة الشعرية هي وسيلة لتبليغ دلالة محددة ومباشرة و بشكل تقريرى واضح وهو ما يصطلح عليه بالصورة الحسية البسيطة(٤٥)، وهناك في الجانب الآخر من يرى في الصورة الشعرية شكلاً فنيا نطل من خلاله على عالم اشد تعقيداً بحكم الغموض الذي يلقه و الحجب التي تحجبه، لذلك يكون التعبير عن هذه العوالم

سلسلة من المرايا موضوعة في زوايا مختلفة  
بحيث تعكس الموضوع وهو يتطور في أوجه  
مختلفة ولكنها صور سحرية وهي لا تعكس  
الموضوع فقط بل تعطيه الحياة والشكل ففي  
مقدورها أن تجعل الروح مرئية للعيان ((٤٧)).

### هوامش البحث

- ١- ينظر: الحجمري ، عبد الفتاح ، عتبات النص ، البنية و الدلالة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٩.
- ٢- م . ن : ص ٦٨.
- ٣- ينظر : بلال ، عبد الرزاق ، مدخل إلى عتبات النص ، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ، افريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٠ ، ص١٦ .
- ٤- منيف ، عبد الرحمن ، الباب المفتوح ، بيروت ، دار الساقى .
- ٥-الجزار ، محمد فكري ، العنوان و سيموطيقا الإتصال الأدبي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص١٥ .
- ٦- ينظر : مفتاح ، محمد ، دينامية النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٧٢
- ٧- مجموعة مو ، بحث في العلامة المرئية ، من أجل بلاغة الصورة ، ترجمة ، د.سمر محمد سعد ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ص ١٤٦ .
- ٨- ينظر ، م . ن : ص ١٦٢ .
- ٩- ينظر ، م . ن : ص ١٦٢ .
- ١٠- لوتمان ، يوري ، تحليل النص الشعري ، بنية القصيدة ، ترجمة ، د. محمد فتوح احمد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص٣٧ .
- ١١- ينظر ، بنكراد ، سعيد ، السميائيات و التأويل ، مدخل لسميائيات ش . س . بورس ، المركز الثقافي العربي ، ص٢٨ .
- ١٢- ينظر ، م . ن : ص٧٢ .
- ١٣- تشاندلر ، دانيال ، أسس السيميائية ، ترجمة ، د. طلال وهبة ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص٢٨
- ١٤- م . ن : ص٣٠ .

- ١٥- ينظر ، م . ن : ص ٣٤ .
- ١٦- ينظر ، م . ن : ص ٣٣ .
- ١٧- ينظر ، م . ن : ص ٤٥ .
- ١٨- ينظر ، م . ن : ص ٨٦ .
- ١٩- ينظر ، م . ن : ص ٨٧ .
- ٢٠- فضل ، د. صلاح ، بلاغة الخطاب و علم النص ، سلسلة عالم المعرفة ع١٦٤ ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، ١٩٩٢ ، ص ٨٩ .
- ٢١- ناظم ، حسن ، أنسنة الشعر ، مدخل إلى حداثةٍ أخرى ، فوزي كريم نموذجاً ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٥ ،
- ٢٢- ينظر ، م . ن : ص ١٥- ١٦ .
- ٢٣- ينظر : الغدامي ، عبد الله ، تشريح النص ، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٠ .
- ٢٤ - ينظر : السامرائي، د. فاضل صالح ، معاني النحو ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ ، ١ / ٢٦ .
- ٢٥ - السياب ، بدر شاكر ، المجموعة الشعرية الكاملة ، دار مية ، دمشق ، ٢٠٠٦ ، ١ / ١٨١ .
- ٢٦ - ينظر : كوهن ، جان ، بنية اللغة الشعرية ، ترجمة محمد الولي ، دار توفيق ، المغرب ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩ ، ص ٢٢٥ .
- ٢٧ - ينظر : السامرائي ، ماجد ، رسائل السياب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٤ ، ص ١٥٣ ، وينظر : الحجاج ، ناصر ، بدر شاكر السياب ، هوية الشعر العراقي ، العارف للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ص ٦٥ .
- ٢٨ - ينظر : الحجاج ، ناصر ، بدر شاكر السياب ، هوية الشعر العراقي ، ص ٣٤ .

## محور الدراسات العربية

- ٢٩ - ينظر : السامرائي ، إبراهيم ، لغة الشعر بين جيلين ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٣٦ .
- ٣٠ - ينظر : ناظم ، حسن ، مفاهيم الشعرية ، مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٤ .
- ٣١ - ينظر : عبيد ، د. محمد صابر ، و د. سوسن البياتي ، مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي ، ص ١٨٣ .
- ٣٢ - ينظر : بنكراد ، سعيد ، السميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها ، دار الحور للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ ، ص ٩٥ .
- ٣٣ - ينظر : بارت ، رولان ، نقد و حقيقة ، ترجمة : د . منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ ، ص ٢٦ .
- ٣٤ - ناظم ، حسن ، البنى الأسلوبية في شعر السياب ، دراسة في انشودة المطر ، دار التتوير للطباعة و النشر ، ط ٢ ، ٢٠١٥ ، ص ١٨٠ .
- ٣٥ - السياب ، بدر شاكر ، المجموعة الشعرية الكاملة ، ٢٨٦/١ وما بعدها .
- ٣٦ - ينظر : الصكر ، حاتم ، مالا تؤديه الصفة ، المقتربات اللسانية و الأسلوبية و الشعرية ، دار كتابات معاصرة ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ١٠٩ .
- ٣٧ - السياب ، بدر شاكر ، المجموعة الشعرية الكاملة ٢٩٦/١ وما بعدها .
- ٣٨ - عبد الوهاب ، محمود ، ثريا النص ، مدخل لدراسة العنوان ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٣٩٦) ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٥ .
- ٣٩ - عثمان ، إعتدال ، إضاءة النص ، دار الحداثة للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٧٦ .
- ٤٠ - العبيدي ، سلمان علوان ، البناء الفني في القصيدة الجديدة ، عالم الكتب الحديث ، اريد ، الاردن ، ٢٠١١ ، ص ١٨٣ .
- ٤١ - ينظر : عبد الصبور ، صلاح ، حياتي في الشعر ، دار العودة ، ط ١ ، ١٩٦٩ ، ص ١٩ .

## الايقونة الحية في عتبات السياب النصية دراسة في سيمياء العنوان

- ٤٢ - أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .
- ٤٣ - السياب ، بدر شاكر : المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٣٠٤ ، ينظر هامش (١) .
- ٤٤ - هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ص ٣٧١ ،
- ٤٥ - ينظر : الطريسي ، أحمد أعراب ، الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب ، الدار العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٦ .
- ٤٦ - ينظر : الديهاجي ، د. محمد ، الخيال وشعريات المتخيل ، بين الوعي الآخر والشعرية العربية ، المغرب ، فاس ، ط ١ ، ٢٠١٤ ، ص ٨٠ - ٨١ .
- ٤٧ - لويس ، سي ، دي : الصورة الشعرية ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٩٠ - ٩١ .

### مصادر البحث

- ١- أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- ٢- بارت ، رولان : نقد و حقيقة ، ترجمة : د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
- ٣- بلال ، عبد الرزاق : مدخل الى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ، افريقيا الشرق ، المغرب ٢٠٠٠ .
- ٤- بنكراد ، سعيد : السيميائيات ، مفاهيمها و تطبيقاتها ، دار الحور للنشر و التوزيع ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ .
- ٥- بنكراد ، سعيد : السيميائيات و التأويل ، مدخل لسيميائيات ش.س. بورس ، المركز الثقافي العربي .
- ٦- تشاندلر دانيال ، اسس السيميائية ، ترجمة : د. طلال وهبة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .
- ٧- الجزائر ، محمد فكري : العنوان و سيميوطيقا الاتصال الادبي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٨ .



- ٨- الحجاج، ناصر: بدر شاكر السياب، هوية الشعر العراقي، العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٢.
- ٩- الحجمري، عبد الفتاح: عتبات النص، البنية و الدلالة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦.
- ١٠- الديهاجي، د. محمد: الخيال وشعريات المتخيل، بين الوعي الآخر والشعرية العربية، فاس، المغرب، ط١، ٢٠١٤.
- ١١- السامرائي، إبراهيم: لغة الشعر بين جيلين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.
- ١٢- السامرائي، د. فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط٢، ٢٠٠٣.
- ١٣- السامرائي، ماجد: رسائل السياب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٤.
- ١٤- السياب، بدر شاكر: المجموعة الشعرية الكاملة، دار مية، دمشق، ٢٠٠٦.
- ١٥- الصكر، حاتم: ما لا تؤديه الصفة، المقتربات اللسانية و الاسلوبية و الشعرية، دار كتابات معاصرة، بيروت، ١٩٩٢.
- ١٦- الطريسي، أحمد أعراب: الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث في المغرب، الدار العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ١٧- عبد الصبور، صلاح: حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٦٩.
- ١٨- عبد الوهاب، محمود: ثريا النص، مدخل لدراسة العنوان، سلسلة الموسوعة الصغيرة (٣٩٦)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٥.
- ١٩- عبيد، د. محمد صابر، و د. سوسن البياتي: مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي.
- ٢٠- العبيدي، سلمان علوان: البناء الفني في القصيدة الجديدة، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن، ٢٠١١.
- ٢١- عثمان، اعتدال: اضاءة النص، دار الحداثة للطباعة، بيروت، ١٩٨٨.

- ٢٢- الغدامي، عبد الله: تشريح النص، مقارنات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
- ٢٣- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة، ١٦٤، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ١٩٩٢.
- ٢٤- كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٩.
- ٢٥- لوتمان، يوري: تحليل النص الشعري، بنية القصيدة، ترجمة: د. محمد فتوح احمد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥.
- ٢٦- لويس، سي ، دي : الصورة الشعرية ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- ٢٧- مجموعة "مو" : بحث في العلامة المرئية ، ترجمة : د . سمر محمد سعد ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢ .
- ٢٨- مفتاح، محمد: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠.
- ٢٩- منيف، عبد الرحمن: الباب المفتوح، دار الساقى، بيروت.
- ٣٠- ناظم ، حسن : انسنة الشعر ، مدخل إلى حدائث أخرى ، فوزي كريم نموذجاً ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ .
- ٣١- ناظم ، حسن : مفاهيم الشعرية ، دراسة مقارنة في الأصول و المنهج و المفاهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ .
- ٣٢- هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

## أثر نهج البلاغة في شعر ناصر خسرو

م. د. علي مجيد البديري

مقدمة :

تحاول هذه الدراسة التوقف عند تجليات التأثر بنصوص نهج البلاغة لدى الشاعر الفارسي ناصر خسرو ت (٤٨١هـ / ١٠٨٨م) ، في موضوع الحكمة والأخلاق الذي اشتهر به وعُرف لديه ، بوصفه غرضاً أثيراً قلَّ أن تخلو قصائده منه .

وقد اقتضت معالجة هذا الموضوع التعريف بالشاعر ، وبالسباق الثقافي الذي عاش فيه وتأثر بمكوناته بشكلٍ موجزٍ وسريع، فهو شخصيةٌ شديدة الصلة بمحيطها ؛ و قد جعل منه هذا الالتصاق بالواقع شاعراً تتجاوز فاعليته حضوره مكانه وعصره . لينتقل البحث بعد ذلك إلى معاناة ما طرأ على جملة الحكمة ، وهي ترتحل من سياق النثر الفني ( في نصوص النهج الشريف ) إلى سياق الشعر ، حيث تكتسب سماتٍ نوعيةً جديدةً ، ذات طبيعة خاصة . على أن هذا الانتقال للحكمة لم يتم بطريقةٍ مقطوعة الصلة عن سياقها الأول في نصوص النهج ، لما للغة هذه الأخيرة من مزايا شعرية عالية جعلتها أكثر قرباً من جماليات الشعر .

ولأجل تحقيق ذلك كان على الدراسة أن تتخذ منهجاً مقارناً يفيد . بطريقةٍ توليفيةٍ . من معطيات المدرستين الفرنسية والأمريكية في الأدب المقارن . فجاءت عناية الدراسة موزعةً . بشكلٍ متوازنٍ نوعاً ما . بين معاناة البعد الخارجي (التاريخي) لعلاقة التأثير والتأثر ما بين طرفي المقارنة ، و هو ما تؤكد المدرسة الفرنسية على دراسته و الكشف عنه في الدراسة المقارنة ، وبين تأمل تجليات العلاقة . المشار إليها . في داخل النصوص ضمن البعد الداخلي (الفني) ، والذي عنيت به المدرسة الأمريكية .

ناصر خسرو : من ملامح عصره وثقافته

وفي خلال هذه الرحلة التي استغرقت زهاء سبع سنوات، واجه ناصر خسرو الكثير من الأحداث والصعاب. إلا أنّ ما كان له الأثر البالغ في حياته هو تأثيره الكبير بشخصية الخليفة الفاطميّ في مصر، حيث اعتنق المذهب الإسماعيلي . وعند عودته إلى بلخ بدأ يدعو إلى هذا المذهب بشكل علني، ويناقد فيه علماء وفقهاء عصره ويناظرهم. و اتخذ من الشعر وسيلة لذلك إلى جانب اعتماده التأليف في الموضوعات العلمية والفلسفية والدينية . وقد واجه ناصر خسرو تضييقاً واضطهاداً من قبل السلجوقيين اضطره إلى أن يتخفّى في قلعة يمغان بالقرب من مدينة بدخشان ، ويعتزل الناس لينهمك في نظم الشعر، والتأليف، والتصنيف ، حتى وفاته سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م.<sup>(٣)</sup>

اكتسبت شخصية خسرو وشاعريته واهتمامه بمحيطه، أهمية عالمية تجاوزت حياته وعصره . و في الوقت الذي عمد بعض دارسي تجربته إلى التقليل من الأهمية الجمالية لشعره ، بسبب هيمنة الموضوعات الأخلاقية وطابع الوعظ والحكمة على

يعد ناصر خسرو من أهم شعراء القرن الخامس الهجري في الأدب الفارسي ، ولد في قباديان عام ٣٩٤هـ/ ١٠٠٤م ، و نشأ فيها وسط أسرة متوسطة الحال، متتقفاً ثقافة واسعة ؛ إذ تلقى في مطلع عمره العلوم الشائعة في زمانه، و مارس الكتابة والتأليف إلى جانب الشعر . عاش في فترة اتسمت بالاضطرابات السياسية العنيفة والنزاعات الاقتصادية والعرقية والجدل الديني.<sup>(١)</sup> سافر إلى مكة المكرمة عندما بلغ الثالثة والأربعين من عمره. و خلال رحلته الطويلة إليها مرّ بعدة مدن مكث في بعضها طويلاً ، و أدى في مكة فريضة الحج. ومن هناك استمر في رحلته، مدوّناً مشاهداته عن تلك البلدان. و كانت أطول إقامة له في القاهرة ، حيث أقام قرابة ثلاث سنوات، وفي عام ٤٤١هـ غادر مصر ليزور مكة ، وبعد أدائه الحج، غادرها عائداً إلى وطنه إيران سنة ٤٤٣هـ بعد أن مرّ بعدة مدن منها البصرة التي مكث فيها شهرين ، ليغادرها . مُنهيّاً رحلته أخيراً . إلى بلخ وذلك سنة ٤٤٤هـ.<sup>(٢)</sup>

الملاحم الذاتية إلى حيز الوجود الإنساني ، لغرض تفعيل دوره شاعراً وحكياً اسماعيلياً في الحياة .

### نهج البلاغة مرجعاً ابداعياً لدى خسرو

مثل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ونهج البلاغة أهم أسس التكوين المعرفي والعقائدي لثقافة ناصر خسرو ؛ وحظيت هذه المصادر الثلاث بعناية خاصة لديه ، تجلت في طريقة تلقيها التي تمخضت عن استغراق تام وتسليم كامل لكل معطيات أبعادها المعرفية المختلفة ، انعكس فيما كتبه من شعر وما ألفه من كتب عديدة . ولم يكن الجو الذي ولدته هذه المصادر ناشئاً عن الاستغراق في البعد الجمالي لأفائها فحسب ، بل عن التدبر والتأمل العميقين في أبعادها الأخرى أيضاً، ولا يخفى عن قارئ شعر خسرو عمق لغته وخصوصيتها في تاريخ الشعر الفارسي .<sup>(٥)</sup>

لقد وقر إتقان اللغة العربية ، والإحاطة بجماليات الكتابة بها ، للشاعر ناصر خسرو، فرصة فائقة لتذوق نصوص نهج البلاغة، والإفادة

كثير من قصائده ، عدّه آخرون واحداً من أعظم شعراء الأدب الفارسي الكلاسيكي ، أو شاعراً فيلسوفاً ، نظيراً لأبي العلاء المعري في الأدب العربي. وقد مارس خسرو دوراً رائداً في تطوير النثر الفارسي و أساليبه مضافاً إلى إسهاماته في مجال الفلسفة واللاهوت الإسماعيلي .

إنّ إحدى الموضوعات المهيمنة في شعر ناصر خسرو هي وضع الإنسان ومكانته في الكون . كما أنّ شعره الذي يتركز إلى رؤيته اللاهوتية والفلسفية كان مفعماً بتأمل الطبيعة الإنسانية وقدراتها الخلاقة . فهو يعد الإنسان ذروة الخلق، والعتبة إلى العالم الآخر، على إن هذه الامتيازات . في رأيه . لم تُعفِ الإنسان من الهدف الأخلاقي لوجوده والمسؤولية عن أفعاله أمام الله ، و أمام جميع المخلوقات أيضاً؛ فالفضيلة والفكر اللذان جعلوا الإنسان سيداً على الحمير هي ذاتها الخصال التي جعلت منه عبداً لله القدير.<sup>(٤)</sup> . في ضوء ذلك يمكن القول أن خسرو ، في ما كتبه من شعر ومصنفات ، كان يعيد انتاج نفسه وتصوراته ومواقفه ، ناقلاً هذه

لم يكن شعر الحكمة لوناً جديداً تفرد بكتابته الشاعر ناصر خسرو وعرف به ، فقد شهد هذا اللون من الشعر ازدهاراً كبيراً منذ فترة مبكرة من تاريخ الأدب الفارسي . و قد يدخل هذا الموضوع الشعري . في رأي أحد الباحثين<sup>(٧)</sup>. مع مجمل المؤثرات العربية التي تجلّت ملامحها في الأدب الفارسي. وبعيداً عن الخوض في هذا الجدل الدائر حول مدى شعرية بعض المواضيع، و مقدار صلاحيتها للشعر، فإننا سننطلق من معاينة النصوص الشعرية لخسرو التي نرى فيها تأثيراً واضحاً بنصوص نهج البلاغة، وفحص التحولات الطارئة على جمل الحكمة في النهج وهي تدخل فضاءً جديداً هو فضاء الشعر. و سنحاول أن نكشف عن التماثل أو التباين الناتج عن ذلك عبر مقارنة النصين (المؤثر والمتأثر) ببعضهما.

نقرأ للشاعر مقاطع من قصائد مختلفةٍ يجمعها التأثير بنصٍ مؤثرٍ مشترك :

من خصائصها ومزاياها الفنية الكبيرة؛ فاللغة الفنية التي استخدمها الإمام علي (ع) كانت تمتاز بمستوى عالٍ من التكثيف<sup>(٨)</sup>، بشكلٍ جعل منها لغةً جماليةً محضّةً، تحتشد فيها الصور التشبيهية والتمثيلية والاستعارية والرمزية والاستدلالية، ولا نكاد نجد من بين آلاف المفردات والتراكيب فيها مفردةً أو تركيباً خالياً من إيقاع ملحوظ ، فضلاً عما هو مدهش ومثير في الجانب البنائي لنصوص النهج في مختلف مستوياته .

و قد تجلّت آثار قراءة ناصر خسرو المتذوقة لنصوص النهج في شعره ، الذي عُرف بهيمنة الطابع الأخلاقي و الوعظي عليه ، إن هذا النمط المميز من العلاقة التي أنشأها الشاعر خسرو مع اللغة العربية وثقافتها ، شكّل حافزاً قوياً لدراسة مظهر من مظاهر هذه العلاقة ، متمثلاً بتأثر شعره بكتاب (نهج البلاغة) ، ومعاينة الكيفية التي يتحرك فيها حضور هذا المؤثر في نماذج من شعره.

### تجليات التأثير

<p>برد بعد الحر ، وسراء بعد الضراء )) وقوله :</p>	<p>((هر جند تو راخوش آمد این خانه باقي نشوی تواندر این فانی</p>
<p>((جو تو سالار دین و علم کشتی شود دنیا رهی بیش تو ناجار))<sup>(۱۱)</sup> وترجمته:</p>	<p>بیرون کندت خدای ازو کرجه بیرون نشوی تو زو به آسانی))<sup>(۸)</sup> وترجمته :</p>
<p>(( لما أصبحت سيداً في الدين والعلم صارت الدنيا بالنسبة لك ممراً اضطرارياً )) هذه النصوص من قصائد مختلفة في الديوان ، تجتمع حول وصف الدنيا وتقلب أحوالها ، وتحذر بطريقة غير مباشرة من الركون إليها والاطمئنان لمظاهرها الخادعة، ويأتي التعبير عن ذلك في هذه النصوص وفق مستوى إبلاغي / إخباري مباشر تارة ، وغير مباشر تارة أخرى . فعلى وفق الحالة الأولى تأتي النصوص الثلاثة الأولى لتحذر بطريقة مختزلة عن حتمية الارتحال عن هذه الدنيا ، سواء أحب الإنسان ذلك أم كرهه . على أن الوعي بحقيقة الدنيا كفيل بأن يجعل الإنسان كارهاً للبقاء فيها ، غير مكترث بها ، فهي موئل الآلام والظلمات ، تتقلب أحوالها و</p>	<p>(( و إن رُحِب بك في هذا المنزل لا تبقى في هذا الزائل سيخرجك الرب منها و إن لم ترغب في الخروج منها بسهولة )) وقوله : ((این جهان معدن رنج و غم و تاریکیست نور و شادی و بهی نیست درین معدن))<sup>(۹)</sup> وترجمته : (( هذا العالم مركز الألم والغم و الظلمات النور والبهجة ليست في هذا العالم )) وكذلك قوله : ((احول جهان كزنده ، كزنده ست سرما زیس كرما ، سراپس ضرا))<sup>(۱۰)</sup> وترجمته: (( أحوال هذا العالم المتغير ، متغيرة</p>

الله ، أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم و إن لم تحبوا تركها، ... فإنما مثلكم ومثلها كسفرٍ سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه ، و أموا علماً فكأنهم قد بلغوه . وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها ))<sup>(١٣)</sup>

على أن خصوصية الإبلاغ في هذا المقطع من الخطبة (مقارناً مع أبيات خسرو) يعتمد التقابل التمثيلي من غير إضمار ، وهذا أمر عائد إلى شعور منشىء النص بضرورة البيان والإيضاح وعدم الإخفاء في الكشف عن حقيقة الدنيا ، فيؤكد الإمام على عنصر الزمن في الصورة التي يمثل بها لحال الدنيا ، ويكون مثل الناس فيها كمسافرين بلغوا نهاية الطريق ، ولم يبق لديهم وقتٌ ينفق ، أو غايةٌ يقصدونها . وقد جسد التساؤل (المجازي) في نهاية هذا الجزء معنى قصر الدنيا ونفادها بشعرية عالية، وتكثيف كبير .

ويمكن أن نتلمس في أبيات خسرو أيضاً أصداءً هذه النصوص من النهج الشريف :)) فكونوا أبناء الآخرة ، ولا تكونوا أبناء الدنيا ، فإن

تتبدل وجوهها من حال إلى آخر يناقضه ، أما السعادة و النور ففي الآخرة دار البقاء.

و يعتمد الشاعر في النص الأخير إلى اعتماد مستوى إبلاغي غير مباشر ، من خلال بيان حال المخاطب الذي يبدو متحولاً من وضع سابق ، مسكوت عنه في النص ، ولكنه يلمح إليه ، إلى حال جديدة من التدين والمعرفة و امتلاك البصيرة النافذة ، حيث تصوير الدنيا ممراً . لا مقراً . إلى حياة الآخرة .

نجد هنا ( في النص الأخير) أن الشاعر لجأ إلى إضمار معنى لم يبيح به في التعبير الأدبي ، ولكنه لم يهمله تماماً ، إذ حث المتلقي على استحضار الحال السابقة/ المضمرة للمخاطب عبر تقابل تمثيلي ما بين المعاني، من وظائفه السعي إلى ((التأثير والإقناع ، وتقريب المعاني من الأفهام))<sup>(١٤)</sup> وقد أسهم هذا في صنع شعرية النص ، و أبعده عن المباشرة في الإبلاغ .

ويبدو واضحاً حضور نصوص النهج الكثيرة . في ذم الدنيا وتصوير أحوالها . في أبيات خسرو هذه ، من ذلك قول الإمام علي (ع) : ((عباد



الجريش زاده اليومي ، وثوبه التي استحيا من راقعها كفايته من الدنيا التي طلقها ثلاثاً . و لا شك في أهمية ما يمنحه هذا الحضور للنص من قيمةٍ تعبيريةٍ إضافيةٍ توسعُ من مساحة فاعلية القيم الأخرى وتضاعفُ من تأثيرها الجمالي في المتلقي .

وكذا الأمر مع أبيات خسرو التي تستدعي صورة حياته التي عاشها في زمن التحولات السياسية والتقلبات الكبيرة ، وانفق سنوات منها في الترحال ، ومعاينة أحول الناس وثقافتها في البلدان المختلفة، ويختتمها بعزلة زاده فيها التأليف والكتابة .

و في نص آخر ، يتجلى فيه أثر حِكم نهج البلاغة في تأمل الدنيا ، يستمر الشاعر ناصر خسرو في حشد صور الزوال كلازمة للحياة الدنيا ، بطريقة تظهر فيها ذاته واضحة ، يقول :  
 (( غره مشو به دولت و اقبال روزگار  
 زيرك هبا زوار همال است دولتش  
 دنيا به سوى من بمثل بي و فا زنى است  
 نه شاد باش از او نه غمى شوز فرقتش ))<sup>(١٨)</sup>

كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة))<sup>(١٤)</sup> ، و قوله (ع) واصفاً الدنيا: (( فهي تحفز بالفناء سكانها و تحدر بالموت جيرانها ))<sup>(١٥)</sup> ، و قوله في خطبة أخرى: (( انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها ، الصادفين عنها. فإنها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن ،.. ))<sup>(١٦)</sup>

وهكذا نجد أن هناك تماثلاً نسبياً في بعض المواضع من مستوى التعبير الأدبي ما بين المؤثر(نصوص النهج) و ما بين المتأثر (أبيات خسرو) وبشكل لا يمكن معه إلغاء خصوصية التعبيرين ، بل أن هناك بعداً آخر يتجلى في تأثير نصوص النهج في هذه الأبيات، أزعم أنه يتمثل في استحضار منشئ النص المؤثر ، كضرورة لا مفر منها ، مهما حاول قارئ أبيات خسرو التغاضي عنها ، أو حصر عنايته في مجال التركيب الداخلي للنص، و هو ما يرتبط بالمستوى الانفعالي في التعبير ، أي ما يتعلق بـ (( موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه ))<sup>(١٧)</sup> ، فلا يمكن تجاهل حضور صورة الإمام علي (ع) و هو يجعل من قرص الشعير اليابس والملح

وترجمته:

(( لا تغتر بالسلطان و إقبال الدنيا

لأنها مقرونة بالزوال

الدنيا معي كامرأة غير وفية

لست مسروراً بالبقاء معها و لا أحزن لفراقها ))

يوظف الشاعر في هذا المقطع أساليب النهي

والإخبار والتمثيل في تعبير تتماهى مستوياته

الإبلاغية والانفعالية والشعرية ، فهو يعلل نهيه

عن الوقوع في حبال الإغترار بالدنيا لزوال

سلطانها ومباهجها ، ويقوده هذا الإخبار عن

الزوال إلى صناعة صورة له ، يعتمد فيها التقابل

التمثيلي ، فيجعل حالة الزوال مجسدة في صورة

(امرأة / زوجة) (غير وفية / خائنة) ، تهب نفسها

للجميع وهي في الوقت ذاته حرة لا يملكها أحد .

وهكذا تكون حركة الدنيا/ المرأة حركة سلبية في

مقابل حركة الشاعر الإيجابية في النص ، فهو

يرفضها و يزهدها بها ، و تغدو عديمة القيمة

والتأثير لديه .

ويبدو واضحاً تأثر خسرو في معاني أبياته

هنا بنص من نهج البلاغة ، يعتمد في الإمام

علي (ع) أسلوباً حجاجياً قائماً على التساؤل

الإنكاري التعجبي ، الموجه لمريدي الدنيا

والواقعين في حبالها ، يقول الإمام : (( أستم في

مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً ، و أبقى آثاراً

وأبعد آمالاً ، وأعدّ عديداً ، و أكتف جنوداً .

تعبدوا للدنيا أي تعبد ، وآثروها أي إيثار . ثم

ظعنوا عنها بغير زاد مبلّغ و لا ظهر قاطع .

فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفساً بفسية ، أو

أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة ))<sup>(١٩)</sup>

يضع الإمام المخاطب هنا ، أمام جملة من

الحقائق التي يتعافل عن الالتفات إليها ، بطريقة

يتقصى فيها صفة الزوال والفاء ، ويكرس تجلية

وجوهها في واقع المخاطب و في مفردات حياته

اليومية ، مستخدماً حجاجاً تقابلياً مقارناً ، تكون

فيه الحقائق شواهد ملموسة تعمل على تجسيد

فكرة الزوال. ويمارس المشاهد على الزوال في

النص حضوراً فاعلاً ؛ حيث (( لا تكمن الغاية

منه فقط في تعويض المجرى بالملوس .....

وإنما تكمن أساساً في تقوية الفكرة وتأكيد

حضورها في الذهن ))<sup>(٢٠)</sup>

(( الطريق إلى الخالق مَنْ يعرفه ؟ النبي  
 النبي أودع ذلك السر لدى حيدر ))  
 وقوله :  
 ((عيبه اسرار نبي بود علي  
 روى سوى عيبه اسراركن))<sup>(٢٢)</sup>  
 وترجمته:  
 (( موضع أسرار النبي كان علي  
 فاقصد موضع الأسرار ))  
 وكذلك قوله في قصيدة أخرى :  
 ((جزكه علي را بس از رسول كرابود  
 آن كه خلافت به دو رسيد ز بنياد  
 همجو يكي يارزي رسول كرا بود  
 آن كه براد رش بود وين عم و داماد))<sup>(٢٣)</sup>  
 وترجمته:  
 (( غير علي من كان بعد الرسول  
 ذلك الذي جاءته الخلافة صاغرة ))  
 يتجلى في هذه النصوص تأثرها الكبير  
 بمقطع من خطبة للإمام (ع) يبين فيه منزلة أهل  
 البيت (ع) السلام ، عامةً ، ومنزلته خاصة : ((  
 تالله لقد علمت تبليغ الرسالات ، وإتمام العِدات،

يجعل المقطع المجتزأ من الخطبة هنا من  
 صورة تعاقب الأجيال الفانية ، وبعض نماذج  
 القوة والسطوة والسلطة وزوالها ، مجسمة ،  
 ومتحركة أمام المتلقي ، و في ذلك ما يلبي حاجة  
 المستوى الإبلاغي للتعبير في فن الخطبة ، على  
 أنه ليس بخافٍ تماهي المستوى الانفعالي معه .  
 لقد أخضعت أبيات خسرو العناصر التأثير في  
 نص النهج هنا إلى عملية إعادة تشكيل تعبيرية ،  
 حيث اعتمدت الججاج بالتقابل التمثيلي بدلاً عن  
 الججاج بالشاهد الحي الذي اعتمده نص النهج .  
 وفي نمط آخر من توظيف نصوص نهج  
 البلاغة يعمد الشاعر إلى استخدام أسلوب يفتقر  
 من الأصل ويكاد يطابقه ، فحين يتخذ نص  
 النهج مستوى تعبيرياً إبلاغياً ، مبرزاً إياه بشكل  
 أكبر من المستويات الأخرى ، يحرص الشاعر  
 على توظيف المستوى ذاته في التعبير الشعري .  
 من ذلك نقرأ :  
 (( ره سر يزدان كه داند ؟ بيمبر  
 بيمبر سبرده است اين سر به حيدر))<sup>(٢١)</sup>  
 وترجمته:

حيث نرى تأكيداً على المعنى ذاته ، وتكريساً له ، وهو ما يجسد تأثيراً بمقطع من خطبة للإمام (ع) يقول فيه: (( نحن شجرة النبوة ، ومحط الرسالة، و مختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، ونبايح الحكم))<sup>(٢٧)</sup> ، وكذلك قوله (ع) في موضع آخر : (( احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة))<sup>(٢٨)</sup>

على أن المقطع هنا يجاهر بما جاء مضمرأ في النصوص السابقة عبر لغة استعارية ، أريد منها أن تحيل على دلالة عقائدية ، تتعلق بما هو أكبر من موضوع خلافة النبي (ص) . ونلاحظ توافر النصوص في طرفي المقارنة على لغة موجزة ومعان مكثفة ، وليس هذا الملمح الأسلوبى بطارئ على نصوص نهج البلاغة ، ف (( الإيجاز واحد من المظاهر الشعرية التي تمثلت و تجسدت في نصوص النهج وعكست مظهرأ شعرياً أسلوبياً من المظاهر الأسلوبية القارة في الكتاب))<sup>(٢٩)</sup>

لقد حافظت النصوص على توازن لغتها ، على الرغم من أن طبيعة الموضوع والفكرة المراد

وتمام الكلمات . وعندنا أهل البيت أبواب الحكم و ضياء الأمر.))<sup>(٢٤)</sup> ، وقوله (ع): (( موضع سره و لجأ أمره و عيبة علمه وموئل حكمه ، و كهوف كتبه..))<sup>(٢٥)</sup>

على أن المستوى الشعري الذي يتماثل فيه طرفا المقارنة (المؤثر والمتأثر) يقوم على فعلي: الإخفاء والتلميح<sup>(\*)</sup> ، ففيهما بيان إبلاغي حول معرفة أهل البيت وعلمهم و خصوصية منزلتهم من رسول الله (ص) ، يكمن خلفه معنى مضمر يحمل دلالة أقوى وأكبر تأثيراً في تحقيق الفكرة التي تريد هذه النصوص تحقيقها ، وهو معنى أحقيتهم في خلافة رسول الله (ص) ، وقد تكفلت المعاني الجزئية التي تضمنتها النصوص بالتلميح لهذا المعنى المضمر .

وفي موضع آخر نقراً لخسرو قوله :

((جنين ياسمين وكل اندر دو عالم  
كجا رست جز در زمين محمد))<sup>(٢٦)</sup>  
وترجمته:

(( مثل هذا الياسمين و الورد في العالمين

أين ينبت بغير أرض محمد؟ ))

في شريعة النبي الناصعة  
 لا ملوك غير آله ))  
 يعمل هذا النص على سِمَتِي الإخفاء و  
 الإلماح في المستوى الشعري للتعبير؛ فما يضمه  
 النص هو النهي عن انتهاج الطرق المختلفة غير  
 طريق آل النبي (ص) ، وهذا النهي يقف ظلاً  
 للأمر الصريح بالتمسك بهم . وفي النفي الأخير  
 من النص (لا ملوك غير آله) تلميح يكاد يخرج  
 عن حدوده . أما إذا توقفنا عند المستوى  
 الانفعالي للتعبير في النص فإننا لا نستطيع  
 فصله عن انتمائه لبيئة الجدل الكلامي حول  
 المذاهب والعقائد التي عاش فيها خسرو و كتب  
 نصوصه تحت تأثيرها .  
 وفي نص النهج الذي تأثرت به أبيات خسرو  
 نقراً: (( فأين يتاه بكم ، بل كيف تعمهون وبينكم  
 عترة نبيكم وهم أزمّة الحق و أعلامُ الدين و ألسنة  
 الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن و رِدوهم  
 ورود الهيم العِطاش))<sup>(٣١)</sup>  
 وهنا لا نجد للإضمار حضوراً ، بل على  
 العكس فإن لغة النص صريحة، يبرز فيها

تحقيقها وإيصالها إلى المتلقي تحمل قدرة كبيرة  
 على استئثار ملامح المستوى الانفعالي للتعبير،  
 بشكل يكون فيه النص . فيما لو تحقق ذلك .  
 متخماً بالتفاصيل ، ومعتمداً لغة يغلب عليها  
 طابع الحجاج وآياته . غير أن المستوى  
 الانفعالي في هذه النصوص ظل في حدود ما  
 يحيل إليه في المدونة التاريخية ، وما فيها من  
 تفاصيل وملامح بيئية شكلت حاضنة للنصوص.  
 و من نماذج التأثير الأخرى نقراً :

((يارى ندهد ترا بر اين ديو  
 جز طاعت و حب آل ياسين  
 كرد دل خود زدوستى شان  
 بر ديو حصار ساز و برجين  
 در باغ شريعت بيمبر  
 كس نيست جز آل او دهاقين))<sup>(٣٠)</sup>  
 وترجمته :

(( لا يعينك على هذا الشيطان  
 سوى الطاعة و الحب لآل ياسين  
 اعطف قلبك على محبتهم  
 حاصر هذا الشيطان و قيده

ولعل من أهم ما انتهت إليه الدراسة هو الكشف عن حرص الشاعر خسرو على تحقيق هذا التوظيف لحكم النهج بأداءٍ تعبيرِيٍّ يهيمن على كثيرٍ من نماذجه المستوى الإبلاغي ، ولا شكَّ في أنَّ السبب الذي يقف وراء ذلك موجهاً ، هو الغاية الوعظية والإرشادية التي تعتمدُ الحجاج والتمثيل أساليبَ للإبلاغ وتوصيل المراد.

على أنَّ هيمنة هذا المستوى في التعبير لم يمنع من فاعلية وجود المستويات الجمالية الأخرى ، بصورة حققت فيها ثراءً فنياً للنصوص الشعرية ، وكان حضور حكم النهج في نصوص خسرو الشعرية ، متجاوزاً تعضيد الدلالة وإثرائها ، باتجاه حالةٍ سعى الشاعرُ إلى الدخول فيها ، وهي محاولة تمثّل فضاء الحكم التي صاغها الإمامُ علي (ع) في مواقف خاصة وعبر تجربة حياتية كبيرة ، ليعبّر خسرو . في تأثره بهذه الحكم وتوظيفها في قصائده . عن طموح لم يتوقف عن السعي إلى تحقيقه حتى وفاته تجلّى في عملٍ تبليغيٍّ وتنقيفيٍّ دؤوب لدفع الإنسانية باتجاه كمالها .

المستوى الانفعالي واضحاً عبر تساؤل إنكاري متعجب ، من طرق التيه البعيدة عن طريق العترة . وواضحٌ ، أيضاً ، كيف أنَّ النص الشعري في تمثله لمعاني نص النهج عمد إلى تفعيل المستوى الشعري معتمداً سماته ، لكي يرفع من شعرية التعبير ويعضد من قوة المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي .

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة المتواضعة أن توجه عنايتها نحو بيان علاقةٍ ثقافيةٍ بين خطابين أدبيين مهمين ؛ هما : كتاب نهج البلاغة ، وشعر الحكيم الفارسي ناصر خسرو ، مبدئةً من إثبات وجود هذه العلاقة بشكلٍ فعليٍّ تاريخيٍّ ، من خلال قراءة ملامح حياة الشاعر وثقافته ، وصلته بالثقافة العربية ولغتها ، ثم توقفت الدراسة بشكلٍ متأنٍ ، محاولةً فحص النماذج الشعرية التي تجلّى فيها تأثيرُ حكم النهج ، وخطبه ، وما طرأ من تغييرات على هذه الحكم حين أعادت النصوصُ الشعريةً إنتاجها وتمثّلها بطريقةٍ جديدة تحمل ملامح فضاءها الجديد (الشعر) .

الهوامش

(١) ينظر: برکزیده قصادی ناصر خسرو: د. غلام محمد طاهري مبارکه، سازمان مطالعه وتدوين کتب

علوم إنسانی دانشگاه (سمت). تهران ، ١٣٨٢ ش، : ١٣

و ينظر كذلك : تاريخ أدبيات إيران : د. ذبيح الله صفا ، انتشارات فردوس . طهران ، ط ١٢ ، ١٣٧١ هـ

ش. ، ١ : ٢٤٧

(٢) ينظر : سفر نامه : ناصر خسرو علوي ، تر: د. يحيى الخشاب ، تصدير د. عبد الوهاب عزام ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ، ١٩٩٣ : ٣٨ من المقدمة

وينظر كذلك: سفر نامه: ناصر خسرو ( گزیده ی سخن پارسی ): نادر وزين پور، انتشارات علمي

وفرهنگي، طهران، ط١٢، ١٣٧٤ هـ.ش ، ص ١ و ٢

(٣) ينظر : سبک خراسانی در شعر فارسی: د. محمد جعفر محجوب ، انتشارات فردوس وجامی،

تهران، ١٣٤٥ هـ.ش: ٦٣ .

وينظر كذلك : الأدب الفارسي في أهم أدواره و أشهر أعلامه : محمد محمدي ، منشورات طوس . طهران ،

ط٢، ١٩٩٥ : ٣٤

(٤) ينظر : تاريخ أدبيات إيران: ١٥

(٥) ينظر: أثر اللغة العربية وآدابها في شعر ناصر خسرو : د. ندى حسون، مجلة جامعة دمشق ،مج

٢٦ ، ع ٤/٣ ، ٢٠١٠ : ١٢٦

(٦) ينظر: أدب الشريعة الإسلامية : د. محمود البستاني ، مؤسسة السبطين (ع) العالمية . إيران ، ط١ ،

١٣٨ . ١٣٧ هـ : ١٤٢٤

(٧) ينظر: في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي: د. محمد عبد السلام كفاقي ،

دار النهضة العربية . بيروت ، ط١ ، ١٩٧١ : ٥١٥

(٨) ديوان أشعار حكيم ناصر خسرو قبادياني : تصحيح : مجتبي مينيوي ، مهدي محقق، دانشگاه تهران .

تهران ، مؤسسه انتشارات ، ١٣٧٨ : ٥٩

(٩) الديوان : ٣٦

(١٠) الديوان: ٤

(١١) الديوان: ١٩

(١٢) تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي : محمد بازي ، الدار العربية للعلوم ناشرون،

بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠ : ٤٧

(١٣) نهج البلاغة : شرح الشيخ : محمد عبده ، مطبعة كرم ومكتبتها . دمشق، د.ت : ج١ / ١٩١

(١٤) المصدر السابق : ج١/ ٩٣

(١٥) المصدر السابق : ج١/ ١٠١

(١٦) المصدر السابق : ج١/ ١٩٧



(١٧) قضايا الشعرية : رومان جاكوبسون ، تر: محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، د. ت. :

٢٨

(١٨) الديوان : ١٨٠

(١٩) نهج البلاغة : ج ١ / ٢١٨ . ٢١٩

(٢٠) عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : د. عبد السلام عشير ،

أفريقيا الشرق . الدار البيضاء/ بيروت ، ٢٠٠٦ : ٩٦

(٢١) الديوان : ٣٠٨

(٢٢) الديوان : ٢١٤

(٢٣) الديوان : ٣٠٢

(٢٤) نهج البلاغة : ج ١ / ٢٣٣

(٢٥) المصدر السابق : ج ١ / ٢٩ . ٣٠

(\* ) هما من عناصر تحقق المستوى الشعري في التعبير؛ الإخفاء: هو استتار المعنى خلف ظاهر الكلمات

في التعبير . أما الإلماح فيتم من خلال الإشارات التي تظهر على التعبير كاشفة عن جانب من المعنى

المراد نقله وإيصاله إلى المتلقي.

ينظر: أنساق التداول التعبيري ، دراسة في نظم الاتصال الأدبي: د. فائز الشرع ، دار الشؤون الثقافية

العامة . بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٩ : ٣٠٨

(٢٦)الديوان : ١٢٩

(٢٧) نهج البلاغة : ج ١/٢١٥ ،

(٢٨) المصدر السابق:ج ١/١١٦

(٢٩) المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر : نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية

العامة . بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٨ : ١٥٨

(٣٠) الديوان : ٥٠

(٣١) نهج البلاغة : ١٥٤

مصادر البحث

أولاً : الكتب العربية :

١. أدب الشريعة الإسلامية : د. محمود البستاني ، مؤسسة السبطين (ع) العالمية . إيران ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ.

٢. الأدب الفارسي في أهم أدواره و أشهر أعلامه : محمد محمدي ، منشورات طوس . طهران ، ط ٢ ،

١٩٩٥

٣. أنساق التداول التعبيري ، دراسة في نظم الاتصال الأدبي: د. فائز الشرع ، دار الشؤون الثقافية العامة .

بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٩

٤. تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي : محمد بازي ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، ط١، ٢٠١٠
٥. سفر نامہ : ناصر خسرو علوي ، تر: د. يحيى الخشاب ، تصدير د. عبد الوهاب عزام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ، ١٩٩٣
٦. عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : د. عبد السلام عشير ، أفريقيا الشرق . الدار البيضاء/ بيروت ، ٢٠٠٦
٧. في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي: د. محمد عبد السلام كفاقي ، دار النهضة العربية . بيروت ، ط١ ، ١٩٧١
٨. قضايا الشعرية : رومان جاكوبسون ، تر: محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر، د. ت.
٩. المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر : نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨
١٠. نهج البلاغة : شرح الشيخ : محمد عبده ، مطبعة كرم ومكتبتها . دمشق، د. ت
- ثانياً : الكتب الأجنبية :
١. برکزیده قصادی ناصر خسرو: د. غلام محمد طاهري مبارکه، سازمان مطالعه و تدوين کتب علوم إنسانی دانشکاه (سمت) . تهران ، ١٣٨٢ ش، :١٣

## أثر نهج البلاغة في شعر ناصر خسرو

٢. تاريخ أدبيات إيران : د. ذبيح الله صفا ، انتشارات فردوس . طهران ، ط ١٢ ، ١٣٧١ هـ.ش
٣. ديوان أشعار حكيم ناصر خسرو قبادياني : تصحيح : مجتبی مینوي ، مهدي محقق، دانشگاه تهران .  
تهران ، مؤسسه انتشارات ، ١٣٧٨ هـ.ش
٤. سبک خراسانی در شعر فارسی: د. محمد جعفر محجوب ، انتشارات فردوس وجامی، تهران، ١٣٤٥ هـ.ش
٥. سفر نامه: ناصر خسرو ( گزیده ی سخن پارسی ): نادر وزین پور، انتشارات علمی وفرهنگی،  
تهران، ط١٢، ١٣٧٤ هـ.ش

### ثالثاً: المجالات

١. مجلة جامعة دمشق، مج ٢٦ ، ع ٤/٣ ، ٢٠١٠

## الدلالات الصرفية لصيغ منتهى الجموع في الاستعمال القرآني

م. م عباس نعيم محمد

### مدخل

أحصى علماء العربية أبنية جموع التكسير فوجدوا أربعة منها تدلُّ على القلّة هي: (أَفْعَلٌ ، وَأَفْعَالٌ ، وَأَفْعَلَةٌ ، وَفِعْلَةٌ) ، وهذه الأبنية تدلُّ على عدد لا يقل عن الثلاثة ولا يزيد على عشرة<sup>(١)</sup> ، وما عداها فهي من أبنية جمع الكثرة: وهو ما زاد عن العشرة إلى ما لا نهاية، وله صيغ كثيرة من ضمنها أبنية منتهى الجموع<sup>(٢)</sup> ، وهي: ((كل جمع تكسير بعد ألف تكسيه إمّا حرفان، مثل: معابد، طوائف، وإمّا ثلاثة أحرف أوسطها ساكن، مثل: مَفَاتِيح، قَنَادِيل))<sup>(٣)</sup>. وقد سمّي هذا النوع من الجمع بمنتهى الجموع؛ لسببين هما<sup>(٤)</sup> :

الأول: أنّه لا يمكن جمعه بعد ذلك، فهو نهاية الجمع ولا جمع بعده، بخلاف بناء (رِجَال) مثلاً، فإنه يمكن جمعه، فيقال: (رِجَالَات) .

الثاني: أنّه جمع يأتي على صورة لا يمكن أن تتحقق في المفردات، فلا يمكن أن نجد في المفردات كلمات مماثلة في وزنها للكلمات التي تأتي في هذا الجمع، فكأنّما هو غاية الجموع؛ لتفرده بأوزانه الخاصة التي لا يشاركه المفرد فيها.

ولقد استقرى الصرفيون أبنية منتهى الجموع فوجدوها تسعة عشر بناء<sup>(٥)</sup>، أشهرها ما يأتي:

- ١- فَعَالِلٌ ، نحو: درهم ودرهم. ٢- فَعَالِيلٌ، نحو: قِرْطَاسٌ وقِرْطَاسٌ. ٣- أَفَاعِيلٌ، نحو: أُسْلُوبٌ وأُسَالِيْبٌ.
- ٤- تَفَاعِلٌ، نحو: تَجْرِبَةٌ وتَجَارِبٌ. ٥- مَفَاعِلٌ، نحو: مَسْجِدٌ ومَسَاجِدٌ. ٦- مَفَاعِيلٌ نحو: مَصْبَاحٌ ومَصَابِيحٌ. ٧- فَوَاعِلٌ، نحو: خَاتِمٌ وَخَوَاتِمٌ. ٨- فَعَائِلٌ، نحو: لَطِيفَةٌ وَلَطَائِفٌ.

ولم تختلف دلالة أبنية منتهى الجموع عن دلالة أبنية جمع الكثر بإجماع علماء اللغة والصرف، لكنهم اختلفوا في تحديد مبدئها<sup>(٦)</sup>؛ لذا فهم على مذهبين مختلفين في دلالتها، هما:

وقال ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): (( التفسير في أكلب وأكالب . وذلك أن معنى أكلب أنها دون العشرة ومعنى أكالب أنها للكثرة التي أول رتبتهـا فوق العشرة ))<sup>(١١)</sup>. ف(أكالب) على وزن (أفَاعِل)، وهي من صيغ منتهى الجموع، وقال ابن جني: إن أول رتبتهـا فوق العشرة.

وقال الصبان (ت: ١٨٧٠م): (( والمشهور الكثرة أحد عشر فيكونان مختلفين في المبدأ والمنتهى ))<sup>(١٢)</sup>.

وقال الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ): (( جمع القلة يبتدئ بالثلاثة وينتهي بالعشرة. وجمع الكثرة يبتدئ بالثلاثة ولا نهاية له إلا صيغة منتهى الجموع، فتبتدئ بأحد عشر. وذلك إنما هو فيما كان له جمع قلة وجمع كثرة ))<sup>(١٣)</sup>.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم ، وأقوال بعض اللغويين، نجد الأصوب، والأرجح المذهب الأول، سواء أكانت صيغة منتهى الجموع لها جمع قلة أو كثرة، أم لم يكن لها إلا جمعاً واحداً، فهي صيغ تستعمل للدلالة على الجمع القليل والكثير، والقرائن السياقية والمقامية هي الفيصل في تحديد

المذهب الأول: يرى أنّ صيغ منتهى الجموع التي هي من جموع الكثرة تبدأ من الثلاثة إلى ما لا نهاية. وهذا ما صرح به بعض العلماء.

قال الصبان (ت: ١٢٠٦هـ): ((والذي ارتضاه السعد التفتازاني والدماميني أن جمعي القلة والكثرة مبدؤهما ثلاثة ومنتهى جمع القلة ولا منتهى لجمع الكثرة فهما مشتركان في المبدأ مختلفان في المنتهى))<sup>(٧)</sup>.

وقال الخصري (ت: ١٨٧٠م): (( والصحيح أن مبدأ الجمعين ثلاثة ومنتهى القلة عشرة، ولا منتهى للكثرة ))<sup>(٨)</sup>.

المذهب الثاني: - وهو المشهور عند العلماء -<sup>(٩)</sup> أنّ منتهى الجموع التي هي من جموع الكثرة تبدأ من أحد عشر إلى ما لا نهاية.

قال ابن السراج (ت: ٣١٦هـ): (( وأبينة هذه الجموع تجيء أيضاً على ثلاثة أضرب: ضرب يكون اسماً للجمع، ومنها ما بني للأقل من العدد وهي العشرة فما دونها، ومنها ما هي للأكثر، والكثير ما جاوز العشرة ))<sup>(١٠)</sup>.

على القلّة والكثرة، وإنما يتعين أحدهما بالقرينة<sup>(١٥)</sup>.

أمّا الأدلة القرآنية على إبطال المذهب الثاني، فهي كثيرة، بل تؤكد إثبات المذهب الأول الذي يرى أنّ صيغة منتهى الجموع تبدأ من الثلاثة إلى ما لا نهاية، وأنها مشتركة بين القلّة والكثرة، أي: أنّها ترد في مقام القلّة، أو في مقام الكثرة، أو تكون مشتركة بين القلّة والكثرة، سواء أوجد البديل لها من الجمع أم لم يوجد، وأنّ السياق والقرائن اللغوية والمقامية هو الذي يحدد المعنى الصرفي المقصود بالتأزر مع الصيغة الصرفية . ولعل من أبرز الشواهد القرآنية على ذلك ما يأتي:

#### \* سنابل

تدل صيغ منتهى الجموع على القلّة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١] . فكلمة (سنابل) على بناء (فعلل)، وهي من صيغ منتهى الجموع وتدل عند أغلب العلماء على الكثرة (أحد عشر فما فوق)

المعنى الصرفي الدقيق. و الأدل على ذلك ما صرح به الرضي (ت ٦٨٨ هـ)، إذ قال: ((واعلم أنّه إذا لم يأت للاسم إلاّ بناءً جمع القلّة كأرْجُل في الرّجُل، أو إلاّ جَمْعُ الكثرة، كرجال في رَجُل، وكذا كلّ جمع تكسير للرباعي الأصلي حروفه، وما لا يجمع إلاّ جمعه، كأجادِل ومصانع، فهو مشترك بين القلّة والكثرة))<sup>(١٤)</sup>. ف(أجادِل ومصانع) من صيغ منتهى الجموع، ويقول الرضي(ت ٦٨٨ هـ):، إنّهما مشتركان في الدلالة على القلّة والكثرة .

وقد أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة أنّ الجمع سواء أكان جمع تكسير أم منتهى الجموع، فإنّه يدل على القلّة والكثرة، وإنما يتعين أحدهما بالقرائن السياقية والمقامية .

قال د. إميل بديع يعقوب: ((أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة أنّ التفريق في الدلالة العددية بين جمع القلّة، وجمع الكثرة هو تفريق مصطنع، ورأى مجمع اللغة العربية في القاهرة أنّ الجمع أيا كان نوعه جمع تكسير أو جمع تصحيح يدل

(١٦)، ومع ذلك فقد وردت في مقام يدلُّ على القلَّة كقوله تعالى: ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾. بدلالة العدد سبع ، والعدد سبعة يدل بإجماع اللغويين على القلَّة (١٧).

#### \* السَّرَائِرُ

(السَّرَائِرُ) على وزن (فَعَائِلُ) ، وهي من صيغ منتهى الجموع ؛ لأنَّ بعد ألف تكسيروها حرفان، ومفردتها (سَرِيرَةٌ) (١٨). وقد وردت (السَّرَائِرُ) مرة واحدة في القرآن الكريم<sup>١٩</sup>؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾. [سورة الطارق الآيات: ٥ - ١٠].

وتدلُّ صرفياً في هذا المقام على مطلق السرائر عموماً القليلة والكثيرة ، أي: كل ما أسره الإنسان في قلبه من العقائد والنيات، وغير ذلك مما أخفاه ، أي: ستظهر وتعرف خفيات الضمائر في يوم القيامة جميعها.

قال ابن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): ((السَّرَائِرُ : ما أكنته القلوب من العقائد والنيات، وما أخفته

الجوارح من الأعمال ، والظاهر عموم السرائر)) (٢٠).

ومن ذلك ندرك لا يمكن الأخذ بقول من ذهب إلى أن صيغ منتهى الجموع تدل على الكثرة فتبدأ بأحد عشر فما فوق؛ لأنَّ ذلك يتعارض مع الكثير من السياقات القرآنية ويحرف دلالة البناء إلى غير المراد، كما هو واضح من الآيات القرآنية السابقة واللاحقة.

#### \* الخَزَائِنُ

(الخَزَائِنُ) جمع تكسير على وزن (فَعَائِلُ) ، وهو من صيغ منتهى الجموع ؛ لأنَّ بعد ألف تكسيروها حرفين، ومفردتها (خَزَائِنَةٌ) على وزن (فِعَالَةٌ) ، يقال: خَزَنْتُ الشيءَ أَخْرَنْتُهُ خَزْنَا واختزنته والخزائنة المكان الذي يُخزَن فيه الأشياء وَجَمَعَهَا خَزَائِنُ (٢١).

وقد ورد هذا الجمع في القرآن الكريم في ثمانية مواطن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ. وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر: ٢٠، ٢١]. ويدلُّ بناء (خَزَائِنُ)



هنا على مطلق الجمع قليله وكثيره، والذي أُرشدنا إلى ذلك سياق الآية، وتتكير لفظه (شيء) الدالة على أي شيء عموماً، وكذلك الضمير المتصل (الهاء) الذي يعود على (شيء) الشديدة التتكير<sup>(٢٢)</sup>. ويؤيد ذلك ما قاله الشوكاني(ت):

١٢٥٠هـ): (( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ )) إِنَّ هِيَ النّافِيَةُ وَمِنْ مَزِيدَةٍ لِلتّأَكِيدِ، وَهَذَا التّزْكِيْبُ عَامٌّ لَوْفُوعِ النّكِرَةِ فِي حَيْزِ النّفْيِ مَعَ زِيَادَةِ مِنْ، وَمَعَ لَفْظِ شَيْءٍ الْمُتَنَاولِ لِكُلِّ الْمَوْجُودَاتِ الصَّادِقِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْهَا، فَأَقَادَ ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ اللَّهِ خَزَائِنُهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا شَيْءٌ. وَالْخَزَائِنُ: جَمْعُ خِزَانَةٍ، وَهِيَ الْمَكَانُ الَّذِي يُحْفَظُ فِيهِ نَفَائِسُ الْأُمُورِ، وَذَكَرُ الْخَزَائِنِ تَمَثِيلٌ لِإِقْتِدَارِهِ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ وَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ الْمُمْكِنَاتِ مَقْدُورَةٌ وَمَمْلُوكَةٌ يُخْرِجُهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُوبِ بِمِقْدَارٍ كَيْفَ شَاءَ... مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْعُمُومِ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، بَلْ قَدْ يَصْدُقُ الشَّيْءُ عَلَى الْمَعْدُومِ عَلَى الْخِلَافِ الْمَعْرُوفِ فِي ذَلِكَ))<sup>(٢٣)</sup>

ومن ذلك نستنتج أنّ صيغة منتهى الجموع (خَزَائِنُ) تدل في قوله تعالى: ﴿... وَاللَّهُ

خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون/ من الآية/ ٧] على مطلق الجمع عموماً القليل والكثير، فالآية المباركة بينت أنّ الله الواحد الأحد خزائن جميع السماوات والأرض بمختلف أنواعها وصنوفها وقليلها وكثيرها؛ سواء أكانت في السماء الدنيا أم في السماوات السبع والأرض؛ ولهذا قال: (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ولم يقل مثلاً: (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ). ثم أنّ اللام في لفظ الجلالة (الله) تدل على الملُك، وإضافة (خَزَائِنُ) لجمع المؤنث السالم المعرّف ب(ال) الجنسية التي تفيد العموم، خير دليل على عمومية هذا البناء (خَزَائِنُ)، وأنّ مالكها هو الله الملك القدوس.

فلو أنّ (خَزَائِنُ) تدلُّ على القلّة بين الثلاثة والعشرة، فإنّ المعنى يكون في الآية المتقدمة أنّ الله له هذه الخزائن القليلة فقط، وهذا قول باطل لا شك في بطلانه.

(ت ٢٠٧هـ): ((سبع طرائق يعني السموات السبع كل سماء طريقة))<sup>(٢٦)</sup>.

وعلى وفق المذهب الثاني المشهور أنّ (طَرَائِقَ) - على زنة (فَعَائِلَ) - تدلُّ على الكثرة من (أحد عشر فما فوق)، وهذا لم تدل عليه الآية يقيناً؛ لأنّها تدل في المقام على القلّة قطعاً بدلالة ﴿خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾، و(سبع) من أعداد القلّة عند جميع علماء اللغة العربية<sup>(٢٧)</sup>، وهذا يوافق المذهب الأوّل من دون شك.

#### \* مَسَاكِين

(مَسَاكِين) جمع تكسير على وزن (مَفَاعِيل) ممنوع من الصرف وهو من صيغة منتهى الجموع مفرده (مسكين)، وهو جمع قياسي في كل جمع وقع بعد ألف ثلاثة أحرف أو سطها ساكن<sup>(٢٨)</sup>. ويدل وفق المذهب الثاني على الكثرة (أحد عشر فما فوق)، وهذا قول يتعارض مع ما جاء به القرآن الكريم ، وقد ورد هذا البناء في القرآن الكريم (١٢) ، مرة يدلُّ على القلّة نحو قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ

ولو أنّ (خَزَائِنَ) تدلُّ على الكثرة من إحدى عشرة فأكثر، فالمعنى يكون أنّ الله الخزائن الكثيرة من دون القلّة، وهذا قول باطل بلا إشكال.

ولو أنّ (خَزَائِنَ) تدلُّ على مطلق الخزائن القليلة والكثيرة، فالمعنى يكون أنّ الله جميع هذه الخزائن قليلها وكثيرها ، وهذا هو المناسب للمقام تماماً.

ولا بدّ من الإشارة من أنّ صيغة منتهى الجموع (خَزَائِنَ) لم ترد في الأسلوب القرآني دالة على القلّة فحسب، أو دالة على الكثرة فقط، بل وردت تحتلّ الدالتين القلّة والكثرة معا.

#### \* طَرَائِقَ

كلمة (طَرَائِقَ) من صيغ منتهى الجموع على وزن (فَعَائِلَ)، مفردها (طريقة) ، وقد وردت في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٧] بمعنى السماوات. وسميت بذلك لتراكبها بعضها فوق بعض<sup>(٢٤)</sup>.

جاء في كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت ٣١١هـ)، الطرائق: ((يعنى به سبع سموات، فكل واحدة طريقة))<sup>(٢٥)</sup>. وقال الفراء

عَشْرَةَ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ ﴿ [سورة المائدة: ٨٩].  
وواضح كل الوضوح من أنّ صيغة (مَسَاكِينَ) تدل على القلّة بدلالة القرينة اللفظية عشرة الواردة في الآية المباركة.

ومرة احتمل الدلالة على القلّة والكثرة معاً، نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ [سورة المائدة: ٩٥].  
فبناء (مَسَاكِينَ) في هذا المقام يحتمل ثلاثة مساكين فما فوق إلى العشرة ، أي: (قلّة)، ويحتمل مساكين كثيرين من أحد عشر مسكينا فما فوق، وبيان ذلك في هذه الآية أنّ بناء (مَسَاكِينَ) لها ثلاثة احتمالات هي:

الأول: أنه يدل على عدد قليل عشرة فما دون؛ فيكون المعنى مختصاً بإطعام عشرة مساكين فما دون إلى الثلاثة فقط دون سواهم من الكثرة، وهذا غير مناسب للمقام بلا شك.

الثاني: أنّ بناء مساكين يدل على الكثرة أحد عشر مسكينا فما فوق؛ فالمعنى يصبح مختصاً بالمساكين الكثر دون من سواهم من القلّة، وهذا غير مراد في المقام بلا إشكال.

الثالث: أنّ بناء مساكين يحتمل القلّة والكثرة فيدل على إطعام المساكين مطلقاً سواء أكانوا قلّة أم كثرة، وهذا هو المقصود في سياق الآية وهو المناسب للمقام. والله أعلم.

#### \* المدائن

(الْمَدَائِنِ) جمع تكسير على وزن (فَعَائِلِ) وهو من صيغ منتهى الجموع ، مفرده (مَدِينَةٌ) على وزن (فَعِيلَةٌ). و ليس لها أيّ بديل من صيغ القلّة، فهي باتفاق العلماء صيغة وضعت للدلالة على القلّة والكثرة ، وأنّ السياق والقرائن المقاميّة هما الفيصل في تحديد المعنى المراد. فمثال القلّة، قولنا: في عراقنا الحبيب ثلاث مدائن كبرى، ومثال الكثرة ، قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِيَّاكُمْ مَتَّبِعُونَ . فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٥٢ - ٥٣].

مَرْبُوبٍ، وَالْأُنثَى رَبِيبَةٌ. وَالرَّبِيبَةُ أَيضاً: وَاحِدَةٌ  
الرَّبَائِبِ مِنَ الْغَنَمِ، الَّتِي يَرْبِيهَا النَّاسُ فِي الْبُيُوتِ  
لِأَبْنَانِهَا. وَالرَّبِيبَةُ: الْحَاضِنَةُ)) (٣٠).

ولم يرد بناء (ربائب) في القرآن الكريم إلا مرة  
واحدة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ  
أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ  
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ  
اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ  
فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ  
أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ  
الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا  
﴾. [النساء: ٢٣].

ولم يخرج المفسرون (٣١) عما قاله اللغويون في  
دلالة (الربائب)، ومنهم:

الطبري (ت: ٣١٠هـ) إذ قال: ((وأما الربائب فإنه  
جمع ربيبة، وهي ابنة امرأة الرجل. قيل لها ربيبة  
لتربيته إياها، وإنما هي مربوبة صرفت إلى ربيبة،  
كما يقال: هي قتيلة من مقتولة. وقد يقال لزوج

ففرعون لم يرسل الحاشرين، أي: الشرطة إلى  
ثلاث مدائن من مصر، وإنما أرسلهم إلى  
مدائن مصر الكثيرة، وأمرهم بحشر الناس وجمع  
الجموع وثورتهم على موسى ﷺ ومن تبعه من  
بني إسرائيل الذين خرجوا من ديارهم من دون  
إذن منه.

قال ابن عاشور: ((فَأَسْرَى مُوسَى وَخَرَجَ  
بِهِمْ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ حَاشِرِينَ، أَي لَمَّا خَرَجَ بَنُو  
إِسْرَائِيلَ حَشِي فِرْعَوْنُ أَنْ يَنْتَشِرُوا فِي مَدَائِنِ  
مِصْرَ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ شُرَطًا يَحْشُرُونَ  
النَّاسَ لِيَلْحَقُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَرُدُّوهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ  
قَاعِدَةَ الْمَلِكِ. وَالْمَدَائِنِ: جَمْعُ مَدِينَةٍ، أَي الْبَلَدِ  
الْعَظِيمِ. وَمَدَائِنُ الْقَطْرِ الْمِصْرِيِّ يَوْمَئِذٍ كَثِيرَةٌ))  
(٢٩).

\* ربائب

(رَبَائِب) جمع تكسير على وزن (فَعَائِل) وهي من صيغ منتهى الجموع، مفردها (ربيبة)،  
والرَّبِيبَةُ: ابنة امرأة الرَّجُلِ من غيره. قال ابن  
سيده: ((الراب: زوج الام. والرابية: امرأة الأب.  
وربيب الرجل: ابن امرأته من غيره، وهو بمعنى

\* التَّرَائِبُ

(التَّرَائِبُ) جمع تكسير على وزن (فَعَائِلُ)، وهو من صيغ منتهى الجموع، مفرده (تَرِيْبَةٌ) على وزن (فَعِيْلَةٌ)، قال: ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ((والأبنية الموضوعة للكثرة: فُعَل كحُمُر وفُعَل كسُفُوف وفُعَلان كغُلُمان. وفُعَلان كقُفُزَان وفُعَلَى كجَرَحَى وفِعَل كفِرَق وفُعَل كصَوَام وفُعَلَاء كأولِيَاء... وفُعَلَة كبَرَرَة وفُعَلَاء كتَرَائِبُ)) (٣٤).

وهذا الجمع ممنوع من التثوين (الصرف) إلا إذا عُرِفَ بالألف واللام أو أُضيف فيكون مصروفًا (٣٥). وقد ذكر أهل اللغة عدّة معان لصيغة منتهى الجموع (تَرَائِبُ) يمكن تلخيصها في قول صاحب كتاب المحكم والمحيط الأعظم: ((والتَّرَائِبُ: مواضع القلادة من الصِّدْر، وقيل: التَّرَائِبُ: عِظَامُ الصِّدْر، وقيل: ما وَلَى التَّرْفُوتَيْنِ منه وقيل: ما بين التَّدِيَيْنِ والتَّرْفُوتَيْنِ. وقيل: التَّرَائِبُ: أربَع أضلاعٍ من يَمَنَةِ الصِّدْر، وأربَع من يَسْرَتِهِ.... قيل: التَّرَائِبُ: ما تَقَدَّمَ، وقيل: التَّرَائِبُ: اليَدانِ والرِّجْلانِ والعَيْنانِ، واجِدَتْها تَرِيْبَةٌ)) (٣٦).

المرأة: هو ربيب ابن امرأته، يعني به: هو رأبه، كما يقال: هو خابر، وخبير وشاهد، وشهيد)) (٣٢). ونفهم من سياق الآية المباركة أنّ (الرَبَائِبُ) قد يكون عددهن ثلاثة فما فوق إلى العشرة، أي: (قَلَّةٌ)، ويحتمل أن يكون إحدى عشرة فأكثر، أي: (كثرةٌ)، ولكن الأغلب (قَلَّةٌ)، وواضح من سياق الآية أنّ التحريم يقع على جمع الرَبَائِبِ مطلقاً القليلة والكثيرة. وهذا المعنى هو المقصود في الآية، فلو قلنا: أن التحريم يقع على عدد قليل من الرَبَائِبِ، فالعدد الكثير منهن لا يقع عليه التحريم وهذا باطل يقينا، ولو قلنا: أن التحريم يقع على عدد كثير من الرَبَائِبِ، فالعدد القليل منهن لا يقع عليه التحريم، وهذا باطل أيضا بلا شك، فلم يبقَ إلاّ دلالة (الرَبَائِبِ) على كلا المعنيين القلّة والكثرة. وهذا يوافق السياق، فضلا عما قال به بعض الصرفيين في دلالة هذا الجمع كالرضي (ت ٦٨٨ هـ)، إذ قال: ((كلّ جمع تكسير للرباعي الأصلي حروفه، وما لا يجمع إلا جمعه، كأجَادِل ومصانع، فهو مشترك بين القلّة والكثرة)) (٣٣).

لكنهم أجمعوا على أنّ الترائب تعني موضع القلادة من الصدر، قال ابن منظور(ت: ٧١١هـ): ((والترائب: موضع القلادة من الصدر، وقيل هو ما بين الترقوة إلى التندوة؛ وقيل: الترائب عظام الصدر؛ وقيل: ما ولي الترقوتين منه؛ وقيل: ما بين الثديين والترقوتين... وقيل: الترائب أربع أضلاع من يمين الصدر وأربع من يسرته....، وقال: واحدها تريبة. وقال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر))<sup>(٣٧)</sup>.

وقد ورد بناء (التَّرابِب) في القرآن الكريم مرة واحدة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [سورة الطارق: ٥ - ٨].

ولم يختلف قول المفسرين عما صرح به أهل اللغة في معنى (الربائب) <sup>(٣٨)</sup>، منهم الشافعي إذ قال: ((يخرج من بين الصلب أي: للرجل وهو عظام الظهر، والترائب أي: للمرأة جمع تريبة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة، وعن

عكرمة: الترائب ما بين ثدييها، وقيل: الترائب التراقي، وقيل: أضلاع الرجل التي أسفل الصدر. وحكى الزجاج: أن الترائب أربعة أضلاع من يمين الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر.... وحكى القرطبي: إنّ ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين، وهذا لا يعارضه قوله تعالى: ﴿من بين الصلب والترائب﴾؛ لأنّه ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين))<sup>(٣٩)</sup>.

ومن ذلك نقول: هل بناء (التَّرابِب) يدلُّ صرفياً على القلة في المقام؟ أم يدلُّ على الكثرة؟. والجواب: كما قال الزجاج(ت ٣٣٧هـ): ((الترائب أربعة أضلاع من يمين الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر))<sup>(٤٠)</sup>. بمعنى أنّ (الترائب) ثمانية أضلاع، والثمانية عند العلماء تدلُّ على القلة، ومن هنا ندرك أن صيغ منتهى الجموع ترد في مقامات تدل على الكثرة، وترد في مقامات تدل على القلة، وترد في مقامات تحتمل القلة والكثرة معاً، وأنّ السياق والقرائن اللغوية الفيصل في تحديد الدلالة الصرفية.

\* كواعب

وقد ترد صيغة منتهى الجموع (كواعب) في سياق يدل على القلة؛ وذلك في قول عمر ابن أبي ربيع<sup>(٤٤)</sup> :

أبرزوها مثل المهابة تهادي  
بين خمس كواعب أتراب

فقال الشاعر: بين خمس كواعب أتراب  
عندما هجرته الثريا، والخمسة تدل على القلة  
عند العلماء، مع أن صيغة (كواعب) على وزن  
(قواعل)، وهي من أبنية صيغ منتهى الجموع  
وتدل عند بعض العلماء على الكثرة (إحدى عشرة  
فما فوق)، ومع ذلك فقد دلت على القلة، والذي  
أرشدنا إلى ذلك القرينة اللغوية (خمس) الواردة  
في قول الشاعر.

ومن ذلك ندرك أن السياق والقرائن اللغوية  
مع الصيغة الجمعيتين هما اللذان يحددان المعنى  
الصرفي المقصود وليس الصيغة الجمعية وحدها.  
ف(( كل جمع إنما يدل على القلة أو على الكثرة  
بالقرينة التي تصحبه ليس إلا ))<sup>(٤٥)</sup>.

\* الأنامل

(كواعب) جمع تكسير، وهو من أبنية صيغ  
الجموع؛ لان بعد ألف تكسيه حرفان، وهذا  
الجمع ممنوع من التثوين (الصرف) إلا إذا عُرِفَ  
بالألف واللام أو أُضيف فانه يُصَرَفُ<sup>(٤١)</sup>.

والكواعب: جمع كاعب، وهي الناهضة، يُقال:  
كعبت الجارية تكعب تكعيباً وكعوباً، ونهدت تنهدت  
نهدواً، ونساء كواعب تكعبت نديهن، أي: صارت  
نديهن كالكعب في صورهن، وهذا قول  
اللغويون<sup>(٤٢)</sup>. ولم يخرج المفسرون عما ذكره  
اللغويون في دلالة (كواعب)<sup>(٤٣)</sup>.

وقد وردت صيغة منتهى (كواعب) في القرآن  
الكريم مرة واحدة، في مقام يدل على الكثرة؛ وذلك  
في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ  
وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَكَأَسَا دِهَاقًا ﴾ [سورة  
النبأ: ٣١ - ٣٤]، بدليل جمع المذكر السالم (إن  
للمتقين) الوارد في الآية، ولا شك أن عدد المتقين  
من أنبياء ورسول وأئمة وغيرهم كثير جداً، وهؤلاء  
أوعدهم الله تعالى بحدائق وأعناب وكواعب كثيرة  
لا يعلمها إلا الخالق المصور.

اسماً للجمع، ومنها ما بني للأقل من العدد وهي العشرة فما دونها، ومنها ما هي للأكثر، والكثير ما جاوز العشرة))<sup>(٤٨)</sup>.

وذهب الشافعي وأئمة اللغة أن الأنامل: هي أطراف الأصابع وفي كل أصبع غير الإبهام ثلاث أنامل؛ لذا يكون عدد أنامل اليد اليمنى واليسرى أربع وعشرون أنملة، وهذا العدد من جموع الكثرة عند العلماء<sup>(٤٩)</sup>.

ولم ترد صيغة منتهى الجموع (الأنامل) في القرآن إلا مرة واحدة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنْامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِدَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩].

فعلى وفق قول جمهور اللغة ف(الأنامل) تدل على القلّة، والقلّة تكون بين الثلاثة و العشرة، أي: أنهم يعضوا على مقدمة أطراف أصابعهم التي بين الثلاثة إلى العشرة من الغيظ.

وعلى وفق مذهب أئمة اللغة والشافعي، فهم يعضون - من الغيظ والغضب - مقدمة أطراف

(الأنامل) جمع تكسير على وزن (الأفَاعِل )، وهي من صيغ منتهى الجموع ، مفردا (أنملة) أو (أنملة) ((والأنملة التي فيها الظفر والجمع أنامل وأنملات وهو أحد ما كُسِّرَ وسُلِّمَ بالتاء))<sup>(٤٦)</sup> ، وجاء في كتاب تحرير ألفاظ التنبيه لمحبي الدين يحيى النووي (ت: ٦٧٦هـ) ((قال جمهور أهل اللغة الأنامل: أطراف الأصابع، وقال الشافعي و أصحابنا في كل أصبع غير الإبهام ثلاث أنامل، وكذا قاله جماعة من كبار أئمة اللغة منهم أبو عمرو الشيباني وأبو حاتم السجستاني والجرمي وغيرهم))<sup>(٤٧)</sup>.

فاختلف علماء اللغة في تحديد دلالة صيغة منتهى الجموع (الأنامل) كما هو واضح من النص السابق، فيرى جمهور أهل اللغة أن الأنامل: جمع أنملة وهي أطراف الأصابع أي مقدمتها فقط، فيكون عدد أنامل اليد اليمنى واليسرى عشرة فقط، والعشرة من أعداد القلّة عند علماء اللغة.

قال ابن السراج (٣١٦هـ): (( وأبنية هذه الجموع تجيء أيضاً على ثلاثة أضرب: ضرب يكون



نهاية الجمع ولا جمع بعدها بخلاف أبنية جموع الكثرة فإنه يمكن جمعها مرة أخرى.

٢- لعلماء العربية مذهبان في دلالة صيغ منتهى الجموع ، الأول: أن صيغ منتهى الجموع تبدأ من الثلاثة إلى ما لا نهاية. الثاني - المشهور - : أن صيغ منتهى الجموع تبدأ من أحد عشر إلى ما لا نهاية.

وقد أثبت البحث بالأدلة القرآنية القطعية أن المذهب الأول هو الأصوب والأرجح، وأن الثاني يتعارض مع دلالة الكثير من السياقات القرآنية. وأن الجمع أيا كان نوعه منتهى الجموع أو غيره ، فإنه يدل على القلة والكثرة، وإنما يتعين أحدهما بالقرائن السياقية والمقامية .

٣- السياق والقرائن اللغوية والمقامية هو الفيصل في تحدد دلالة صيغ منتهى الجموع لا الصيغة الصرفية وحدها؛ لذا فقد ترد هذه الصيغ في مقامات تدل على القلة، وقد ترد في مقامات تدل على الكثرة، وقد ترد لمطلق الجمع؛ سواء أكان لها بديل من جموع أخرى أم لم يكن كذلك، فهي تستعمل استعمالاً مطلقاً في القلة والكثرة .

أصابعهم ووسطها ومؤخرتها، أي: أصابعهم بأكملها، وبهذا فالأنامل هنا تدل على الكثرة.

والراجح عندي المعنى الأول؛ لأن المغيوض قد يعضّ على رؤوس أصابع يده اليمنى، أو اليسرى من الغضب والغليظ، لكن من الصعوبة أن يعضّ على أطراف ووسط ومؤخرة أصابعه اليمنى أو اليسرى، والله أعلم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن أغلب المفسرين فسروا (الأنامل) بأطراف الأصابع ومنهم:

الطبري (٣١٠هـ) إذ قال: (( وَالْأَنَامِلُ: جَمْعُ أُنْمَلَةٍ، وَيُقَالُ أُنْمَلَةٌ، وَرُبَّمَا جُمِعَتْ أُنْمَلًا... وَهِيَ أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ ))<sup>(٥٠)</sup>. والبغوي بقوله: (الأنامل) تعني: (( أَطْرَافَ الْأَصَابِعِ وَاحِدَتُهَا أُنْمَلَةٌ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا، مِنَ الْغَيْظِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ائْتِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ، وَعَضُّ الْأَنَامِلِ عِبَارَةٌ عَنِ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَهَذَا مِنْ مَجَازِ الْأَمْثَالِ ))<sup>(٥١)</sup>.

الخاتمة:

١- دلالة صيغ منتهى الجموع لا تختلف صرفياً عن دلالة جمع الكثرة، لكنها تختلف عنه بأنها

الهوامش

(١) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: (٢٣٥)، وشرح الكافية الشافية: (٤/ ١٨١٥)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: (٤/ ١١٤)، و شرح التصريح على التوضيح: (٢/ ٥٢٠).

(٢) ينظر: الكتاب: ٥٦٧/٣، والاصول في النحو: ٤٣٠/٢، والايضاح في علل النحو: ١٢٢، وكتاب الإيضاح: ١٨٢، وكتاب التكملة: ٤٠٩، واللباب في علل البناء والإعراب: ١٧٩/٢، وشرح المفصل: ٢٢٤/٣، والكنّاش: ٢٦١/١، وتوضيح المقاصد والمسالك: ١٣٧٨/٣.

(٣) ينظر: النحو الوافي: (٤/ ٢٠٨)، و التطبيق النحوي: (٣٩٢)، وضياء السالك إلى أوضح المسالك: (٤/ ٣٥٧)، والموجز في قواعد الإعراب: (١٥٢).

(٤) ينظر: النحو الوافي: (٤/ ٢٠٨)، التطبيق النحوي: (٣٩٢).

(٥) ينظر: للمحة في شرح الملحّة (١/ ٢١٥)، و الموجز في قواعد اللغة العربية: (١٥٢)، والصرف الكافي: (٢١٩)، والصرف: (٢٧٣-٢٧٨).

(٦) قال عباس حسن: (( يجري على ألسنة فريق من النحاة أن صيغة منتهى الجموع هي جمع التكسير المماثل لصيغة: "مفاعل"، و"مفاعيل". لكنهم يريدون بالمماثلة: أن الكلمة خماسية أو سداسية، والحرف الأول مفتوح في الحالتين - سواء أكان ميمًا أم غير ميم- وأن الثالث ألف زادة، يليها كسر الحرف الأول من حرفين بعدها، أو من ثلاثة أحرف أوسطها ساكن)). ينظر: النحو الوافي (٤/ ٢٠٨).

(٧) حاشية الصبان (١/ ٥٣-٥٤)، وينظر: الجمان في شرح الخزانة (٥٤)، والأصول الوافية: (١٦).

(٨) حاشية الخضري على ابن عقيل (١/ ٢٨)، وينظر: النحو الوافي (٤/ ٦٢٧)، والتطبيق الصرفي: (١١٥).

(٩) ينظر: حاشية الصبان (١/ ٥٣-٥٤).

- (١٠) الأصول في النحو (٢/ ٤٣٠).
- (١١) الخصائص (٣/ ٢٣٦).
- (١٢) حاشية الصبان (١/ ٥٣-٥٤)، وينظر: الجمان في شرح الخزانة (٥٤).
- (١٣) جامع الدروس العربية (٢/ ٢٨).
- (١٤) شرح الرضي على الكافية: ٣/ ٣٩٨، وينظر: المصباح المنير: ٢/ ٦٩٥.
- (١٥) شرح المفصل: (٣/ ٢٢٤)، هامش: (١)، وينظر: العموم الصرفي في القرآن الكريم: (٢٤٤).
- (١٦) ذكر أغلب علماء اللغة العربية أن لجمع القلّة أربع صيغ هي: ( أفْعَل ، وأَفْعَالٌ ، وأَفْعَلَةٌ ، وفِعْلَةٌ ) ، وهذه الصيغ تدلُّ على عدد لا يقل عن الثلاثة ولا يزيد على عشرة، وما عداها فهي من أبنية جموع الكثرة ومن ضمنها صيغ منتهى الجموع: وتدلُّ على عدد يزيد على العشرة إلى ما لا نهاية، وله صيغ كثيرة من ضمنها أبنية منتهى الجموع . ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٦٧، والاصول في النحو: ٢/ ٤٣٠، والايضاح في علل النحو: ١٢٢، وكتاب الإيضاح: ١٨٢: اللوحة في شرح الملحّة: (١/ ٢١٤ - ٢١٥)، المفصل في صنعة الإعراب: (٢٣٥)، وشرح الكافية الشافية: (٤/ ١٨١٢-١٨١٥)، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: (٤/ ١١٤)، و شرح التصريح على التوضيح: (٢/ ٥٢٠). وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣/ ٣٥١-٣٦٤).
- (١٧) ينظر: الأصول في النحو (٢/ ٤٣٠) ، والمفصل في صنعة الإعراب: (٢٣٥)، وشرح الكافية الشافية: (٤/ ١٨١٥)، وشرح التصريح على التوضيح: (٢/ ٥٢٠).
- (١٨) ينظر: معجم ديوان الأدب (٣/ ٨١ ، سرر) ، و شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٥/ ٢٩١٨ ، سرر) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٦٨١ ، سرر) .
- (١٩) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٣٤٩.

## الدلالات الصرفية لصيغ منتهى الجموع في الاستعمال القرآني

(٢٠) البحر المحيط في التفسير ت محمد معوض (٨ / ٤٥٠)، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٤٧٢)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (١ / ١٢٨).

(٢١) المخصص (٣ / ٤٤٥)، وينظر: لسان العرب (١٣ / ١٣٩ ، خزن)، المعجم الوسيط (١ / ٢٣٣ ، خزن).

(٢٢) قال محمد الأنطاكي: ((أن سبب الغموض يعود إلى أحد أمرين: إمّا إلى استعمال اسم شديد التنكير مثل كلمة (شيء)، وإمّا إلى استعمال أسماء لا مسميات لها.... كلمة (شيء) واسعة الدلالة، أي تامة التنكير، أي مدلولها (ذاتها) غامض غير محدد)). المنهاج في القواعد والإعراب: (١٣٣).

(٢٣) فتح القدير للشوكاني (٣ / ١٥٢)

(٢٤) المحكم والمحيط الأعظم (٦ / ٢٧٢، سمو ) ، وينظر: لسان العرب (١٠ / ٢٢٠ ، سمو)، وتاج العروس (٢٦ / ٧٤ ، سمو).

(٢٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٩).

(٢٦) معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٣٢).

(٢٧) ينظر: مصادر هامش (١٦).

(٢٨) ينظر: اللحة في شرح الملحّة (٢ / ٧٥٤)، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: (٢١٤) .

(٢٩) التحرير والتنوير: (١٩ / ١٢٩) .

(٣٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١ / ١٣١ ، ريب)، وينظر: الفائق في غريب الحديث (٢ / ٣٢)، والمغرب في ترتيب

المغرب (١٨٠ ، ريب)، ولسان العرب (١ / ٤٠٢ ، ريب) .

(٣١) ينظر: غريب القرآن ( ٢٣٦)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣ / ٢٨٣)، وتفسير البغوي: (١ / ٥٩٣)، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢ / ٣٨)، و الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٣٧)، و تفسير النسفي (١ / ٢١١)، و التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ١٨٦).

(٣٢) جامع البيان ت شاكر (٨ / ١٤٧)

(٣٣) شرح الرضي على الكافية: ٣ / ٣٩٨، وينظر: المصباح المنير: ٢ / ٦٩٥.

(٣٤) شرح الكافية الشافية (٤ / ١٨١٢).

(٣٥) ينظر: اللحة في شرح الملح (٢ / ٧٥٤).

(٣٦) المحكم والمحيط الأعظم (٩ / ٤٨٠ ، ريب)، وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١ / ٩١ ، ريب)، و شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٢ / ٧٣٩ ، ريب).

(٣٧) لسان العرب (١ / ٢٣٠ ، ريب)، وينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤ / ٤٢٩)، ومفاتيح الغيب (٣١ / ١١٩) .

(٣٨) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٤١٥)، وغريب القرآن (١٥٩)، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥ / ٤٣٧)، و الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ٥)، و التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٤٧١)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠ / ٧٥٣)، وتفسير ابن كثير (١٤ / ٣١٦)، والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥ / ٥٧٥).

(٣٩) السراج المنير: (٤ / ٥١٧)، وينظر: تفسير فتح القدير (٥ / ٤٢١)، و إعراب القرآن وبيانه (١٠ / ٤٤٠)، و النكت والعيون (٦ / ٢٤٧)، تفسير السراج المنير (٤ / ٣٧٨).

(٤٠) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤ / ٤٢٩) ، واللباب في علوم الكتاب (٢٠ / ٢٦٤)، و السراج المنير (٤ / ٥١٧)، و إعراب القرآن وبيانه (١٠ / ٤٤٠)، و النكت والعيون (٦ / ٢٤٧).

(٤١) ينظر: اللحة في شرح الملح (٢ / ٧٥٤)

(٤٢) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٦٥ ، كعب)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ٢٨٦ ، كعب)، و لسان العرب (١/ ٧١٩ ، كعب) ، وتاج العروس (٤/ ١٥٢ ، كعب).

(٤٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٦٤) ، و بحر العلوم (١/ ٤٢٠)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ١١٨)، و تفسير السمعاني (٦/ ١٤١) وتفسير البغوي (٥/ ٢٠٢) ، ومفاتيح الغيب (٣١/ ٢١) و، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٤).

(٤٤) ديوان عمر ابن أبي ربيعة (٤٩).

(٤٥) فك التقليد: (١٧٧).

(٤٦) المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٣٩٠)

(٤٧) تحرير ألفاظ التنبيه: (٢٧١).

(٤٨) الأصول في النحو (٢/ ٤٣٠)، وينظر: اللمع في العربية (١٧١) ، والمفصل في صنعة الإعراب (٢٣٥).

(٤٩) ينظر: الكتاب : (٣/ ٥٦٧) ، واللمع في العربية: (١٧١)، والأصول في النحو (٢/ ٤٣٠) والمفصل في صنعة الإعراب (٢٣٥).

(٥٠) جامع البيان (٥/ ٧٢٠)، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٢٣٤)، و تفسير السمرقندي (١/ ٢٦٧)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/ ١٣٦)، وتفسير الجلالين (٨٣)، و روح المعاني (٤/ ٣٩).

(٥١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ٩٦)، وينظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣١٩) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٣٠٨).

ثبت المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

\* أبنية الصرف في كتاب سيبويه معجم ودراسة، د. خديجة الحديثي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.

\* الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

\* الأصول الوافية الموسوم ب(أنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع)، محمود العالم المنزلي (ت ١٣١١هـ)، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط ١، ١٣٢٢هـ.

\* إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار اليمامة، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص - سورية، ط ٧، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

\* الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

\* تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ت.

\* التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس،

١٩٨٤م.

\* التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور

عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.

\* التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨ م.

\* التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

\* تفسير البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد، د.

زكريا عبد المجيد، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١

م.

\* تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم)، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ)،

تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ط ١، (د ت).

\* تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)،

تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، دار هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.



- \* تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- \* تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- \* تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي (ت: ١٥٠هـ)، تحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ .
- \* تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- \* توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المعروف بابن أم قاسم (ت ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- \* جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

\* جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ٢٨، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

\* الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

\* الجمانة في شرح الخزانة، ناصيف اليازجي، (ت ١٨٧١م)، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٩م.

\* جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

\* جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، د. عبد المنعم سعيد عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.

\* الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.

\* حاشية الخضري علي شرح ابن عقيل، محمد مصطفى الخضري (ت: ١٨٧٠م)، دار الفكر، بيروت، د. ت.

- \* حاشية الشَّهاب على تفسير البيضاوي، المُسمَّاة: عناية القاضي وكفاية الرَّاظي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، (د ط).
- \* حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمَّد بن علي الصبان (ت: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- \* الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- \* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسَّمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- \* ديوان عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣هـ)، تصحيح بشير يموت، بيروت، المطبعة الوطنية، ط ١، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.
- \* زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ .
- \* السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت : ٩٧٧ هـ )، دار النشر ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، (د ت).

\* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيليّ الهمدانيّ (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، دار مصر للطباعة ، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠.

\* شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، لأبي عبد الله بدر الدين محمد ابن جمال الدين محمد ابن مالك المعروف ب(ابن الناظم) (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

\* شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهرى بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ، (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

\* شرح الرضيّ على الكافية، رضي الدين الاستراباديّ (ت ٦٨٨ هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦ م.

\* شرح الكافية الشافية، لابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

\* شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير الدمشقي، مصر، د.ت.

\* شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، و مطهر بن علي الإيراني، و د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر دمشق - سورية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

\* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت حدود ٤٠٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

\* الصرف، د. حاتم صالح الضامن، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١م.

\* الصرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، مراجعة، د. عبده الراجحي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

\* ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

\* العموم الصرفي في القرآن الكريم، رضا هادي حسون العقيدي، المركز التقني، بغداد، ط ٢، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

\* غريب القرآن، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت: ٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد، دار قتيبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

\* فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

\* فكّ التقليد في علم الصّرف، جبر ضومط (ت: ١٩٣٠م)، وبولس الخوليّ (ت: ١٩٤٨م) المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٨م.

\* الفيصل في ألوان الجموع، عباس أبو السعود، مطابع دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

\* كتاب الإيضاح، لأبي عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق ودراسة: د. كاظم بحر المرّجان، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

\* الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

\* كتاب التكملة، لأبي عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: ودراسة: د. كاظم بحر المرّجان، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

\* الكشف والبيان المعروف ب(تفسير الثعلبي)، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

\* الكُنَّاش في فني النحو والصرف، لأبي الفداء الأيوبي (ت: ٧٣٢هـ)، تحقيق: د. رياض بن حسن الخوَّام، المكتبة العصريَّة، بيروت - صيدا، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

\* اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصرة، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

\* اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

\* لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .

\* اللمحة في شرح الملحّة، محمد بن حسن بن أبي بكر الجذامي المعروف بابن الصائغ (ت: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

\* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

\* المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.

\* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

\* معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت : ٥١٦هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ .

\* معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١.

\* معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ) تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

\* معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.



\* المعجم المفصّل في الجموع، د. إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

\* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.

\* المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة، (د ت).

\* المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر الدين علي بن المطرز (ت: ٦١٠هـ)، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط ١، ١٩٧٩.

\* مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

\* المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

\* المنهاج في القواعد والإعراب، محمد الأنطاكي، مطبعة أمير، تهران، ط ٦.

\* الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت: ١٤١٧هـ)، دار الفكر - بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

\* النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، مصر، ط ١٥.

\* النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (د ط).

القصة في شعر سعدي يوسف - البناء والرؤيا -

أ . م . د . صباح عبدالرضا إسيود

مقدمة :

مالت القصيدة العربية في بدايات الحداثة نحو الاتجاه الدرامي أو القصصي ، وصارت القصيدة وقتئذ ذات قالب فني يكاد أن يكون جديداً في الشعر العربي . على الرغم من أن القصيدة العربية كانت تحمل بذاراً من هذا القالب في عصور ازدهارها القديمة .

ففي مستهل القرن العشرين وبالتحديد في العشرينيات والثلاثينيات منه ، تغير نمط القصيدة ، بعد أن عزفت على وتر الغناء مدة ليست قصيرة (\*) ، وانحرفت عن تلك الجادة المنقشية فيه ؛ لتستقر في نمط موضوعي ، غيري ، وتلك تمثل نقلة هائلة في كيان الشعر العربي . إذ صار كثير من الشعراء العرب ينظم القصة نظماً ، ومنهم بشارة الخوري وعلي محمود طه وإلياس أبو شبكة وخليل مطران وإبراهيم العريض وغيرهم . ومنذ ذلك الحين واجهتنا الشخص المتعددة والأحداث المتنوعة وتعددت جهات النظر في كيان القصيدة العربية .

وذلك نهج أقل ما يوصف به ، أنه جديد قد وفد إلى الشعر العربي ، بعد احتكاكه بالشعر الغربي إبان النهضة المجددة . ونجم عن ذلك أن حلت قيم جديدة تختلف عما ألفناه من تقنيات أولية متمثلة في قوالب معروفة مسبقاً تتجسد في قالت وقلت والسرد المضمن في صلب القصيدة ( ١ )

وإجمالاً يمكن القول إن القصيدة العربية كانت تتحو نحو السرد والقص منذ البدايات الأولية ؛ بعد أن حاول الشعراء العرب تضمين قصائدهم رؤى سردية ، أو ما يطلق عليها حديثاً بنى سردية .

بيد أن عرى هذا الاتجاه لم تدم طويلاً ، فقد استفده الشعراء بعد حين من الزمن وتفككت أوصاله رويداً رويداً ، ولا سيما مع مرحلة منتصف القرن العشرين ، المتمثلة بتجربة القصيدة الحرّة . ولنا أمثلة جمة في شعر السياب - على سبيل التمثيل - في قصائده : حفار القبور ،

سمة مهمة من سمات التكوين الجديد للقصيدة العربية ، ألا وهي سمة السرد .

إزاء ذلك كله وجد كثير من الشعراء أنفسهم أمام تجليات جديدة ، لا بد أن يعيروها اهتمامهم ، فضلاً عن أن كثيراً من هؤلاء الشعراء قد عزف على أكثر من وتر فني ، فجرّد نفسه ليخوض غمار الشعر بجانب خوضه في لباب القصة والمسرح والنقد الأدبي . وهذا ما يشكل رافداً مهماً في تأكيد نهج السرد والقص في عالم القصيدة الحديثة.

ولعل شاعرنا سعدي يوسف من أولئك الأدباء الذين اتحفوا خارطة الأدب العربي بفيض من النتاجات الأدبية المتنوعة ، التي تعزف على أوتار الأدب بتجلياته كافة مما يفضي إلى محاولة التجريب على أكثر من مستوى .

وفي ضوء ذلك سوف نعاين القصيدة عنده على أسس تعود إلى الجانب السردى ، المتقشي في القصيدة الغنائية فحسب ، غاضين النظر عن تجليات تجربته الشعرية الأخرى ، على وفق النقاط الآتية :

والمومس العمياء ، والأسلحة والأطفال . ويبدو أن ذلك كان تجاوزاً لسطحية البناء البسيط في القصيدة الحديثة الذي أسماه البعض بناء الخاطرة ( ٢ ) .

وبفعل التطورات الهائلة في عموم الحياة تحدى هذا الاتجاه جانباً أيضاً . إذ اغتنت الحداثة الشعرية بالأفئدة والمرايا والدراما والسرد ، وصرنا إزاء ما يعرف بالقصيدة الدرامية. بعد أن استلهم الشعراء تقنيات جديدة ، ومنها الأسطورة ، ولا سيما عند السياب بصفة خاصة . إذ تُعد تجربة السياب من أغنى التجارب وأقدرها في هذا الإطار ، وشكلت مرتعاً خصباً في انحراف القصيدة إلى عالم السرد والقص عموماً . ومن ثمّ أخذت " الحياة الأدبية تتفتح للجديد في القصة والرواية والشعر والمسرح والاتجاهات النقدية المعاصرة . وكان الشاعر الحديث يتأهب للتحليق في الآفاق العالمية التي أتاحتها حرية التعف من الأطر التقليدية " (٣) القديمة . إذ إن الشعرية العربية حاولت الخروج على المألوف بتجريبها آليات فنية جديدة ، لتبرز

القصيدة الملحمة ذات الأبعاد التعبيرية الشاملة ، كما يقول الأستاذ محمد مبارك ، وهو يتناول تجربة الشاعر سعدي يوسف بالدراسة والتمحيص ( ٥ ) .

بيد أن الظاهرة البارزة في شعر سعدي عنايته الخاصة بالقصة ، إلى حدّ جعل بعض الباحثين ينظر إلى عموم تجربته الشعرية من خلال عنايته بالقصة ، وكما يرصد الدكتور محسن أطيمش هذه الظاهرة في شعره بقوله : " فمارسته الفنية الطويلة وعنايته منذ ( القرصان ) و ( ٥١ قصيدة ) ثم ( النجم والرماد ) بالحدث والحكاية والأشخاص ستقوده حتماً إلى تأكيد وترسيخ الأداء القصصي الذي صار نسيج شعره كله " ( ٦ ) . ومن هنا فإن دراسة القصة في شعر سعدي يوسف تكاد تؤطر شعره كله ؛ وتكون كأنها رصد لجوانب القصيدة عند الشاعر بتجلياتها كافة . أو بمعنى أشمل إن دراسة البناء ستقود حتماً إلى دراسة الرؤيا في تجربة سعدي يوسف .

أولاً : تنوع تجربة سعدي يوسف الأدبية : لو تأملنا تجربة سعدي يوسف الأدبية ملياً ؛ لوجدنا أيضاً زاخراً وغزيراً من النتاج الأدبي المتدفق . إذ ترافق إبداعه الشعري مع إبداع في فنون القصة والمسرحية والخاطرة والترجمة ، ناهيك عن تعدد مسارب وأنساق قصائده التي حوaha زهاء ما يفوق على الثلاثة والأربعين ديواناً شعرياً ، وهو ما يؤشر على تجربة من نمط خاص وبحدود غير مسبوقه كماً وكيفاً . ومن هنا فقد وصفت تجربته ؛ بأنها تجربة استثنائية بين تجارب كل شعراء الحداثة العرب "وهي في تفردا هذا لتكاد تختزل لنا الحداثة بكل أطرافها في واحدة حيث تتطوي على الكل رغم أنك لا تستطيع أن تنسبها إلى واحدة بعينها " ( ٤ ) . إذ جمعت تجربة سعدي يوسف القصيدة الصورة إلى القصيدة اللوحة العابرة إلى القصيدة الدرامية ذات الأبعاد التركيبية المعقدة إلى القصيدة الغنائية المتأملة إلى القصيدة الحكاية المركزة أو القصيدة الأقصوصة - البلاد - إلى القصيدة ذات الطابع الرعوي إلى

معيناً على نمط القصيدة ، وحتى الاهتمام بالتفاصيل اليومية للحياة الإنسانية لا يفضي بالضرورة إلى القالب القصصي .

ولعل السبب الحقيقي يعود - برأينا - إلى الموجة العنيفة التي سادت في شعر الستينيات ؛ المتمثلة بالاتجاه نحو الفن القصصي ، والتي ركبها كثير من الشعراء كما ركبها شاعرنا وآلت به إلى أن يركن إذعاناً للقصة . وقد أشار الشاعر سامي مهدي في غمرة حديثه عن موجة شعر الستينيات إلى أن البناء القصصي هو أحد العناصر التي اعتمدها شعراء الستينيات لتجاوز نمط بناء شعر الخمسينيات ( ٩ ) .

بعد أن كان الشاعر الخمسيني يعير أهمية كبيرة إلى المنظومة الاجتماعية وهموماً الاجتماعية والسياسية والثقافية بحس عقلائي واع لقضاياها ، وقد بلور الشاعر العربي موقفه الشعري في ثورة شعرية حدائية تعتمد أصولاً عدة ولعل أهمها " خلق وابتكار أساليب وأبنية جديدة كاستخدام المونولوج والتضمين والقناع والميل لخلق القصيدة الدرامية والبالاد الشعرية

وقد تكهن بعض الباحثين بمحاولة رصد أسباب ذلك البناء في قصيدة سعدي فردها إلى سببين رئيسين ؛ أولهما يعود إلى موقفه السياسي ( الايديولوجي ) المبكر ، "وهو ما مكنه من الاطلاع على تفاصيل يومية تخص حياة المناوئين للعهد الملكي ؛ إذ إن معظم قصائده في مرحلة الخمسينيات ، كانت تتحدث عن تجارب ومواقف شخصيات التقاها أو زاملها أو سمع عنها ، وتجارب ومواقف قوى سياسية وأحزاب تعاطف معها الشاعر . وكانت هذه الموضوعات تفرض على قصيدته نمط البناء القصصي " ( ٧ ) . أما السبب الثاني بنظره " فيعود إلى شغف الشاعر بالتفاصيل اليومية للحياة الإنسانية . وكان هذا الاهتمام بالتفاصيل اليومية قد جعل قصيدة سعدي يوسف تتجه اتجاهاً واقعياً " ( ٨ ) .

يبدو جلياً أن هذين السببين عامان و لا يخصان تجربة سعدي وحده - مع أننا لا نعدمهما في تجربة شاعرنا - إذ إن الموقف الأيديولوجي لأي شاعر لا يفرض حتماً بناءً

جعلت البعض ينظر إلى أن شعره كان قريباً من شعر البياتي أكثر من اقترابه من شعر السياب في تلك المرحلة المبكرة من نتاجه ، على أساس أن قصيدة السياب تتميز ببنائها المركب وجنوحها إلى الإسهاب والتفصيل ( ١٢ ) مما هو بعيد عن اهتمام سعدي .

وقد يقول قائل : إن لسعدي يوسف تجربة قصصية كانت واحدة من الأسباب التي دفعته لأن يميل إلى القص في شعره ؛ فنقول إن نظرة فاحصة في تواريخ قصصه ترينا أنه لم يركن إذعانا للسرد في شعره بتأثير القصة ، إذا لم يكن العكس هو الصحيح ، ومن ثمّ فقد ترافق النتاجان الشعري والقصصي بوتيرة واحدة في تجربته في مدة لاحقة . إلى درجة أن يكون من الطبيعي أن نجد أحياناً للقصة والقصيدة عنواناً واحداً ؛ مثلما نجد ذلك في قصته ((نافذة في المنزل المغربي)) ، وهو نفسه عنوان إحدى قصائده المنشورة في ديوانه (( بعيداً عن السماء الأولى )) . كما أن البون كما يبدو شاسع بين نتاجه القصصي وبين نتاجه الشعري ، فقد نشر

والإفاضة من الدلالات الرمزية للأسطورة و الموروث الشعبي " ( ١٠ ) كما يقول الناقد فاضل ثامر ، وهو يتحدث عن موجة الحداثة في الشعر العربي . وقد كان سعدي ممن تلقف هذا الاتجاه ومال إليه أو وجد في نفسه ميلاً إليه فجعل معظم قصائده ، إذ لم نقل كلها ، تعتمد وتستند إليه . ما دام الشاعر " يبدأ غنائياً مطلقاً ثم غنائياً مقيداً بحدث ، يميل إلى الحكاية والحبكة والسرد والروح القصصي الأولى " ( ١١ ) .

علاوة على أنه من الرعيل الثاني الذي برع بعد مرحلة الرواد من أمثال السياب ونازك الملائكة والبياتي وعبدالصبور وحجازي والحيدري . مما يجعل الدارس ينظر إليه بوصفه من المتلقفين للهزة الهائلة التي انطلقت في سماء الشعر العربي ؛ وحوالته جذرياً باتجاه القص ، عندما بذر الزراع الأوائل بذار الدراما . ولعل هذا ما يفسر ميل قصيدة سعدي منذ بداياتها إلى البساطة واللحاحات السريعة المباشرة اللتين تتفقان وميوله الفنية والتزاماته السياسية ؛ التي

المبدعين الذين لا يعيرون أهمية كبيرة للفرق بين الأجناس الأدبية ، التي أضحت بحدود واهية إذا لم تكن معدومة في النتاجات الحديثة ؛ إلى الحد الذي جعل صاحب كتاب الشعرية يؤكد فيه " إن الاهتمام بالأجناس الأدبية قد يبدو في أيامنا هذه تزجية للوقت لا نفع فيه إن لم يكن مغلوطاً تاريخياً " ( ١٤ ) . مما يفضي إلى القول إن هؤلاء الأدباء - وسعدي واحد منهم - ينظرون إلى الفنون الأدبية بمنظار واحد ؛ ويحاولون تشكيل رؤاهم من خلال تلك النظرة .

وقد حاولت الشعرية العربية الخروج على المؤلف الفني ، في محاولة جادة لتجريب آليات فنية جديدة ، ومنها تلك المأخوذة من مجالات أدبية أخرى ، لتظهر سمة مهمة من سمات تشكيلها الجديد ألا وهي سمة السردية . وقد انعكست آثار تلك السردية في مفاصل القصيدة كلها ، بدءاً من عنوانها ومروراً ببنائها وكيفية تشكيلها وتمظهرها . وهذا ما سينعقد عليه البحث في الفقرتين الآتيتين .

قصته الأولى (( الحية )) في عام ١٩٦١ ، وكان تاريخ صدور أول ديوان له عام ١٩٥١ . وهذا العقد من السنوات طويل ولكنه لا يكاد يمثل إلا امتداداً لتجربة واحدة ذات مشارب متنوعة .

ولعل قصائد مجموعتيه الشعريتين (٥١ قصيدة وبخاصة قصيدته القرصان التي كتبها عام ١٩٥٢ ، و ( النجم والرماد ) تمثلاً لأصدق تمثيل كيفية استغلال القصة في الشعر وليس العكس . وقد وجد الدكتور محسن إطميش أن سعدي يوسف كان مهيباً أكثر من غيره من الشعراء العراقيين لهذا النمط من الكتابة الشعرية ؛ بسبب ممارسته الفنية الطويلة وعنايته بالحدث والحكاية والأشخاص ؛ مما كان كفيلاً بتأكيد وترسيخ الأداء القصصي في نسيج شعره كله ( ١٣ ) .

ومن هنا يظهر بجلاء أن لسعدي يوسف رؤية فنية حدائية تنغرز في أتون القصيدة الغنائية ، وتحذو به لأن يواكب الجديد في الفن الشعري ويحوي تقنياته المهمة . لا سيما أنه من



(الساعة الأخيرة) ١٩٧٧ ، و ( من يعرف الوردة ) ١٩٨١ ، و( مريم تأتي ) ١٩٨٣ ، و (الينبوع ) ١٩٨٣ ، و ( حانة القرد المفكر ) ١٩٩٧ ، و ( يوميات أسير القلعة ) ٢٠٠٠ ، و( أغنية صياد السمك ) ٢٠٠٨ ، و (في البراري حيث البرق ) ٢٠١٠ ، فكلها ذوات دلالات سردية لا غبار عليها ، ويمكن للدارس أن يستشف منها السرد بسهولة ويسر .

فهذه العنوانات كلها تدل ببساطة على نواح سردية ، فضلاً عن عنوانات القصائد التي هي أكثر من أن تحصى وتحصر في حيز ضيق من البحث . لأنها - كما قلنا سابقاً - تكاد تشكل شعر الشاعر كله أو تفضي إليه . ولو نظرنا إلى عنوان القرصان - على سبيل التمثيل - فأننا سنجد أنه ينهل من معين القص ، لأن هناك كثيراً من القصص التي حملت العنوان نفسه ، وبما لا يدع مجالاً للشك بأنه قد ورد في الشعر بتأثير الفن القصصي ، وبأماكننا أن نقول الكلام ذاته فيما يخص بقية العنوانات .

ثانياً : دلالة العنوان على السرد في شعر سعدي يوسف:

قد يبدو من الغريب إلى الناظر في تجربة سعدي يوسف الشعرية ؛ أن يجد أنها ذات ثيمات واحدة تتردد في مجاميعه الكثيرة ، وتكاد ترد ببعض التغيير الطفيف الذي يلاحق المفردة الشعرية أو التركيب الجديد ، اللذين يجدان أدناً صاغية من الشاعر . بحيث يمكننا أن نعد كثيراً من تراكيبه وألفاظه مما يندرج بأطار واحد فحسب ، ألا وهو إطار السرد والقص ، وما يلحق بهما . وذلك بين وجلي ابتداءً من عنوانات دواوينه .

ولو تتبعنا عنوانات دواوينه من الناحية الزمنية فسبيرز أمامنا الأمر ذاته ؛ فديوان ( القرصان ) الصادر في عام ١٩٥٢ ، الذي استهل به نتاجه الشعري ، ذو دلالة سردية ، ناهيك عن دواوينه الأخرى مثل ( النجم والرماد ) ١٩٦٠ ، و ( بعيداً عن السماء الأولى ) ١٩٧٠ ، و ( نهايات الشمال الأفريقي ) ١٩٧٢ ، و (الأخضر بن يوسف ومشاغله ) ١٩٧٢ ، و

نشأ جيل غاضب ورافض آثر الانكفاء على نفسه ( ١٦ ) ، وعلى تجاربه الذاتية . وعلى العموم فإن شعر سعدي مبطن بثيمات سردية متفشية في دقائق لغته وتكوينه الفني ، وفوق هذا وذاك فإن السرد مغلف بغلاف السياسة . ولهذا يبدو مبرراً ما نجده من التعلق بين نصوص الشاعر أو خرق قواعد اللغة وتخصيبيها ؛ فكل ذلك من أجل إثارة الجو السياسي الذي يحاول الشاعر أن يرصده ويبدل عليه ، بتخفٍّ شديد أحياناً وبارز في أحيان أخرى ، في محاولة لتغيير الواقع ، أو محاولة إعادة صيرورته من جديد . مستغلاً طاقات القصص وتقنياته في تشكيل الحدث واعتماد الحوار وما يقتضيه البناء القصصي من الوصف وتقديم الحدث بما يستلزم من استرجاع واستباق وتشكيل المشهد الشعري/ القصصي والحذف . وغيرها من معطيات الفن القصصي في تشكيل القصيدة . وسوف نتناول هذه التقنيات الجديدة في القصيدة عند الشاعر من خلال تناولنا للقوالب السردية المتحققة في شعره .

ومن هنا فقد يبدو من غير المنطقي أن يغيب على كثير من الدارسين لتجربة سعدي الزاخرة بفيض من العطاءات هذا الجانب ولا يؤلوه عنايتهم ، وقد يتبدد ذلك عندما نرى أن العناية بالهم السياسي قد ضيقت من حيز السرد ، أو أن السرد عند الشاعر كان يصب في خانة السياسة ويؤول إليها ، إذ إن سعدي يوسف هو شاعر السياسة بلا منازع في الشعر العراقي الحديث . ولهذا أشار الأستاذ طراد الكبيسي في تقديمه لديوان الشاعر ، عندما رصد الهدف الأساس المتبلور في ذهن الشاعر فوجده في القصيدة السياسية المتكاملة ، مثلما وجد القصيدة الدرامية في شعر بلند الحيدري والديوان القصيدة في شعر البياتي ، مشيراً إلى أن شعر الواحد منهم لا يخلو مما لدى الآخر ( ١٥ ) . لا سيما أن الأحداث السياسية التي شهدتها العقد الستيني كانت أكثر سوءاً ، وأكبر وقعاً ، من تلك التي شهدتها العقد الخمسيني ، مما انعكس على جيل المتقنين الذين هم أشد حساً ووعياً بما يدور حولهم من أحداث ، وعلى هذا

العليم ، بمصطلحات فن القصة ، فهو يروي الأحداث ويعلق عليها ، وقد يوقف السرد أو يوقف مجرى الزمن التعاقبي ؛ ليسترجع أحداثاً ماضية . ويبدو جلياً أن تلك التقنيات قد وفدت إلى الشعر بعد تطور فن القص واتساعه وشيوعه ، مما كان كفيلاً لأن يفيد الشعراء من تقنياته ومن اعتمادهم على كثير من مستلزماته ، لا سيما بعد موجة الشعر الحر التي كان أصحابها مهيين أكثر من سابقهم لتلقي التقنيات الجديدة ومنها الطابع القصصي ( ١٩ ) . وبعد أن انمحت أو كادت الفروق بين الفنون الأدبية .

يمكن للمدقق في طيات القصائد التي نهجت هذا النهج أن يخرج بثمة نمطين من البناء ؛ اعتمدهما الشاعر في تشكيل قصائده . فقد يضع الشاعر / الراوي البطل أمام القارئ مباشرة وينطقه بلا مقدمات مسبقة ، أو أن يعتمد على مدخل تصويري ، يرسم فيه الصورة الطبيعية أولاً ثم يدلف لتصوير المكان ؛ مكان الحدث ، وأخيراً يتحرك نحو البطل ( ٢٠ ) .

ثالثاً : القوالب السردية المتحققة في شعر سعدي يوسف :

يمكننا أن نقف على مجموعة من القوالب السردية في شعر سعدي يوسف من خلال الفقرات الآتية :

١- قالب القصيدة النامية ، التي تفيد من طاقات الحدث لنمو القصيدة ، باستغلال السرد والوصف وتداخل الأصوات والفراغات المقصودة ( تقنية البياض ) في تشكيل القصيدة وتمظهرها.

وفي هذا النمط من القصائد يعتمد الشاعر التقديم للحدث ، وقد يمهد له بوصف الإطار العام لما سيؤول إليه الوضع ، معتمداً البداية والعرض والنهاية ( ١٧ ) . ولعل هذا النمط من البناء لا يختلف عن نسق البناء الهرمي ، الذي أشارت إليه نازك الملائكة عندما تحدثت عن أنساق البناء المتحققة في الشعر العربي الحديث ( ١٨ ) .

ففي الغالب يتخذ الشاعر دور الراوي الذي يروي الأحداث من الخارج وكأنه الراوي

المعهودة ( ٢١ ) ، ولا يلبث الحدث وهو يتردد بين ثنايا القصيدة . فقصيدة " ميت في بلد السلامة " تعتمد سقوط فلاح عجوز من نخلة وهو يجني منها التمر ، وقصيدة ( الاستشهاد ) تقوم على واقعة الإنسان الذي انتحر تحت عجلات القطار ، وقصيدة " أنطونيو بيريز " تتخذ من إعدام المناضل الغواتيمالي أساساً لها ، وهكذا في بقية القصائد .

في القصيدة الأولى ( ميت في بلد السلامة ) ، يتخذ الشاعر دور الراوي ليضع بطله أمامنا مباشرة ، وبلا مقدمات أو استطرادات زائدة ، بالصورة التي يريدها هو ، لأنه يعلن عن تعاطفه معه منذ الوهلة الأولى . وهو يحاول إضفاء الصفات الواقعية على بطله . وقد يقطع الحدث ليسترجع ماضياً يريده هو ، أو يستبقي الأحداث ، مثلما فعل في السطر الأول من القصيدة عندما قال :

قد مات عبدالله

فهذه الجملة الإخبارية استبقت الأحداث اللاحقة ، التي ستوضح لاحقاً عملية الموت ،

وعلى العموم فإن هذين النمطين متداخلان ويصب أحدهما في حيز الآخر من حيث القص والسرد في القصيدة الغنائية .

يمكننا متابعة هذا النمط من القصائد في عموم تجربة شاعرنا ؛ وبصفة خاصة في ديوانيه ( ٥١ قصيدة ) و ( النجم والرماد ) المنشورين في المجلد الأول من ديوانه . ناهيك عن قصائده : ميت في بلد السلامة ، و أمر بألقاء القبض ، والأستشهاد ، وأنطونيو بيريز من غواتيمالا ، والهارب الليلي ، واغتيال محمد بن عبدالحسين ،وعبدالرحيم ، وحسون الذي يعمل أشياء كثيرة ، والاعتداء ..إلخ . فضلاً عن بعض القصائد المنشورة في المجلد الثاني من ديوانه مثل : قصائد الواحة وأوهام الأخضر بن يوسف والوردة المستحيلة وغيرها .

تعتمد قصائد هذين النمطين حدثاً معيناً يقوم أصلاً على التسجيل للأحداث التاريخية ، لا سيما في الرصد والتناول والتجربة ، ليقنتص الغريب والمدهش في تشكيل الصورة الشعرية من خلال ابتداع الصياغات اللغوية غير

ثم يستغل تقنية البياض فيفصل بين السطور  
الخمس الأولى والسطور الأربعة اللاحقة ببياض  
ليقول مسترجعاً أحداثه :

كان الظلامُ يَكْفُنُ الضوءَ الأخيرُ

وتلوحُ أحداقُ الفوانيسِ العتيقةِ مطفآتُ

لا صوتَ ... لا إنسانَ ...

صمتٌ كالصلاةِ ( ٢٣ )

هكذا يرسم المشهد الحزين أمامنا وكأننا  
أمام صورة سينمائية / تلفزيونية متحركة تعرض  
لنا مشهداً بانورامياً ، ونحن بتلهف شديد لمتابعة  
ما سيعرض . ويختتم المشهد بعملية الموت  
التي يتعرض لها عبدالله . وهكذا فقد عرض لنا  
الراوي من خلال تقنيتي الاستباق والاسترجاع  
في غضون أبيات محدودة ما أراد أن يوصله  
في صفحات كثيرة بتركيز شديد . وهو ما يفسر  
كون الحدث مختصراً . ومع هذا الاختصار  
نستطيع أن نضع أيدينا على مكامن الجو العام  
للمدينة التي وقع فيها الحدث ، فإذا هي مدينة  
التمر ( متخثراً كالتمر في بلد السلامة ) .  
فضلاً عن اسم المدينة ذي المدلول على أحد

والفعل الذي أوصلها له . مع مراعاة أن الحدث  
مختصر ولا يحتمل تفرعات كثيرة ، كما أشار  
يوسف الصائغ إلى ذلك وهو يتناول هذه  
القصيدة بالتحليل ، مشيراً إلى أن الشاعر يعتمد  
الحدث المبهم ، الذي يعيش شيئاً من الغموض  
الموحي مما يجعل الحدث أكثر طاقة ( ٢٢ )  
 . وما عدا هذا فكل ما يمت إلى الفن بصلة  
يكون مشدوداً إلى الواقع ، إذ اعتمد الشاعر  
بطله من واقع الحياة اليومية ، وحتى اسم القرية  
المثبت في عنوان القصيدة جلبه من واقع مدينته  
البصرية الجنوبية . ولعل هذا ما يضيف طاقة  
واقعية على تجسيد الحدث الذي يريد إبرازه .

وبعد أن استبق الأحداث في بداية  
القصيدة ، عاد بتقنية جديدة ليسترجع الأحداث  
السابقة بعملية سينمائية ، قد تبدو بدائية ؛ بما  
يطلق عليه الفلاش باك ( flash back )  
عندما قال :

لكن سأروي كيف عبد الله مات :

الماضي على حساب الفعل المضارع ، الذي هو بصورة أو أخرى يتعلق ببرائث الماضي أيضاً ؛ ويدل عليه في كثير من الأحيان . يبدو ذلك من خلال الموازنة بين : مات عبدالله و بين الأموات في بلد السلامة يمضون ، والناس ينسون الموت عندما تجوع القرية ، وكان الظلام يكفن الضوء الأخير، وتلوح أحداق الفوانيس مطفآت ، والليل يلتهم الحياة و... الخ . فضلاً عن أن ورود الأفعال كلها بصيغة الماضي - حتى الأفعال المضارعة - ذات الدلالة التي تقضي إلى الزمن الماضي أو تدل عليه ، قد صيرّر القصيدة وكأنها من ذكريات الماضي الذي عاشه الشاعر أو سمع عنه .

وقد أشار بعض الدارسين إلى أن الشاعر كان متأثراً بالاتجاهات الشعرية السائدة في عصره ؛ ولا سيما قصائد الشاعر الأسباني لوركا التي تنهج النهج ذاته ، باعتمادها الحدث والغموض والتركيز والإيحاء والتكرار ، فضلاً عما عرف عن الحكاية الشعرية التي تسمى بالبلاد ( ٢٤ ) . وبصفة خاصة في قصائده التي تنهض

أحياء مدينة البصرة الشعبية . وإمعاناً في تجسيد الحدث القصصي ينهي الراوي/ الشاعر القصيدة بقوله : ( يا حامل الستين ، يا رباً مدمى ) فندرك أن عبدالله قد تجاوز الستين من العمر . وهذا ما يجلب التعاطف مع الشخصية التي رسم ملامحها الراوي في القصيدة . فضلاً عن أن الراوي / الشاعر قد بيّن في القصيدة بعملية الأولى التي استبق فيها الأحداث أن الناس ينسون الموت حين تجوع قريتهم . وتلك عملية إرصادية رصد فيها الحالة النفسية والاجتماعية لمعاناة الناس في القرية .

إن أي دارس لهذه القصيدة لا بدّ أن يخرج بنتيجة الحدث الواحد غير المتفرع - كما هي القصة القصيرة - وقد استطاع الشاعر من خلاله أن يحدد الخطوط العريضة لمدينة جائعة ، هذا من الناحية الموضوعية . أما من الناحية الفنية فإن صوت السارد لم يغب عن سطور القصيدة ؛ فإذا هو صوت واحد يتحرك بعملية استرجاع الماضي ومحاولة اجتراره . يبدو ذلك من خلال احتفال القصيدة بالفعل

الشخصية السابقة محددة باسم عبدالله تطالعنا هذه القصيدة بشخصية (سلمان عبدالله) . وأن الشاعر / السارد للحدث القصصي قد توجه إليه بالخطاب منذ السطر الأول في القصيدة ، وظلت القصيدة تدور في هذا المحراب فحسب . وقد حاول الشاعر أن يستغل المقطع البياض مرتين في القصيدة ، كما أدخل الأغنية الشعبية في ضمن مفاصل القصيدة ، وهي : ( للناصرية تعطش وشريك ماي .. للناصرية ) . بحيث يمكن أن ندرك من خلال هذه التقنيات أن هناك تغليباً للغة القصص على لغة الشعر ، كما يمكن القول إن هذه القصيدة/ القصة من القصائد/ القصص ذات النهاية السائبة أو المفتوحة ؛ فقد انتهى الشاعر قصيدته بما بدأ به وعلى سبيل ما يعرف بالبناء الدائري ( ٢٦ ) لا تمضٍ ... إن النهر أشباحٌ لئيمةٌ سوداء يخفي النخل موطنها كما يخفي الجريمة وبنادقٌ متربصات ...

.....

..... ( ٢٧ ) .

على كتف القص أو تنهل من معينه ، مما شكل خطأً بيانياً متردداً في تجربته الشعرية ذات المنحى القصصي . إذ يبدو هذا المنحى واضحاً في قصائد عدة ومنها ، قصيدة ( حادثة في الدواسر ) ذات المنحى القصصي الواضح من العنوان أيضاً . فالصوت هو صوت الشاعر / السارد الذي يبدأ القصيدة جهورياً بقوله :

اهربْ ..؟

لقد قدموا إليكُ

ببنادقٍ متأرجحاتٍ وعلى الطريق تدق أحذيةٌ قديمةٌ  
سوداءُ يخفي النخل موطنها كما يخفي الجريمة ( ٢٥ ) .

نلاحظ أن الحدث الواحد غير المتفرع إلى أحداث جانبية هو نفسه الذي وجدناه في القصيدة السابقة ، وهناك محاولة من الشاعر لأن يبقي حدثه غامضاً ومركزاً ومشعاً في كل اتجاه . ثم تشترك هذه القصيدة بسمة أخرى مع القصيدة السابقة ؛ وهي ميزة تحديد الشخصية ومحاولة تأطيرها بإطار محدد ، فكما ألفينا

بخطاب موجه إلى النفس ، بما يسمى المونولوج  
أو الحوار الداخلي ، الذي يمكن عده سرداً  
صامتاً في مقابل السرد المنطوق الذي يؤديه  
الراوي ( ٢٨ ) . يقول :

ها أنت وحدك مرةً أخرى كأنك لم تسافرُ

يوماً إلى أرض الجميع

أ أنت وحدك مثل القمر

ألقت به ريح الشمال على الكويت

أو هكذا أحببت ؟ :

أن تبقى وحيدا

متلفت العينين تنتظرُ البريداً ( ٢٩ ) .

الخطاب موجه إلى الذات التي تعاني من مرارة  
الغربة وقسوتها ، لا سيما أنه كان في بحث  
دائب عن وظيفة . وكأن الخطاب - هنا -  
مونولوج أو حوار داخلي ، استطاع من خلاله  
أن ينقل تأوهات نفسه وتقلباتها كافة عندما وجه  
خطابه نحو ذاته . بيد أن المرأة لا تغيب عنه  
لذلك كان الخطاب ممزوجاً معها :

ثم ترى يديها

بين الزهور تلوحان

إننا في هذه القصيدة - أيضاً - نقلت حدثاً  
ولا نجد وضوحاً ، وجل هم الشاعر أن يرصد  
الحركة الثورية ، التي تواجه معارضة شديدة من  
السلطة ، وقد يصل فيها الأمر إلى القضاء  
على البطل بالموت . وتلك نهاية مأساوية  
متكررة كثيراً في ثانيا قصائد الشاعر ذات النزعة  
القصصية . وكما يبدو جلياً أن تلك النزعة تعود  
إلى معاناة الشاعر في وطنه ، التي دفع من  
أجلها شوطاً طويلاً من عمره ، وما زال يدفعه  
ثمناً لما يؤمن به . إذ إننا يمكن أن نجعل  
شخصيات أبطاله اسقاطات فنية على شخصيته  
هو ، أو على الشخصيات التي عرفها وعاش  
معها .

٢- قالب القصيدة المونولوج :

وقد يوجه الشاعر خطابه إلى نفسه في محاولة  
استنطاق مشاعره ، وبصفة خاصة في قصائده  
التي عبر فيها عن اغترابه عن وطنه ، وكان  
يعاني فيها من ألم الغربة عن الأهل والوطن .  
ولعل قصيدته ( الفأر ) من أهم تلك القصائد  
التي عبرت عن هذا الاتجاه . إذ حفلت القصيدة



والنور يغمُر مقلتيها  
 عد .. لنفسك أيها الأفاق . يا رجلاً يطوّفُ دونَ  
 بيت (٣٠) .  
 يظهر جلياً أن الشاعر كان منفِعاً  
 انفعالاً واضحاً ، إذ لم يجد إلا أفحش الأوصاف  
 وأساءها لينعت بها نفسه : ( كالفأر تبحث عن  
 وظيفة ) ، ما دام غريباً عن وطنه ، وهكذا  
 تكررت أفعال : ارجع ، اصنع ، دع ، أرسل .  
 ولعل أكثر ما يفسر انفعاله عنوان القصيدة ، فهو  
 ذو دلالة سلبية ؛ وموسوم أصلاً بالفأر .

يمكننا أن نزع أن المحرك الأساس في  
 هذه القصيدة - وغيرها - هو الجانب السياسي  
 . إذ لا يجد الشاعر بُدّاً من أن يصب جام  
 غضبه على الأوضاع السياسية المتهرئة من  
 خلال الفن الشعري المشبع بالسرد القصصي ،  
 فالشاعر قد يرسم شخصية بطله الواقعية بعيداً  
 عن ريشة الفن ، ولكننا لا نلبث أن نصطمم  
 بالمسبب الحقيقي للمعاناة التي يحاول أن  
 يجسدها . ومن هنا قد يبدو مبرراً إغفال النقاد  
 لكثير من جوانب السرد المتفشية في شعره على

حساب الجوانب السياسية الأكثر بروزاً . ولعل  
 قصيدة ( حسون الذي يعمل أشياء كثيرة ) ، من  
 أهم القصائد التي تؤكد هذا المنحى وتبرزه .  
 فهي ذات مغزى قصصي سردي يتجلى من  
 العنوان ، وقد ترافق الهم السياسي مع مضمون  
 القصة في قصيدة غنائية ، وتداخلت بعمق شديد  
 ؛ بحيث لا يمكن الفصل بينهما بحال من  
 الأحوال ، إذ تبدأ القصيدة بقوله :  
 حسناً . ! .  
 هذا فتى ثانياً إذا كنت تُلحُّهُ من قرينتنا أيضاً ،  
 له وجهٌ صغيرٌ ( ٣١ ) .  
 يرسم الشاعر لحسون - البطل - صورة  
 متكررة ، يعترف بها الشاعر ، بقوله ( إذا كنت  
 تلح ) ، وقوله : ( هو من قرينتنا أيضاً ) ،  
 وكأنها أصوات داخلية تنطق مفسرة ما يعتلج  
 بداخل شخصية الراوي . وعلى طريقة السرد  
 القصصي يرسم أبعاد الشخصية رسماً يوضح  
 معاناتها ، فيطالعنا الوجه الصغير والأهداب  
 الطويلة والأضلاع ، فضلاً عن صفتي الكرم  
 والروعة اللتين يتمتع بهما البطل . وكل ذلك

الأول ، بعد أن ترك لنا مقطع البياض ؛ مشاركة للقارئ في أن يملأ النص بما يمكن أن يرد في ذهنه من دلالة . وعندما عاد إلى صوته الأساس حاول أن يحدد بعض الأمكنة المحلية في مدينته البصرية ، مثل : باب الطويل ، وذكره لصوص التمر ، والمخفر ، والنخيل اللائذ بالصمت .. وكلها تفوح برائحة البيئة البصرية الجنوبية . وتنتهي القصيدة بدورة درامية تأتي على لسان البطل عندما قال للساد / القاص : ( آه لو يحترق المخفر ... آه ! .. ) . ولعله صوت داخلي ، ولا يغيب عن البال أن للمخفر دلالة سياسية متجذرة ، استطاع الشاعر أن يصل إلى مبتغاه - السياسي - من خلالها ، ومن هنا فقد وصف سعدي يوسف بأنه : (( كان غارقاً حتى أذنيه في العمل السياسي )) ( ٣٣ ) . ما دام الهم السياسي نصب عينيه في حله وترحاله . ونقصد بذلك قصائده التي نظمها في داخل بلده أو خارجه .

وفضلاً عن ذلك فمئذ السطر الأول أوقف الشاعر مجرى السرد وولج في الوصف ، بعملية

لتشكيل صورة واقعية أو قريبة من الواقع للبطل المتكرر في قصائد متنوعة للشاعر، وهو هنا يستغل ما أمكنه من تقنيات السرد - كما فعل في السابق - ومنها تداخل الأصوات ، عندما استحضر صوت أمه ، فضلاً عن تقنية البياض ( الفراغات ) ، التي تعج بها تجربة الشاعر على نحو خاص ؛ يكاد يتفوق فيها على كل الشعراء العراقيين والعرب المحدثين ، يقول : أماء ، تعالي ...

- من ؟ عيوني أنت ، يا وردَ الشمال !

أين آلف البرتقال ؟

.....

.....

إنه يعرف كلَّ الناسِ في (( بابِ الطويل )) ( ٣٢ ) .

يطالعا صوت الأم وهو صوت ثانوي في القصيدة غير الصوت السابق ، فضلاً عن استخدام الشارحة القصصية ، دلالة على هذه التقنية المهمة ؛ مما ينقل القصيدة إلى فضاء القص والسرد . ثم تعود القصيدة إلى الصوت

وهو يبرع في هذا الاتجاه بشكل لافت للنظر ،  
فمن خلاله استطاع أن يثير جواً من الإيحاء ،  
وهو ما زوّد القصيدة بطاقة متفردة على الإيحاء  
وأثار جواً من الغموض عليها ( ٣٤ ) ، وبما  
هو معروف عن معظم شعر سعدي إذا لم نقل  
كله .

٣ - قالب القصيدة الوصفية :

وقد يميل الشاعر إلى الإغراق في  
الوصف على حساب الحدث ، في محاولة لرسم  
المشهد الحزين في الغالب ، وهو ما أسمته نازك  
الملائكة بالهيكل المسطح عندما نظرت إلى  
أنساق البناء في القصيدة العربية الحديثة ( ٣٥  
( . ولعل قصيدة ( قصيدة وفاء إلى نقرة  
السلمان ) من القصائد التي مالت إلى هذا  
الاتجاه ، على أساس أن الشاعر أراد أن يشير  
إلى معاناته في تلك النقرة ( المعتقل ) ، مثل  
معاناة غيره من رفاقه . فهي تبدأ بقوله :

على شرفاتك التسعين

رأينا أنجم الصحراء تدنو ، وهي رملية

تنزل فوهاتٍ ، أو عقاربَ ، أو ... زهيراتٍ

استرجاعية ؛ استرجع الأحداث من خلالها .  
وظل ينقل صور البطولة للبطل من خلال تقنية  
الاسترجاع التي قامت عليها معظم سطور  
القصيدة ، وهو يوائم بين السرد والوصف بحيث  
لا يمكن الفصل بينهما إلا من خلال الصوت  
الآخر الذي وجدناه في صوتي الأم وصوت  
البطل الذي جاء على سبيل الاسترجاع .

ولفرط تأثر الشعراء العرب بمثل هذا  
النمط من القصائد ؛ يمكننا أن نشير إلى أن  
قصائد عدة قد اتخذت من هذا السميت نهجاً  
شائعاً في بنائها ، ولعل قصيدة ( كان الفتى  
مهرا ) لصلاح عبدالصبور من القصائد  
المهمة التي نهجت هذا النهج في بنائها . بيد  
أن ما يميز قصيدة حسون عن قصيدة مهرا ؛  
أن الحدث فيها لا يتشعب ولا يتفرع إلا بإشارات  
يمكن للقاري أن يستوعبها من خلال تقنيات  
القص المبنوثة في النقط ، وإيقاف مجرى  
الزمن والعودة للوراء باسترجاع بعض الإشارات  
فحسب . وتلك ميزة من ميزات شعر سعدي  
يوسف كله وليس في هذه القصيدة فحسب .

في ١٩٤٨ . كنت عامل ميكانيك سجيناً في  
نقرة السلطان .

في ١٩٥٨ . كنت في نقابة الميكانيك بالبصرة  
. مطلق السراح حديثاً من نقرة  
السلطان .

في ١٩٦٨ . مضت ثلاثة أعوام على موتك  
بالسل في نقرة السلطان ( ٣٧ ) .

دارت القصيدة ثلاث دورات ، ورسمت  
ثلاثة مشاهد سينمائية في أعوام مختلفة ولكنها  
تفضي جميعاً إلى غاية واحدة . ويبدو أن الفعل  
الماضي قد أدى دوراً مهماً في رسم المشهد  
والوصف : كنت ، مضى . تكرر الفعل الأول  
مرتين وورد الفعل الثاني مرة واحدة في قصيدة  
قصيرة جداً لم تتعد أربعة سطور . بيد أن  
الشاعر قد تمكن من أن يرصد المعاناة التي  
مرت بها شخصيته من خلال هذه الحركات  
الثلاث .

ويتكرر الأمر نفسه في قصيدة ( الجزائر ) ،  
التي يرسم فيها الجو العام من خلال هذه  
الحركات ، يقول فيها :

وفي قاعاتك العشر

عرفنا ضجعة الأسفلت والريح السديمية

وآلاف الرسائل : ( ٣٦ ) .

يتوقف الزمن في مشهد وصفي خالص ، إذ  
جرد الشاعر هذا المشهد من أدنى حركة وظل  
يصف لنا مكاناً بعينه ، وهو هنا المعتقل الذي  
يضمّر معاناة نفسية جسيمة ؛ أوحى بها  
ضجعة الأسمنت والريح السديمية والرسائل  
المرسلة من الأهل والخلان فضلاً عن أنجم  
الصحراء والرمال .. إلخ .

وقد تقوم القصيدة برمتها على الوصف  
، كما هي قصيدة ( مرثية إلى هادي طعين )  
التي تقوم على سطور معدودة ، يستغل فيها  
السنوات ، كما هي عادة الشاعر في استعماله  
الأرقام في كثير من قصائده ، مما يشكل علامة  
فارقة في قصائد كثيرة للشاعر يعتمد فيها الأرقام  
الرياضية على غير عادة الشعراء ، وهو تقنية  
قصصية أصلاً ، إذ نلّف كثيراً من القصص  
وهي تعج بأرقام رياضية . يقول في هذه  
القصيدة :

رصدناها بالقصيدة السابقة ، لكنها تتميز -  
هنا - بالعنوانات الفرعية .

إن الباحث في القصيدة لا يجد غير  
الوصف والحركات الثلاث التي أشرنا إليها آنفاً  
وحسب ، وقد تحددت القصيدة بهذا الإطار .  
مع أننا يمكن أن نخرج بالمواقف التي تميز  
تجربة سعدي يوسف في هذه القصيدة وفي  
غيرها ؛ فإذا هي مواقف سياسية من طرز رفيع  
. إذ يمكننا أن نربط بين التردد والحيرة اللتين  
تغلغان المشهد الدرامي ، عندما كانت الساعة  
واقفة عند الثالثة على حائط المقهى وبين الثانية  
عندما نظر هو إليها ، فإذا هو زمن نكوصي  
تراجعي . ولا يمكن أن تفسر دورة الزمن  
النكوصية بغير التفسير النفسي ، الذي يسمح  
بأن تختلط أوراق اللعبة ، لنخرج بالنتيجة بما هو  
خارج إطار الحدث القصصي ، ألا وهو  
السياسة التي رمز لها الشاعر بالشرطي الذي  
يلحق الأنفاس . ولعل هذا ما حدا ببعض  
الباحثين عندما وصف النص الستيني عموماً  
بقوله : " إن النص الستيني نص ملغوم ،

في المقهى / رائحة الصوف ، وشمس  
غارية / والساعة / ثابتة عند الثالثة ...  
القهوة باردة . / يدخل شرطي في المقهى  
يجلس في زاوية ، / ينظر نحو الساعة ، جدياً  
/ ويعدّل ساعته /  
يأتيه النادل بالقهوة ساخنة ، / يشربها / ويغادرُ  
/ . أنظر نحو الساعة في الحائط : / هل كانت  
في الثانية ؟ / المقهى يكتظ / ويمضي النادل  
نحو الباب /  
ويغلق باب المقهى . ( ٣٨ ) .

رسمت القصيدة الإطار العام للمشهد القصصي  
؛ فإذا هو مكان مؤطر بمقهى يعج برائحة  
الصوف ، وتأتي الحركة الثانية من الشرطي  
الذي يرشف قهوته ويغادر ، أما الحركة الثالثة  
فتتوجه الى ذات الشاعر فإذا هو أحد الشخص  
المشاركين بالحدث القصصي - ويبدو أن  
الشاعر مولع كثيراً بالحركات الثلاث ؛ إلى حد  
أن له قصيدة أسماها ( الأعداء - قصيدة في  
ثلاث حركات ) ؛ وهي تقوم على الحركات التي

الشعراء المحدثين ينهجون النهج ذاته . بل بإمكان الشاعر أن يرسم الإطار العام من خلال وصف المشهد الشعري وحسب ، ولا نخرج بغير النتيجة المتوقعة أصلاً ، وهي نتيجة سياسية في الغالب الأعم عند شاعرنا ، وفي القصائد القصيرة والقصيرة جداً ( الوامضة ) ، وكلها تحاول أن توظف الدراما في هذا النوع من القصائد ، بما يمكن تسميته بالنزعة الدرامية في القصيدة الحديثة .

لقد وجد سعدي يوسف ضالته في القصائد الوامضة ؛ التي يمكننا أن نشير إلى قصائد كثيرة منها ؛ وهي تتحو في هذا الإتجاه ومنها : قصيدة المنارة ، ذات الطول المعقول - لأننا نجد بعض القصائد لا تتعدى السطرين أو الثلاثة - وقصيدة برزخ ، التي يقول فيها :

على رائحة السمك / المتقطر من الشباك  
الصباحية / تجلس القطط والغربان والنوارس /  
وتجلس الكلبة الوحيدة . لكن الصياد ، وهو  
يخرج أسماكه / من عيون الشبكة / يجلس في

وشبكة من العلاقات بين التراث والمعاصرة ، يعنى عناية خاصة بالمضامين والعلاقات غير الظاهرة بين الأشياء ، ويسعى إلى اكتشافها وإظهارها على السطح " ( ٣٩ ) .

يبدو أن هذا النمط من البناء شائع في القصائد القصيرة شيوعاً كبيراً ، بما يطلق عليه قصيدة الوامضة أو القصيدة التوقعية ، وهو نمط يختلف عن نمط القصيدة العربية الذي كان شائعاً ومعروفاً " من حيث التعامل مع اللغة والصور والرموز ، كما تختلفان من حيث نوعية التجربة وصدقها وحيويتها " ( ٤٠ ) ، كما يشير إلى ذلك الدكتور عز الدين إسماعيل وهو بصدد التمييز بين القصيدة القصيرة والقصيدة الطويلة ، غير أنه يشير إلى " أن القصيدة القصيرة غنائية بطبيعتها " ( ٤١ ) وذلك ما لم نستطع تعقيده هنا . إذ ألفينا أن بإمكان الشاعر أن يجعل من القصيدة القصيرة قصيدة ذات بناء درامي بلا غنائية فاضحة ، كما وجدنا استغلال الشاعر سعدي يوسف لهذا النمط من البناء في القصائد السابقة ، مثلما رأينا أيضاً كثيراً من

ولا تختلف قصيدة ( غارة ) عن غيرها من  
القصائد القصيرة ، فهي تنهض على أربعة  
سطور فحسب ، يقول فيها :  
ترتجف الغرفة من فذائف بعيدة  
ترتجف الستائر  
ومرة يرتجف القلبُ ...  
لماذا أنت في الرجفة ؟ ( ٤٤ ) .

فقد وقفت دورة الزمن عند اللحظة الحاضرة ؛  
التي جعلت القلب يرتجف من أثر تعرضه لفعل  
الغارة ، وبقيت القصيدة عند حدود الوصف  
فحسب . ومع ذلك استطاع الشاعر أن ينقل لنا  
حالة نفسية تتردد عند تعرضنا لفعل مشابه ،  
لاسيما في بلد تعرض إلى ويلات كثيرة وحروب  
طاحنة ألمت به في تاريخه القديم والحديث .  
ويمكننا أن نشير إلى قصائد كثيرة جداً حفلت  
بها تجربة الشاعر في هذا الصدد ( ٤٥ ) ، بيد  
أننا نعف عنها على أمل أن نعود إليها في  
دراسة لاحقة تحتفل بهذا الجانب فحسب في  
شعر سعدي يوسف ، لأننا نجد إلحاحاً من  
الشاعر على الخوض في غمار القصيدة (

البرخ : / بين البحر والنسوة المنتظرات ( ٤٢ ) .

ينقل الشاعر صورة من واقعه اليومي الذي  
عاشه ورآه مرآى العين في بيئته الجنوبية  
البصرية - على الرغم من أنه كتب القصيدة في  
عدن عام ١٩٨١ مستذكراً ومسترجعاً لأحداث  
سابقة - تقوم القصيدة على وصف تلك  
المشاهد الحقيقية والواقعية . ومن خلال الوصف  
يتجسد لنا واقع الصياد بكل ما يكتنفه من  
صعوبات وآلام حياتية متشعبة ؛ من خلال  
ومضات شعت بها سطور القصيدة . ولكن ميزة  
شعر سعدي المهمة أنه يستطيع أن يرتفع بتلك "  
التفاصيل الجزئية ومفرداتها العينية إلى صعيد  
من التحقيق الشعري يجوّز اليومي إلى الشمولي  
والخاص إلى العام والشخصي إلى القيمة  
الروحية والتاريخية الكلية " ( ٤٣ ) . وهكذا  
يمكننا أن نسقط ما تعرض له الصياد في خيال  
الشاعر على كثيرين عانوا مثل معاناته .

والمهم في تشكيل قصيدته الغنائية ذات  
المشارب المتعددة . وقد ساعده في ذلك عنايته  
المبكرة بالأحداث والحكايات والشخصيات في  
سلسلة من القصائد التي جعلته يقف على أرض  
صلبة في مجال القصيدة الدرامية أو ذات  
المنحى الدرامي ، وقد ترافق ذلك الاهتمام بداية  
من عنوان القصيدة ومروراً بقوالبها المتحققة فيها  
سواء أكانت نامية أم منقلبة إلى الذات أم  
وصفية وبما هو كفيل في ترسيخ نهج الأداء  
القصصي في عموم شعره .

القصيرة ) أو القصيدة الومضة ، ونقل تأوهات  
نفسه من خلالها .

الخاتمة :

لقد كان الشاعر سعدي يوسف مهيئاً أكثر  
من غيره من الشعراء العراقيين وحتى العرب  
لتوظيف لوازم القصة في قصيدته الغنائية . إذ  
إنه وكما يبدو قد انحاز إلى فكرة إلغاء الأجناس  
الأدبية أو تحويل تلك الأجناس إلى جنس أدبي  
كبير يستغل حيزاً واحداً ، لا سيما أنه من  
المبدعين في أكثر من جنس أدبي واحد في  
عموم تجربته ، وهو ما كان له الأثر المباشر



الهوامش :

- \*- لم يعزف الشعراء العرب عن القصيدة الغنائية ( الوجدانية ) أو الذاتية إلا في مدة متأخرة . ومن هنا فقد تحدد الشعر العربي منذ نشأته إلى بداية الحدائث العربية بميزة الغنائية ، حتى وإن حمل معها جوانب سردية .
- ١- ينظر الأصول الدرامية: ٦٦ و ٧٧ يذكر فيهما شعر الفند الرماني والحطيئة (وطاوي ثلاث ) وعمر بن أبي ربيعة .
- ٢ - الشعر الحر في العراق منذ نشأته إلى عام ١٩٥٨ ، يوسف الصائغ : ٢٧٤ .
- ٣- دراسات في الشعر العربي - محمد إبراهيم أبو سنة : ٦٨ .
- ٤- الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة - محمد مبارك : ٢٧٣ .
- ٥- المرجع السابق : ٢٧٤ .
- ٦- دير الملاك : ٤٧-٤٨ .
- ٧- طائر الوجد - دراسة تطبيقية في بنية النص الشعري العربي الحديث - سعدي يوسف أنموذجاً - د . عبدالقادر جبر : ٢٢-٢٣ .
- ٨- المرجع السابق : ٢٣ .
- ٩- ينظر الموجة الصاخبة : ٢٥٥ .
- ١٠- ينظر بحث جدل الحدائث في الشعر - فاضل ثامر وهو بحث منشور في ضمن بحوث المرشد الشعري ١٩٨٥ بكتاب الشعر ومتغيرات المرحلة - حول الحدائث وحوار الأشكال الشعرية الجديدة : ٨٣ .
- ١١- الأصول الدرامية في الشعر العربي : د. جلال الخياط : ٥٧ .
- ١٢- ينظر في الطريق إلى الحدائث - دراسات في الشعر العراقي المعاصر - سامي مهدي : ٢١١ .
- ١٣- ينظر دير الملاك ، مصدر سابق : ٤٧ .

## القصة في شعر سعدي يوسف - البناء والرؤيا -

- ١٤- الشعرية - تزفيتان تودوروف : ٢١ .
- ١٥- ديوان سعدي يوسف - المجلد الأول : ٢٥ .
- ١٦- شعرية التجريب - مهند طارق نجم : ١٢ - ١٣ .
- ١٧- الشعر الحر في العراق ، يوسف الصائغ : ٢٧٤ .
- ١٨- قضايا الشعر المعاصر : ٢٤٧ .
- ١٩- الشعر الحر في العراق : ٢٧٤ .
- ٢٠- أشار الدكتور محسن إطميش إلى هذا النمط من البناء في غضون حديثه عن بناء القصيدة العراقية الحديثة : ٢٧ .
- ٢١- الوعي الشعري : ٢٧٥ .
- ٢٢- الشعر الحر في العراق : ٢٧٧ .
- ٢٣- ديوان سعدي يوسف : ١ / ٥٠٠ .
- ٢٤- الشعر الحر في العراق : ٢٧٩ ، وينظر الوعي الشعري : ٢٧٧ ، وفي الطريق إلى الحداثة : ٢٢٠ .
- ٢٥- ديوان سعدي يوسف : ١ / ٥٠٦ .
- ٢٦- الشعر العربي المعاصر ، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية - د . عز الدين إسماعيل : ٢٥٥ - ٢٦٠ .
- ٢٧- ديوان سعدي يوسف : ١ / ٥٠٧ .
- ٢٨- ينظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق - د . شجاع العاني : ٦٣ .
- ٢٩- ديوان سعدي يوسف : ١ / ٥٣٦ .
- ٣٠- نفسه : ١ / ٥٣٦ .
- ٣١- نفسه : ١ / ٥٣٩ .
- ٣٢- نفسه : ١ / ٥٣٩ .

## محور الدراسات العربية

- ٣٣- قامات النخيل - دراسة في شعر سعدي يوسف، د. شاكر النابلسي : ٣١ .
- ٣٤- ينظر الشعر الحر في العراق : ٢٨١ .
- ٣٥- قضايا الشعر المعاصر : ٢٤١ .
- ٣٦- ديوان سعدي يوسف : ١ / ٣٣٨ .
- ٣٧- نفسه : ١ / ٣٣٩ .
- ٣٨- نفسه : ٢ / ٩٣ - ٩٤ .
- ٣٩- شعرية التجريب : ٢٠ .
- ٤٠- الشعر العربي المعاصر : ٢٥١ .
- ٤١- نفسه : ٢٥٠ .
- ٤٢- ديوان سعدي يوسف : ٢ / ١٦٢ .
- ٤٣- الوعي الشعري : ٢٧٧ .
- ٤٤- ديوان سعدي يوسف : ٢ / ٢٨٦ .
- ٤٥- ينظر ديوانه : ٢ / ٨٢ ، ٩٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ،... إلخ .

مصادر البحث ومراجعته :

- ١- الأصول الدرامية في الشعر العربي ، د . جلال الخياط ، دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٢ .
- ٢- البناء الفني في الرواية العربية في العراق - د . شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٨ .
- ٣- دراسات في الشعر العربي - محمد إبراهيم أبو سنة ، دار المعارف - القاهرة ط ( ٢ ) ١٩٨٢ .
- ٤- دير الملاك - دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، د. محسن إطميش ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط ( ٢ ) ١٩٨٦ .
- ٥- ديوان سعدي يوسف ، دار العودة - بيروت ، ط ( ٣ ) ١٩٨٨ .
- ٦- الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨ ، يوسف الصائغ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ٢٠٠٦ .
- ٧- الشعر العربي المعاصر ، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية - د . عز الدين إسماعيل ، ط ( ٢ ) دار العودة بيروت ، ١٩٧٢ .
- ٨- الشعر ومتغيرات المرحلة حول الحداثة وحوار الأشكال الشعرية الجديدة ، د . عبدالسلام المسدي وآخرون ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .

- ٩- الشعرية - تزفيتان طودوروف ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار تويقال للنشر ،  
الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٧ .
- ١٠- شعرية التجريب ، الشعر العراقي الحديث ما بعد مرحلة الريادة القصيدة الستينية إنموذجاً - مهند  
طارق نجم ، كتاب الأقلام / ٤ ، مطابع دار الشؤون الثقافية ، بغداد ٢٠١١ .
- ١١- طائر الوجد ، دراسة تطبيقية في بنية النص الشعري العربي الحديث - سعدي يوسف أنموذجاً - د  
عبدالقادر جبر ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠١٠ .
- ١٢- في الطريق إلى الحداثة ، دراسات في الشعر العراقي المعاصر - سامي مهدي ، دار ميزوبوتاميا  
للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١٣ .
- ١٣- قامات النخيل - دراسة في شعر سعدي يوسف ، د. شاکر النابلسي ، دار المناهل للطباعة والنشر  
والتوزيع ، بيروت ١٩٩٢ .
- ١٤- قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة - نازك الملائكة ، منشورات دار الآداب ، مطبعة دار  
الكتب ، بيروت ١٩٦٢ .
- ١٥- الموجة الصاخبة شعر الستينات في العراق - سامي مهدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،  
١٩٩٤ .
- ١٦- الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة - محمد مبارك ، دار الشؤون الثقافية  
العامة ، بغداد ٢٠٠٤ .

اثر التراث في شعر احمد مطر

م. قاسم محمد سلمان

م. نضال حسن جاتول

المقدمة

التراث لغةً واصطلاحاً :

التراث لغة : ورث الشيء يرثه ورثاً ووراثته و إرثته<sup>(١)</sup> ، والإرث هو ما يخلفه الميت من مال فيورث عنه .  
التراث اصطلاحاً : عرفه الكثيرون بتعريفات أغنت المتلقين بالمفهوم، وسنوجز أهم هذه التعريفات، منها انه ((ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساس من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي يوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه ))<sup>(٢)</sup>، وهو ما خلفه لنا السلف من آثار علمية وفنية وأدبية، مما يُعدُّ نفيساً بالنسبة إلى تقاليد العصر الحاضر وروحه<sup>(٣)</sup> .

وهو (( الجانب الفكري في الحضارة الإسلامية ، القصيدة والشريعة واللغة والأدب والفن والكلام والفلسفة والتصوف ))<sup>(٤)</sup>، وهناك من رآه على انه هوية أمة ومتمى ما تخلت عنه تكون قد تخلت عن هويتها<sup>(٥)</sup> .

والتفاعل مع التراث قد يعني الأصالة التي قيل إنها العودة إلى الجوانب المشرقة في التراث للانطلاق نحو المستقبل، وهي مؤشر على إنَّ الحاضر لم يقطع صلته بالماضي<sup>(٦)</sup> . والتراث أحد أوجه الجمال الإبداعي في رصيد الإنسانية؛ لذا كان من المهم التعرف على قدرة الشاعر أحمد مطر في استلهام التراث وتمثله في الصياغة والتعبير، وتوظيف مرجعياته المعرفية في خدمة النص توظيفاً يؤكد أبعاد التجربة الإنسانية بما تمتلكه من عمق وقدرة خلاقية أثبتتها عصور التراث وبما يبعث في الشاعر

الاولى حملت اسم لافتات ، واللافتة هي مايرفعه المعارض للحكم او المطالب بحقه بوجه الحاكم . فقد تبني اغلب شعره على ثنائية الحاكم والمحكوم ، الحاكم الذي يضطهد الرعية ، والمحكوم الذي يتوق الى الحرية ، وقد استخدم اغراضا عدة لا يصال افكاره منها ،

استدعاء التراث كالقران الكريم والامثال والحكم والشخصيات التاريخية البارزة ، بل حتى انه استعان بالفلكلور الشعبي كالاغاني لخدمة اغراضه الشعرية .

وهذه الدراسة سلطت الضوء على اهم اغراض التراث التي استدعاها الشاعر وهي :

- ١- التراث الديني .
- ٢- اثر الحكمة .
- ٣- اثر الاغاني .

المبحث الاول

الاثراالديني

المعاصر مهارة تطويع المصادر التراثية لخدمة تجربته الشعرية للتعبير عن رؤاه للحضارة وفهمه لأسرار الحياة . كل ذلك في إطار الفهم الواعي والمتعمق لطبيعة التواصل مع التراث وأهميته التي تحيل النص الشعري إلى صورة عاكسة لتلاحم الأزمنة وتلاقي الأفكار في بوتقة الرؤية الواحدة التي تسفر عنها التجربة .

ولا بد أن يكون القصد من توظيف التراث في الشعر هو توليد دلالات جديدة في التجربة الشعرية وإعادة خلق وإبداع، وإلا فالتوظيف قد يتحول إلى تشويه لهذا التراث .

جاءت الدراسة لتتعرف على أثر التراث في شعر أحمد مطر وتبين بعد فحص المجموعة الكاملة للشاعر انه يكثر من توظيف النصوص القرآنية والنصوص الشعرية والأغاني التراثية والأمثال والحكم، استبعد الباحث القسم الأول

يعد الشاعر احمد مطر من اكثر الشعراء العرب الذين تكلموا بلسان حال الشارع العربي بما يعاينيه من ظلم واضطهاد، حتى ان دواوينه السبع

وشعر (احمدمطر ) يزخر بالكثير من هذه الشواهد منها قصيدة (رؤياابراهيم)<sup>(٨)</sup>

يامولانا ابراهيم

اغمد سكينتك للمقبض

واقبض اجرک من اصحاب الفيل .

لاتاخذک الرفة فيه

بدين البيت الابيض

نفض رؤياکولاتجنح للتأويل

لن ينزل كبش... لاتأمل بالتبديل

يامولانا ان لمتذبحه نذبک

فهذا زمن اخر

يفدى فيه الكبش باسما عيل

في هذا النص يستفيد الشاعر من قصة (ابراهيم واسماعيل ) عليهما السلام التي وردت في القران الكريم " فلما بلغ معه السعي قال يابني اني ارى في المنام اني اذبحک فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني إنشاء الله من الصابرين \* فلما اسلما وتله للجبين \* وندينه أن ياابراهيم \* قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين \* ان هذا لهو البلؤ المبين وفدينه بذبح عظيم<sup>(٨)</sup> .

يعد التراث بشكل عام والديني بشكل خاص مصدرثراء فكري للمبدع بما يشكله مندعم لفكرته وللمتلقي بما يتركه من اثر عليه ، اذ قد لايجتاج المتلقي الى مستوى عال من الثقافة الادبية لتلقف ما ارادالشاعر ايصاله ولاسيما مايتعلق بالتراث الديني ، ولان ابناء الثقافة الواحدة يشتركونالى حد بعيدفي معرفة مشتركات التراث ،سماعا وقراءة .

لذا فقد عمد الكثير من الشعراء الى تضمين قصائدهم نصوصا قرانية او احاديث نبوية بل حتى شخصيات دينية معروفة . ولتقريب المعنى الى ذهن المتلقي وقد تتخذ الاصاله اشكالا عدة منها :

- ١- تضمين النص باكملة وجعله جزءا من بنية القصيدة .
- ٢- اجزاء معينة .
- ٢- اطلاق بعض الاشارات التي يفهم منها انها ترتبط او تتعلق دلاليا مع القصيدة.



ولكنه يبني نصه الشعري على المفارقة ،  
فابراهيم في القصيدة ليس ابراهيم النبي ،  
هو الحاكم العربي الذي يأتذر بأمر امريكا ،  
والسكين في غمدها لم ترفع للذبح ، واسماعيل  
الذي هو الشعب ، هومن يفدي الكبش .  
إنها لعبة المفارقة لجذب انتباه المتلقي ، وتجعله  
يكرر قراءته للتلذذ ، فهي تشتغل على تعميق  
الدلالة من خلال التلاعب بالزمن والشخصيات  
و... بلغة سهلة مفهومة .  
وفي نص اخر من قصيدة بعنوان ( الغريب )  
يقول<sup>(٩)</sup> :  
كل مافي بلدتي  
يملاً قلبي بالكمد .  
بلدتي غربة روح وجسد  
.....  
.....  
\*\*\*\*\*  
شئت ان اغتال موتي  
فتسلحت بصوتي  
ايها الشعر لقد طال الأمد  
.....

القه افعى  
الى افئدة الحكام تسعى  
وافلق البحر  
وأطبقه على نحر الاساطيل  
وأعناق المساطيل  
وطهر من بقاياهم قذرات الزبده  
إن فرعون طغى ،ياايها الشعر ،  
فأيقظ من رقد  
يلاحظ مدى التعالق بين هذا النص وبين قصة  
موسى عليه السلام في القران الكريم ، فالأفعى  
التي تلقف السحرة ، وفلق البحر ، وطغيان  
فرعون الحاكم العربي ) ، كلها اشارات واضحة  
وإحالات الى النص القراني .  
وإذا كان الاعجاز الذي حققه موسى عليه السلام  
هو في الافعى وشق البحر في العصى ،  
فالمعزة التي ينتظرها الشاعر هنا هي معزة  
الشعر الذي يظن انه قادر على فعل الافعى  
والعصا من خلال تحفيز الجماهير على الثورة  
على الطغاة ،فالجماهير الذين تبين انه ناظم  
عليهم بسبب سكوتهم وخضوعهم ، يرى انهم هم  
وحدثهم من يستطيعون تغيير واقعهم اذا ماهبوا ،

في هذا المقطع من قصيدة ( كيف تتعلم النضال  
....) يستفيد الشاعر من الحديث النبوي ( ما  
اسكر كثيره فقليله حرام ) (١١) ، في اشارة منه  
الى قضية مهمة جدا ، وهي دور وسائل الاعلام  
في تشويه الحقائق وغسل الادمغة ، وهو اسلوب  
تعودت عليه الانظمة العربية لتثبيت اركان  
حكمها .

لقد انزل الشاعر في هذا النص الاستماع الى  
اعلام النظام منزلة الخمر ، فالاستماع لكلمة منه  
يحقق الحرمة مثلما ان قليل الخمر محرم ككثيره  
لما يدركه ان ما للكلمة من قدرة على تغيير  
مفاهيم وعقول ، فالتغيير من وجهة نظره يبتدأ  
بتحريرالعقل من سلطة الاعلام الذي يغذيه بما  
يريد الحاكم ان يسمعه اياه ، ومن ثم مقاومة كل  
ما هوسى ..

ثم التقط بملقط

ما قيل او يقال

وارم به في سلة الزبال

هذا هو النضال !

يقول في مقطع من قصيدة بعنوان (  
القضية)(١٢):

ويتضح هذا من خلال تلازم طغيان فرعون  
بايقاظ الراقدين .

إن فرعون طغى ،ياايها الشعر  
فأيقظ من رقد

فسبب الطغيان يحيله الشاعر هنا الى سكوت  
الجماهير ، واذا ماتحركت ستزول عروش  
الطغاة.

ومن قصيدة اخرى بعنوان ( كيف تتعلم  
النضال)(١٠) يقول :

تريد أن تمارس النضال؟  
تعال .

كل كثير مسكر ..قليله حرام .

فأعلن الصيام عن اذاعة النظام  
وأعلن الصيام عن صحافة النظام  
وأعلن التوبة الف مرة

عن خطب الحكام

واستغفر الله على عمر مضى

صدقته فيه مرة .. وسائل الاعلام

ثم التقط بملقط

ما قيل او يقال ورم به في سلة الزبال .

هذا هو النضال !

مغايرة ، فأصل الحديث التنبيه عن الوقوع في  
المحذور ، بينما النص الشعري يبين ان المحذور  
قد وقع .

المبحث الثاني

(اثر الحكمة )

ان بعض الشعراء يلجأ الى تضمين قصائده  
بعض ابيات الحكمة اتي قد تكون مسموعة  
ومتداولة بين الناس . وقد يعمد احيانا الى  
تضمين قصائده بيتا او اكثر او مثلا او قد يلجأ الى  
اجتزاء بعضه او قلب معناه ، بما يتناسب ووضع  
القصيدة والغرض التي كتبت من اجله .

لقد اخذت هذه الظاهرة بالانتشار في الاوساط  
الادبية ولاسيما الشعرية ، وقد افاد منها الشعراء  
كثيرا ومنهم شاعرنا ( احمد مطر ) الذي وظف  
في الكثير من شعره ابياتا شعرية ومقولات  
لمشاهير وامثالا وحكما من الموروث الادبي  
يقول في قصيدة ( ليس بعد الموت موت ) (١٤) :

بلغ السيل الذبي

ها نحن والموت سواء

فاحذروا يا خلفاء

لا يخاف الميت الموت

زعموا ان لنا  
أرضاً وعرضاً ، وحميه  
وسيوفا لاتباريها المنية  
زعموا .....  
فالارض زالت

وولاة الامر لا امر لهم  
خارج نص المسرحية  
كلهم راع ومسؤول  
عن التفريط في حق الرعية  
وعن الارهاب والكبت  
وتقطيع ايادي الناس  
من اجل القضية !

في هذ النص الشعري احالة للحديث النبوي  
(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الامير راع  
وهو مسؤول ، والرجل راع على اهله وهو  
مسؤول ، والمرأة راعية بيت زوجها وهي مسؤولة  
، الا فكلكم راع وكلكم مسؤول ) (١٣) فقد استفاد  
منه لا يصال فكرته ببراعة ، اذ اجتزأ الحديث  
واكتفى بقوله: ( كلهم راع ومسؤول ) ليجهتد بعد  
هذا الحذف والاجتزاء واطافة جملة شعرية  
احدثت المفارقة وغيرت دلالة الحديث الى دلالة

النملة قالت للفيل : قم دلكني

ومقابل ذلك ضحكني !،

وإذا لم اضحك عوضني

بالتقبيل وبالتمويل

وإذا لم اقنع .. قدم لي

كل صباح الف قتيل

ضحك الفيل ،

تسخر مني يا برميل

ما المضحك فيما قد قيل ؟

غيري اصغر ...،

لكن طلبت اكثر مني

غيرك اكبر ..،

لكن لبي وهو ذليل

اي دليل ؟؟

اكبر منك بلاد العرب

واصغر مني اسرائيل !!!..

يطرح الشاعر في هذه القصيدة قضية الصراع

الاسرائيلي بشكل موجز ومركز ، وباسلوب

قصصي ساخر ، لقد اختار بذكاء وحكمة اسلوب

السهل الممتع ( النملة والفيل ) مادة لموضوعه

.

ولا يخشى البلايا

قد زرعت جمرات الموت فينا

فاحصدوا نار الغناء

وعلينا... وعليك

فاذا ما اصبح العيش

قرينا للمنايا

فسيغدوا الشعب لغما

...وستغدون شظايا

يفتح هذه القصيدة بمثل عربي معروف (بلغ

السيل الذبي ) للدلالة على ان الامور وصلت

الى حد لايمكن السكوت عليه .

ثم يعزز دلالة السطر الشعري الاول بقوله بعده

مباشرة : (ها نحن والموتى سواء ) ثم

يستطرد بحكمة الى اخر القصيدة ان اغلب

ما طرحه من حكم في قصيدته هذه يتناوله العامة

عادة ككلام منثور ، وقد لا ينتهون له على انه

من الحكمة بشئ ولكنه عندما يصاغ باسلوب

شعري مركز وابقاع جميل كما فعل ( احمد مطر

) سيصبح من شعر الحكمة يتداوله الناس وينسى

المنثور .

ويقول في قصيدته ( النملة والفيل ) (١٥) :

ويدقق  
فإذا احبك من (ظهرك) او ثبت الخيزرانه  
لا تظن الامر ذلا  
او عذابا او مهانه  
يا صديقي  
إن إثبات العصا في (الظهر)  
إجراء ضروري لإثبات الإدانه!  
قصيدة الوصايا تتكون من (١٠) مقاطع ، تتميز  
مقاطعها كلها بشعر الحكمة الذي يحمل خاصية  
التهمك ، وهو أسلوب (احمد مطر) المعروف .  
يلاحظان هذا المقطع بني على اساس المفارقة ،  
وقلب المعنى . وفي المقطع نفسه مجموعة من  
الوصايا للسجين وهو (الشعب) تحمل طابع  
التهمك وهذا النوع من الطرح ابلغ من تناول  
الموضوع بشكل مباشر او جاد ، فهو اكثر تاثير  
في النفوس ، فعندما لا يكون ذل في التحقيق او  
عذاب او اهانه ، وعندما يكون الشتم نوعا من  
انواع الممازحة وعندما يربط في المروحة لكي  
يصيح في اعلى مكان و.... هذا كله يكون اكثر  
التصاقافي الذهن من المعنى المباشر وهو غاية  
الشعر .

لقد اراد ان يوضح ان الحجم وان كبر ليس  
مقياسا للقوة والعزة ، وهذا ما يحصل بالضبط في  
صراع العرب مع اسرائيل ، فمن ينظر الى  
اسرائيل سيجدها لاتمثل شيئا امام العرب مساحة  
وعددا ولكنها تتحكم بمصيرهم بل بمصير العالم  
كله .

ومن مقطع له من قصيدة (الوصايا) (١٦) ،  
وهو المقطع التاسع يقول :

اغلق السمع  
ولاتصنع لأبواق الخيانة  
ليس في التحقيق ذل  
او عذاب او اهانه  
انت في التحقيق موفور الحضانه  
ربما يشتمك الشرطي  
من باب " الميانه "

هل تسمي ذلك اللطف إهانه؟!...!  
ربما تربط في مروحة السقف  
لكي تصيح في أعلى مكانه .  
هل تسمي ذلك العز إهانه?!  
ربما مصلحة التحقيق تضطر المحقق  
ان يحبس النبض من كل الزوايا

أثر الأغاني :

ولعل تماس الأغنية المباشر بهوم الشعب

وهواجسه وتجسيدها لاختلاجات النفوس هو الذي يدفع الشعراء إلى الإفادة من معطياتها وأجوائها ومعانيها وتوظيفها في نصوصهم الشعرية، فوجود الأغنية الشعبية في الشعر يكشف عن ((نزعة الشاعر الحديث إلى البساطة والعفوية، والى منح القصيدة صلة تربطها بالذاكرة أو بالماضي البعيد أو القريب))<sup>(٢٢)</sup>

وكما دأب أحمد مطر على اختيار

النصوص الشائعة والمتداولة ويكثر دورانها على ألسنة الناس وتشيع فيما بينهم، فعل مثل ذلك في توظيفه للأغاني ، إذ ضمن في بعض نصوصه الشعرية مقاطع غنائية من الفلكلور الشعبي المعروف والشائع بين الناس، وجاءت هذه المقاطع على نحو مفاجئ في سياقات لم يكن يتوقع ورودها فيها، وبمجرد ذكر هذه المقاطع يستحضر المتلقي ما يرتبط بها من معان ومواقف لا يمكن نقلها باستعمال اللغة الفصيحة، إذ لو وردت بها لضاع الكثير من مضمونها والمعاني التعبيرية المقترنة بها والشحنة العاطفية

اتجه الشاعر المعاصر إلى الأغاني وأثرها في شعره لعلمه مسبقاً بإقبال الكثير من الناس على مثل هذه الأغاني وحفظهم لها، وتدبر معانيها<sup>(١٧)</sup> ، فهي تعد من أكثر المكتسبات تعبيراً عن النفس البشرية، ففي كلماتها ومعانيها صفاء للنفس وعمق للمغزى، وإحساس عال وسمو القيمة، فضلاً عن أنها تؤلف أحد عناصر ثقافتنا، ومن ثم أحد عناصر تكوين فكرنا<sup>(١٨)</sup> .

هناك من يعرف الأغنية على أنها (( ٠٠٠ المرددة التي تستوعبها ذاكرة حافظة جماعة، تتناقل أداؤها شفاهاً، وتصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي))<sup>(١٩)</sup> ، أو هي التي يرددها الشعب ويستوعبها وتصدر عن وجدانه وتعبر عن آماله<sup>(٢٠)</sup> .

والأغنية عموماً تتسم بالبساطة في التأليف واللحن والتلقائية والوضوح في المعنى، إذ ((كلما كانت الأغنية بسيطة وسهلة الأداء، أقبل الشعب على ترديدها والحفاظ عليها))<sup>(٢١)</sup> .

أصنافهم إذ يستهويهم هذا النوع من الفن، ويرتبط بأذهانهم بمعان معينة، إذ كان لها دور مؤثر في إيصال الفكرة ونقل الموقف وتجسيده إلى المتلقي لكونها مقاطع شائعة ومفهومة ومتداولة بين الناس، وهو أمر يجعل الرسالة التي حرص الشاعر على إيصالها مضمونة الوصول إلى المتلقي، ليفاجئنا بعد ذلك بالمقطع الغنائي العراقي الذي وضعه بين قوسين (أريد الله يبين حوبتي بيكم ٠٠ أريد الله على الفرقة يجازيكم)، إذ لا يلبث سامعه أن يستحضر معاني الذل والانكسار وقلة الحيلة والمعاني الأخرى التي ترتبط بهذا المقطع والتي لا يمكن لطريقة أخرى استحضارها على هذا النحو فيما لو لجأ الشاعر إلى حيلة بديلة.

ففي سياق الحديث عن ألم الفراق وعن الذي تسبب به، جاء النص الشعري مفعماً بالسخرية والتهكم، يخاطب الحاكم باستعمال ألفاظ تدل على الاحترام وسمو المكانة بطريقة هازئة مثل (حضرتكم، جلالتم، سيادتكم، معاليكم).

التي تعكسها، وهو ما حرص الشاعر على حمل المتلقي للإحساس به، فقد فعل ذلك في قصيدة (العواصف)، فقال<sup>(٢٣)</sup> :

على أبواب حضرتكم

جلالتكم

سيادتكم

معاليكم

سأطرح رأسي الداوي

وأطلق صوتي الداوي :

(أريد الله يبين حوبتي بيكم

أريد الله على الفرقة يجازيكم)

ترتبط هذه المقاطع غالباً بمواقف طريفة أو تحمل مضموماً طريفاً، ويولد ترددها وسماعها إحساساً عاطفياً مألوفاً ومعروفاً لدى المتلقين، لا يلبث أن يستشعره السامع بمجرد أن تطرق مسامعه هذه المقاطع.

ومن جهة أخرى، يحافظ إيراد هذه المقاطع على قاعدة تواصل عالية مع المتلقين على اختلاف

بالذاكرة الجمعية الشعبية، إذ لو قام النص الشعري بتحويلها لفقدت دلالاتها الإيحائية وطاقاتها التعبيرية ونكهتها الخاصة، ومدى التأثير الذي تحدثه في المتلقي.

وفي مقطع قصيدة أخرى يقول الشاعر<sup>(٢٤)</sup>

تنتهي الحرب لدينا دائماً

إذ تبتي

بفقايع من الأوهام ترغو

فوق حلق المنشد

(تم ترم ٠٠ الله أكبر فوق كيد المعتدي)

فإذا الميدان أسفر

لم أجد زاوية سالمة في جسدي

ووجدت القادة (الأشراف) باعوا

قطعة ثانية من بلدي

يتناول النص الشعري قضية أخرى وهي دور الإعلام في تزييف الحقائق وقلبها، فبعد أن كان

وواضح من سياق النص الشعري إن الشاعر أراد من استعمال هذه الألفاظ، الإتيان بما يناقض معانيها، ثم يستعمل الألفاظ المتناقضة صراحة مثل (أطرح، أطلق، الداوي، الداوي) ليبين أن جسده يمكن للجلاد الوصول إليه، أما صوته فيبقى مدوياً لا يمكن للجلاد أن يكلمه، فيطلق صيحة مدوية هي عبارة عن مقطع من أغنية عراقية قديمة (أريد الله يبين حويتي بيكم ٠٠ أريد الله على الفرقة يجازيكم)، وهي أغنية معروفة لدى الناس في العراق خاصة والوطن العربي عموماً، كلماتها بسيطة وتعبّر بصدق عن حال من يعاني ألم الفراق.

تضيف الأغنية إلى المقطع الشعري إضافة جديدة تتمثل بمواءمة القافية الفصيحة مع القافية العامية، فضلاً عن دلالة جديدة تحمل عمق المغزى، ونلاحظ أن المقطع الشعري ضمن المقطع الغنائي بلفظه العامي كما ورد في أصل الأغنية، فلم يفصحها وبضمنها بصورة حديثة، كأن يغير فيها أو يعكس مضمونها، وهو أمر يمكن أن يكون راجعاً إلى ارتباطها الوثيق



بعكسه للدلالة وقلب الفكرة تماماً، وبذلك تمكن  
بوساطة توظيف الأغنية من تحريك مشاعر  
المتلقي من خلال عقد مقارنة بين الماضي  
والحاضر، ومن ثم كانت المفارقة كبيرة.

لقد استعمل النص الشعري كلمات قليلة  
اختزلت له كلمات كثيرة، فأغنته عن الشرح  
المطول لإدعائهم بالرجولة واستعراض مواطن  
القوة والمواقف الرجولية، وعرفها المتلقي الذي  
عاصر الحرب وكان من جملة الأدوات التي  
استعملت في التعبئة العسكرية هذه الأغنية التي  
تبدأ بهذا المقطع المشهور الذي ما أن يذكر حتى  
تحضر الصورة المرتبطة بهذا الموقف إلى ذهن  
المتلقي من غير أن يحتاج النص الشعري إلى  
سرد كثير لا يمكن أن يغني، مع إطالته، عما  
يؤديه ذكر هذا المقطع، على قصره، من طاقة  
عالية في إيصال معان كثيرة عن طريق ألفاظ  
الأغنية.

وفي قصيدة أخرى يقول أحمد مطر<sup>(٢٥)</sup> :

من ترى قال بأن الشعر ممنوع

الإعلام أداة مهمة في رفع معنويات الجيش  
وحثهم على قتال العدو، صار عنواناً للهزيمة  
وعلامه للانكسار إذا ما بدأت الحرب.

يرى النص أن الحرب لدينا تعرف نتائجها  
بمجرد أن تبدأ وسائل الدعاية الرسمية في بث  
الأغاني التي من شأنها أن ترفع المعنويات، ومن  
تلك الأغاني الأغنية المصرية التي تبدأ بـ (الله  
أكبر فوق كيد المعتدي) فقد ضمنها نصه  
الشعري للدلالة على أن مثل هكذا أغان يفترض  
أن تنمي روح القتال ، لكنها جاءت في سياق  
السخرية من الواقع المؤلم وللدلالة على أنها  
فقدت دلالتها الحقيقية وتحولت إلى رمز للخسارة  
والانكسار والهزيمة، فوصف هذه الأغاني بأنها  
(فقايع من الأوهام) أي كذبة واضحة، كرهية  
(ترغو) لأنها صارت علامة من علامات الانهزام  
عند المواطن.

ونجد أن مقطع الأغنية المضمن في النص  
الشعري يتضمن صوت قرع طبول الحرب (تم  
ترم) الذي يحيلنا إلى أن الشاعر أراد أن نعيش  
جو الأغنية مع لحنها ودلالاتها الحقيقية ثم نفاجاً

وإن الشاعر الحر يعاني ؟

حاش لله

فما زلت أغني

والحكومات إلى صوتي تصغي

والحكومات تراني

وأنا ما زلت أحيأ رغم هذا

في أمان

هاكم الآن مثلاً :

(يا حبيبي عدلي تاني

انت عمري اللي ابتدى بنورك صباحه

انت عمري

خدري ..خدري الشاي خدري

مر ظبي وسباني)

أرأيتم ؟

ها أنا عبرت عن رأيي

وغنيت

... ولم يقطع لساني !

وفي سياق متصل بالموضوع ضمن النص

الشعري أغنية مصرية (يا حبيبي عدلي تاني)،

(انت عمري اللي ابتدى بنورك صباحه)، وأغنية

عراقية (خدري الشاي خدري)، وأغنية خليجية

(مر ظبي وسباني) .

ويبدو من توظيفه في قصيدة واحدة لأغان عدة

وبلهجات مختلفة، انه أراد تقريب المتلقي من

النص بتزويده ببعض الآليات التي تمكنه من

الولوج إلى أعماق القصيدة، وانه اختار هذه

الأغاني بعناية وحرص شديد لكونها كانت في

وقت من الأوقات قد دخلت أغلب البيوت، فنجد

أن هذه الأغاني قد تغلغت في مفاصل النص

وعملت على دمج الصور الشعرية مع الصور

الشعبية، فتولدت دلالات جديدة في التجربة

الشعرية، جاءت بمضامين جديدة قوية التأثير،

تحمل طابع السخرية اللاذعة من الواقع .

ويتصدى النص الشعري هنا لقضية مهمة هي

قضية تكميم الأفواه ومصادرة الحريات، وملء

السجون بالمعارضين، فصور لنا بطريقته

لقد جاء توظيف الأغنية التراثية كمرتكز من مرتكزات الشاعر التي اعتمدها وسائط لتنشيط الأفكار والأحاسيس تجاه الواقع وما يكتنفه من مشاكل وأزمات، ليعبر بجرأة وقصد عن تصوراته للواقع المحيط به وموقفه منه، فغالباً ما يكون غرضه سياسياً يعري واقعاً اجتماعياً مزرياً، أو تحريضياً يروم من خلاله تحريض المتلقين والسير بهم نحو مرافئ الحرية.

وفي نهاية هذا البحث استطاع الباحث أن يتوصل إلى بعض النتائج التي يرى أنها جديرة بالاهتمام، إذ تضمن ما يأتي :

فيما يخص أثر النصوص الشعرية عند الشاعر، نجد أنه قد عمد إلى مخزونه الشعري الكبير لتدعيم أفكاره الجديدة، فنراه يغير في كلمات النص القديم ويبدلها بكلمات أخرى، ليحصل على معنى يخالف تماماً المعنى القديم، فهو يجعل المتلقي يستدعي النص القديم ومن ثم يفاجئه بعكس الفكرة والمعنى تماماً، وهو أمر له تأثير كبير في المتلقي من حيث الإمتاع والإقناع

التهكمية المعروفة أن هذه القضية هي مجرد (إشاعة مغرضة)، وان الحكومات لا تمنع الشعراء من طرح آرائهم بقصائد شعرية وهي إشارة إلى عمليات النفي التي يتعرض لها الشعراء، وهو من بينهم، فالنص الشعري يتحدث عن قضية، ودلالته تتحدث عن قضية أخرى لا تمت للأولى بصلة، فقلب الفكرة وجاء بالمعنى معكوساً ليثير السخرية في نفس المتلقي ويجعله يتأمل النص ويسبر أغواره، وهو فيما يبدو بيت القصيد عند الشاعر .

إن هذا المقطع الغنائي يحمل صفاء النفس وعمق المغزى وبساطة التعبير الموحى، إذ تتحد الكلمة والنغم، والشعر والموسيقى، والإيقاع واللحن، فيعبر عن انفعالات المبدع بمواقف وأحداث معينة، ويكشف عن مشاعره المكبوتة، لذا توصف عملية تضمين الأغنية الشعبية في الشعر بكونها ((عملية تعويض تتم لا شعورياً لتعيد للنفس توازنها ولا تدع مجالاً للاضطراب))<sup>(٢٦)</sup> .

ويسجلّ البحث أنّ الشاعر عمد إلى تغيير بعض الكلمات في النصوص الشعرية القديمة، إذ لم يأتِ بالنصوص كما وردت في النص الأصلي، وحدث ذلك في استدعائه للأمثال أيضاً، على حين عند استدعائه للنصوص الغنائية، فإنه أتى بها كما هي دون تغيير، ولعلّ ذلك يعود إلى إنّ الأغنية هي فلكلور شعبي يختص بلهجة شعب من الشعوب أو بلد من البلدان يحتاج الشاعر أن يحافظ عليه؛ لئفهم من قبل المتلقي، وأية تغييرات يجريها الشاعر في استدعائه لهذا الفلكلور قد لا تخدم الفكرة، نظراً لتعدد اللهجات واختلافها من بلد لآخر ومن إقليم لآخر، وهو أمر قد يخلق التباساً في عملية التوصيل. أما الشعر فهو لغة التخاطب لكل ناطق بالعربية وهو يمتد على رقعة واسعة من المحيط إلى الخليج وقد يتعداها إلى أقاليم أخرى، فالتلاعب به وتحريفه يكون واضحاً ومؤثراً ويشكل صدمة واضحة للمتلقي أكثر من غيره.

الخاتمة

وإثارة الدهشة، ممّا يستدعي منه إعادة إنتاج النص بطريقة جديدة.

وفيما يخص أثر الأمثال في شعره، فإننا نجده يوظفها لغرض زيادة الطاقة الإيصالية وتعميق الفكرة كاملة في ذهن المتلقي، فالأمثال التي يوظفها الشاعر هي من الأمثال الشائعة على ألسنة الناس أفاد منها في توصيل أفكاره المتعددة بهذه الألفاظ الموجزة، ليحافظ على مبدأ التواصل العالي بينه وبين المتلقي، فضلاً عن ذلك ظهر أنّ العلاقة التي يقيمها النص الشعري مع المثل المستشهد به هي علاقة خلافية في أغلب الأحيان.

وكما دأب أحمد مطر على اختيار النصوص الشائعة والمتداولة ويكثر دورانها على ألسنة العامة وتشيع فيما بينهم، فعل مثل ذلك في توظيفه للأغاني، إذ ضمّن في بعض نصوصه الشعرية مقاطع غنائية من الفلكلور الشعبي المعروف والشائع بين الناس، وجاءت هذه المقاطع على نحو مفاجئ لم يكن المتلقي يتوقع ورودها فيها.

نخلص مما سبق ان الشاعر (احمد مطر ) كان بارعا في استدعاء التراث لدعم افكاره القائمة على ثنائية الحاكم والمحكوم ، الحاكم هو الانظمة العربية (الدكتاتورية) ، والمحكوم هو الشعوب المقهورة ، فقد تبين انه استفاد من القران الكريم عن طريق تضمين بعض الايات في النص الشعري سواء أكانت بالنص او بأجتزاء بعضها ا وان يبعث بعض الاشارات في النص تحيل الى النص القراني والامر نفسه تعامل به مع الحديث الشريف .

اما افادته من الحكمة وتوظيفها في قصائده فهي كثيرة ، وقد اورد البحث بعضا منها للتبيان ، فقد وظف بعض الحكم التي تتداول بشكل يومي بين العامة على شكل كلاممنثور ووظفها في قالب شعري قائم على المفارقة .

وقد تبين ان الشاعر يوظف ( الفلكلور ) ولاسيما الغنائي منه في مجموعة من قصائده ، لعلمه بتأثير الاغنية على المجتمع وكثرة من يحفظها خاصة اذا ما كانت متداولة .

- ١- ينظر لسان العرب : لبن منظور - مادة ورث -
- ٢- المعجم الادبي : عبد النور جبور -٧٤
- ٣- ينظر : معجم مصطلحات الادب - مجدي وهبة - ١٠٥
- ٤- التراث والتجديد - حسن حنفي - ٢٤
- ٥- ينظر : التراث والمجتمع الجديد - ناصر الدين الاسد -١١
- ٦- ينظر : بنية القصيدة العربية المعاصرة - د خليل موسى - ١٥ وما بعدها
- ٧- المجموعة الكاملة : ٢٣
- ٨- القرآن الكريم - سورة الصافات ، الايات ١٠٢ - ١٠٧
- ٩- المجموعة الكاملة : ٤٨٧ - ٤٨٩
- ١٠- المجموعة الكاملة : ١٩٧
- ١١- السنن للحافظ ( ابو داوود ) سليمان ابن الاشعث السيجستاني : ٣٢٦
- ١٢- المجموعة الكاملة : ٩٨
- ١٣- البخاري ، محمد بن اسماعيل : ٣١٧
- ١٤- المجموعة الكاملة : ١٢٥ - ١٢٧
- ١٥- المجموعة الكاملة : ١١٥
- ١٦- المجموعة الكاملة : ١٤٢ - ١٤٦
- ١٧- ينظر : لغة الشعر العراقي المعاصر : ٩٨

- ١٨- ينظر : التراث والادب المعاصر : ٤ ، مجلة الاديب
- ١٩- الاغنية الشعبية - احمد موسى - - ٢٣- سلسلة المكتبة الثقافية (٢٠٠) الهيئة المصرية ١٩٧٠ .
- ٢٠- في علم التراث الشعبي : ١٧
- ٢١- الاغنية الشعبية بين القديم والحديث : ٤٤ - مجلة التراث الشعبي .
- ٢٢- التراث الشعبي في الشعر العراقي الحديث : ٣١ - ٣٢
- ٢٣- المجموعة الكاملة : ٨٢
- ٢٤- المجموعة الكاملة : ١٠٢
- ٢٥- المجموعة الكاملة : ١١٢
- ٢٦- التراث الشعبي في الشعر العراقي الحديث: ٣٠

#### قائمة المصادر

#### القران الكريم

١. الأعمال الشعرية الكاملة ، أحمد مطر . الطبعة الأولى ، لندن ، ٢٠٠٣ .
٢. الأغنية الشعبية بين القديم والحديث . تيمور أحمد يوسف . مجلة التراث الشعبي . العدد ٤٤ . ٢٠٠٦ .
- ٣- بنية القصيدة العربية المعاصرة، د. خليل الموسى، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٤.

- ٤- البخاري ، محمد بن اسماعيل .(١٩٩٣) الصحيح (فتح الباري ) كتاب النكاح ، باب قو انفسكم و اهليكم نارا ، ج ١٠ ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، دار الفكر ، بيروت لبنان ،
- ٥- التراث الشعبي في الشعر العراقي الحديث . قيس كاظم الجنابي . دار الشؤون الثقافية . بغداد . ٢٠٠٠

٦. التراث والتجديد، د. حسن حنفي، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.

٧. التراث والمجتمع الجديد، ناصر الدين الأسد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٥

- ٧الحافظ ابو داوود سليمان ابن الاشعث السيجستاني ١٩٩٤ السنن، المجلد ٣ ص ٣٢٦، رقم الحديث (٣٦٨١) تحقيق صدقي محمد جميل دار الفكر - بيروت لبنان في علم التراث الشعبي . لطفي الخوري . الموسوعة الصغيرة . العدد ٤٠ . دار الحرية للطباعة ت بغداد . ١٩٧٩ .

٨. لسان العرب . ابن منظور ( ت ٧١١ هـ )، تقديم عبدالله العلايلي، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت .

٩. لغة الشعر العراقي المعاصر . عمران خضير الكبيسي . وكالة المطبوعات . ١٩٨٢

١٩. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت



٢٠. معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس، مكتبة لبنان ناشرون،

بيروت.

٢١. معجم أمثال الموصل العامية . عبد الخالق خليل الدباغ، مطبعة الهدف، الجزء الأول، الموصل .

العراق، ١٩٥٦

٢٢. في علم التراث الشعبي . لطفي الخوري . الموسوعة الصغيرة . العدد ٤٠ . دار الحرية للطباعة ت بغداد

. ١٩٧٩ .

---





## محور الدراسات التاريخية





## الموقف البريطاني تجاه المطالب السوفييتية بشأن المضائق التركية في مؤتمر بوتسدام

د شاكِر ضيدان جابر

د. محمود شاكِر حميد

نادت بريطانيا في مؤتمر لوزان المنعقد في ٢٤ تموز عام ١٩٢٣ والذي دعا إليه الاتحاد السوفييتي ، بنظرية جديدة تغاير تلك الجهود التي بذلتها خلال القرن التاسع عشر ، فقد أيدت بريطانيا حق السلطان العثماني في إغلاق المضائق أمام جميع السفن الحربية لمنع بذلك الأسطول الروسي من النزول إلى مياه البحر المتوسط ، وتهديد مصالحها فيه ، جاءت إلى المؤتمر لتنادي بعكس ذلك ، ولتطلب بقوة إقرار مبدأ حرية الملاحة في البحار والمضائق ، وتحرم تحصينها أو تسليحها لتظل منطقة محايدة حرة. من جانبه، لم يكن الموقف البريطاني في صالح تركيا بأي حال من الأحوال ، كما انه يهدد الاتحاد السوفييتي تهديداً خطيراً ، فممنع تركيا من تحصينها يعرضها لهجوم أعدائها في نقطة مهمة وحساسة من أراضيها ، وخصوصاً من قبل بريطانيا وحليفاتها ، ويسهل في الوقت نفسه لهذه القوات من الوصول إلى البحر الأسود وضرب الاتحاد السوفييتي.

إن معارضة الاتحاد السوفييتي لهذا المطلب ساعد على استمرار العلاقة الودية بين الدولتين ، التي أثمرت عن إبرام معاهدة صداقة وتعاون بين البلدين في ١٦ آذار ١٩٢١ وضعت أساساً جديداً في العلاقات التركية السوفييتية على المستويين السياسي والاقتصادي ، وتم بموجبها إعادة منطقتي (قارص) و(اردهان) إلى السيادة التركية ، ومنطقة (باطوم) إلى السيادة السوفييتية ، وبدأت المساعدات السوفييتية تتدفق على تركيا على نحو مكنها من إتمام حرب التحرير الوطنية ، وإعلان قيام الجمهورية التركية في ٢١ تشرين الأول ١٩٢٣ ، كما ساند الاتحاد السوفييتي المطالب التركية في قضية ضم منطقة الموصل إليها في مؤتمر لوزان ، وفي تنمية الاقتصاد التركي. وفي عام ١٩٢٥ أبرمت معاهدة الحياد والصداقة بين البلدين ، وفي

التركية بإعادة النظر في قضية تنظيم الملاحة في  
المطالب السوفييتية بشأن المضائق التركية  
والموقف البريطاني منها :

على الرغم من مساندة بريطانيا للمطالب  
السوفييتية بشأن المضائق التركية<sup>(١)</sup> خلال الحرب  
العالمية الثانية ، غير أنها غيرت موقفها في  
المراحل الأخيرة من الحرب ، عندما عدت بريطانيا  
المطالب السوفييتية بشأن المضائق التركية هي  
دعوة إلى السيطرة والهيمنة للنفوذ السوفييتي ليس  
فقط على تركيا وحسب وإنما على منطقة الشرق  
الأوسط. نتيجة لذلك، وقفت بريطانيا بحزم ضد  
هذه التطلعات السوفييتية من خلال مساندتها  
للموقف التركي الرفض لتلك المحاولات السوفييتية  
من اجل المحافظة على مصالحها ونفوذها في  
منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص والعالم بشكل  
عام<sup>(٢)</sup>.

فقد مارست بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية  
ضغوطاً على تركيا من اجل التخلي عن حيادها  
لصالح الحلفاء،<sup>(٣)</sup> عن طريق مساندة الموقف  
السوفييتي الرامي إلى تعديل اتفاقية مونترو لعام

عام ١٩٣٦ أيد الاتحاد السوفييتي طلب الحكومة  
المضايق التركية. غير أن العلاقات التركية  
السوفييتية أنتابها التوتر والقلق ، فلم تكد الحرب  
العالمية الثانية تضع أوزارها حتى بدأت المشكلات  
الإقليمية بينهما ، على إثر مطالبة الاتحاد  
السوفييتي في مؤتمر (يالطا) عام ١٩٤٥ ،  
ومراجعة معاهدة عام ١٩٣٦ لرفع يد تركيا عن  
مضايقتها (البوسفور والدردينيل).

يهتم البحث في تسليط الضوء على رد الفعل  
البريطاني تجاه المطالب السوفييتية بشأن  
المضائق التركية في مؤتمر بوتسدام للمدة من  
شهر تموز الى شهر آب عام ١٩٤٥ . من خلال  
تتبع التغيير الذي حدث في مسار العلاقات  
البريطانية- السوفييتية تبعا لتغير ميزان القوى بعد  
الحرب العالمية الثانية، من التأيد البريطاني  
للمطالب السوفييتية خلال الحرب الذي أوضحه  
المطالب الأول من البحث ، إلى الرفض  
البريطاني لتلك المطالب السوفييتية وهذه المرة  
بمساندة الولايات المتحدة في المطالب الثاني من  
البحث.

علاوة على ذلك ، فقد رأى تشرشل بان اتفاقية موننترو يجب إن يتم مراجعتها ليس فقط عن طريق ممارسة الضغط على تركيا لدخول الحرب وإنما على اعتبار اليابان - التي هي في حالة حرب معها - احد الأطراف الموقعة عليها. وفي ختام المؤتمر اتفق الحلفاء على مناقشة مسألة الموائى والمضايق في المؤتمر المزمع انعقاده في يالطا. (٨)

ففي مؤتمر يالطا الذي عقد خلال المدة ٤-١١ شباط ١٩٤٥ ، كانت هناك خلافات جوهرية بين الحلفاء فيما يتعلق بنظام المضايق، (٩) ففي بداية المؤتمر سمحت تركيا للحلفاء باستخدام المضايق لنقل الإمدادات العسكرية إلى الاتحاد السوفييتي، (١٠) والتي حاول تشرشل استغلالها لتغيير موقف السوفييت تجاه مسألة المضايق التركية ، غير إن ستالين أشار إلى عدم رضاه من موقف تركيا خلال الحرب العالمية الثانية بالقول : ((كانت تركيا مناورة بين المتحاربين للاستفادة من مصالح الطرف الراجح)). (١١) من جانبه أكد

١٩٣٦ الخاصة بالمضايق التركية (٤). ففي مؤتمر طهران الذي عقده الحلفاء في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، أشار رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل (Winston Churchill) (١٨٧٤-١٩٦٥)، إلى ضرورة إشراك تركيا في الحرب إلى جانب الحلفاء من اجل تسهيل وصول الإمدادات الضرورية إلى الاتحاد السوفييتي عبر المضايق التركية ، فضلاً عن ذلك، سيتيح للحلفاء استخدام المجال الجوي التركي ضد دول المحور، (٥) نتيجة لذلك، وافق تشرشل والرئيس الأمريكي د. فرانكلين روزفلت (Franklin D. Roosevelt) (١٨٨٢-١٩٤٥)، على المطالب التي تقدم بها الزعيم السوفييتي جوزيف ستالين (Joseph Stalin) (١٨٧٨-١٩٥٣)، بشأن إجراء تعديلات على اتفاقية موننترو (٦). فقد أكد ستالين خلال المؤتمر على ضرورة مراجعة نظام المضايق قائلاً : ((كبلد عظيم مثل روسيا مقيدة عن طريق البحر الأسود ... إذا لم يرغب البريطانيون بخنق روسيا سيكون من المناسب تقديم تسهيلات بنظام المضايق)) (٧).

سوفييتية مناسبة إلى تركيا فيما يتعلق بالحفاظ على استقلالها وسلامتها ، حيث وافق ستالين على المقترح البريطاني.<sup>(١٤)</sup>

أخيراً توصلت الأطراف إلى اتفاق لبحث التعديلات المقترحة من قبل الحكومة السوفييتية على اتفاقية موننترو من خلال اجتماعات وزراء خارجية الدول الثلاث (بريطانيا - الاتحاد السوفييتي - الولايات المتحدة) الذين بدورهم سيرفعون تقاريرهم إلى حكوماتهم بشأن التقدم الحاصل في هذه المسألة مع التأكيد على ضرورة إبلاغ الحكومة التركية بنتائج محادثاتهم<sup>(١٥)</sup>.

جاءت أولى ضغوطات السوفييت تجاه تركيا بعد مؤتمر يالطا ، فخلال الأسابيع التي تلت المؤتمر ، أصبح فحوى الطلب السوفييتي واضحاً عندما أعلنوا في ١٩ آذار ١٩٤٥ عن عزمهم إنهاء معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء المعقودة مع تركيا عام ١٩٢٥<sup>(١٦)</sup>. ففي المدة من ٧ إلى ٨ حزيران ، ذكر فياتشيسلاف م. مولوتوف ( Vyacheslav M. Molotov ) (١٨٩٠ - ١٩٨٦) وزير خارجية الاتحاد السوفييتي للسفير التركي في موسكو سليم

تشرشل بان مراجعة اتفاقية موننترو سوف يؤثر على المصالح البريطانية في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، لذا أدرك ستالين أن موقف الحلفاء تجاه المسألة ، فضلاً عن انه لا يرغب في مناقشة القضايا الخلافية في ظل المراحل النهائية للحرب في أوروبا ، فقد تحدث ستالين عن اتفاقية موننترو قائلاً : ((في الوقت الحاضر فان المحادثات بشأن هذه القضية قد أصبحت واضحة ... وان اتفاقية موننترو ارتبطت بعصبة الأمم التي لم تعد موجودة ... وانها خولت تركيا غلق المضائق ليس في حالة الحرب فحسب ، بل أيضاً إذا أحست بتهديد الحرب))<sup>(١٢)</sup>، ومن وجهة نظر ستالين إن اتفاقية موننترو قد عقدت في وقت كانت العلاقات بين الاتحاد السوفييتي وبريطانيا غير جيدة. إلى جانب ذلك، أوضح ستالين إن الاتفاقية قديمة ولا تتماشى مع الظروف الحاضرة، وإنها تحتاج إلى تنقيح وانه لا يمانع من إجراء ذلك مع الأخذ بنظر الاعتبار المصالح السوفييتية.<sup>(١٣)</sup> غير أن تشرشل أكد بان أي مقترح لإجراء تغيير في نظام المضائق يجب أن يرافقه ضمانات



المطالب السوفيتية إذا تمت الموافقة عليها فإن تركيا ستخضع للنفوذ السوفيتي الذي سيصل إلى البحر الأحمر والخليج العربي مما يؤدي في النهاية إلى تفويض النفوذ البريطاني في المنطقة<sup>(١٩)</sup>.

من جانبهم ، ناقش البريطانيون المقترحات السوفيتية حيث أشارت القيادة العسكرية البريطانية من أن وجود قواعد عسكرية سوفيتية في المضائق التركية ، جنباً إلى جنب مع وصول السفن السوفيتية إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، سيؤدي إلى تحجيم النفوذ البريطاني في منطقة الشرق الأدنى والأوسط على المدى البعيد.<sup>(٢٠)</sup> وفي الأسابيع التي سبقت عقد معاهدة بوتسدام ، سعت بريطانيا إلى طمأنت تركيا بأنها ستدعم موقفها في الوقوف ضد الضغوط السوفيتية ، ففي ١١ تموز ١٩٤٥ أكد وزير الخارجية البريطاني إيدن إلى نظيره التركي حسن السقا بان بريطانيا لن تتخلى عن تركيا في مواجهة الضغوط السوفيتية<sup>(٢١)</sup>. من جانب آخر تلقى كلارك كير

ساربر (Salim Sarber) قبول الاتحاد السوفيتي لمعاهدة صداقة جديدة يتوقف إعادة النظر باتفاقية مونترو ، فضلاً عن حق إقامة قواعد عسكرية سوفيتية في المضائق وإجراء تعديلات على الحدود التركية - السوفيتية بإعادة مقاطعتي قارص واردة اللتين تم التنازل عنهما إلى تركيا بموجب معاهدة الصداقة والتعاون عام ١٩٢١<sup>(١٧)</sup>.

كان الرد التركي واضحاً وحاسماً في رفض مثل تلك المقترحات ، حيث قال السفير التركي: ((إن الحكومة التركية لا توافق مطلقاً على إنشاء قواعد عسكرية في المضائق ، وأنها لا ولن تتخلى أبداً عن مقاطعاتها الشرقية موضوعة البحث ، وليست على استعداد أن تصبح تابعة للسوفيت)).<sup>(١٨)</sup> في ظل هذا الموقف اقتربت تركيا أكثر إلى بريطانيا لمواجهة المطالب السوفيتية ، حيث أشار وزير الخارجية التركي خلال لقاءه في القاهرة مع نظيره البريطاني روبرت انطوني ايدن (Robert Anthony Eden) (١٨٩٧-١٩٧٧)، بان تلك

عسكرية في المضائق التركية ، وقد أشار البريطانيون بهذا الصدد بأنه لم يطلب من السوفييت تأمين حرية الملاحة في المضائق. علاوة على ذلك ، أكد الجانب البريطاني بأنه لا ينبغي إجراء أي تعديل مباشر على اتفاقية موننترو إلا بعد تقديم السوفييت التطمينات الكافية إلى تركيا التي وعدوا بها في مؤتمر طهران وبالطبع. وان مسألة إجراء تعديلات على المعاهدة يجب أن لا يتم البت فيها من قبل السوفييت والأترك فقط<sup>(٢٣)</sup>. فقد كان الهدف الأساسي من الموقف البريطاني هو إحباط أي محاولة سوفييتية للسيطرة على المضائق لأجل ذلك وجدت بريطانيا من الضروري الاتفاق على الإدارة الدولية ليس فقط على المضائق وإنما على المداخل الرئيسة للبحر الأبيض المتوسط - مضيق جبل طارق وقناة السويس - وإذا أصر السوفييت على مطالبهم بإقامة قواعد عسكرية على المضائق التركية ، فإن بريطانيا يجب أن تحيل القضية إلى القوى الأربعة الكبرى والأمم المتحدة<sup>(٢٤)</sup>.

في الجلسة السادسة للمؤتمر في ٢٢ تموز ١٩٤٥

(Clark Kerr) السفير البريطاني في موسكو تعليمات من حكومته لإبلاغ وزير الخارجية السوفييتي مولوتوف ، بأن الحكومة البريطانية اعتقدت بأن المطالب السوفييتية بإقامة قواعد عسكرية على المضائق التركية والمطالبة بالتعديلات الحدودية مع تركيا يجب أن تناقش في إطار منظمة الأمم المتحدة ، فضلاً عن ذلك يتعين تسوية القضايا المتعلقة باتفاقية موننترو على مبدأ مشاركة أطراف دولية ، مشدداً على أن الاتحاد السوفييتي اتفق في مؤتمر يالطا مع حلفائه على استشارتهم فيما يخص أي عمل من شأنه المساس باستقلال تركيا وسلامتها<sup>(٢٢)</sup>.

**الموقف البريطاني بشأن المطالب السوفييتية في المرحلة النهائية من الحرب :**

وعند بدأ مؤتمر بوتسدام أعماله في ١٦ تموز ١٩٤٥ تقدم الوفد البريطاني بطلب إلى الوفد السوفييتي لتوضيح أهدافهم فيما يتعلق بمسألة التعديلات الحدودية الخاصة بمقاطعتي قارص واردةهان ، فضلاً عن ذلك طلب البريطانيون توضيحات بشأن الطلب السوفييتي بإقامة قواعد

تشرشل وأشار إلى إن مثل هذه الترتيبات قد تم اتخاذها في الماضي ، على سبيل المثال في معاهدة ١٨٠٥ و ١٨٣٣. وفي ختام تلك المحادثات، فقد اتفق كل من مولوتوف وتشرشل على مواصلة المناقشات في هذه المسألة حتى يتمكن ممثلو الوفد البريطاني والأمريكي من أخذ الوقت الكافي لدراسة المقترحات السوفيتية والتشاور بشأن المعاهدات القديمة<sup>(٢٧)</sup>.

وخلال الجلسة السابعة للمؤتمر والتي عقدت في اليوم التالي ، سعد السوفييت من لهجتهم تجاه المعارضة البريطانية لمقترحاتهم بشأن المضائق ، وأكدوا بان القوات السوفيتية المتواجدة في بلغاريا هي أقل بكثير من تلك القوات البريطانية المتواجدة في اليونان<sup>(٢٨)</sup>. من جانب آخر، أوضح السوفييت بأنه لا توجد هناك تأكيدات فيما يتعلق بالمطالب السوفيتية بشأن التعديلات الحدودية مع تركيا لحد الآن ، والتي برزت - حسب رأيهم - نتيجة لرغبة تركيا بالتحالف<sup>(٢٩)</sup>. من جانبه ، أدرك ستالين بان الموقف السوفيتي ضعيف بسبب دعم بريطانيا

طلب رئيس الوزراء البريطاني تشرشل توضيحات من الوفد السوفيتي بشأن مطالب السوفييت تجاه تركيا فحسب وإنما أيضاً بشأن التواجد العسكري السوفيتي في بلغاريا،<sup>(٢٥)</sup> فحسب اعتقاد تشرشل أنها وسيلة ضغط تمارسها الحكومة السوفيتية على تركيا<sup>(٢٦)</sup>. من جانبه أوضح وزير الخارجية السوفيتي مولوتوف بان المطالب السوفيتية قدمت إلى الجانب التركي وتضمنت فضلاً عن ذلك، إلغاء اتفاقية مونتر و تحديد مناقشة مسألة المضائق بكل من تركيا والاتحاد السوفيتي كونهما الدولتان المعنيتان بهذا الشأن. من جانبه، فقد اعترض تشرشل على السقف العالي للمطالب السوفيتية ، وأكد بان تلك المطالب لم يتم الاتفاق عليه في مؤتمر يالطا على وجهة التحديد ، وان مسألة القواعد العسكرية السوفيتية في المضائق هو طلب جديد تماماً من قبل الحكومة السوفيتية ، مضيفاً بان تركيا سوف لن تبدي استعدادها على تسوية مسألة المضائق بين الاتحاد السوفيتي وتركيا فقط. عند هذه النقطة، قاطع مولوتوف

التاسع عشر تجاه رغبات الإمبراطورية الروسية بالتوجه إلى البحر المتوسط عبر تلك المضائق. من جانب آخر تفاجئ ستالين بالموقف الأمريكي تجاه هذه القضية الذي أضاف عقبة أخرى للطموحات السوفييتية<sup>(٣٣)</sup>.

أصبح التدخل الأمريكي غير المتوقع - على اعتبار أن مناقشة المسألة البريطانية - السوفييتية - للمشاركة في إدارة المضائق التركية مصدر إزعاج للسوفييت خلال الجلسة الثامنة للمؤتمر في ٢٤ تموز ١٩٤٥<sup>(٣٤)</sup> عندما أصيب ستالين بخيبة أمل في الحصول على دعم بريطانيا والولايات المتحدة لإقامة القواعد العسكرية السوفييتية في المضائق التركية ، فضلاً عن الخشية من عواقب التدخل الأمريكي في المنطقة. نتيجة لذلك، اقترح ستالين تأجيل المناقشات بشأن المضائق التركية لحين إجراء المزيد من المفاوضات للتوصل إلى تسوية مناسبة ، علاوة على ذلك، أعلن السوفييت بأنهم سيستأنفون المحادثات مع تركيا وبريطانيا والولايات المتحدة<sup>(٣٥)</sup>.

اختتمت المناقشات بشأن مسألة المضائق التركية

القوي لتركيا ، نتيجة لذلك، عمل ستالين على إيجاد بديل لمقترحات السوفييت بشأن إقامة قواعد عسكرية سوفييتية في مكان آخر. حيث اقترح ستالين على تشرشل إن يكون احد الموائى اليونانية مكانا لرسو الأسطول البحري السوفييتي أسوة بأساطيل الحلفاء الأخرى لحفظ الأمن في المنطقة.<sup>(٣٠)</sup> عند هذه النقطة تدخل الرئيس الأمريكي هاري اس. ترومان ( Harry S. Truman ) (١٨٨٤-١٩٧٢)، بشكل مفاجئ ، مقترحاً ضمان حرية الملاحة في المضائق من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي والسماح بحرية الملاحة في جميع الممرات الدولية ومن دون قيود والتي ستنتظمها السلطات الدولية وبالتعاون مع كل الدول المعنية بشكل مباشر.<sup>(٣١)</sup> وافق تشرشل على المقترح الأمريكي بينما طلب ستالين مزيد من الوقت لدراسة المقترح،<sup>(٣٢)</sup> ويبدو أن ستالين قد استخدم السقف العالي للمطالب السوفييتية في مسألة المضائق التركية ، آملاً لتحقيق مطالب خارج المضائق التركية بسبب معرفته بالموقف المبدئي لبريطانيا منذ القرن

للفوز السوفييتي على غرار دول أوروبا الشرقية ومنطقة البلقان<sup>(٣٨)</sup>.

وعلى الرغم من خسارة حزب المحافظين للانتخابات البريطانية التي جاءت بالسير كلمنت اتلي (Clement Attlee) ( ١٨٨٣-١٩٦٧ ) ، خلفاً لتشرشل في رئاسة الحكومة البريطانية في ٢٦ تموز ١٩٤٥ ، غير أن الموقف البريطاني من مسألة المضائق التركية لم يتغير<sup>(٣٩)</sup>. فقد كانت من أولويات سياسة اتلي في مؤتمر بوتسدام بان تخضع المضائق التركية والمضائق الأخرى للإدارة دولية ، وعززت وزارة الخارجية البريطانية موقف اتلي من خلال تأكيدها العمل على تلك الأولويات ، مشددة على أن السماح بإنشاء قواعد عسكرية سوفييتية في المضائق التركية جنباً إلى جنب مع إقامة حكومة مواليه إلى الاتحاد السوفييتي في اليونان وتركيا ، سيؤثر سلباً على موقف بريطانيا في منطقتي الشرق الأدنى والأوسط بشكل خاص والعالم بشكل عام. من جانب آخر أشارت وزارة الخارجية بأنه يمكن

من دون الأخذ بالمقترحات السوفييتية من خلال ترحيب بريطانيا باستخدام مبدأ التدويل الذي يمكن تطبيقه أيضاً على قناة السويس<sup>(٣٦)</sup> عندما ربط السوفيت مسألة المضائق التركية بقناة السويس ، حيث تساءل وزير الخارجية السوفييتي مولوتوف عن إمكانية تطبيق هذا المبدأ على قناة السويس من دون أخذ رأي الحكومة المصرية بهذه المسألة ، أجابه تشرشل بان قناة السويس كانت مفتوحة في أوقات الحرب والسلام وكانت حرية المرور مضمونة بشكل مسبق بموجب المعاهدة التي كانت مصر طرفاً فيها. وبالنسبة إلى مسألة المضائق، فقد تعهد تشرشل بالضغط على الحكومة التركية لقبول مبدأ التدويل ، وعلاوة على ذلك ، أشار تشرشل إلى إن مبدأ التدويل سيمنح السوفييت كل الضمانات بشأن المضائق التركية<sup>(٣٧)</sup>. يبدو إن بريطانيا رأت بان الاتحاد السوفييتي لم يخف دوافعه الحقيقية والتي تشمل الرغبة في معاقبة تركيا على حيادها خلال الحرب العالمية الثانية، فضلاً عن جعلها دولة تابعة

المفاوضات بين الحكومات الثلاث والحكومة التركية. (٤٣)

وهكذا يبدو واضحاً إن بريطانيا كانت تشك في قدرتها على الحفاظ على مصالحها الإستراتيجية في منطقة المضائق التركية ومنطقتي الشرق الأدنى والأوسط بشكل عام ، ولذلك عملت على تجنب المواجهة مع الاتحاد السوفيتي عن طريق إشراك الولايات المتحدة في الدفاع عن تلك المناطق بالموافقة على مقترحات الرئيس الأمريكي ترومان فيما يتعلق بوضع جميع المضائق الإستراتيجية تحت رقابة دولية والتي ستقرها منظمة الأمم المتحدة.

مواجهة هذه السياسة السوفيتية من خلال حصول بريطانيا على دعم الولايات المتحدة في هذا الخصوص (٤٠).

#### الخاتمة.

وعلى هذا النحو ، لم يتم التوصل إلى تسوية نهائية بشأن مسألة المضائق التركية في المؤتمر. (٤١) فقد تجنب السوفييت الخوض في تفاصيل أكثر تجاه مسألة المضائق في وقت لم يرغبوا فيه بإحداث توترات بين حلفائهم الغربيين. إما رئيس الوزراء البريطاني الجديد اتلي ، فقد ساند وجهة نظر الرئيس ترومان بإحالة مسألة المضائق التركية إلى منظمة الأمم المتحدة للنظر فيها. (٤٢) وفي البروتوكول النهائي الذي أقره قادة الحلفاء في نهاية مؤتمر بوتسدام ، أشار إلى إن الحكومات الثلاث قد وافقت على إعادة النظر باتفاقية موننترو من خلال إجراء المزيد من

الهوامش :

(١) شملت المضائق التركية على الدردنيل وبحر مرمرة والبوسفور التي كان لموقعها الاستراتيجي في تسهيل حركة التجارة بين الغرب والشرق نقطة نزاع استعماري في موقف القوى الكبرى تجاه المضائق بشكل خاص خلال القرن التاسع عشر . ينظر :

Bulent Gokay , *Soviet Eastern policy and Turkey , 1920-1991: Soviet Foreign Policy , Turkey and Communism* (London : Routedge , 2006) , p.59.

(٢) رأفت غنيمي الشيش وآخرون ، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٣٥ .

(3) Geoff R. Berridge , *British Diplomacy in Turkey , 1583 to the Present : A study in the evolution of the resident Embassy* (Leiden: Martinus Nijhoff , 2009) pp.174-180 ; Anthony R. De Luca , 'Soviet – American Politics and the Turkish Straits' , *Political science Quarterly* , Vol.92 (1977) , pp.503-514 , p.510.

أعلنت تركيا الحرب على دول المحور في ٢٣ شباط ١٩٤٥ من اجل ضمان مقعد لها في مؤتمر مزعم عقده بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بشأن إنشاء منظمة الأمم المتحدة . بنظر :

William Hale, *Turkish Foreign Policy , 1774-2000* (London: Frank cass , 2000) , pp.102-105 ; Ekavi Athanssopoulou , *Turkey : Anglo – American Security Interests , 1945-1952 : The First Enlargement of NATO* (London: Frank Cass , 1999) , pp.15-28.

(٤) وقعت اتفاقية موننترو بشأن المضائق التركية من قبل كل من النمسا وبلغاريا وفرنسا وبريطانيا واليونان واليابان ورومانيا والاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا فضلاً عن تركيا في ٢٠ تموز ١٩٣٦ والتي حولت تركيا بإعادة تسليح المضائق إذا كانت مهددة في خطر حرب وشيكة أو تشارك فعلياً في حرب. ونصت الاتفاقية في قسمها الأول على التعامل مع حرية مرور السفن والقسم الثاني اختص بالتعامل مع السفن الحربية وقسمها الثالث ركز على مرور الطائرات والجزء الرابع منها شمل أحكام عامة والقسم الأخير من الاتفاقية تضمن الأحكام النهائية فضلاً عن أربعة ملاحق وبروتوكول واحد. ينظر :

Nihan Unlu , *International Straits of world : The legal regime of the Turkish Straits*, Vol. Thirteen (USA : Kluwer Law International , 2002) , p.42.

(5) Jamil Hasanli, *Stalin and the Turkish Crisis of the Cold War , 1945-1953* (Maryland : Lexington Books , 2011) , p.16.

(٦) أعرب تشرشل عن وجهة نظره إلى وزير خارجيته روبرت انتوني ايدن بعد اختتام زيارته إلى موسكو في تشرين الأول ١٩٤٤ بان بريطانيا ليس لديها مبرر للخوف من حركة الأسطول السوفيتي عبر المضائق التركية. مع ذلك كانت وزارة الخارجية البريطانية على استعداد للتنازل عن بعض الجوانب التقنية للاتفاقية التي تحتاج إلى تعديل على سبيل المثال يجب صياغة الاتفاقية بحيث تتناسب مع 'طار الاتفاق الجماعي لان ملحق الاتفاقية لا ينص على السماح للزوارق الحربية مثل زوارق الطوربيد بالدخول إلى المضائق . ينظر :

De Luca , 'Soviet – American politics' , p.511 ; also see Berridge , *British Diplomacy in Turkey , 1583 to the present : A study in The evolution of The resident Embassy* , p.16.

(7) Ibid.



٨- مؤتمر يالطا: المؤتمر الذي عقد في مدينة يالطا على سواحل البحر الأسود في شباط عام ١٩٤٥ . الذي نتج عنه توقيع اتفاقية بين كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي لتقسيم ألمانيا وتقديم أعضاء الحزب النازي للمحاكمة كمجرمي حرب. للتفاصيل ينظر:

William R. Smyser, *From Yalta to Berlin: The Cold war Struggle over Germany* (New York: St. martin's Griffin, 1999); Russell D. Buhite, *Decisions at Yalta: An Appraisal of Summit Diplomacy* (Delaware: Scholarly Resources, 1986).

(9) Ferenc A. Vali , *The Turkish Straits and NATO* (California : Hoover Institution Press , 1972) , pp. 61-62.

(10) Hasanli, *Stalin and the Turkish Crisis of the Cold War, 1945-1953*, p.37.

(11) Ibid., p.38.

(12) Seventh Plenary Meeting , February 10 , 1945 , in the US Department of State , *Foreign Relations the United State , Diplomatic Papers : The Conferences at Malta and Yalta , 1945* (Washington , D.C.: Government Printing Office, 1955) , p.903.

(13) Harry N. Howard, *Turkey , the Straits and US Policy* (Baltimore: Johns Hopkins University Press , 1974) , pp.213-214.

(14) De Luca , 'Soviet – American politics' , pp.511-512.

(15) Howard, *Turkey , the Straits and US Policy* , p.215 ; Hasanli , *Stalin and*

*the Turkish Crisis of the Cold War , 1945-1953 , p.40.*

(١٦) نصت المعاهدة على المساندة السوفييتية لتركيا بشأن مسألة الموصل بالمقابل تعهدت تركيا بعدم تعرض الاتحاد السوفييتي لهجوم عن طريق المضائق التركية والسماح بحرية المرور للسفن الحربية السوفييتية تم تجديدها مرات عدة وآخر تجديد لها كان ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٥ لمدة عشر سنوات . ينظر : عبد القادر Athanssopoulou , *Turkey : Anglo – American Security* Ibid , p.18 ;

*Interests , 1945-1952 : The First Enlargement of NATO , p.4.*

(١٧) جورج كيرك ، الشرق الأوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ج ١ ، ترجمة سليم التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٣٠ ؛

Gokay , *Soviet Eastern Policy and Turkey , 1920-1991: Soviet Foreign Policy , Turkey and Communism*, p.61 ; Athanssopoulou , *Turkey: Anglo – American Security Interests , 1945-1952 : The First Enlargement of NATO , p.4.*

(١٨) جورج لنشوفسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، ج ٢ ، بغداد ، مطبعة سعد ، ص ٣٠-٣١ ؛

Howard , *Turkey , the Straits and US Policy , p.220.*

(١٩) جاسم محمد شطب ، التطورات الاقتصادية السياسية الداخلية في تركيا ١٩٢٣-١٩٣٩ ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٣ ؛

Rohan d'Olier Butler and M. E. Pelly (eds.) , *Documents on British Policy Overseas*, series I , vol.1 , (London: H.M. Stationery Office, 1984) , No.95. [ hereinafter cited as DBPO].

(٢٠) جورج كيرك ، المصدر السابق ، ص ٣٠-٣١ ؛

L. Woodard , *British Foreign Policy in the Second World War* (London , 1974) , p.201.

(٢١) عوني عبد الرحمن ، علاقات تركيا الخارجية ، بحث منشور في كتاب تركيا المعاصرة ، الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ٢٣١ ؛

DBPO, No.95.

(٢٢) إبراهيم خليل أحمد وآخرون ، تركيا المعاصرة ، مركز الدراسات التركية ، الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ٢٣١ ؛

DBPO, No. 7

(23) See US Department of State, *Foreign Relations of the United States , Diplomatic Papers: The Conference of Berlin (The Potsdam Conference)*, 1945, Vol. II (Washington , D.C. : Government Printing Office , 1960) , pp.313-314.[hereinafter cited as FRUS , the Potsdam Conference].

(24) DBPO, No.217.

(25) FRUS , the Potsdam Conference , pp.256-258.

(26) Hasanli , *Stalin and the Turkish Crisis of the Cold War , 1945-1953* , p.98.

(27) FRUS , the Potsdam Conference , p.258.

نصت اتفاقية ١٨٠٥ على غلق المضائق أمام السفن الحربية الأجنبية وقت السلم وفتح المضائق للسفن الحربية الروسية . ١٨٣٣ كانت من أهم المعاهدات التي وقعتها روسيا مع الدولة العثمانية تجاه تسوية مسألة المضائق حيث تم استبعاد تأثير القوى الغربية حيث نصت في مادتها السرية بان تقوم الدولة

العثمانية على غلق المضائق التركية أمام أي سفينة حربية أجنبية في حالة الحرب والسماح للسفن الحربية الروسية بحرية المرور عبر المضائق. ينظر :

Unlu , *International Straits of World : The legal regime of the Turkish Straits* , p.29 ; Hale , *Turkish Foreign Policy , 1774-2000*, p.71 ; Gokay , *Soviet Eastern Policy and Turkey , 1920-1991 : Soviet Foreign Policy , Turkey and Communism*, p.59.

(28) FRUS , the Potsdam Conference , p.302.

(٢٩) بيار ميكال ، تاريخ العالم المعاصر ، ١٩٤٥-١٩٩١ ، ترجمة يوسف ضومط ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص٩٦-١٠٠.

(30) FRUS , the Potsdam Conference , P.302.

(31) Ibid., p.303 ; DBPO, No.409.

(32) FRUS , the Potsdam Conference , pp.303 -304.

يبدو ان الرئيس الأمريكي ترومان أدرك بان طموحات ستالين كأسلافه القياصرة الروس تكمن في السيطرة على مضائق البسفور والدردينيل ، ومن ثم جعل البحر الأسود بحراً سوفيتياً داخلياً ، لذا فضل ترومان إدخال تعديلات على اتفاقية موننترو مع الحفاظ على حقوق السيادة التركية. ينظر :

Howard , *Turkey , the Straits and US Policy* , pp.230-231.

(٣٣) السياسة الروسية التقليدية منذ تولي الإمبراطورة كاترين الحكم مستندة إلى هدفين تجاه الدولة العثمانية: الحفاظ على مخرج إلى البحر الأبيض المتوسط ، ومنع القوى المعادية من مهاجمة روسيا عن طريق البحر الأسود. ينظر :

Gokay , *Soviet Eastern Policy and Turkey , 1920-1991: Foreign Policy* ,

*Turkey and Communism* , p.59.

(34) FRUS , the Potsdam Conference , P.366.

(35) Ibid. pp.366-367.

(36) Ibid., p.372.

(37) Ibid., pp.372-373.

(38) DBPO, No.241.

(٣٩) لمزيد من التفاصيل بشأن الانتخابات البريطانية ينظر :

Robert Pearce , *Attlee's Labor Governments, 1945-1951* (London : Routedge , 1994) , pp.1-3.

(40) DBPO, No.459.

(41) FRUS , the Potsdam Conference , pp.372-373.

(42) Ibid., pp.577.

(43) Ibid., p.606.

## الإمام الحسين (ع) وخيارات المواجهة

### قراءة في نصائح المتخلفين

م. د. شهيد كريم محمد الكعبي

م. د. علي رحيم ابو الهيل.

كانت اللحظات الأخيرة التي عاشها النبي(ص) وما صاحبها من اختلاف الحاضرين بين قبول ما أراد أن يكتبه أو رفضه بدعوى انتفاض ولايته وفعله بحال المرض، وكفاية القرآن لتنظيم مستقبل الجماعة الإسلامية، نقطة الشروع لانقسام تلك الجماعة بصورة فعلية بين مبدئين مختلفين تماماً من حيث العقيدة والفكر والفلسفة والتوجه السياسي.. الخ. وقد استكملت عملية الانقسام والفصل شكلها النهائي بعد حادثة السقيفة التي فتحت الباب واسعاً- فيما بعد- لتشطي الجسد الإسلامي، سيما بعد تأسيس وإقرار مبدأ الخروج على أمر النبي(ص)، وهو الأمر الذي ما فتى عبد الله بن عباس يتذكره فيعتصر أماً ويقول: "إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغتهم"<sup>(١)</sup>. وكان النص القرآني قد حذر من هذه الحقيقة الخطرة فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. آل عمران/١٤٤. أي أنه ميز بين صنفين من المسلمين، الأول: المنقلبين على أعقابهم، والثاني: الملتزمين بأمر النبي(ص) الشاكرين.

وقد تمخضت العقود اللاحقة عن اختلال كبير في موازين الانتماء والاصطفاف، فكانت المدة القصيرة لخلافة الإمام الحسن(ع) استكمالاً لمحاولة التصدي العسكري الذي بدأه أمير المؤمنين(ع) لهذا الانحراف والانقلاب المدمر، ولكنه حينها كان قد استكمل دورانه وتمكن من جسد الأمة وروحها وبات إقراره بصورته الأموية وشيك الوقوع، إذ أمسى أعداء الإسلام و رؤوس الكفر والنفاق وطلقاء الفتح خلفاء وسادة للمسلمين، بينما أضحى أهل بيت النبوة و أتباعهم من شخوص الإسلام المبرزين

والصالحين والعقلاء، ولا مصيبة ولا فاجعة كفاجعة الإمام الحسين (ع) منذ أن خلقت الدنيا وحتى تفنى، وإلا فكلام المعصوم لا يريد اختزال عدم تماثل ذلك اليوم بغيره من ناحية العبرة والعاطفة والمأساة فقط، ولذا غدت زيارة الإمام الحسين (ع) مع المعرفة بحقه تعدل الواجب المنسوب - أي الحج - بأضعاف مضاعفة<sup>(٤)</sup>.

وعليه فزاوية النظر يجب أن تكون حادة ودقيقة بدقة الحدث وأهميته ومحوريته في اصطفاة الجماعة الإسلامية وتباينها في فواعل الانتماء، وهي مسألة - للأسف - أفتقدها أغلب المسلمين المعاصرين، كما افتقدها كثير من المعنيين ببلورة وضبط بوصلة الرؤية لعصر الإسلام الأول في الوقت الحاضر، فهناك العديد ممن يتحدثون عن الإمام الحسين (ع) وكربلاء بمعزل زمني وفكري وانتمائي عن عهد وشخص ونهج النبوة، وامتداده في عهد الإمام علي والإمام الحسن (ع)، وكأنهم يفككون هذه الكتلة المنهجية الفكرية الشخصية إلى أجزائها الذاتية، وهو أمر لاشك ينطوي على مغالطة كبيرة؛ وإلا فالإمام الحسين (ع) يخاطب

معارضة مهمشة مقصاة، وصفت حين مثلها الإمام الحسين (ع) في كربلاء بأنها حركة خروج على الخليفة وولي الأمر الشرعي!.

لا شك وضعت كربلاء الجماعة الإسلامية - بعد تجربتها مع الإمام علي (ع) والإمام الحسن (ع) - للمرة الثالثة على المحك بشكل مباشر وواضح لا يقبل التأويل ولا الظن و الاحتمال، فإما أن يواصلوا حقيقة كونهم - كما عبر الإمام الحسين (ع) - "عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون"<sup>(٢)</sup>، وإما أن يثوبوا لصوت الإسلام المحمدي الأصيل، فكان أن الغالبية منهم آثرت الاحتفاظ بمعاشها وترك الدين سيما الذين قبلوا أن يكونوا عبيداً منذ وقت سابق.

إن قراءة كربلاء تحتاج للارتقاء - في كثير من الجوانب - لمستوى الحدث الذي عبر عنه الإمام المعصوم بقوله: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله<sup>(٣)</sup>، بعبارة أخرى لا يوم تعرض فيه الحق والإنسانية ومبادئ السماء التي نادى بها الأنبياء والمرسلين

وبين هذا التباين والتأرجح في المواقف كان هناك صنف ثالث من المسلمين آثر أن يلتزم جانب الحياد ولكنه حياد سلبي بكل ما تحمل الكلمة من معنى بدلالة أن نداء الإمام الحسين (ع) يعبر عنهم بالمتخلفين، وقد تجرأ قسم منهم، إما بدافع التبرير لتخلفه وإما لركونه لواقع أنه عبد للدنيا والدين لعق على لسانه يحوطه حيث ما درت معاشه، على تقديم النصح للإمام الحسين (ع) لتترك الثورة والخروج أو التأيي بها وتغيير استراتيجية النهوض. فهل كان هؤلاء (المحايدون/المتخلفون/الناصحون) يتعاملون من منطلق الوعي الكامل والتام لمشروع النهوض والثورة الحسينية؟ وهل كانوا يعون خطورة ومعنى تخلفهم؟ أم هل استشعروا وفكروا بالصيغ اللفظية لنداءات الإمام (ع)؟ وهل آن لنا أن نقرأ هذا الموضوع ومثيلاته من زواياه المباشرة والقائمة دون الالتفات لإملائية النص التاريخي وتوجيهه، ودون التبريرية المرتدة لفواعل تقديس الموروث والمتعارف؟.

القوم في كربلاء: هل تشكون أني ابن النبي وسبطه/هذه عمامة رسول الله/هذا درعه/هذا سيفه/هذه ملابسه/ هذا دمه ولحمه...<sup>(٥)</sup>، وتقول السيدة الحوراء (ع): اليوم مات جدي رسول الله/ اليوم مات أبي علي/ اليوم ماتت أمي فاطمة/اليوم مات أخي الحسن<sup>(٦)</sup>.

لاشك أن هذه النداءات تريد استثارة انتباه المجتمع المخاطب لتحقيق الزخم الديني و المعنوي والروحي الذي يمثله الإمام الحسين (ع)، ذلك الزخم الذي ينتظم على اعتابه أنه ابن النبي (ص) وسبطه وريحانته...، وأنه الوارث والضامن الأخير لشخوص حادثة الكساء وحدث وآية المباهلة..، ولكن يبدو أن غالبية المجتمع الإسلامي تغافلت عن أن تنتظر للإمام الحسين (ع) عبر هذه الحثثيات فكانت نظرتها شوهاء يتخللها الارتداد لعقلية الجاهلية والمصلحة المادية والخوف والطمع، وغيرها من فواعل الانتماء للطرف الآخر، وهي متباينات أجزها الفرزدق بقوله للإمام (ع): قلوب الناس معك وسيوفهم عليك<sup>(٧)</sup>.



ابن الزبير . فلما قتل عبد الله أخذ زيد بيد أخته ورجع إلى المدينة وله في ذلك مع الحجاج قصة، والعقب منه في ابنه الحسن بن زيد، ويكنى أبا محمد، كان أمير المدينة من قبل المنصور الدوانيقي، وعمل له على غير المدينة أيضا وكان مظاهرا لبني العباس على بني عمه الحسن المثنى، وهو أول من لبس السواد من العلويين وبلغ من السن ثمانين سنة، وتوفى بالحجاز سنة ثمان وستين ومائة وأدرك زمن الرشيد<sup>(١٠)</sup>.

لاشك أن مناقشة موقف هذه الشخصيات من الإمام الحسين (ع) ينطوي على قدر كبير من الحساسية والاحراج، ولكن عزاء البحث يبقى أنه يحاول القيام بخطوة نقدية جادة لجزئية لَحَظَ أنها أهملت - رغم أهميتها ومركزيتها - لوقت طويل، ربما لتفادي الخوض فيها جراء تلك الحراجة، أو لعدم الالتفات لارتكازها العميق في تحليل طبيعة الاستجابة المجتمعية وتفاعلها مع ثورة الإمام الحسين (ع).

لعل الخوض في هذا الموضوع ينطوي على كثير من الاحراج والخطورة في آن واحد، ولا شك أنه يثير انطباعات متباينة بين الرضا وعدم التقبل، سيما وأن قسم من هؤلاء المتخلفين كان شديد الالتصاق بالإمام الحسين (ع) فمنهم أخوه محمد بن الحنفية وأولاده ومنهم ابن عمه عبد الله بن جعفر، ومنهم عبد الله بن العباس وولد بني العباس عموماً، ومنهم أخوه عمر الأطراف بن الإمام علي (ع)، فقد تخلف عمر عن أخيه الحسين (ع)، ولم يسر معه وكان قد دعاه إلى الخروج معه فلم يخرج، ويقال إنه لما بلغه قتل أخيه الحسين (ع) خرج في معصفرات<sup>(٨)</sup> له وجلس بفناء داره وقال: أنا الغلام الحازم ولو أخرج معهم لذهبت في المعركة وقتلت. ولا يصح رواية من روى أن عمر حضر كربلاء. وكان أول من بايع عبد الله بن الزبير ثم بايع بعده الحجاج<sup>(٩)</sup>.

وكذلك ابن أخيه زيد بن الإمام الحسن (ع) وقد تخلف عن عمه الحسين (ع) فلم يخرج معه إلى العراق، وبايع بعد قتل عمه الحسين عبد الله بن الزبير لأن أخته لأمه وأبيه كانت تحت عبد الله

وسيركز البحث على الشخصيات التي نُص على أنها قدمت نصائح أو خيارات مواجهة بديلة للإمام الحسين(ع) على اعتبار قريبها منه وحضورها المجتمعي الفاعل حينها، ولافتراض أنها كانت تعي خطورة الموقف وحيثياته لكنها اكتفت بتقديم النصيحة فقط. وسيعمد البحث لعرض نصائح المتخلفين، ومن ثم مناقشة فرضياتها حسب المعطيات التاريخية لمعرفة مدى نجاعتها في خيارات المواجهة الوشيكة الوقوع، ولمعرفة طبيعة ومستوى تفاعل أصحابها مع الحدث المرتقب كماً ونوعاً، ومن ثم موقف الإمام(ع)منهم، وبالتالي تقييم مستوى الاستجابة المجتمعية لنداءات الإمام(ع)عبر هذه العينات، وصولاً لقراءة تلك النداءات وفق دلالاتها الآنية وصيغها اللفظية ذات التجذير والإحالة القرآنية، التي أراد الإمام(ع)من خلالها النص على التماثل بين شخصه وشخص النبي(ص)، وما يفترض أن تكون عليه استجابة الجماعة الإسلامية لكليهما.

أولاً- نصيحة محمد بن الحنفية(رض).

أكثر ما يروى في عمر محمد بن الحنفية(رض) أنه مات سنة(٨١-٨٢هـ)وله من العمر ٦٥ سنة<sup>(١١)</sup>، مما يعني أنه ولد سنة(١٦-١٧هـ). وقد ورد أن ولادته كانت لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي في سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقيل: سنة ثلاث وثمانين، وقيل: سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين بالمدينة<sup>(١٢)</sup>، وقيل: ولد لثلاث سنين بقيت من خلافة عمر بن الخطاب، ومات برضوى سنة ثلاث وسبعين<sup>(١٣)</sup>. ومن المشهور أن أمه الحنفية كانت من سبي اليمامة وهي إنما فتحت في عهد أبي بكر<sup>(١٤)</sup>. وروي أن بني أسد أغاروا على بني حنيفة فسبوا خولة بنت جعفر الحنفية فقدموا بها إلى المدينة في أول خلافة أبي بكر، فاشتراها الإمام علي(ع)فبلغ قومها الخبر، فجاجوا وأخبروا الإمام(ع)بما جرى وموضعها منهم فأعتقها وتزوجها فولدت محمداً<sup>(١٥)</sup>. وعلى العموم لم يُختلف أنه ولد في خلافة أبي بكر أو عمر<sup>(١٦)</sup>. إذن كان عمره عندما ثار الإمام الحسين(ع) بين(٤٨-٤١ سنة).

حين قتل عام ٨٩هـ، بتدبير سليمان بن عبد الملك بن مروان، في طريق عودته إلى المدينة<sup>(١٩)</sup>. أما الحسن فيبدو أنه كان أصغر من عبد الله أبو هاشم بشيء قليل، فقد روى عنهما الزهري بعض الأخبار والأحاديث، وقال: هما عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنفية، كانا جليلين عالمين ثقتين، إلا أن عبد الله تنتحله الشيعة بأسرها والحسن أول من تكلم بالإرجاء، وكان الحسن بن محمد بن الحنفية رأس المرجئة الأولى، وأول من تكلم في الإرجاء، وكان داعية أبيه إذ كان أبوه في الشعب، ولما خرج الحسن داعية لأبيه أخذه إبراهيم بن الأشتر بنصيبين فبعث به إلى مصعب بن الزبير، فبعث به مصعب بن الزبير إلى أخيه عبد الله فحبسه في السجن..<sup>(٢٠)</sup>. بمعنى أنه كان رجلاً بالغاً بحيث اعتمد عليه أبوه محمد بن الحنفية (رض) حين حصره عبد الله بن الزبير في شعب أبي طالب في مكة خلال مدة حكمه الحجاز (٦٤ - ٧٢هـ). وقال ابن سعد في الطبقات: "وكان يقدم على أخيه أبي هاشم في الفضل والهيئة وهو أول من تكلم في الإرجاء"<sup>(٢١)</sup>.

تشكل شخصية محمد بن الحنفية (رض) نقطة ارتكاز مهمة في هذا البحث، فمع ما روي من فضائله وعلو منزلته وطاعته للأئمة (ع)، لم يشترك ولا أي من ولده الذين ينص ابن عتبة أنهم كانوا (١٤ ولد ذكر) سوى بناته<sup>(١٧)</sup> في كربلاء!؟. وعلى فرض أن بعضهم ولد بعدها يبقى أن ولده عبد الله أبو هاشم وولده الحسن وولده علي وولده جعفر، وربما غيرهم كانوا رجالاً حينها، بدلالة نص ابن عتبة: "فالعقب المتصل الآن من محمد من رجلين علي وجعفر قتيل الحره. فأما ابنه أبو هاشم عبد الله الأكبر إمام الكيسانية وعنه انتقلت البيعة إلى بنى العباس فمقرض. أما جعفر بن محمد ابن الحنفية فقتل يوم الحره حين أرسل يزيد بن معاوية مسرف بن عقبة المري لقتل أهل المدينة المشرفة ونهبهم وفي ولده العدد"<sup>(١٨)</sup>. وتراتب ذكر ولد محمد بن الحنفية يحيل إلى أن علي كان أكبر من جعفر - قتيل الحره - وهذا الأخير كان متزوج وله عدد من الأولاد حينها، أي أنه قد بلغ مبالغ الرجال فتزوج وأنجب!؟. أما عبد الله أبو هاشم فهو ولده الأكبر، وقد نص الذهبي على أنه كان كهلاً

شاء الله.. واني قد عزمت على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو إخوتي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا عليهم ولا تخف علي شيئاً من أمورهم<sup>(٢٢)</sup>.

ونص ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) على أن الإمام الحسين (ع) لما أراد الخروج من مكة إلى العراق، بعث لبني هاشم المتواجدين في المدينة، فجاءه منهم محمد بن الحنفية (رض) فقال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي. إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال: يا أخي. قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت. فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمتع الناس به ولا يقدر عليك أحد فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام

ورد أن محمد بن الحنفية (رض) كلم الإمام الحسين (ع) في المدينة قبل خروجه منها وأشار على الإمام بقوله: "تتح ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، وأبعث رسلك إلى الناس وادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجمع الناس على غيرك لم ينقض الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك. إني أخاف أن تأتي مصرا أو جماعة من الناس فيختلفوا عليك، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتلون فتكون لأول الأسنه، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسا وأبا وأما، أضيعها دما وأذلها أهلا. فقال الإمام الحسين (ع): فأين أذهب يا أخي؟ قال: انزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار فبسيب ذلك، وأن نأت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنتظر إلى ما يصير أمر الناس، ويفرق لك الرأي فأنت أصوب ما يكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الأمور استقبالا ولا تكون الأمور عليك أبدا أشكل منها حين تستدبرها. قال: يا أخي قد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديدا وموفقا إن

المدينة كانت واضحة جدا وهي أن يأخذ البيعة من الناس بشكل عام ومن الإمام بشكل خاص: خذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا<sup>(٢٤)</sup>. وتجدد هذا التصريح في موقف الحر الرياحي وجماعته عند لقائهم بالإمام (ع): "وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد"<sup>(٢٥)</sup>. على أن ذلك وإن كان هو مقدار المهمة التي كلف بها الحر - ربما لحين تكامل وصول الجيوش الأموية - فهو أيضاً لا يعني إلا الاستسلام أو القتل ولا خيار ثالث. بل أنه أكد بكتاب آخر: "أما بعد، فجمع<sup>(٢٦)</sup> بحسين حيث يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا في العراء في غير حصن وعلى غير ماء"<sup>(٢٧)</sup>. ويؤكد عدم وجود خيار أن الإمام الحسين قال لهم: "وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت"<sup>(٢٨)</sup>.

ناقته التي ركبها . فقال له : يا أخي ألم تعدي النظر فيما سألتك؟. قال بلى. قال : فما حداك على الخروج عاجلاً؟. فقال: أتاني رسول(ص) بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون. فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟. فقال له: قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا، وسلم عليه ومضى<sup>(٢٣)</sup>.

تستطيع القراءة التاريخية لهذه النصيحة أن تسجل العديد من الاعتراضات والتساؤلات التي يزيد من إلحاح توجيهها استبعاد أنها كانت غائبة عن بال محمد بن الحنفية(رض)، سيما مع ما يفترض من أنه فكر ملياً في حيثياتها وقلبها على وجوهها المتعددة، بمعنى أنه استقرخ كافة أوجه الاحتمالات المطروحة خلالها. ولعل أبرز هذه التساؤلات هي:

١/ هل كان خيار التنحي متاحاً للإمام الحسين(ع)؟، سيما وأن تعليمات يزيد لوالي

وقد بايعه أهلها، وهو قد أقام بمكة لما يزيد على أربعة أشهر وفي ذروة موسم الحج، واجتماع الحجاج من كل الأمصار الإسلامية يدعوا الناس لنصرته والتصدي ليزيد وحكومته الجاهلية!.

٣/ فرضية بعث الرسل تتحدث بلحاظ السعي إلى الحكم والخلافة، وهذا مالم يتطرق له الإمام (ع) لا من قريب ولا من بعيد، فهو يخبر عن أنه خارج للإصلاح/إعادة الإسلام المحمدي...، لا لطلب الخلافة وكلمات الإمام(ع) واضحة في الدلالة على ذلك. ومن ضمنها وصيت التي تركها عند أخيه محمد بن الحنفية(رض):... إنني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والصالح في أمة جدي. أريد أن أمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد<sup>(٢٩)</sup>. وقوله(ع):"لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد"<sup>(٣٠)</sup>. وغيرها من الشعارات والأقوال التي حكى حقيقة ومضمون قيامه وثورته الوتر.

٤/ هذه الفرضية تنتظر للإمام(ع) بلحاظ كونه شخصية عادية، ربما لا تختلف كثيراً عن باقي

وإذا كان الإمام الحسين(ع) لا يستطيع أن يأمن على نفسه في المدينة ومكة، مع وجود عدد من شيعته وأنصاره وبني عمومته، ومع وجود بيئة اجتماعية رافضة لتولي يزيد، ومع توفر الأجواء الدينية والروحية التي ربما تعيق- وإن بنحو ما- تهور البطش الأموي وتصفيته لمعارضيه، فهل يستطيع ذلك في مكان آخر؟.

٢/ فرضية بعث الرسل إلى الناس ودعوتهم إلى الإمام الحسين(ع) واضح أنها ترفض النظر للأمور بعين الواقع التاريخي، وإلا فالناس هم من راسلوا الإمام الحسين(ع) وطلبوا منه القدوم لنصرتهم، وأعلنوا استعدادهم لنصرته...، وما الذي يضمن صدق نية هؤلاء الناس وقد تخلو عنه في وقت الجد والمواجهة، كما تخلوا من قبل عن أبيه الإمام علي(ع) وأخيه الإمام الحسن(ع). هذا فضلاً عن أن محمد بن الحنفية(رض) نفسه يعطي انطباع عن اختلاف الناس على شخصه الكريم، فكيف سيتفاعل الناس ويتعاملون مع رسله؟. فضلاً عن ذلك الإمام(ع)قد أرسل مسلم ابن عقيل(ع) إلى الكوفة

والتناقض مع مبدأ الأمر المعروف والنهي عن المنكر في مدرسة أهل البيت (ع) والذي لخصه قول الإمام السالف.

٤ / الإمام (ع) لم يتحرك لأنه رأى الأمة مجتمعة على غيره ليقال له: أن اجتماعهم على غيرك لا ينقص فضلك ودينك، وإلا لكان قام في زمن معاوية؟. فهل المسألة شخصية ومتعلقة بالإمام بمفرده أم أنها مسألة أمة ودين وشريعة سماوية يراد بها الذهاب لأن تكون مطية بيد شخص لا يتناهى عن منكر أو فحشاء يتجاهر بالفسق، ولذا قال الإمام (ع): "على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد" (٣٢). وقال أيضاً: مثلي لا يبايع مثله.

٥ / النصيحة تتحدث بمعزل تام عن ما أخبر به الإمام (ع) من أنه خارج ومقتول وستسبى عياله. وهذه النتائج التي يتوقعها ابن الحنفية أخبر عنها النبي والإمام علي والحسين (ع). وقد باتت من المسلمات التي ينتظر المسلمون حدوثها، وقد أسهبت نصوص الرواة والمؤرخين ببيان هذه الحقيقة التي تؤكد أن خبر شهادة الإمام (ع) كان مستقيضا ومعلوماً لدى جل من

الشخصيات الإسلامية الفاعلة حينها، فتطلب منه أن ينتظر اجتماع الناس ليقوم بأداء فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واكتساب شرعية القيام!. وقد بين الإمام (ع) أنه أولى الناس بالقيام بذلك، فقال: "من رأى سلطانا جائرا. مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله. يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير بقول ولا فعل. كان حقا على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن،- وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وإني أحق من غير (٣١). إذن فالتركيز على دور الأمة في خلق المرجعية التي تتيح للإمام (ع) أن يتحرك شرعياً من خلالها، هي حقيقة دعوى لولا القداسة المرسومة لمحمد بن الحنفية (رض) في الوجدان الشيعي، والاعتقاد المترسخ بصدور هذا القول منه، لقلنا أنها تحمل في

طياتها كثيراً من التجني على شخص الإمام الحسين (ع) ومكانته العقدية والإسلامية عموماً كما تحمل كثيراً من الإرباك وسوء الفهم

يعرفه!؛ فقد ذكر عن الفرزدق أنه التقى بعبد الله بن عمرو بن العاص فلامه على عدم المسير مع الإمام الحسين (ع) قال: "فهمت أن ألحق به. ووقع في قلبي مقالته. ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم، فصدني ذلك عن اللحاق بهم. وقد كان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر، وينتظرونه في كل يوم وليلة. وكان عبد الله بن عمر يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يظهر هذا الأمر" (٣٣). على أن هذه المعرفة لم تكن مجرد استشراف لمخاض سياسي، أو توقع فردي وقدرة شخصية على تحليل الوقائع الحاضرة، وتقدير لنتائج مستقبلية؛ إنما كانت مبنية على شبكة من النصوص، والأحاديث النبوية الشريفة منها:

١/ يقتل حسين بن علي على رأس ستين من مهاجرتي (٧).

٢/ يقتل الحسين حين يعلوه القتير = الشيب (٣٥).

٣/ أن الإمام علي (ع) دخل ذات يوم على النبي (ع) فوجده وعيناه تفيضان بالدمع، فقال له: "هل أغضبك أحد يا رسول الله؟. قال: قام من عندي جبريل فأخبرني أن أمتي تقتل الحسين

أبني. ثم قال: هل لك أن أريك من تربته؟. قلت: نعم. فمد يده فقبض قبضة فلما رأيته لم أملك عيني أن فاضتا" (٣٦). وروي أنه (ع) خطب في مسجد الكوفة فقال: "كيف أنتم إذا نزل ذرية نبيكم بين ظهرانكم؟. قالوا: إذن نُبلي الله فيهم بلاءً حسناً. فقال: والذي نفسي بيده لينزلن بين ظهرانكم ولنخرجن إليهم فلتقتلنهم" (٣٧).

٤/ روي عن السيدة عائشة: أن الإمام الحسين (ع) دخل على النبي (ص) وهو يوحى إليه.. فقال له جبريل (ع): أتعبه يا محمد؟. قال: يا جبريل. ومالي لا أحب ابني. قال: فإن أمتك ستقتله من بعدك. فمد جبريل (ع) يده فأتاه بتربة بيضاء. فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمد. واسمها الطف. فلما ذهب جبريل (ع) خرج رسول الله (ص) والتربة في يده وهو يبكي فقال: يا عائشة إن جبريل (ص) أخبرني أن الحسين ابني مقتول في أرض الطف. وأن أمتي ستقتن بعدي. ثم خرج إلى أصحابه وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟. فقال: أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه (٣٨). وروي



ضحى بحرمة الكعبة خوفاً من الموت وطلباً للرئاسة.

٧/ الشق الثاني من نصيحة محمد بن الحنفية (رض) هو فرضية في حقيقة الحال تجنح عن منظور المنطق وحسن التدبير بل وحتى الواقعية والقراءة السليمة للأحداث، وإلا هل يرتضى لابن النبي وإمام المسلمين وسيد شباب أهل الجنة وغيرها من الصفات والامتيازات التي يحملها الإمام الحسين (ع) أن يعيش مشرداً منتقلاً من صحراء إلى صحراء ومن بلد إلى بلد، وهو أمر لا يرتضى للصعاليك من الناس فكيف يرتضى للإمام؟. وهل يؤمن أن الأمويين سوف لن يطاردوه أو يلاحقوه أو يقتلوه غيلة، سيما أنه بهروبه هذا قد يعطيهم المبرر للقيام بذلك، وبالتالي لا يحقق رفضه لبيعة يزيد أي نتيجة تذكر؟. ثم هل يتوقع أن يحصل الإمام الحسين (ع) على استجابة يعتد بها في حال ذهابه لليمن أو غيرها من الأمصار الإسلامية وهو لم يحصل على هذه الاستجابة في المدينة ومكة والكوفة وهي معقل الصحابة والمسلمين الأوائل واتباع أهل البيت (ع)؟. لا مناص من القول

أن ذلك حدث في بيت أم سلمة وأن النبي (ص) قال: يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فأعلمي أن ابني قد قتل، فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوم تحولين دماً ليوم عظيم<sup>(٣٩)</sup>.

٦/ ما جدوى فرضية المكوث في مكة والإمام (ع) قد بقي فيها طيلة أربعة أشهر بما فيها موسم الحج يدعو الناس لنصرته ونصرة دين الله دون أن يجد اجابة شافية وتفاعل يتلاءم وخطورة الموقف؟. ثم إن خروجه منها كان خشية أن يقتل فيها وتنتهك حرمتها إذ قال: "إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل داخلًا منها بشبر<sup>(٤٠)</sup>. وهنا يجدر التساؤل لو أن الإمام الحسين (ع) بقي في مكة وقتل فيها، هل سيحقق قتله فيها ذلك الصدى والأثر الذي أحدثته ثورته في كربلاء، أم أن النتيجة ستكون عكسية كما حدث مع عبد الله بن الزبير حين انتهكت حرمة الكعبة بسببه فغدى ذلك مدعاة لقدحه وتلبه وأنه

والشيعي على وجه الخصوص فقد وضعت جميع من تخلف عن الإمام الحسين (ع) بما فيهم بني هاشم بموضع المسألة والتأرجح سيما وأن الخطاب المتقدم كان موجه لهم بالدرجة الأساس، فالحدث الكائن قد فرز بين صنفين

الأول: من سيلحق بالإمام الحسين (ع) وهم الشهداء ومن سيبلغون الفتح.

الثاني: المتخلفون ومن ضيعوا فرصة الشهادة وبلوغ الفتح.

وقد وظف الإمام (ع) التعابير القرآنية للإشارة لكلا الصنفين، وهي بلا شك ألفاظ لها دلالاتها الخاصة التي لم تكن لتخفى على المخاطبين بها؟. كما أن الملاحظ هنا إن الإمام الحسين (ع) قد قرن الانتماء لأحد هذين الصنفين باتباعه كشخص (من لحق بي)، للدلالة على أنه يمثل هنا محور الاستقطاب الذي يوصل إلى بلوغ الفتح، وبعبارة أخرى هو امتداد ذلك الاستقطاب الذي مثله النبي (ص) حين خاطبه الله (جل وعلا) بأنه قد فتح له ذلك الفتح المبين وأنب الذين تخلفوا عنه أشد تأنيب وأقساه. وسيأتي بيان هذا الإبدال في التمثيل بعد قليل.

باستحالة ذلك، فالموقف الراض للحكم الأموي من قبل أهل البيت (ع) تجاوز في زمن الإمام الحسين (ع) عشرون سنة، اثبت خلالها أن تحرك الأمة يكاد يكون لاوجود له، وتجربة الإمام علي والإمام الحسن (ع) من قبله خير دليل على ذلك.

٨/ يبدو على نصيحة محمد بن الحنفية (رض) كما باقي نصائح الناصحين أنها تتعامل مع الجنبه العاطفية الوجدانية من الحدث ولا تتطرق لروح التحرك ومبدأه رغم أن الإمام الحسين (ع) خلال تلك المحاورات كان يؤكد على ذلك المبدأ، ويجعله المحرك الأساس في خروجه، ويبين أن الجنبه العاطفية التي يتحدث عنها هؤلاء الناصحين ما هي إلا ضريبة بسيطة جدا لبلوغ ذلك الهدف والمبدأ.

وكأنك تلحظ أن هؤلاء الناصحين في واد والإمام (ع) في واد آخر، وكأنهم يختلفون لأنفسهم الأعدار والمبررات للهروب من الصدام الحتمي بين الدنيا والآخرة، الصدام الذي أوجزه الإمام الحسين (ع) بقوله: من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح<sup>(٤١)</sup>. و نحن هنا بمواجهة حقيقة صادمة للوجدان الإسلامي عموما

٩/ إن استقراء أحوال محمد بن الحنفية (رض) خلال وبعد كربلاء في المصادر الشيعية لا يكاد يعطي تعليلاً مقنعاً ومنطقياً لتخلفه عن الإمام الحسين (ع)، كما لا يعطي صورة واضحة عن موقفه فيما بعد، إذا ما استثنينا الرواية التي تتحدث عن احتكامه مع الإمام زين العابدين (ع) للحجر الأسود. بل إن هذه الرواية تزيد الطين بلة، وتسهم في تضبيب صورة وموقف محمد من مسألة الإمامة. فضلاً عن ذلك نلاحظ في مصادرنا رغبة بتجاوز هذه المسألة بصورة سريعة دون إثارة الانتباه إليها، أو تحاشي الحديث عنها والخوض في تفاصيلها، ربما لعدم وضوحها من الأساس أو لحساسية الخوض فيها!.

على أن هذه المسألة ألحت منذ وقت سابق على وعي بعض أصحاب الأئمة (ع)، وبعض علمائنا السابقين، فقد ورد أن حمزة بن حمران وهو أحد صحابة الإمام الصادق (ع) قال للإمام (ع): ذكرنا خروج الحسين (ع) وتخلف ابن الحنفية عنه. فقال له الإمام الصادق (ع): يا

حمزة إني سأحدثك في هذا الحديث ولا تسئل عنه بعد مجلسنا هذا. إن الحسين لما فصل متوجهاً - أي من مكة إلى العراق - دعا بقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى بني هاشم. أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام<sup>(٤٢)</sup>.

ولعل هذا النص ينسف ما ذيل به نص نصيحة محمد بن الحنفية (رض) للإمام الحسين (ع) الذي يتحدث عن أن الإمام الحسين (ع) قال له: وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا عليهم ولا تخف علي شيئاً من أمورهم<sup>(٤٣)</sup>. هذا فضلاً عن أن القراءة التاريخية للأحداث تبين عدم جدوى بقاء محمد لنقل الأخبار للإمام الحسين (ع). وإذا ما تنزلنا عن ذلك وقلنا بأهميته خلال إقامة الإمام الحسين (ع) في مكة، فما الفائدة منه حين مغادرته إياها، وتصريحه مراراً وتكراراً بأنه سيقتل وستسبى عائلته؟! فما فائدة نقل الأخبار له؟! وهل نقل له محمد إي منها؟! التاريخ لا يذكر

ذلك مطلقاً. وعليه يبدو الراجح أن هذا الذيل ألحق في نص النصيحة ك محاولة للاعتذار عن تخلف محمد بن الحنفية (رض) عن أخيه الإمام الحسين (ع).

ومن الاعتذارات غير المقنعة، التي إن أشرت على شيء فإنما تؤشر على الرغبة بطوي صفحة تخلف محمد بن الحنفية (رض) وعبد الله بن عباس عن الإمام الحسين (ع) دفعة واحدة دون التعريض بشخصيهما أو تخطئتهما، ما ورد من أن ابن عباس قال: " رأيت الحسين قبل أن يتوجه إلى العراق على باب الكعبة، وكف جبرئيل في كفه، وجبرئيل ينادي: هلموا إلى بيعة الله. وعُف ابن عباس على تركه الحسين فقال: إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم . وقال محمد بن الحنفية (رض) : وان أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم" (٤٤).

واضح أن هذا النص - سواء كان كائناً أو مكوناً - يعكس الشعور بحراجة موقف عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية (رض) من الإمام

الحسين (ع)، ويحاول الاعتذار لهما بشكل أو بآخر. ولكن اعتذاره يصطدم بسماكة النصوص المزدحمة التي تتحدث عن طلب الإمام الحسين (ع) النصر من جل من التقى بهم، فضلاً عن خطاباته في مكة والمدينة ودعوته الناس لنصرته، وإلا لما كان له الحق في أن يقول: (من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح)، وكان طلبه النصر من الناس لا مبرر له، وكان كل من تخلف عنه معذورون في تخلفهم عنه، بل لعل مسايرة النص تسقط وجوب استجابة الجماعة الإسلامية لمبدأ وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي نهض به الإمام الحسين (ع)!.  
ومن الاعتذارات التي تؤشر عدم التيقن أو التأكد من صحة موقف محمد بن الحنفية (رض) ما نقله العلامة المجلسي من: أن السيد مهنا بن سنان (ت ٧٥٤هـ) سأل العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ): ما يقول سيدنا في محمد بن الحنفية (رض)؟. هل كان يقول بإمامة زين العابدين (ع)؟. وكيف تخلف عن الحسين (ع)؟.

ومن الاعتذارات التي تؤشر عدم التيقن أو التأكد من صحة موقف محمد بن الحنفية (رض) ما نقله العلامة المجلسي من: أن السيد مهنا بن سنان (ت ٧٥٤هـ) سأل العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ): ما يقول سيدنا في محمد بن الحنفية (رض)؟. هل كان يقول بإمامة زين العابدين (ع)؟. وكيف تخلف عن الحسين (ع)؟.

وكذلك عبد الله بن جعفر؟. فأجاب العلامة الحلي: قد ثبت في أصل الإمامة أن أركان الايمان التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، والسيد محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وأمثالهم أجل قدرا وأعظم شأنًا من اعتقادهم خلاف الحق، وخروجهم عن الايمان الذي يحصل به اكتساب الثواب الدائم والخلاص من العقاب. وأما تخلفه عن نصره الحسين (ع) فقد نقل أنه كان مريضاً، ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع على مولانا الحسين (ع) من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كتب الغدرة إليه وتوهموا نصرتهم له<sup>(٤٥)</sup>.

وهذا الاعتذار هو الآخر لا يسعف موقف محمد بن الحنفية (رض)، فلم يرد في كلامه مع الإمام الحسين (ع) التلميح أو الإشارة إلى أنه كان مريضاً؟!، فالنص السابق تحدث عن طلب الإمام (ع) منه البقاء ليكون عيناً له على الأمويين في المدينة؟!، وإلا لكان قال له: أنت مريض وأنا أرحص لك في البقاء. فضلاً عن ذلك هو قد لحق بالإمام (ع) إلى مكة في الليلة التي أراد الخروج منها إلى العراق، بمعنى أنه كان قادراً على التحرك والسفر، فضلاً عن

أن الإمام (ع) قد استصحب معه من هم أضعف من محمد بن الحنفية (رض) كالنساء والأطفال؟.

أما أنه لم يكن يتوقع قتل الإمام (ع)، وأن أهل الكوفة سيفون له بما واعدوه في كتبهم، فهو اعتذار أوهى من الأول، وإلا فمحمد نفسه- بحسب نص نصيحته- يقول: إني أخاف أن تأتي مصرا أو جماعة من الناس فيختلفوا عليك، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتلون فتكون لأول الأسنة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً، أضيعها دماً وأذلها أهلاً. بمعنى أنه لم يكن مطمئناً لوفاء أهل الكوفة، هذا فضلاً عن أن الإمام الحسين (ع) قد أخبره وجميع المسلمين بأنه سيقتل وسيمثل بجسده، وأن الله (جل وعلا) قد اختار له كربلاء ليؤدي بها هذا الدور الرسالي المحمدي الأصيل، وقد ورد أنه قام خطيباً في مكة فقال: " الحمد لله وما شاء الله ولا قوه إلا بالله. خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني وأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين

محمد بن الحنفية(رض) فأدرك حسيناً بمكة وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا فأبى الحسين أن يقبل، فحبس محمد بن علي وولده فلم يبعث معه أحدا منهم، حتى وجد حسين في نفسه على محمد وقال: أترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟. فقال محمد: وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم<sup>(٤٧)</sup>.

ومع أن هذا النص لم يرد في المصادر الشيعية، إلا أن مؤداه متحقق على أرض الواقع، إذ لم يلتحق أي من أولاد محمد بن الحنفية(رض) مع عمهم الإمام الحسين(ع). ولعل مما يرجح مؤداه -على أقل الفروض- أن الإمام الحسين(ع) كان قد خص أخاه محمد بن الحنفية(رض) وبني هاشم بكتابين ينمان عن عتب أو ألم وتوجع خفي من موقفهم -لعله حال دون ظهوره أدب الأنبياء الذي تأدب به الإمام الحسين(ع)- فقد كتب الإمام الحسين(ع) من مكة إلى أخيه محمد بن الحنفية(رض): بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى محمد

النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين. لن تشذ على رسول الله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده. من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله<sup>(٤٦)</sup>.

ومع افتراض أن كل ما سبق لم يرتق لمستوى تحذير محمد بن الحنفية(رض) بصورة جدية من أن أخاه الإمام الحسين(ع) سيخرج وسيقتل في كربلاء، فإن فيما ورد من حديث دار بينه وبين الإمام الحسين(ع) قبل مغادرة الأخير لمكة بساعات قلائل لا يترك مجالاً للشك في هذه الحقيقة، فضلاً عن أنه يزيد من وضع علامات الاستفهام حيال موقف ابن الحنفية. فقد ورد أن الإمام الحسين(ع) بعث إلى بني هاشم المتواجدين في المدينة- قبل خروجه إلى العراق بوقت قصير- فقدم عليه من خف معه من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان من اخوانه وبناته ونسائهم، وتبعهم

بن علي ومن قبله من بني هاشم. أما بعد فان من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام<sup>(٤٨)</sup>. أما الكتاب الثاني فقد نص على أن الإمام الحسين (ع) كتبه إلى محمد بن الحنفية (رض) من كربلاء، وقد جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم. أما بعد فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل، والسلام<sup>(٤٩)</sup>.

يلاحظ أن الكتاب الأول يشير إلى أن الإمام (ع) لم يعذر أياً من بني هاشم من اللحاق به وبضمنهم محمد بن الحنفية (رض)، بل رغبهم باللحاق به ونصرته لنيل الشهادة والفتح، تاركاً لهم حرية اتخاذ الموقف بحسب التزامهم الشرعي تجاهه، وهي طبيعة تعامل كان الإمام (ع) وكل أهل البيت (ع) يتحركون من خلالها مع مجتمعهم وشيعتهم. أما الكتاب الثاني فيشير بوضوح لتوجه الإمام (ع) من تركهم للحاق به، وتقويتهم فرصة التمتع بالحياة الآخرة الدائمة طمعاً بالحياة الدنيا الزائلة؟! ولعل إيجاز الكتب واختصارها

بهذه الصورة يحيل لذلك أيضاً، سيما وأنها محاولات أخيرة لحضهم على الالتحاق به. ويجدر الانتباه هنا إلى أن مقابلة الكتاب الأول، مع جواب الإمام الصادق (ع) لحمزة بن حمران حين قال له: ذكرنا خروج الحسين (ع) وتخلف ابن الحنفية عنه. فقال (ع): يا حمزة إني سأحدثك في هذا الحديث ولا تسئل عنه بعد مجلسنا هذا. إن الحسين لما فصل متوجهاً دعا بقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى بني هاشم. أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام<sup>(٥٠)</sup>. فهذه المقابلة تشير إلى عدم وجود خصوصية لتخلف محمد بن الحنفية (رض)، وإلى أن هذا الكتاب بمثابة تقرير وعتب من موقف عموم المخاطبين، ويتأكد ذلك إذا ما ضمنا إليه شكوى الإمام الحسين (ع) بصورة علنية من قلة العدد و خذلان الناصر: أأنا وأني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر<sup>(٥١)</sup>.

فضلاً عما سبق، يبدو أن استشفاف الإمام الحسن (ع) للمستقبل وعلمه النبوي به، قد ألح عليه بأن يوصي أخيه الإمام الحسين (ع) في لحظاته الأخيرة بالقول: يا أخي. أوصيك بمحمد أخيك خيراً، فإنه جلدة ما بين العينين. ويوصي محمد بن الحنفية (رض) بأخيه الحسين (ع) فيقول: يا محمد. وأنا أوصيك بالحسين، كانفه ووازره<sup>(٥٢)</sup>.

١٠ / وإذا عدنا إلى حادثة الاحتكام إلى الحجر الأسود، فهي تنص على أن محمد بن الحنفية (رض) نازع الإمام زين العابدين (ع) منصب الإمامة، فقال له الإمام (ع): يا عم. اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق، إني أعظك أن تكون من الجاهلين. إن أبي يا عم أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله (ص) عندي، فلا تتعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال. إن الله عز وجل جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين (ع) فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا

إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك. فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال الإمام زين العابدين (ع) لمحمد بن الحنفية (رض) : ابدأ أنت فابتهل إلى الله، وسله أن ينطق لك الحجر، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه. فقال الإمام زين العابدين (ع): يا عم. لو كنت وصياً وإماماً لأجأبك. فقال له محمد : فادع الله أنت يا ابن أخي وسله. فدعا الإمام (ع) بما أراد، ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي و الإمام بعد الحسين (ع)؟. فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين ابن علي (ع) إلى علي بن الحسين (ع). فانصرف محمد بن الحنفية (رض) وهو يتولى الإمام زين العابدين (ع)<sup>(٥٣)</sup>.

وقد أضاف قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ) تعليقاُ نصه: "وقيل: إن ابن الحنفية إنما



١١ / العلامة الفارقة الأخرى في مسألة تخلف محمد بن الحنفية (رض)، هي عدم أمره لأي من أولاده بالالتحاق بعمهم الإمام الحسين (ع)، ويتضح من استقراء أحوال فرقة الكيسانية التي تزعمها ولده (عبد الله أبو هاشم) والتي قالت بإمامة محمد، بل وأنكرت وفاته وادعت غيابه وأنه هو المهدي<sup>(٥٥)</sup>، أنها أسهمت ببلورة شخصية محمد بن الحنفية (رض) التاريخية دوناً عن بقية أولاد الإمام علي (ع) على نحو التقابل مع شخوص الأئمة (ع). ولذلك نجد أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية يقف قبالة الإمام الباقر (ع)، وهو في المسجد وحوله جماعة من الناس قد اختلفوا يأترون عنه ويستفتونه، فحسده وشمته وشم أباه الإمام زين العابدين (ع)، وقال له: تدعون وصية رسول الله (ص) بالأباطيل وهي لنا دونكم. فأقبل عليه الإمام الباقر (ع) غير مكترث، فقال: قل ما بدا لك. أنا ابن فاطمة وأنت ابن الحنفية، فوثب الناس على أبي هاشم يرمونه بالحصاة ويضربونه بالنعال حتى أخرجوه من المسجد<sup>(٥٦)</sup>.

فعل ذلك إزاحة لشكوك الناس في ذلك<sup>(٥٤)</sup>. ولكن يبدو أن نص الحادثة الذي نقلته المصادر المتقدمة لا يرجح هذا التأويل، بل هو إما ينص أو يشير لاشتباه الأمر بداية على محمد بن الحنفية (رض) نفسه، وظنه بأنه هو الإمام، وتمسكه بذلك حتى كلمه الحجر الأسود!. وهذا بحد ذاته يؤشر لضبابية موضوع الإمامة وطرق تحصيلها عند محمد بن الحنفية (رض) نفسه فضلاً عن أولاده. وهو ما يقود للسؤال عن مدى تسليمه لإمامة أخيه الإمام الحسين (ع) من قبل، ذلك التسليم الذي يفترض أن ينساق أمامه دون مناقشة تذكر؟. وبعبارة أخرى يجدر التساؤل هنا عن الحجة أو مدرك الاطمئنان أو الظن الذي استند إليه محمد في ادعاء الإمامة؟، وبالتالي مدى أحقية ذلك الادعاء وقناعته به؟، ومن ثم موقفه تجاه من قال بإمامته؟. صفوة القول: لا نكاد نجد في كل الاعتذارات والحيثيات المتقدمة تفسيراً منطقياً يعتد به لتخلف محمد بن الحنفية (رض) عن أخيه الإمام الحسين (ع).

إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى. فقال: إني أعيدك بالله من ذلك. أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم و ضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمله تجبى بلادهم فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك و يكذبوك ويخالفوك ويخذلوك وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك. فقال له حسين وإني أستخير الله وأنظر ما يكون..... فلما كان من من الغد أتاه فقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر. إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال. إن أهل العراق قوم غدر فلا تقرينهم. أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت الآن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصونا وشعبا وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعائك فإني أرجو أن يأتيك

و كان واصل بن عطاء زعيم المعتزلة ومؤسس تواجدهم الفكري قد التقى أبا هاشم وأخذ عنه<sup>(٥٧)</sup>. وكان من انحراف أبي هاشم عن أهل البيت(ع) أنه ادعى الوصية والإمامة، وورثها لمحمد بن علي العباسي في الحميمة، بعد أن سقى السم بتدبير سليمان بن عبد الملك<sup>(٥٨)</sup>. أما أخوه الحسن بن محمد بن الحنفية فكان هو الآخر مخالف لمذهب أهل البيت(ع) وهو أول من تكلم بالإرجاء<sup>(٥٩)</sup>. من خلال ما تقدم يبدو طبيعياً عدم اشتراك أولاد محمد بن الحنفية(رض) مع الإمام الحسين (ع) في كربلاء، فهم ينتمون لخط مغاير تماماً.

ثانياً- نصيحة عبد الله بن عباس

ورد أنه تباحت في أكثر من مرة مع الإمام الحسين(ع) بشأن ثورته وخروجه على يزيد، وأنه قدم بعض الخيارات التي لا تبتعد بمضمونها عما قدمه محمد بن الحنفية(ص)، وكان مما قاله: يا ابن عم. إنك قد أرجف الناس أنك سائر

الإمام (ع) حينها بان ينفوا أميرهم ويضبطوا بلادهم. فضلا عن ذلك لم يكن أمير الكوفة في ذلك الوقت بالشخص الذي يخشى منه بدليل أن أهل الكوفة ثاروا عليه وطردوه، وقد رفض هو مقاتلة الإمام؛ ولذا تدارك يزيد ذلك وولى مكانه عبيد الله بن زياد. والروايات تنص عن حدوث استجابة مبدئية لمبعوث الإمام الحسين مسلم بن عقيل (ع). اذن فرضية ابن عباس لحد الآن متحققة ولا جدوى من التعلل بعدم تحققها.

٢/ فضلا عن ذلك فإن الإمام الحسين (ع) قد أخبر عن تحركه سواء تحققت هذه الإستجابة المبدئية أو لم تتحقق، إذ قال: خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخير لي مصرع انا لاقية. كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكريلاء، فيملأن مني أكراشا جوقا وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت، نصير على بلائه ويوفينا أجور الصابرين. لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه، وينجز بهم وعده. من

عند ذلك الذي تحب في عافية. فقال له الإمام (ع): يا ابن عم إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير فقال له ابن عباس فإن كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيبتك فو الله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسأوه وولده ينظرون إليه. والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصرينك حتى يجتمع على وعليك الناس أطعنتي لفعلت ذلك<sup>(٦٠)</sup>.

وبصورة عامة يلحظ على نصيحته أنها لا تختلف كثيراً- عن لم تكن متطابقة في مضامينها- مع نصيحة ابن الحنفية السابقة، ومع ذلك يمكن أن يسجل على هذه النصيحة المداخلات التالية:

١/ يلحظ فيها التأكيد على قضية وصول المجتمع الكوفي إلى مرحلة توطين الأمور وطرد العامل الأموي، هي حجة واعتذار واه، وإلا إن كانوا يملكون القدرة على فعل ذلك لما راسلوا الإمام الحسين (ع). وهم بتلك المراسلة قد ألقوا عليه الحجة، فليس من المنطق أن يطالبهم

كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل غدا مصباحاً أن شاء الله تعالى<sup>(١٢)</sup>. فهنا الإمام الحسين يتحدث بمعزل عن جميع الاحتمالات التي وضعها ابن عباس وابن الحنفية وباقي الناصحين مما يعني أنها مهما بلغت من الرجاحة والوجاهة ما هي إلا هامش لا يلتفت له في حسابات التحرك. فضلاً عن أنهم يتحدثون عن توقعات وهو يتحدث عن نتائج يقينية متحققة.

كما أن منظور تلك الافتراضات يتحدث عن تهيئة أرضية لقيام حكومة سياسية في حين كانت جوابات الإمام الحسين (ع) وخطبه العامة سواء في المدينة أو مكة تتحدث عن القيام بمشروع إلهي يتجاوز مديات الحكومة السياسية والخلافة وغيرها. وهي أمور أثارها الإمام (ع) منذ عهد معاوية، فقد نص المؤرخون على أن والي المدينة رفع كتاباً لمعاوية أبلغه فيه بمكاتبة أهل الكوفة للإمام الحسين (ع) ودعوتهم له فكتب إليه معاوية: إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء. وقد أنبئت أن قوماً من أهل

الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جريت. قد أفسدوا على أبيك وأخيك. فاتق الله، واذكر الميثاق. فإنك متى تكدي أكذك. فكتب إليه الإمام (ع): أتاني كتابك. وأنا بغير الذي بلغك عني جدير. والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أردت لك محاربة، ولا عليك خلافاً، وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك، ولا أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة<sup>(١٣)</sup>.

وتجدد هذا التصريح عندما قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد، وصار يمدحه ويصفه بأحسن الأوصاف وينسبه لأفضل الأخلاق، فقاطعه الإمام (ع) قائلاً: هيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، و استأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، و جرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكمل. وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد (ص)، تريد أن توهم الناس في يزيد. كأنك تصف محجوباً أو تتعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم

في أربعة آلاف، والمصاب الماري في ثلاثة آلاف ونصر بن حربة في ألفين (٤١).

٤/ تأكيد كلا النصيحتين (نصيحة محمد وعبد الله) على الاعتصام بالكعبة أو الذهاب إلى اليمن أو التنقل بين البلدان والحصون والجبال والصحاري، وقد مرت مناقشة هذه الفرضية. كما يلاحظ تشابه الرد في كلا الحالتين يشكره الإمام ويقول أنك ناصح مشفق أو ناصح وشفيق وكذلك أيضا كلاهما أكد على السؤال عن علة استصحاب النساء والأطفال. فلعل هناك خطأ في هوية الناصح، أو أنهما تشاورا بهذا الأمر سوياً وخرجا بنفس النتائج و الفروض، وأرادا تركيزها من خلال تكرار طرحها على الإمام (ع).

٥/ من الغريب أنه بعد كل ما بينه الإمام الحسين (ع) وأوقف عليه ابن عباس وغيره نجده يقول: والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على وعليك الناس أطعتني لفعت ذلك!. وكأننا نلحظ الإصرار على الاعتذار والتبرير لابن عباس، وإلا لو كان هذا الود والحب والتعلق بالإمام الحسين (ع) صادر عن قناعة يقينية لكان هو

خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه. فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهاشرة عند التحارش، والحمام السابق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده باصرا ودع عنك ما تحاول. فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقية" (٦٣).

٣/ من المستغرب أن يبدو في جميع تلك النصائح أنها كانت تتوقع بشكل شبه مؤكد أن أهل الكوفة سيغدرون بالإمام الحسين (ع). وهو ما يشير لرغبة المؤسسة التدوينية بتحميل أهل الكوفة مسؤولية الغدر وقتل الإمام الحسين (ع)، حتى بات يعتقد عدم مشاركة جيوش شامية في كربلاء، وقيل أن المشاركين في قتل الإمام الحسين لم يكن بينهم شامي ولا حجازي!. وحقيقة الحال أن النصوص تشير لتواجد قطعات عسكرية شامية، فقد نص ابن أعثم على أن عبيد الله بن زياد: وضع لأهل الشام العطاء فأعطاهم ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا أعوانا له على قتال الحسين، فكان زيد بن ركاب الكلبى في ألفين، والحصين بن نمير السكوني

أول الملتحقين بركابه، سيما وأنه قد خاطبه وغيره: من كان باذلاً فينا مهجته موطناً لقاء الله نفسه فليرحل معنا. وعليه يبدو أن مديات علاقته بالإمام الحسين(ع) وقربه منه لم تكن تتجاوز البعد العاطفي العادي، والانتماء النسبي يفرض بطبيعة الحال هذا التعاطف، وإلا فهو لم يرق إلى درجة الاعتقاد اليقيني بأن الإمام الحسين إمام مفترض الطاعة وأنه أولى به من نفسه وهي الحالة التي تميز بها أنصاره في كربلاء بحيث ذابوا بالإمام وكانوا يستأنسون بالمنية دونه استئناس الطفل بمحالب أمه ويتمنى الفرد منهم أن يقتل ويذرى ويفعل به ذلك ألف مرة دونه!.

٦/ من الغريب أيضاً أن ابن عباس يقارن بين خشيته من قتل الإمام أمام نسائه واطفاله وبين مقتل عثمان. فهل هناك ثمة مقارنة بين الموقفين فضلاً عن الشخصيتين؟! فعثمان قتل دون أن يجراً على أن يستل سيفه بوجه مهاجميه، في حين يسير الإمام لمنيته وهو يعلم بها مسبقاً. وذاك قد قتل نتيجة لفساده واسرافه وعبثه بأموال المسلمين ودينهم ومصائرهم. في حين قدم الإمام نفسه وعائلته لإحياء الدين

والسنة وحرية الناس. فضلاً عن ذلك فعائلة الإمام الحسين(ع) لم تكن لتتفاجأ بالموقف، وإلا فهي تعلم أنها ستسبى وسيجري عليهم ما أخبرهم به الإمام(ع). بمعنى أنهم كانوا مناطة بهم اتمام المرحلة الثانية من الثورة. وإلا فليس من المعقول أن يخبر الإمام عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية(رض) وعموم المسلمين بأن الله شاء أن يراهن سبائاً دون أن يخبر ذوات الشأن بذلك.

٧/ يجب أن لا ننسى هنا نقطة مهمة جداً، وهي أن عبد الله بن عباس قد بايع يزيد بالخلافة، فقد نص الطبري على أنه أعطى بيعته للوليد بن عتبة في المدينة<sup>(٦٥)</sup>. أي في بدايات طلب البيعة من المسلمين فيها، وقبل عزل الوليد بن عتبة وتولية عمرو بن سعيد الأشدق، وقبل لقاء عبد الله بن عباس بالإمام الحسين(ع) وتقديم النصح له!. وهو بذلك قد خرج عن دائرة نمطية التعاطي التي حددها الإمام الحسين(ع)(مثلي لا يبايع مثله)!. ونقل البسوي(ت ٢٧٧هـ) مكاتبات أخرى جرت بين عبد الله بن عباس ويزيد بن معاوية، سجل فيها عبد الله بن عباس اعترافه الصريح بمبايعة يزيد،

٨/لاشك أسهم موقف (محمد بن الحنفية و عبد الله بن العباس) وتقديمهما النصائح أو خيارات المواجهة البديلة للإمام الحسين (ع) بتقنين مستوى الاستجابة المجتمعية الإسلامية- على الأقل ضمن القاعدة المؤيدة لهما- وفق متباينات: الحياد وعدم التدخل، أو الاكتفاء بتوجيه النصيحة والمشورة، أو التخلف وعدم الاكتراث وإن طلب الإمام (ع) المساندة والمناصرة، سيما إذا ما وضعنا بنظر الاعتبار تخلف عموم أولاد محمد بن الحنفية انتظاماً خلف زعامته الأبوية والدينية، وتخلف عموم أولاد العباسيين انتظاماً وراء زعامتهم العائلية المتمثلة بعبد الله بن العباس، ولذلك نجد يزيد يرأسه قائلاً (..، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه). وعلى نطاق أوسع، ابتعاد هذا التأثير ليشمل شرائح متنوعة من الجماعة الإسلامية حينها، عملاً بمنظور ارتداد كثير من فواعل الحراك المجتمعي العربي لأواصر ومقتضيات العلاقة والقرباية والنسب بعلاقة طردية يوجزها قول الشاعر ابن المقرب العيني (٥٧٢-٦٣١هـ):

فكان مما قاله في أحد كتبه: "وذكرت وفائي وما عرفتني من حقلك فإن يك ذلك كذلك فقد والله بايعتك ومن قبلك" (٦٦).

ولعل كتاب يزيد الذي أرسله لعبد الله بن عباس يخبره فيه بخروج الإمام الحسين (ع) إلى مكة، هو ما دفع عبد الله بن عباس للحاق بالإمام الحسين (ع) وتقديم تلك النصيحة، فقد ورد أن يزيد كتب لعبد الله بن عباس: يخبره بخروج حسين إلى مكة، وأن بعض رجالها منوه الخلافة، وعندك منهم خبرة وتجربة، فإن كان فعل فقد قطع واشج القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه فاكفه عن السعي في الفرقة. وضمن كتابه بعض الأبيات الشعرية، فكتب له عبد الله بن عباس: إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة وتطفي به النائرة (٦٧). وبالتالي ربما كان ابن عباس بحاجة لتبرير بيعته الضالة تلك، فكان أن حاول ذلك من خلال تقديمه تلك النصيحة للإمام الحسين (ع).

إذا فاتك الأدنى الذي أنت حزبه فلا عجباً إن  
أسلمتكَ الأبعاد<sup>(٦٨)</sup>

بعبارة أخرى تأثير تخلف هذين الشخصين-  
مع ملاحظة المكانة الاجتماعية التي يتمتعان  
بها- لم يكن ليقف عند حدود تخلفهما فقط، إنما  
يتعداه لمن تأثر بموقفهما أو تابعهما عليه أو  
سلك مسلكهما فقدم هو الآخر نصائح أو  
اعتراضات على خروج الإمام(ع)، ولعل هذا ما  
يفسر ارتفاع نسبة النصائح والناصحين، إلا إذا  
افترضنا أن قسماً من تلك النصائح قد شكّل  
تاريخياً لإضعاف موقف الثورة ومنتبنياتها العقدية  
والفكرية، وتصحيح مسلك الحكومة الأموية  
وتعاملها مع الإمام وصحابته وأهل  
بيته(ع)، اعتماداً على الرفض أو التخلف أو  
الحياد المجتمعي الواسع إزاء التحرك. ولكن هذا  
الافتراض يتطلب حجج اسناد قوية، تتساوى- إن  
لم تكن ترجح- على الاعتقاد بأن تلك النصائح  
هي فعلاً صور كائنة لا مكونة.

ثالثاً- نصيحة عبد الله بن عمر بن الخطاب

ورد أنه عندما عاد من أداء العمرة إلى  
المدينة، التقى بالإمام الحسين(ع) وعبد الله بن  
الزبير، فقال لهما: أذكركما الله إلا رجعتما  
فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس. تنظرا  
فإن اجتمع الناس عليه لم تشدا، وإن افترق عليه  
كان الذي تريدان. وقال للإمام(ع): لا تخرج فإن  
رسول الله(ص) خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختر  
الآخرة، وإنك بضعة منه ولا تعاطها- يعني  
الدنيا- فاعتقه وبكى وودعه فكان ابن عمر  
يقول غلبنا حسين بن علي بالخروج. ولعمري  
لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ورأى من الفتنة  
وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا  
يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل  
فيه الناس فإن الجماعة خير<sup>(٦٩)</sup>. وهذه  
النصيحة تتفق والنمطية التاريخية المعروفة  
لشخصية عبد الله بن عمر. ويمكن أن نسجل  
عليها الملاحظات التالية:

١/ ابن عمر يدعي اجتماع الناس على  
يزيد، ويحاول أن يروج لمفهوم اختيار الأمة!.  
وهو في الحقيقة مجانية للواقع فمعاوية قد أخذ  
البيعة ليزيد قهراً وببذل المال السياسي لمن



نفسه وعبد الله بن الزبير وابن عباس قد أُجبروا على البيعة بحسب تعليمات يزيد للوليد بن عتبة واليه في المدينة. ألم تؤخذ البيعة قهراً من أهل المدينة بعد واقعة الحرة ومن أبي يقتل. فعن أي اجماع يتحدث ابن عمر؟! وأي اجماع هذا الذي باتت فيه الأمة متقاعسة تشتري ذممها بالأموال وتستكين فيه لمنطق القوة والسيوف.

٢/ هناك نقطة هامة في قول ابن عمر، وهي محاولته تصوير الإمام الحسين على أنه خارج للدنيا!. إذ يقول: (أن رسول الله (ص) اختار الآخرة.. وإنك بضعة منه ولا تعاطها). وهو أمر فيه مغالطة كبيرة، فشعار الإمام (ع) واضح تمام الوضوح وهو طلب الإصلاح. ولو كان يريد الدنيا لبذل له يزيد ما يريد منها على أن يبايعه. ولو كان يريد الدنيا لغير استراتيجيات الخروج، ولم يعرض نفسه وعياله لمثل هذا الموقف. ولو كان للدنيا لبذل المال السياسي واستخدام الائتواء لكسب الأنصار. وإلا فالإمام (ع) كان يترفع عن أن يكون أحد ممن يؤيده من الذين يريدون الدنيا؛ لذا نراه وهو في الطريق إلى كربلاء قد لحقه جمع من الناس وهم يظنون أنه ذاهب لحكم

يخشى منه النكث حتى. فقد ورد أنه قدم إليه وفد يدعوونه إلى تولية يزيد كان قد أرسلهم المغيرة وأرسل معهم ولده عروة، فدخلوا على معاوية وخطبوا وذكروا أنه إنما أشخصهم إليه التيه والنظر لأمة محمد (ص) وقالوا: يا أمير المؤمنين. كبرت سنك وتخوفنا الانتشار من بعدك. يا أمير المؤمنين. اعلم لنا علم وحد لنا حدا ننتهي إليه. قال: أشيروا علي. قالوا: نشير عليك بيزيد. قال: وقد رضيتموه. قالوا: نعم. قال: وذاك رأيكم. قالوا: نعم، ورأي من بعدنا. فأصغى إلى عروة وهو أقرب القوم منه مجلسا فقال: الله أبوك!. بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟. قال: بأربعمائة. قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً<sup>(٧٠)</sup>. ودل يزيد على خلافته وأبيه يوم نصبه ولياً لعهد، وجعل الناس يمدحونه ويقرضونه فقال: يا أمير المؤمنين. والله ما ندري أنخدع الناس أم يخدعوننا؟. فقال معاوية: كل من أردت خديعته فتخادع لك، حتى تبلغ منه حاجتك، فقد خدعته<sup>(٧١)</sup>. إذن فمعاوية ويزيد يعترفون أن حكمهم خداع واستغلال للناس وتسلط عليهم بالقوة والمال. ثم أليس عبد الله بن عمر

نفسك، والزم بيتك فلا تخرج على إمامك<sup>(٧٢)</sup>.  
ونصيحة أبو واقد الليثي الذي قال: بلغني خروج  
حسين فأدركته فناشدته الله أن لا يخرج فإنه  
يخرج في غير وجه خروج إنما يقتل نفسه<sup>(٧٣)</sup>.  
وما نسب لجابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال:  
كلمت حسينا فقلت اتق الله ولا تضرب الناس  
بعضهم ببعض فو الله ما حُمدتم ما صنعتم<sup>(٧٤)</sup>.  
وهكذا هي عموم النصائح التي قدمت للإمام  
الحسين(ع)، نجدها تركز على استقرار واقع  
سياسي واضح ليس بخفي على الإمام الحسين  
(ع) ولا على أي من أبناء الأمة الإسلامية  
حينها، كما أنها تعكس تجاذب متباينة التخلف  
عن ندائه النبوي الإسلامي الأصيل، والرغبة في  
الاعتذار عن هذا التخلف وتبريره بصورة أو  
بأخرى.

نداءات و ردود الإمام الحسين(ع) على  
الناصحين

مما يلحظ في تلك الحوارات والخطب أن  
الإمام الحسين(ع) وظف كلمات ومفاهيم و  
مضامين قرآنية، لا شك تريد الذهاب لأبعد من

العراق، فوقف وبين لهم حقيقة خروجه ليكونوا  
على بصيرة من خروجهم. مما أدى إلى تفرقهم  
عنه، ووقف عارضا على أصحابه أن يتركوه ليلة  
استشهاده. بل إنه في كربلاء قد عرض عليه ان  
يرسل إلى يزيد ويحفظ حياته إلا أنه لم يرتض  
ذلك، وصرح بالرفض بكلمته المدوية: ألا وأن  
الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة  
والذلة و هيهات منا الذلة. ثم إن أهل البيت(ع)  
ليسوا مسؤولين عن خذلان الناس لهم، وإنما  
خذلان الناس لأهل البيت(ع) هو جناية يجب أن  
يتحمل تبعاتها الناس المتخاذلون، وهو واحد منهم  
إذ لو كان صادقا لكان عليه أن يستغل نفوذه  
لصالح الإمام الحسين(ع)، لا لتخذيل الناس  
عنه. ولكن كلام ابن عمر له غاية لا تتفك عن  
بداية الإنحراف الذي حدث والذي ارتبط بصناع  
قرار السقيفة وبيعة الأول. بمعنى الاستكانة  
لطريقة تحصيل الخلافة بالقوة والترهيب و  
الترغيب.

٣/ وعلى هذا المنوال تتدرج نصيحة أبو  
سعيد الخدري الذي قال للإمام(ع): اتق الله في

حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً. حسين سبط من الأسباط<sup>(٧٥)</sup>. وغيرها من الأحاديث النبوية، فضلاً عن العديد من الآيات القرآنية التي نزلت بحق أهل البيت (ع)، والتي تنتظم على اعتبارها آيتي التطهير والمباهلة.

الملاحظ للأسف أن العديد منا نظر للإمام الحسين (ع) بمعزل عن كونه امتداد للنبي (ص) وبالتالي نظر ليزيد وبني أمية وأشياهم بمعزل عن كونهم امتداد للمشركين والمنافقين. للأسف نُظر للإمام (ع) وكأنه محور مقاومة آني ضد يزيد وأتباعه، وهي نظرة لاشك خاطئة وظالمة ومجحفة جداً، أراد لنا مزوري التاريخ وعلماء الضلالة أن نستطلع ونقرأ ونفهم ونرى الأحداث من خلالها. وللأسف لعلها هي الزاوية التي نظر من خلالها من تخلف عن الإمام الحسين (ع) حينها؛ فتزاحمت عندهم الصور وارتبكت عندهم المفاهيم بين نصرته النبي وحفيده والإمام الشرعي للأمة وبين طاعة الخليفة الوضعي مع كل ما يمثله من ارث جاهلي ونفاق وشرك وانحطاط بشري!. بل أن العديد منهم-

صورتها الوصفية و اللفظية. بمعنى أن دلالاتها تتعمق بالعودة لحاضنتها القرآنية، وكأنه يطلب من أولئك الناصحين أن يقابلوها قرآنياً وهي مقابلة تقدم حقيقة صادمة، وتغير كثيراً من مسارات التقييم لمواقف المتخاذلين من عموم المسلمين حينها. إذ نجد الإمام (ع) يركز على مفردات (الشهادة/التخلف/الفتح) عبر (من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح). أولاً/ الشهادة. أكد الإمام (ع) على نتيجة خروجه بأنها الشهادة لا محال. وهي كمفهوم أو كموضوع واضحة ومفصلة في نصوص القرآن الكريم. ولكن ما يجدر الالتفات إليه هنا نقطتان هما:

١/ أن الإمام (ع) يصعق عموم المسلمين بأنه إن كان هو ومن يلحق به شهداء، فإن من يقاتلهم لاشك من أهل النار. وبذلك يقطع الطريق على من يظن أنهم مسلمين أو يستشكل في الخروج عليهم ومقاتلتهم، هذا بغض النظر عن أقوال الإمام الحسين (ع) الصريحة الأخرى في هذا المقام. ولا بد هنا أن نستصحب أقوال النبي (ص) بحق الإمام الحسين (ع) ومنها قوله:

سواء من أنصار يزيد وجيشه أو من لم يشاركهم أي المتخلفين - كان يرى التوازن الشرعي بين الاثنين. ولعل هذا ما تفصح عنه بعض أقوال الناصحين، كقول عبد الله بن عمر (كان ينبغي لحسين أن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإن الجماعة خير. وقول أبو سعيد الخدري (اتق الله في نفسك والزم بيتك فلا تخرج على إمامك). وقول أبو واقد الليثي: (إنه يخرج في غير وجه خروج إنما يقتل نفسه). وكذلك مبايعة عبد الله بن عباس ليزيد وجوابه على كتابه الذي بعثه له: (إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة وتطفى به النائرة). بل إن إقدام الناس على مبايعة يزيد وتركهم للإمام الحسين (ع) هي العلامة الفارقة التي عدها الإمام (ع) نقطة الفصل بينه وبين منهجه الإسلامي المحمدي وبين من تخلى عنه وعن ذلك الإسلام فبايع يزيد مع ما يعلمه منه (مثلي لا يبايع مثله).

٢ / يؤكد الإمام (ع) أن هذه الشهادة من اختيار الله (جل وعلا): (وخير لي مصرع أنا لاقيه). وهنا لابد أن نقابل هذه العبارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب/٣٦. وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. القصص/٦٨. إذن الإمام الحسين (ع) لاشك يلمح لهذه النصوص و المضامين القرآنية. ولكن يبدو أن المسلمين حينها - سيما الناصحين - قد أضعوا بوصلة الرؤية والتفكير، فمرت هذه الكلمات والاشارات دون أن تستشعرها قلوبهم أو تدركها أبصارهم. أو أنهم أدركوها وعرفوها ولكن غلب عليهم حب الدنيا فجدوا بها واستيقنتها أنفسهم.

ثانياً - التخلف (ومن تخلف عني).

باستصحاب منظور تمثيل الإمام الحسين (ع) الامتداد الطبيعي / المادي، الروحي، الديني للنبي (ص). لابد أن نلتفت حينها لتمائل

عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ التوبة/١. و الإمام الحسين (ع) قد ابتدأ نهضته وثورته بإعلان تبريه من خلافة يعتلي سدة الحكم فيها شخص مثل يزيد: (مثلي لا يبايع مثله). كما يستفاد من التزامه جانب السكون في عهد معاوية، أنه كان يعمل بمبدأ الالتزام بالعهد وبنود الصلح التي عقدت بين الإمام الحسن (ع) ومعاوية، وإن كان الأخير قد أعلن منذ اليوم الأول عدم التزامه بأي منها، ونقضها واحداً تلو الآخر. ولكن الإمام (ع) التزم من جانبه بها، حتى نقض البند الأخير القاضي بعدم تسليم الخلافة لأحد من بعده فنقضه بالبيعة لولده يزيد.

٣/ ثم تنتقل السورة لبيان حيثيات التعاهد والالتزام، والحث على قتال أئمة الكفر والمشركين؛ لأنهم لا يرقبون في المؤمنين إلا ولا ذمة وأن طبيعتهم الظلم والاعتداء. ومن ثم تحث المؤمنين على قتال أولئك المشركين والكفار، وتقرعهم على ترك مجاهدتهم والاستجابة لأمر الله و النبي (ص). وأن هذا الأمر بمثابة الامتحان والاختبار للمؤمنين لتمحيص إيمانهم والتزامهم بأوامر الله ورسوله وطاعتهم لها. ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ

التخلف مع التخلف عن النبي (ص) وبذلك تتغير زاوية النظر لموقف المتخاذلين عن الإمام (ع) لتتفرج على أقصى حد لها. وإذا ما استقرأنا واقع و موقف المتخلفين عن النبي (ص) في القرآن، نصل إلى نقطة الفرز بين الفئتين التي أراد الإمام (ع) الإشارة إليها من خلال توظيف هذه المفردة. ولنحاول تتبعها وفق المعطيات التالية:

١/ وردت مفردة التخلف/المخلفون. في سورة التوبة/ سورة براءة. وهذا الاختيار بحد ذاته يريد الوصول بنظر وتفكير المعاصرين إلى أجواء هذه السورة وأنه بمثابة التطبيق العملي لاتخاذ الموقف وفق معطياتها!. فكلام المعصوم واختياره لألفاظه لا بد يتوخى موازين دقيقة جداً تحتاج لإمعان النظر والأناة في قراءتها واستنطاقها، وإلا فاكتفائه عند وصوله كربلاء، وكتابته لبني هاشم بقوله: فكان الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تنزل والسلام. ليقرأ بما يتجاوز مديات النص الظاهرية.

٢/ تبتدئ السورة بإعلان البراءة من المشركين. ﴿بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ

الإسلامية عبر التعاون مع قريش المشركة في الأحزاب وغيرها.

وطبيعة هذه العلاقة المتشجعة كانت حاضرة بين محوري الاصطفاف خلال تحرك الإمام الحسين(ع)، فهنا تنتظم الجماعة المسلمة الصالحة تحت زعامة الإمام(ع)، وهناك تنتظم الجماعة المشركة الفاسدة الرافضة لمبادئ الإسلام تحت زعامة الحزب القرشي المشرك ممثلاً ببني أمية، وهم قد مارسوا نفس الدور الذي مارسه أسلافهم، فهموا بإخراج الإمام(ع) من بيته وأهله ومدينة جده(ص) وهموا بقتله. فقد كانت أوامر يزيد لواليه على المدينة(الوليد بن عتبة بن أبي سفيان) واضحة جداً: (خذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا)<sup>(٧٦)</sup>. وكذلك تعليماته للحر الرياحي وجماعته: (وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد)<sup>(٧٧)</sup>. وكذلك أمره(أما بعد، فجمع<sup>(٧٨)</sup> بحسين حيث يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا في العراء في غير حصن وعلى غير ماء)<sup>(٧٩)</sup>. وقد نبه الإمام

قَوْمًا نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.. قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ.. وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣-١٦﴾. التوبة/١٣-١٦.

ويجدر الانتباه هنا إلى أن الآيات الكريمة تحيل الوعي الإسلامي لطبيعة الموقف المتشجج والرافض الذي اتخذته قريش المشركة من النبي(ص) والمسلمين، وأنها أخرجتهم من مكة عدواناً عليهم وقطعاً لكل أوامر العلاقات النسبية والحسبية والأعراف والعهود والتقاليد المتعامل بها سابقاً، لانهم اختاروا طريق الهداية، أو لطبيعة الموقف المتشجج والحاسد الذي اتخذه اليهود من النبي(ص) مسلمي المدينة، وكيف أنهم نقضوا عهودهم مع النبي(ص) وهموا بإخراجه من المدينة، وبدأوا الاعتداء على الجماعة

الحسين (ع) الوعي الإسلامي على يزيد وبني أمية  
واشباعهم مصممون على قتله أينما توجه (وأيم  
الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام  
لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله  
ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت<sup>(٨٠)</sup> .

وبين هذين المحورين كانت خطابات الإمام (ع)  
وذكره لهذه الجزئيات القرآنية تريد استثارة  
الجماعة الواقعة بين قطبي الاصطفاف للانضمام  
إليه، عملاً بمقتضيات ضرورة الاستجابة لمثل  
النبي (ص) والإسلام ومقابلة كلامه مع سابق  
العرض القرآني وبيانه للحالة التي كانت عليها  
الجماعة الإسلامية في زمن النبي (ص).

٥/ ثم تركز على بيان ميزة المؤمنين  
المستجيبين لتلك الأوامر، وما سيجنونه بالمقابل  
من تلك الاستجابة. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ  
اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ... يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ  
مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ...  
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

التوبة/ ٢٠-٢٢. وهي مسألة طالما أسهب الإمام  
الحسين (ع) ببيان حيثياتها ونتائجها، ومنها

قوله: (من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم  
يدرك الفتح) وقوله (كان الدنيا لم تكن وكأن الآخرة  
لم تنزل). وقوله: (نزل من الأمر ماترون، وإن  
الدنيا قد تغيرت وتكرت وأدبر معروفها فلم يبق  
منها إلا صباية كصباية<sup>(٨١)</sup> الإناء، وخسيس عيش  
كالمرعى الوبيل<sup>(٨٢)</sup>). ألا ترون أن الحق لا يعمل  
به، وأن الباطل لا يتناهى عنه!، ليرغب مؤمن  
في لقاء ربه، فإني لا أرى الموت إلا  
شهادة/سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما<sup>(٨٣)</sup>.

٦/ ومن ثم تسهب الآيات بتأنيب وتقريع  
أولئك المتخلفين، وتستعرض أسباب وحجج  
تخلفهم الواهية ونتائجها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا  
لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى  
الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا  
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ... إِلَّا  
تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا  
تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... انْفِرُوا  
خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ... لَوْ كَانَ  
عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ  
عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا

وباستصحاب تمثيل الإمام(ع) للنبي(ص)، وتركيزه على اختيار تلك الألفاظ والمداليل القرآنية، لاشك إذن تحاكي حالة وموقف التخلف الذي اتخذ تجاه الإمام(ع) مثيله الذي اتخذ تجاه النبي(ص) وحكاه القرآن الكريم في هذه الآيات الكريمة. بمعنى أن الإمام(ع) كان يريد من السامعين أن ينتقلوا لأجواء هذه الآيات الكريمة، ويقارنوا موقفهم منه بموقف أولئك من النبي(ص). فهم قد تناقلوا عن نصرته ورضوا بالحياة الدليلة تحت حكم يزيد، هرباً من الشهادة والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

٧/ أما تمسكنا في البحث عن أعداء للبعض فربما يصدح هو الآخر ببيان النص القرآني للفتات المعذورة من أولئك المتخلفين. ﴿وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ... وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ

مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ... لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ... إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ... وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ... فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ... فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ... وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ.. رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ... لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿التوبة/٣٨-٨٩﴾



تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ... إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ... يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠-٩٤﴾. التوبة/٩٠-٩٤. كما ويصدم بعدم وجود ما يدل على توفر الأسباب الموجبة للعدر كما في الآيات القرآنية، بدليل أن الإمام (ع) لم يشر إلى عذره لأي من أولئك الناصحين خلال حديثه معهم، لأنه مريض أو ضعيف أو أعمى أو لا يجد ما ينفق أو غيرها من الأسباب التي تجعله يتأخر عن الالتحاق بإمامه الشرعي المفترض الطاعة.

ثالثاً- مفهوم الفتح (ومن تخلف عني لم يدرك الفتح).

لا تبتعد مضامين وحيثيات مفهوم الفتح التي استعرضها القرآن الكريم عما توخاه الإمام الحسين (ع) في حراكه الثوري، وما أراد من

المسلمين وبمقدمتهم الناصحين أن يفهموه و يستشعروه من خلال جزئيتي ردوده السابقة (الشهادة/التخلف). فسورة الفتح تتحدث عن ذات

الموضوع، وهو حض المؤمنين على الالتحاق بالنبوي (ص) والجهاد معه، وعدم التخلف عنه، وأن جزء ذلك سيكون الفتح الذي بسطت الآيات حيثياته وفق الترتيب التالي:

١/ تبتدئ السورة ببيان ماهية الفتح المبين، وتفرز بين أصناف وفئات من الجماعة الإسلامية وخارجها (المؤمنين/المؤمنات- المنافيين/المنافقات- المشركين/المشركات- الظانين بالله ظن السوء) وهي فئات ونمطيات مجتمعية وعقدية كانت حاضرة وفاعلة وفق هذا الترتيب والتباين في اطار الحدث الكربلائي وفرزه لأصناف متعددة من الجماعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا.. لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.. وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا.. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ

٣/ ثم تنتقل لتحدث عن فئة المتخلفين عن أمر الله وأمر النبي(ص)، ومحاولاتهم الذرائعية الكاذبة والواهية للاعتذار عن هذا التخلف، وتبيان حقيقة حالهم. قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا.. بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا.. وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا.... سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَعَانِمِ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُوءًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا.. قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَىٰ قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. الفتح/١١-١٦.

وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.. لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا.. وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. الفتح/١-٦.

٢/ ثم تنتقل الآيات لتبين واجبات المؤمنين تجاه النبي(ص)، وضرورة انضمامهم لأمره ونصرته ومواساته، وضرورة مبايعته والالتزام بمضامين تلك البيعة وعدم نكثها، وأن من ينكثها فإنما ينكث بيعته لله أولاً، أما من سيفي ببيعته فسيدخل ضمن اطار الجماعة التي فتح لها الفتح المبين. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا.. لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.. إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَتَذَكَّرْهُ أُولَىٰ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. الفتح/٨-١٠.

٤/ ثم تعرج الآيات على تبيان الفئات المجتمعية المعذورة في تخلفها عن النبي(ص)، و تعود لتبين نتائج الامتثال لأمر الله وأمر النبي(ص) بما يحقق غاية الفتح الذي تحدثت عنه بداية السورة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا.. لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا.. وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا.. وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.. وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾. الفتح/١٧-٢١.

غني عن البيان أن مدار الآيات السابقة من سورة(براءة/التوبة) و مدار آيات سورة(الفتح) يتحركان ضمن حيز منتظم واحد، وأن وصل الخيوط بينهما يفضي لتوازي مواضع الآيات في

السورتين، ومسيرتهما جنباً إلى جنب في رصد مستوى الحراك المجتمعي الإسلامي استجابة لأمر الله والنبي(ص) في حالتين أو تجربتين تاريخيتين خاضتهما الجماعة الإسلامية حينها. وقد تجدد انعكاس أو حضور تلكما التجربتين في اختبار الجماعة الإسلامية بموقفها من حراك الإمام الحسين(ع) وثورته.

وقد اثبت التاريخ هنا أنه يعيد انتاج نفسه، أو لنقل أن السنن التاريخية استحضرت تلك الأجواء والأنماط والفئات المجتمعية ومحاور الاستقطاب والاصطفاف(النبي(ص)- المؤمنين/المشركين- اليهود/ المحايدون- المتخلفون- المتشككون....الخ) التي استعرضها القرآن الكريم وسجل شواهدا لحظة بلحظة.

بعبارة أخرى يمكن القول: أن تحرك الإمام الحسين(ع) أعاد صياغة الواقع الإسلامي - بمحاور اصطفافه ونمطياته المجتمعية المتباينة- كما كان في زمن النبي(ص)، وكما رسمه واقع النص القرآني. وقد أخذ فيه هو(ع) ومن لحق به دور البديل الأصيل عن النبي(ص) و المؤمنين الذين التحقوا به وجاهدوا معه ونصروه وواسوه

وهو واقف يستقبلها برحابة صدر واطمئنان عجيب!، حتى سقط إلى الأرض من كثرة ما أصابه منها<sup>(٨٥)</sup>. وكان قال للإمام الحسين (ع) حين طلب منهم التفرق عنه: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبة رسول الله (ص) فيك. والله لو علمت أنني أقتل!، ثم أحياء، ثم أحرق، ثم أحياء، ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك، حتى ألقى حمامي دونك!. فكيف لا أفعل وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها<sup>(٨٦)</sup>.

- إنه العشق الذي جعل أم وهب تأخذ عموداً من الخيمة، وتنزل إلى ساحة المعركة خلف ولدها وهي تقول: فذاك أبي وأمي. قاتل دون الطيبين ذرية محمد. فأقبل إليها يردها نحو النساء، فأخذت تجاذبه ثوبه، ثم قالت: لن أدعك دون أن أموت معك، فنادها الإمام (ع): جُزيم من أهل بيت خيرا. ارجعي رحمك الله للنساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على النساء قتال. فرجعت، ثم تخرج بعد مقتله تمسح الدم والتراب عن رأسه وتهنئه بالجنة، فتقتل وهي محتضنة رأسه<sup>(٨٧)</sup>.

بنفوسهم وأموالهم، ولم يشكوا أو يرتابوا أو يترددوا للحظة واحدة بما أقدموا عليه، بينما أخذ الأمويين ومن ناصرهم وشايعهم دور المشركين وائمة الضلال من قبل. وبينهما كان هناك (المحايدون/المتخلفون/المتشككون) الذين حاولوا جاهداً استجلابهم لجانبه لكنهم لم يرتقوا بمستوى معرفتهم، ولم يستفيدوا من العرض القرآني للتجربة الإسلامية، ولا من تكرارها في اشارات واحالات الإمام الحسين (ع) عبر ردوده وخطاباته.

على أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن كربلاء تمخضت عن مستويات من المعرفة والعشق والتعلق والذوبان في شخص القائد ومبدأ النهوض، ما عرف لها نظير حتى في مستويات الاستجابة والمعرفة الملتحقة بالنبي (ص). فقد بلغت المستوى الذي جعل أنصار الإمام الحسين (ع) يتنافسون في أن يقتلوا بين يديه<sup>(٨٤)</sup>.

- إنه العشق الذي جعل سعيد بن عبد الله الحنفي يقف أمامه؛ ليصد عنه السهام التي يرمى بها وهو يؤدي الصلاة، فتخترق وجهه وجسده،

- إنه العشق الذي جعل مسلم بن عوسجة يقول لحبيب بن مظاهر وهو يلتقط أنفاسه الأخيرة بعد أن دنى منه وبشره بالجنة: بشرك الله بخير. فقال له حبيب: لولا أنني أعلم أنني في أثرك لاحق بك لأحبيت أن توصيني بكل ما أهمك. قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله- وأهوى بيده إلى الحسين- أن تموت دونه<sup>(٨٨)</sup>. وكان سمع الإمام الحسين (ع) قال لأصحابه في ليلة لعاشر من المحرم: هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. فرد عليه قائلاً: نحن نخلي عنك ولما نعدر إلى الله في أداء حقاك!. أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي!، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا افارقك!، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك!<sup>(٨٩)</sup>.

- إنه العشق الذي جعل قيس بن المسهر الصيدائي وعبد الله بن بقطر (ع) يرفضان بعد أن ألقى القبض عليهما في الكوفة، أن يسبا الإمام الحسين (ع)، ويتبرءا منه مقابل إطلاق سراحهما فيصعدان القصر ويسبان الدعي ابن الدعي

وأباه، ويدعوا الناس لنصرة الإمام الحسين (ع) فيرميان من أعلى القصر<sup>(٩٠)</sup>.

- إنه العشق الذي يملي على زهير بن القين (ع) أن يُقسم قائلاً: والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين، إلا أن فراقها في نصرك ومواسنتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها. وقال: والله لو ددت أنني قتلت!، ثم نشرت!، ثم قتلت!، حتى أقتل كذا ألف قتلة!؛ وأن يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك!<sup>(٩١)</sup>.

- إنه العشق والمعرفة التي تملي على الإمام علي الأكبر (ع) أن يقول: والذي إليه مرجع العباد. لا نبالي نموت محقين<sup>(٩٢)</sup>.

وهكذا هي الشواهد كثيرة إذا أردنا تفصيلها في هذا المجال. ولذلك استحق من اتبعوا الإمام (ع) ونصروه أن يأبئهم بقوله: إنني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي<sup>(٩٣)</sup>. وإذا ما نظرنا لمستوى هذه الاستجابة والمعرفة ولموقف ونصائح المتخلفين اتضح لنا البون الشاسع بين الموقفين والمستوين، وأدركنا أن الإمام الحسين (ع) اكتفى

بالتلميح دون التصريح، وترك لهم الخيار في  
الاستجابة أو التخلف؛ لأنه كان يبحث عن  
عينات ونمطيات استجابة ثقيلة من هذا النوع.  
وهو ما لم يتوفر في شخوص أولئك الناصحين.

- (١) ابن سعد: الطبقات، ٢/٢١٣ - ٢١٥؛ أحمد بن حنبل: مسند، ١/٣٢٥، ٣٣٦؛ البخاري: صحيح، ٥/١٣٨؛ ٩/٧؛ ١٦١/٨؛ مسلم: صحيح، ٥/٧٦؛ ابن حبان: صحيح، ١٤/٥٦٢-٥٦٣.
- (٢) ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ٢٤٥؛ الإريلي: كشف الغمة، ٢/٢٤٢.
- (٣) الصدوق: الأمالي، ١٧٧؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ٣/٢٣٨؛ ابن نما الحلبي: ذوب النضار، ٢٧؛ مثير الأحزان، ١٣.
- (٤) ينظر: الكليني: الكافي، ٤/٥٨؛ الصدوق: ثواب الأعمال، ٨٩؛ الطوسي: مصباح المتعبد، ٧١٥.
- (٥) الصدوق: الأمالي، ٢٢٢-٢٢٣؛ الفتال النيسابوري: روضة الواعظين، ١٨٥-١٨٦؛ ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ٥٢-٥٣.
- (٦) ابن أعم: كتاب الفتوح، ٥/٨٤؛ أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ٧٥.
- (٧) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ٣/٣٧٦-٣٧٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/٣٨٦؛ المفيد: الإرشاد، ٢/٦٧.
- (٨) ثياب معصفرات. أي ثياب مصبوغة بالعصفر وهو نبت يستخدم لصبغ الملابس. ابن منظور: لسان العرب، ٤/٥٨١.
- (٩) أبو نصر البخاري: سر السلسلة العلوية، ٩٦؛ ابن عنبه: عمدة الطالب، ٣٦٢.
- (١٠) عمدة الطالب، ٦٩ - ٧٠.
- (١١) ابن سعد: الطبقات، ٧/١١٦؛ ابن قتيبة: المعارف، ٢١٦؛ البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ٢/٤٢٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/١٥٢؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، ٥٤/٣٢١-٣٢٦؛ المزني: تهذيب الكمال، ٢٦/١٥٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/١٢٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٩/٤٧.
- (١٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤/١٧٢.

- (١٣) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ١٠٣؛ وينظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٢٤/٥٤.
- (١٤) ابن سعد: الطبقات، ٩٣/٧؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٢٣/٥٤. وكان ترجم له ترجمة طويلة جداً وذكر جميع الآراء في ذلك، ٣١٨ - ٣٥٩؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤٨/٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٠/٤.
- (١٥) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ٤٢٢/٢.
- (١٦) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٢٣/٥٤ - ٣٢٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٥٢/٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١١/٤ - ١١٤.
- (١٧) عمدة الطالب، ٣٥٣.
- (١٨) عمدة الطالب، ٣٥٣.
- (١٩) سير أعلام النبلاء، ١٢٩/٤ - ١٣٠.
- (٢٠) ابن عبد البر: التمهيد، ٩٠/١٠ - ٩٢.
- (٢١) الطبقات الكبرى، ٣٢٨/٥.
- (٢٢) الطبري: تاريخ، ٣٤١/٥ - ٣٤٢. وينظر ابن أعمش: كتاب الفتوح، ٢٠/٥ - ٢١؛ المفيد: الارشاد، ٣٤/٢ - ٣٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٦/٤ - ١٧.
- (٢٣) اللهوف في قتلى الطفوف، ٣٩ - ٤٠.
- (٢٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٢٨؛ البلاذري: جمل من انساب الأشراف، ٣٦٨/٣ - ٣٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٣٣٨/٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٣٢٣/٥. أضاف ابن أعمش: فمن أبى عليك منهم، فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه. الفتوح، ١٠/٥.
- (٢٥) الطبري: تاريخ، ٤٠٢/٥.
- (٢٦) جعجت بالرجل: حبسته في مجلس سوء. الفراهيدي: العين، ٦٨/١. أي أمنعه من التحرك.



- (٢٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣/٣٨٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/٤٠٨. وينظر. الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٥٠.
- (٢٨) الطبري: تاريخ، ٥/٣٨٥.
- (٢٩) ابن نما الحلبي: مثير الأحزان، ١٥.
- (٣٠) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ٣/٣٩٦-٣٩٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/٤٢٥؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/٦٢-٦٣.
- (٣١) الطبري: تاريخ، ٥/٤٠٣. ثم ينظر: الطبراني: المعجم الصغير، ١/٢٦٤-٢٦٥؛ المعجم الكبير، ٢٠/٩٠؛ مسند الشاميين، ١/٣٨٠؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٥/٢٢٨؛ ابن حجر: فتح الباري، ١٣/٥؛ السيوطي: الدر المنثور، ٢/٣٠١؛ ألصاحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ١٠/١٣٧؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ١/٢١٦.
- (٣٢) الطبري: تاريخ، ٥/٤٠٣. ثم ينظر: الطبراني: المعجم الصغير، ١/٢٦٤-٢٦٥؛ المعجم الكبير، ٢٠/٩٠؛ مسند الشاميين، ١/٣٨٠؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٥/٢٢٨؛ ابن حجر: فتح الباري، ١٣/٥؛ السيوطي: الدر المنثور، ٢/٣٠١؛ ألصاحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ١٠/١٣٧؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ١/٢١٦.
- (٣٣) تاريخ، ٥/٣٨٧.
- (٣٤) الطبراني: مقتل الحسين، ٤١. وقد ذكر ابن سعد، أحاديث كثيرة في ذلك. الطبقات الكبرى، ٦/٤١٧-٤٢١.
- (٣٥) الطبراني: مقتل الحسين، ٤١.
- (٣٦) الطبراني: مقتل الحسين، ٤١-٤٢، الهيثمي: مجمع الزوائد، ٩/١٨٧.
- (٣٧) الطبراني: مقتل الحسين، ٤٩-٥٠. وينظر: ابن سعد: الطبقات، ٦/٤١٩.
- (٣٨) الطبراني: مقتل الحسين، ٤٤؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٩/١٨٧-١٨٨. وينظر: ابن سعد: الطبقات، ٦/٤١٧-٤١٩؛ أحمد بن حنبل، مسند، ٦/٢٩٤.

- (٣٩) ينظر: احمد بن حنبل:مسند،٢٤٢/٣، ٢٦٥، ٢٩٤/٦؛الطبراني:مقتل الحسين، ٤٣- ٤٩؛ الهيثمي: مجمع الزوائد،١٨٧/٩.
- (٤٠) الطبري:تاريخ،٣٨٤-٣٨٥؛المسعودي:مروج الذهب،٥١/٣-٥٣.
- (٤١) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٠٢؛ابن شهر آشوب: مناقب آل ابي طالب،٢٣٠/٣؛ابن نما الحلبي: نوب النصار ، ٢٩؛مثير الأحزان،٢٧.
- (٤٢) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٠٢؛الطبري: دلائل الإمامة، ١٨٧- ١٨٨؛نوادير المعجزات، ١٠٩-١١٠؛ابن نما الحلبي: مثير الأحزان،٢٧؛ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف،٤٠-٤١.
- (٤٣) الطبري: تاريخ،٣٤١-٣٤٢. وينظر ابن أعم: كتاب الفتوح،٢٠/٥-٢١؛المفيد:الارشاد،٣٤/٢-٣٥؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ،١٦/٤-١٧.
- (٤٤) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٠٢؛الطبري: دلائل الإمامة، ١٨٧- ١٨٨؛نوادير المعجزات، ١٠٩-١١٠؛ابن نما الحلبي: مثير الأحزان،٢٧؛ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف،٤٠-٤١.
- (٤٥) بحار الأنوار،٤٢/٤٢-١٠٩-١١٠.
- (٤٦) ابن نما الحلبي: مثير الأحزان، ٢٩؛ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ٣٨؛الإريلي: كشف الغمة، ٢/ ٢٣٩.
- (٤٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٤٢٨/٦- ٤٢٩؛ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢١٢/١٤؛ابن العديم: بغية الطلب، ٢٦١٢؛ابن كثير: البداية والنهاية، ١٧٨/٨.
- (٤٨) ابن قولويه: كامل الزيارات،١٥٧؛المجلسي: بحار الأنوار، ٨٧/٤٥.
- (٤٩) ابن قولويه: كامل الزيارات،١٥٨؛المجلسي: بحار الأنوار، ٨٧/٤٥.

- (٥٠) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٠٢؛ الطبري: دلائل الإمامة، ١٨٧-١٨٨؛ نوادر المعجزات، ١٠٩-١١٠؛ ابن نما الحلبي: مثير الأحزان، ٢٧؛ ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ٤٠-٤١.
- (٥١) الطبرسي: الاحتجاج، ٢/٢٤-٢٥؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢١٩/٤؛ الخوارزمي: مقتل، ٩/٢-١٠؛ ابن نما الحلبي: مثير الأحزان، ٤٠؛ ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ٥٩.
- (٥٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٢١.
- (٥٣) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٢٢؛ الكليني: الكافي، ١/٣٨٤؛ ابن بابويه القمي: الإمامة والتبصرة، ٦٠-٦٢؛ الطبري: دلائل الإمامة، ٢٠٦-٢٠٨؛ الطبرسي: الاحتجاج، ٢/٤٦-٤٧؛ ابن نما الحلبي: ذوب النصار، ٥٢-٥٣؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ٣/٢٨٨؛ الإربلي: كشف الغمة، ٢/٣٢٢-٣٢٣.
- (٥٤) الخرائج والجرائح، ١/٢٨٥.
- (٥٥) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ٣٢-٣٣؛ ابن ادريس الحلبي: السرائر، ٣/١٦٢. حتى أن شاعر أهل البيت (ع) السيد الحميري قال فيه:

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما

أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما

وعداوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم عشرين عاما

وما ذاق ابن خولة طعم موت و لا وارت له أرض عظاما

لقد أمسى بمورق شعب رضوى تراجع الملائكة السلاما

ينظر: المصعب الزبيري: نسب قريش، ٢/٤١-٤٢.

- (٥٦) القاضي النعمان المغربي: شرح الأخبار، ٢٨٤/٣.
- (٥٧) المرتضى: الأمالي، ١١٤/١.
- (٥٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٢٨/٥.
- (٥٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٢٨/٥؛ ابن عبد البر: التمهيد، ٩١/١٠.
- (٦٠) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٧/٦-٤٢٨؛ الطبري: تاريخ، ٢٨٧/٤-٢٨٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٧/٤-٣٩.
- (٦١) ابن نما الحلبي: مثير الأحزان، ٢٩؛ ابن طاووس: اللهوف، ٣٨؛ الإربلي: كشف الغمة، ٢/٢٣٩.
- (٦٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٠٥/١٤-٢٠٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤١٣/٦-٤١٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٦/٥.
- (٦٣) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ١٦٠/١-١٦١.
- (٦٤) ابن أعم: الفتح، ٨٩/٥. وينظر. الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٥٤.
- (٦٥) الطبري: تاريخ، ٣٤٣/٥. وينظر. البسوي: المعرفة والتاريخ، ٥٣١/١-٥٣٢.
- (٦٦) المعرفة والتاريخ، ٥٣١/١-٥٣٢.
- (٦٧) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٧/٦-٤٢٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ٢١٠/١٤-٢١١؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤١٩/٦-٤٢٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٧٧/٨.
- (٦٨) ديوان ابن المقرب، ١٤٠.
- (٦٩) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٥/٦.
- (٧٠) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٩٨/٤٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٠٤/٣-٥٠٥.
- (٧١) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ٨٣/٢.
- (٧٢) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٥/٦.

- (٧٣) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٥/٦.
- (٧٤) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٥/٦.
- (٧٥) ابن أبي شيبه: المصنف، ٥١٥/٧؛ أحمد بن حنبل: مسند، ١٧٢/٤؛ البخاري: الأدب المفرد، ٨٥؛ الطبراني: المعجم الكبير، ٣٢/٣؛ مسند الشاميين، ١٨٤/٣؛ ابن ماجه: سنن، ٥١/١؛ الترمذي: سنن، ٣٢٤/٥؛ ابن حبان: صحيح، ٤٢٨/١٥؛ الحاكم النيسابوري: المستدرک، ١٧٧/٣.
- (٧٦) الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٢٨؛ البلاذري: جمل من انساب الأشراف، ٣٦٨-٣٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٣٣٨/٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٣٢٣/٥. أضاف ابن أعثم: فمن أبي عليك منهم، فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه. الفتوح، ١٠/٥.
- (٧٧) الطبري: تاريخ، ٤٠٢/٥.
- (٧٨) جعجت بالرجل: حبسته في مجلس سوء. الفراهيدي: العين، ٦٨/١. أي أمنعه من التحرك.
- (٧٩) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٨٥/٣؛ الطبري: تاريخ، ٤٠٨/٥. وينظر. الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٥٠.
- (٨٠) الطبري: تاريخ، ٣٨٥/٥.
- (٨١) البقية اليسيرة أو القليلة تبقى في الإناء من الشراب. ابن سلام: غريب الحديث، ١٦٧/٤.
- (٨٢) أي وخيم. غير جيد. الجوهري: الصحاح، ١٨٣٩/٥.
- (٨٣) الطبري: تاريخ، ٤٠٣/٥ - ٤٠٤. والبرم: الضجر من الشيء. الفراهيدي: العين، ٢٧٢/٨.
- (٨٤) ينظر: الطبري، تاريخ، ٤٤٢/٥.
- (٨٥) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ٤٠٣/٣؛ الطبري: تاريخ، ٤٤١/٥؛ ابن الأثير: الكامل، ٧١/٤.
- (٨٦) الطبري: تاريخ، ٤١٩/٥.
- (٨٧) الطبري: تاريخ، ٤٢٩-٤٣٨؛ ابن الأثير: الكامل، ٦٥-٦٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩٦-١٩٧.

وباختصار عند: البلاذري: جمل من انساب الأشراف، ٣/٣٩٨.

(٨٨) الطبري: تاريخ، ٥/٤٣٥-٤٣٦.

(٨٩) الطبري: تاريخ، ٥/٤١٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٥/٣٣٨.

(٩٠) ينظر: ابن سعد: الطبقات، ٦/٤٤٣، ٤٣٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/٣٩٥-٣٩٨، ٤٠٥.

(٩١) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ٣/٣٨١؛ الطبري: تاريخ، ٥/٤٠٤، ٤١٩-٤٢٠.

(٩٢) الطبري: تاريخ، ٥/٤٠٧، ٤٠٨.

(٩٣) ابو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبين، ٧٤؛ الصدوق: الأمالي، ٢٢٠؛ المفيد: الارشاد، ٢/٩١.

#### المصادر

#### ❖ القرآن الكريم .

❖ ابن الأثير ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الشيباني(٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م).

١. الكامل في التاريخ ، ( دار صادر. دار بيروت ، بيروت . لبنان ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م).

❖ الأربلي ، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (٦٩٣ هـ / ١٢٦٥ م) .

٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط٢) ، دار الأضواء، بيروت . لبنان، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .

❖ أحمد بن حنبل ، احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، (٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) .

٣. المسند(دار صادر، بيروت - لبنان ، د. ت) .

❖ ابن أعثم ،ابو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ،(٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) .

٤. كتاب الفتوح ، تحقيق : على شيري(ط١) ، دار الأضواء ، بيروت . لبنان، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) .

- ❖ ابن بابويه القمي ، ابي الحسن علي بن الحسين ، ت(٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) .
٥. الامامة و التبصرة ، ( ط ١ ، قم المقدسة - ايران ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) .
- ❖ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) .
٦. صحيح البخاري ، ( دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .
٧. الأدب المفرد ( ط ١ ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م )
- ❖ البسوي ، أبو يوسف يعقوب بن سليمان ت ( ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م) .
٨. المعرفة والتاريخ ، تحقيق: اكرم ضياء العمري ( ط ١ ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .
- ❖ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ( ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
٩. انساب الأشراف ، تحقيق وتعليق : محمد باقر المحمودي ( ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للطبوعات ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .
١٠. جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار و رياض زركلي ( ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م) .
- ❖ ابن حجر ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ( ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .
١١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تحقيق محب الدين الخطيب ( ط ١ ، دار الكتب السلفية) ،
- ❖ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي ( ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .

١٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا (ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- ❖ الجوهرى ، إسماعيل بن حماد (٣٩٣ هـ / ١٠٤٠ م) .
١٣. الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار (ط١ ، القاهرة - مصر ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م) .
- ❖ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، (٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) .
١٤. المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي (دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، د.ت) .
- ❖ ابن حبان ، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) .
١٥. صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الارنؤوط (ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
١٦. مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق : مرزوق علي ابراهيم ، (ط١ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة - مصر ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .
- ❖ ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم ، (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
١٧. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ( دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، د.ت) .
- ❖ الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري ( ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .



١٨. الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر (ط ١) ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ١٩٦٠م . (
- ❖ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ( ١٣٤٧هـ/١٧٤٨ م ) .
١٩. تاريخ الإسلام ، تحقيق :عمر عبد السلام تدمري ، (ط ١) ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ) .
٢٠. سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرنؤوط (ط٩)، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ) .
- ❖ ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ، (٢٣٠هـ/٨٤٤م).
٢١. الطبقات الكبرى(دار صادر، بيروت . لبنان ، د. ت ) .
- ❖ ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي ، ت(٢٢٤هـ/٨٣٨م).
٢٢. غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان (ط ١) ، حيدر آباد - الدكن ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ) .
- ❖ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ/١٥٠٥م) .
٢٣. الدر المنثور (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ) .
- ❖ ابن شعبة الحراني ، الحسن بن علي بن الحسين (من اعلام القرن الرابع الهجري ) .
٢٤. تحف العقول عن آل الرسول ، (مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان )

- ❖ ابن شهر آشوب، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني ( ١١٩٢/هـ / ٥٨٨ م ).
٢٥. مناقب آل ابي طالب ، تصحيح وشرح لجنة من أساتذة النجف (المطبعة الحيدرية ، النجف . العراق ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م).
- ❖ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان ابن أبي بكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي ( ٨٤٩/هـ / ٢٣٥ م ) .
- ❖ المصنف ، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام(ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت / لبنان ، ١٤٠٩ / ١٩٨٩ م ) .
- ❖ الصالحي الشامي ، محمد بن يوسف ( ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م ) .
٢٦. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ) .
- ❖ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ/ ٨٩٤ م).
٢٧. الامالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة (ط ١ ، قم المقدسة . ايران ، ١٤١٧هـ/ ٢٠٠٧ م ) .
٢٨. ثواب الأعمال و عقب الأعمال (ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة - ايران ) .

٢٩. كمال الدين وتمام النعمة ، تصحيح :على أكبر الغفاري (ط١) ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ) .

❖ الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(٣٦٠هـ / ٩٧٠م) .

٣٠. المعجم الأوسط ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد و أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني( دار الحرمين ، السعودية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥) .

٣١. المعجم الصغير ،(ط١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان،د.ت) .

٣٢. المعجم الكبير،تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، (ط٢) ، دار احياء التراث، بيروت - لبنان ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م ) .

٣٣. مسند الشاميين ،تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي (ط٢) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

٣٤. مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب ،تحقيق : محمد شجاع ضيف الله (دار الأوراد ، الكويت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢) .

❖ الطبرسي ،أبو علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) .

٣٥. الاحتجاج ،تعليق : محمد باقر الخرسان (دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف . العراق ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) .

❖ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ / ٩٢٢م) .

٣٦. تاريخ الرسل والملوك (ط ٤، مؤسسة الأعلمي ، بيروت . لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٩٣م) .
- ❖ الطبري الشيعي، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (ق ٥٥ / ق ١١م) .
٣٧. دلائل الإمامة ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة (ط ١ ، مؤسسة البعثة ، قم المقدسة . ايران ، ١٤١٣ هـ ) .
٣٨. نوار المعجزات في مناقب الأئمة الهداة ، تحقيق ونشر : مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ( ط ١ ، قم المقدسة - ايران ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م) .
- ❖ ابن طاووس ، علي بن موسى بن جعفر بن محمد ت (٦٦٤ هـ / ١٢٦٦م) .
٣٩. اللهوف في قتلى الطفوف ، (ط ١ ، قم المقدسة - ايران ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م) .
- ❖ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد بن محمد أحمد بن عبد البر النمري (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .
٤٠. التمهيد ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكر ( ب.ط. ، المغرب ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٧٧م) .
- ❖ عبد الرزاق الصنعاني ، ابو بكر عبد الرزاق بن همام (٢١١ هـ / ٨٢٦ م) .
٤١. المصنف ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، (ط ١، المجلس العلمي ، بيروت . لبنان ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) .
- ❖ ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، ت (٦٦٠ هـ / ١٢٦٢م) .

٤٢. بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : سهيل زكار (مؤسسة البلاغ ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ) .

❖ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) .

٤٣. تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري (ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ) .

❖ ابن عنبه ، جمال الدين أحمد بن علي الحسنى (٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م) .

٤٤. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق : محمد حسن آل الطالقاني (ط ٢ ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف - العراق ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م ) .

❖ الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ت(١٧٥ هـ / )

٤٥. العين ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي (ط ٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ) .

❖ ابو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) .

٤٦. مقاتل الطالبين ،تقديم و اشراف : كاظم المظفر (ط ٢ ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم - إيران ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .

❖ القاضي النعمان ، أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ( ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م ) .

٤٧. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلاي ( ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة . ايران ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- ❖ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، ( ٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م ) .
٤٨. الإمامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، ( مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ) .
٤٩. المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ( دار المعارف ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ) .
- ❖ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ( ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م ) .
٥٠. البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ( ط ١ ، دار احياء التراث ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ) .
- ❖ الكليني ، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ( ٣٢٩هـ/ ٩٥٠ م ) .
٥١. الكافي ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ( ط ٣ ، دار الكتب الاسلامية طهران - ايران ، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٤٦ م ) .
- ❖ ابن ماجة ، ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ( ت ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م ) .
٥٢. سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ( ط ١ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م ) . المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ( ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م ) .

٥٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة ، ضبط تصحيح بكرى حياني ،صفوة السفا (مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ) .
- ❖ المجلسي ، محمد باقر (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) .
٥٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ( ط ١ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) .
- ❖ المرتضى ، ابو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين ت (٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م) .
٥٥. الأمالي ، تحقيق : محمد بدر الدين ( ط ١ ، نشر مكتبة السيد المرعشي ، قم المقدسة - ايران ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م) .
- ❖ المزي ، أبو الحجاج يوسف المزي ( ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) .
٥٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ( ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ) .
- ❖ مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) .
٥٧. الجامع الصحيح ( ط ١ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د.ت ) .
- ❖ المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ت (٣٤٦ هـ / ١٠٥٥ م)
٥٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : يوسف اسعد داغر ( ط ٢ ، منشورات دار الهجرة قم المقدسة - ايران ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ) .

- ❖ مصعب الزبيري ، ابو عبد الله مصعب بن عبد الله بن المصعب ت (٢٣٦ هـ / ٩٤٤ م).  
٥٩ . نسب قريش ، تحقيق : ليفي بروفنسال (ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م ).  
❖ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ).  
٦٠ . الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد ، تحقيق مؤسسة آل البيت ( ع ) لتحقيق التراث دار المفيد ( ط ٢ ، دار المفيد ، بيروت . لبنان ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ) .  
❖ ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ت (٧١١ هـ / ١٣١١ م) .  
٦١ . لسان العرب ، تقديم : أحمد فارس ، (ط١، نشر أدب الحوزة ، قم - ايران، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م).  
❖ ابو نصر البخاري ، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان ابن أبان بن عبد الله ت ( بعد ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م ) .  
٦٢ . سر السلسلة العلوية ، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم ( المكتبة والمطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف - العراق ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م ) .  
❖ ابن نما ، جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله الحلبي ت (٦٤٥ هـ / ١٢٤٨ م )  
٦٣ . ذوب النصار في شرح الثار ، تحقيق : فارس حسون كريم (ط١ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم المقدسة - ايران ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ) .  
٦٤ . مثير الحزان ( المطبعة الحيدرية ، النجف - العراق ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م ) .



❖ الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ( ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م ) .

٦٥ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .

## الحياة السياسية للمنصور بن أبي عامر

( ٣٢٧ - ٣٩٢هـ / ٩٣٨ - ١٠٠٢م )

م. قاسم عبد سعدون

### المبحث الأول

محمد بن أبي عامر ووصوله إلى حكم الأندلس

نسبه

هو أبو عامر بن أبي محمد بن أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ، الداخلى إلى الأندلس مع طارق بن زياد<sup>(١)</sup> ، ونزل معه في الجزيرة الخضراء في بداية الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية<sup>(٢)</sup>، وكان له في فتحها أثرٌ جميلٌ ، مظهرًا شجاعةً ، وبسالةً في المعارك الحربية ، كوفئ عنها بإقطاعيات في بلدة طرش Torch<sup>(٣)</sup> ، التي تقع بالقرب من الجزيرة الخضراء<sup>٤</sup> .

كان والده عبد الملك المكنى بأبي حفص من أهل الدين والزهد في الدنيا والعزوف عن السلطان سمع الحديث، وأدى فريضة الحج، ومات في مدينة طرابلس الغرب وهو عائداً من فريضته<sup>(٥)</sup> ، صاهر التميميين المعروفين بقرطبة<sup>(٦)</sup> ببني برطال، فتزوج فتاة تدعى بريهة بنت يحيى بن زكريا<sup>(٧)</sup> ، فأنجبت له محمد بن أبي عامر سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م وفيها كانت الهزيمة العظيمة في موقعة الخندق<sup>(٨)</sup>، ومن ثم أنجبت ولداً آخر يدعى يحيى ، وكانت أمه هذه هي بنت الوزير والطبيب الخاص للخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م)، لذلك فيمكننا القول أن محمد بن أبي عامر عربي أصيل الجدين ، ومن بيت عرف بالعلم والورع في الدين .

طموحات المنصور وتطلعاته لحكم بلاد الأندلس:

نشأ محمد بن أبي عامر، نشأة ظاهرة النجابة. فقد درس الأدب والفقه والحديث في قرطبة واستمع إلى أفضل أساتذتها آنذاك مثل اللغوي أبي علي القالي البغدادي<sup>(٩)</sup> والمحدث أبي بكر القرشي<sup>(١٠)</sup> والمؤرخ أبي بكر بن القوطية<sup>(١١)</sup>. أظهر خلال دراسته مواهب متميزة وذكاء نادر، جعلته يعرف بين أقرانه بطموحه الواسع وهمته العالية<sup>(١٢)</sup>، تفرست لديه مخايل الرئاسة، ولا يزال يخبر بذلك عن نفسه، حسبما هو مشهور به، وقد ظهرت أحلامه، وطموحاته في رياسة الأندلس منذ نعومة أظفاره، فكانت لديه همة عالية، ويحدث نفسه بإدراك معالي الأمور، ويزيد في ذلك حتى كان يحدث من يختص به ما يقع له من ذلك، فتم له مراده، وكان أحد أعاجيب الدنيا في ترقيه والظفر بتمنيه<sup>(١٣)</sup>، فقد ذكر أن محمد بن أبي عامر كان مع بعض زملائه ومنهم ابن عمه عمر بن عسقلاجه، والكاتب ابن المارعزي، ورجل آخر يعرف ابن الحسن من جهة مالقة<sup>(١٤)</sup>، وموسى بن

عزرون، يتزهون في إحدى حدائق قرطبة يتبادلون الحديث، ويتكلمون عن المستقبل فقال المنصور لهم: "لابد لي أن املك الأندلس، وأقود العسكر، وينفذ حكمي فيها". فضحكوا جميعاً وقال لهم: "تمنوا على" فقال له ابن عمه عمر عسقلاجه إنا توليني المدينة. وقال ابن الحسن انا توليني القضاء بجهتي وهي قضاء كورة ريه وهي مالقة وأعمالها، وقال بن المارعزي: "توليني حسبة السوق" أما موسى بن عزرون فقال: "أذا أفضى إليك الأمر يا صاحبي فأمر أن يُطاف بي في قرطبة على حمار ووجهي إلى الذنب وأنا مطلي بالعسل ليجتمع على الذباب والنحل"، فلما تولى محمد بن أبي عامر مقاليد السلطة في الأندلس حقق لهم رغباتهم تلك، ما عدى موسى بن عزرون الذي قال: "أغرمني أنا مالاً عظيماً، احجفني وأقفرني لقبيح ما كنت جئت به"<sup>(١٥)</sup>، ويعتقد الباحث إن هذه الرواية يمكن أن تكون قد وضعت من قبل المؤرخين الذين عاصروا المنصور بن أبي عامر من أجل إضفاء العظمة

عليه ، ونيل رضاه ولا صحة لها على ارض الواقع .

العلاقة بين المنصور بن أبي عامر وصباح زوجة الخليفة الحكم المستنصر

في عام ٣٥٦هـ/٩٦٧م ، رحل محمد بن أبي عامر إلى قرطبة وتأدب بها ثم اقتعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافعين للسلطان فبلغ خبره السيدة صباح<sup>(١٦)</sup> زوجة الحكم المستنصر فطلبت من يكتب عنها فعرفها به من كان يأنس إليه بالجلوس من فتيان القصر فترقى إلى أن كتب عنها فاستحسنته ونبهت عليه الحكم ، مما جعلها تشيد بإعجابها به ، ودفعها ذلك إلى مساعدته في تدرجه في المناصب العالية في الدولة والتي كانت أقوى أسباب ظهوره . وقد أزداد هذا الإعجاب لما كان يقدمه لها من خدمة وتحف في سبيل الفوز برضاها عنه ، ويذكر أنه وقت أن كان ناظراً للخزانة العامة صنع لها قصراً مصغراً من الفضة بديع الصنع والزخرف ، أنفق عليه أموالاً كثيرة ،

وحمله على رؤوس الرجال من داره إلى قصرها<sup>(١٧)</sup> وكانت هذه العناية تقع على قلب السيدة صباح أحسن موقع، وتزيدها عطفاً على محمد بن أبي عامر وشغفاً به .

اختلف المؤرخون في التعريف بكيفية اتصال محمد بن أبي عامر لأول مرة بأوساط الخليفة الحكم المستنصر ، فقد قيل أن الخليفة الحكم استخلفه على قضاء كورة رية<sup>(١٨)</sup>، ثم تصرف في وكالة صباح أم الخليفة الصغير هشام والغالبة على الخليفة الحكم ، فاضطلع بكل ما قُلد به ، فنبهته إليه فولاه قضاء بعض المواقع مثل الشرطة والسكة والمواريث<sup>(١٩)</sup>.

وقيل أيضاً أن اتصال محمد بن أبي عامر الأول بالخليفة الحكم بدء حين رشحه الحاجب المصحفي<sup>(٢٠)</sup> ليكون وكيلاً لولي العهد يقوم بخدمته وخدمة أمه السيدة صباح<sup>(٢١)</sup> .

وعلى الرغم من كل هذا وذاك، فقد تم تعيين محمد بن أبي عامر في عام ٣٥٦هـ / ٩٦٧م ، مشرفاً ومديراً لأملاك الطفل الصغير عبد الرحمن بن

أن ابن أبي عامر كان يتفنن في استلهاام قلب السيدة صبح من اجل التقرب إليها . وذلك من خلال ما يقدمه لها من تحف وهدايا نفيسة وغالية الثمن، الأمر الذي لفت نظر السيدة صبح ، كما لفت نظر سائر نساء القصر ، مما دفع الخليفة الحكم بأن يقول لبعض جلسائه: " ما لذي استلطف به هذا الفتى حرمانا حتى ملك قلوبهن ، مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن،حتى صرنَ لا يصفنَ إلا هداياه ، ولا يرضينَ إلا ما أتاه، أنه لساحر عظيم أو خادم لبيب وإنني خائف على ما بيده"<sup>(٢٥)</sup> .

لو استوقفنا عند هذه المقولة فيمكننا القول أنه اما الخليفة الحكم لم ترتق شكوكه هذه إلى حد الارتياب بنزاهة وعفة زوجته السيدة صبح ، وهذا الرأي فيه نوع من المغالطة لأن هناك علاقة عاطفية يشوبها الريب، والشك جمعت السيدة صبح ومحمد بن أبي عامر كما مر ذكره .

وأما الرأي الثاني هو أن الخليفة الحكم المستنصر قد تقدم به العمر ، واخذ المرض منه مأخذه كبرى حتى أصبح ضعيفاً فبات مضطراً للتغاضي عن

الحكم بمرتب متواضع قدره خمس عشر ديناراً ، وكان له من العمر يومذاك سبع وعشرين سنة ، وكانت وظيفته هذه مدخلاً لتلك الصلة بينه وبين السيدة صبح .

عمل محمد ابن ابي عامر بالاستحواذ على قلب السيدة صبح فعملت على رفع قدره بعد سبعة أشهر من تعيينه فأضيفت إليه مهمة الأشرف على وظيفة قاضي المواريث ، وهي من أهم وظائف الدولة آنذاك . وأسندت إليه بعد ذلك مهمة قضاء أشبيلية<sup>(٢٢)</sup> ولبلبة<sup>(٢٣)</sup> ، وأخيرا بعد وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم صار مديراً لأملاك أخيه هشام المؤيد الذي سيصبح خليفة فيما بعد . وهكذا وفي سنوات قليلة وبفضل ذكائه ومواهبه وحسن تدبيره قطعاً ، وأيضاً بفضل ما كانت تمده به السيدة صبح من عطف وتأييد ودعم عند الخليفة الحكم المستنصر ، تقلد مناصب عدة وعليا في الدولة<sup>(٢٤)</sup> ، الأمر الذي أثار شكوك المؤرخين قدمائهم كما أثار محدثيهم بأن علاقة حميمة دفعته إليه أن لم يكن في حياة الخليفة الحكم المستنصر فعلى الأقل بعد مماته ، ولا سيما

على الشمال الأسباني ومد نفوذ الإسلام له، إلا أنه غلب عليه عدد من رجالات الدولة من الصقالبة<sup>(٢٨)</sup> وجعفر المصحفي محمد بن أبي عامر وكذلك زوجته صبح البشكنسية .

توفي الحكم المستنصر في عام ٣٦٦هـ / ٩٧٦م . لست عشرة سنة من خلافته<sup>(٢٩)</sup> ، وكان قد أصابه الفالج، فلزم الفراش إلى ان هلك<sup>(٣٠)</sup>، وحكم من بعده ولده الصغير الملقب بهشام المؤيد وله من العمر عشرة أعوام وأشهر ، فلم يزل متغلباً عليه، لا يظهر ولا ينفذ له أمر<sup>(٣١)</sup> .

يرى الباحث ان الخليفة الحكم المستنصر كان قد شعر قبل وفاته بما سيحدث لولده من متاعب لصغر سنه ،فجمع كبار رجال دولته وأخذ عليهم موثقاً بالإخلاص، والموازرة له حتى يصبح مؤهلاً للحكم الفعلي، وشكل مايشبه اليوم بمجلس وصاية يتألف من كبار أعوانه الثلاثة : المصحفي وغالب وابن أبي عامر . وهذه شخصيات ستضطلع بأدوار كبرى في هذه الحقبة المهمة في تاريخ الأندلس .

ما كره السكوت عنه ولا يستطيع دفعه وهو الرأي الأقرب إلى الحقيقة . لذلك وجد محمد بن أبي عامر في السيدة صبح ملاذاً آمناً يلجأ إليه حينما تشد عليه الأمور عند الخليفة الحكم المستنصر الذي كان وجوده يحد الكثير من أطماعه، ومشاريعه التي لم تظهر إلا بعد وفاته بل وازداد حرصه على كسب ود وعاطفة السيدة صبح وعلى جميع الأنصار والأصحاب بحسن معاملته وكرمه مع من يتعامل معه من الناس .

وفاة الخليفة الحكم المستنصر وتولي ابنه هشام المؤيد خلافة الأندلس .

يُعد الحكم المستنصر تاسع الحكام الأمويين(٣٥٠\_٣٦٦هـ / ٩٦١\_٩٧٦م )، وثاني الخلفاء الأمويين في الأندلس<sup>(٢٦)</sup> حكم الأندلس ولقب بالمستنصر بالله ، ، ورث أباه الناصر لدين الله. تسلم الحكم وعمره سبع وأربعون عاماً<sup>(٢٧)</sup>، اكتسب خبرة إدارية كبرى من خلال مسيرة حكم والده. وقد تابع تلك المسيرة في محاولاته للسيطرة

حفظاً للوئام والوحدة، فبعث جعفر معه سرية من الجند فأحاطوا بدار المغيرة، ثم نفذ محمد بن أبي عامر مع نفر من أصحابه، واخبره بموت الخليفة وجلس ابنه هشام، وأنه أتى ليتبين موقفه، فذعر المغيرة وأكد له أنه مطيع مخلص لكل ما تقرر، وتضرع إليه يحقن دمه، وأن يراجع القوم في أمره، ولكن الرد كان قاسياً فقتله بن أبي عامر خنقاً، أمام زوجته، ثم أشاع هو ومن معه بأنه قتل نفسه، ودفن في نفس مجلسه وكان عمره يومها سبعاً وعشرين سنة<sup>(٣٤)</sup>.

وصلت هذه الأنباء إلى الفتیان فائق وجؤذر ووقع عليهم الخبر كوقع الصاعقة، فتملكهما السخط والروع وبادرا إلى الحاجب جعفر المصحفي، وتظاهرا بالرضا، واعتذرا عما سبق أن اقتزاحا عليه، فأنقسم أهل القصر إلى معسكرين، معسكر الصقالبه يتزعمه فائق وجؤذر، ومعسكر الأحرار يتزعمه جعفر المصحفي ومحمد بن أبي عامر<sup>(٣٥)</sup>.

وتبعاً لذلك فقد تم الاتفاق على تولية هشام، وأخذت له البيعة في صبيحة اليوم التالي لوفاة أبيه

مات الحكم المستنصر، بين أذرع كبيری فتیانہ فائق وجؤذر اللذان حرصا على كتمان خبر موته، وقاما بضبط القصر، واتخاذ التدابير اللازمة<sup>(٣٢)</sup>، لتسيير الأمور وفق خطة كانا قد وضعاهما، تنحصر في تحية ولي العهد الصبي هشام المؤيد عن العرش، واختيار عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر أخو الحكم المستنصر، لولاية العرش، وكان الفتیان الصقالبه في ذلك الوقت قوة لا يستهان بها، فاستدعى فائق وجؤذر، الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، واخبراه بموت الخليفة الحكم المستنصر، واخبراه بخطتهما في تولية المغيرة، فتظاهر المصحفي باستحسان خطتهما، ووعدهما بالسير قدما بتنفيذ هذه الخطة<sup>(٣٣)</sup>.

عمل المصحفي على استدعاء أصحابه من خاصة الحكم ومن ضمنهم محمد بن أبي عامر فنعى لهم الخليفة، وعرض عليهم مشروع الفتیان الصقالبه، في تحية هشام المؤيد وتولية المغيرة، موضحاً خطورة هذا المشروع عليهم، لذلك فأقترح بعضٍ منهم أن يقتل المغيرة فيؤمن بذلك شره، فتطوع محمد بن أبي عامر لتنفيذ هذه المهمة

الخليفة الحكم المستنصر، لذلك فقد عُين محمد بن أبي عامر وزيراً لدولة هشام المؤيد ومعاوناً للحاجب عثمان ابن المصحفي يعاونه في تدبير شؤون الدولة<sup>(٣٧)</sup>، وهنا أشرك محمد بن أبي عامر في تولي السلطة المباشرة مع المصحفي ، ولم يعترض أحد من رجال القصر أو الدولة على ذلك الاختيار، سوى الحاجب جعفر المصحفي فقد كان يرى في هذا التعيين انتقاصاً لسلطته، وكراناً لجميله، بعد أن حمل أعباء السلطة كلها، فضلاً عن أنه يرى في محمد بن أبي عامر منافساً قوياً يخشى أطماعه ومواجهته ، وهي خصومة مهمة ستدور حولها أحداث البحث .

كان على محمد بن أبي عامر إذا ما أريد له أن يحقق أحلامه كلها، فعليه أن يتخلص من كل قوة تعترض سبيله ، وهذه القوة كانت متمثلة بتنامي نفوذ قوة صقالبة القصر ، وكذلك قوة نفوذ جعفر ابن عثمان المصحفي لذلك فكان يعمل على المكر بأهل الدولة، ويقتل بعض رجالها ويضرب بعضاً ببعض، ويستعين بالأقل خطراً على

الحكم، وهو يوم الأثنين من صفر سنة ٣٦٦هـ/ اول اكتوبر سنة ٩٧٦م، فأجلس الخليفة الصبي على كرسي الخلافة ، وقد بايعه الوزراء والعلماء والقضاة والأكابر<sup>(٣٦)</sup>. وهكذا تمت البيعة لهشام المؤيد، وقضي على معارضيهم، وعلى هذا الحال بات واضحاً ان السلطان الحقيقي قد آل منذ إعلان خلافة هشام المؤيد عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م إلى الرجلين القويين الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر الذي تقلد الوزارة . جهود محمد بن أبي عامر في الاحتفاظ بالسلطة .

١- جهود المنصور في التخلص من الصقالبة .

بعد أن تحقق الحلم الذي كان يساور محمد بن أبي عامر، وهو جلوس الطفل الصغير هشام على سدة الحكم وتلقبه بالخليفة هشام المؤيد، رافقه تنامي العلاقة بينه وبين السيدة صبح إذ أخذت هذه العلاقة تزداد يوماً بعد آخر ولاسيما بعد وفاة



وكانوا زهاء خمسمائة فتى وقيل خدمتهم وفخم بهم شأنه<sup>(٤١)</sup> .

أحس الصقالبة بسوء مصيرهم، فاستقال كبيرهم جوذر من الخدمة طمعاً بالنجاة بنفسه، أما زميله فائق فقد أبعده إلى ميورقة<sup>(٤٢)</sup> في الجزائر الشرقية وبقي منفياً فيها حتى مماته، وقد شعر الصقالبة بالخطر الذي يحيط بهم، فاجتمعوا واختاروا شخص يدعى درى يتولى أمرهم الأمر الذي جعل المصحفي يتوجس الخيفة منهم فطلب من محمد بن أبي عامر القضاء على زعيمهم درى ، ليكسر قوتهم ويحد من نفوذهم، فقتل درى بعد أن احتشم الأندلسيون عليه وأسرع بنو برزال<sup>(٤٣)</sup> وقتلوه في ليلته<sup>(٤٤)</sup> .

شعر محمد بن أبي عامر ان الفرصة سانحة لسحق الصقالبة، فبدء بإصدار أوامر تقضي بان يمكث الصقالبة في بيوتهم ولا يسمح لهم بالخروج ، وعمل على مصادرة أموال وممتلكات من صمد منهم، ثم لجأ إلى قتل واغتيال من استشعر منهم الخطر الأمر الذي أفقد هيبتهم<sup>(٤٥)</sup> ، بعد ذلك عمل على التقرب من المصحفي، لحاجته لعونه

الأخطر<sup>(٣٨)</sup>، مستغل العدا بين المصحفي والصقالبة على خلفية فشل مشروع الصقالبة في تولي المغيرة خلافة الأندلس ، كذلك كان المصحفي يخشى غدرهم، ودسائسهم، لذلك فقد حث المصحفي محمد بن أبي عامر على تصفية الصقالبة الموجودين في قصر الخلافة والحد من نفوذهم ، وعلى رأسهم الفتیان فائق وجوذر مستغلاً ما بدر منهما من معارضة قوية لبيعة هشام المؤيد ، ورغبتها في إسنادها إلى المغيرة بن عبد الرحمن<sup>(٣٩)</sup> .

شعر كل من محمد بن أبي عامر والحاجب جعفر بن عثمان المصحفي أن الصقالبة أصبحوا قوة كبيرة لها كيان في قصر الخليفة ، فاحتاط منهم الحاجب جعفر المصحفي بصفته حاجب الخليفة، والقائم بأمر دولته، فأغلق الباب الحديدي المخصص لدخولهم إلى القصر<sup>(٤٠)</sup> ، وأمرهم بان يدخلوا القصر من باب السدة مع بقية الناس ، كذلك طلب من محمد بن أبي عامر إلحاقهم في حاشيته فدخل هؤلاء الصقالبة في خدمته جميعاً،

عثمان المصحفي الذي قصر في دفاعه عن القلعة وعجز عن رد النصارى، لانشغاله بأمور الحكم الداخلية وبالصراعات بين القوى<sup>(٤٩)</sup>، وهنا برز دور محمد بن أبي عامر في الدعوة لتجميع القوات وإعدادها لمواجهة القشتاليين وتولييه قيادة الحملة بنفسه ، فتوجه إلى غرب قشتالة ، وحقق انتصاراً كبيراً ثم عاد إلى قرطبة مثقلاً بالأسرى والغنائم، وكان لهذا الظفر الحربي الأول، أكبر الأثر في نفوس الجند، الشعب قاطبة، فقد رأى الجند قائدهم ، واستولى على قلوبهم بما حققه من نصرٍ كبير ، فنظر إليه الشعب على أنه حامي المملكة والمدافع عنها، وكان لهذه البداية نتائج بعيدة الأثر، لذلك أدرك المصحفي الأطماع التوسعية لمحمد بن أبي عامر في الانفراد بالسلطة ومحاصرته له بحملات نفسية عنيفة<sup>(٥٠)</sup> .

وقد نال محمد بن ابي عامر رضا الخليفة هشام المؤيد، وأمه السيدة صبح ، فاخذ يوسع نفوذه في الدولة مستغلاً نجاحه وانتصاره في تلك الحملة، ورافق ذلك وقوع أحداث عدة زادت في توطيد

ومساعدته، وثمناً لدوره الأساسي في نكبة الصقالبه، جعله يتقلد أمر القصر والخدم والحرس، وتبعاً لذلك فقد على نجم محمد بن أبي عامر في أوساط الأندلسيين عموماً، وأهالي قرطبة خصوصاً ، ولا سيما وان أهل الأندلس كانوا لا يحبون هذه الفئة الغريبة ، والدخيلة التي تغلبت على شؤون القصر وبلاطه.

### ٣- القضاء على جعفر بن عثمان المصحفي

بعد أن انتهى محمد بن أبي عامر من تصفية الصقالبه والقضاء عليهم، أدرك أن عليه مواصلة مشروعه في السيطرة على الحكم، وذلك بالتخلص من أقوى منافسيه في الحكم لكي يكون هو الرجل الأول ، ولتحقيق هذا الحلم كان لا بد عليه أن يسيطر على الجيش والقيام بجهاد النصارى الأسبان<sup>(٤٦)</sup>، فعمل وخلال فترة وجيزة على قيادة ثلاث حملات باتجاه المملك الأسبانية الشمالية أولها كان في عام ٣٦٦هـ/٩٧٧م<sup>(٤٧)</sup> .

سار القشتاليون نحو قلعة رباح<sup>(٤٨)</sup>، وشنوا هجوماً كبيراً عليها، فاستجد أهلها بالحاجب جعفر بن

٣٦٦هـ / الموافق آيار ٩٧٧م، فاجتمع الاثنان في مدينة مجريط<sup>(٥٤)</sup>، واستوليا على حصن موله وحصلا على سبي كثير وغنائم واسعة وهناك توثق التحالف بين الرجلين وبرزت الرغبة في التخلص من الخصم المشترك وهو جعفر بن عثمان المصحفي<sup>(٥٥)</sup>.

جاءت هذه الحملة بنتائج معنوية كبيرة على محمد بن أبي عامر فنصحته القائد غالب بالقضاء على جعفر و التخلص منه ، بعدها كتب غالب إلى الخليفة هشام يخبره إياه بما جاء به محمد بن أبي عامر من الأعاجيب، ونسب إليه وحده الفضل فيما حازه العسكر من انتصارات باهرة وأن الواجب يقضي أن يكافأ مكافأة قيمة<sup>(٥٦)</sup>.

ما كاد محمد بن أبي عامر يصل إلى قرطبة حتى خرج أمر الخليفة هشام المؤيد بعزل محمد بن جعفر بن عثمان المصحفي عن حكم قرطبة، ونقله إلى ابن أبي عامر وبذلك تمت له السيطرة على المدينة ، والجيش معاً، وكانت قرطبة تعاني في حقبة حكم محمد بن جعفر من اضطراب في

مركزه وإضعاف مركز الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ، فقد كانت هناك ثمة عداوة بين الحاجب جعفر وبين غالب بن عبد الرحمن صاحب مدينة سالم<sup>(٥١)</sup> وأعظم فرسان الأندلس ، ترجع جذورها لاتهام المصحفي لغالب بالتهاون في الدفاع عن الحدود الشمالية للأندلس ولا سيما إثناء الهجوم القشتالي المذكور آنفاً .

أستغل محمد بن أبي عامر ما كان بين الاثنين من عداوة ومناقسة، فانترع له ومن وراء ظهر الحاجب المصحفي لقب الوزارتين وأغدق به على القائد غالب، ولم يكتف بذلك بل أسندت إليه قيادة جيوش الثغور كلها<sup>(٥٢)</sup>، بينما صيرت قيادة جيوش الداخل إلى ابن أبي عامر نفسه الذي أغدق عليهم الأموال وكثر إحسانه إليهم فوجد ابن ابي عامر في ذلك مدخلاً لاكتساب صداقة غالب ومخالفته له على إسقاط المصحفي ، ولكنه في قرارة نفسه كان يريد التخلص من الاثنين معاً<sup>(٥٣)</sup>.

وقد قويت وتوثقت عرى هذه العلاقة ولا سيما بعد أن رافق غالب محمد بن أبي عامر في غزوته الثانية والتي كانت في يوم عيد الفطر عام

غزوة جديدة ففتحا بها بعض الحصون من احواز المدينة وهاجما بعد ذلك مدينة شلبطرة<sup>(٦١)</sup>، واستوليا عليها وعاد ابن أبي عامر إلى قرطبة محملاً بالغنائم والأسرى الأسبان، فزاد شأنه عند الخليفة فرفعه إلى خطة الوزارتين سويَ فيها مع غالب ورفع راتبه إلى ثمانين ديناراً في الشهر<sup>(٦٢)</sup>. اما القائد غالب فقد قلد خطة الحجابة إلى جانب الحاجب جعفر المصحفي ، فكان هذا الأجراء ضربة موجعة للمصحفي ، الذي اخذ يستشعر بالخطر الذي يهدد مستقبله بأكمله، لذلك لم يبق له سوى الاسم فقط .

وأخيراً وقعت النكبة المرتقبة، وهي إصدار الخليفة هشام المؤيد أمراً بإقالة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، والقبض عليه وعلى آله، والتحفظ على أموالهم، وكان ذلك في شعبان عام ٣٦٧هـ/مارس ٩٧٨م<sup>(٦٣)</sup>، حتى رُج بهم في السجن جميعاً، وأسندت مهمة الحجابة إلى محمد بن عامر، حتى قبض على جعفر المصحفي وسجنه، كما أخذ يستصفي أموال آل المصحفي جميعاً، ومزقهم

الأمور ، واختلال في الأمن، وانتشار الفساد ، فساد الهدوء والأمن في ربوعها<sup>(٥٧)</sup> .

جاء هذا التعيين الجديد بوصفه ضربة موجعة لنفوذ الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي إذ صيرَ لخصميه حاكمية قرطبة مما يعني ذلك مزيداً من النفوذ والهيمنة. وكخطوة من المصحفي الهدف منها التقرب إلى القائد غالب ، بادر المصحفي إلى مصالحته، وعمل على توثيق العلاقة معه فخطب ابنته أسماء لابنه عثمان وكادت هذه السياسة تأتي بثمارها لكن محمد بن أبي عامر تنبه لذلك وحال دون تحقيق هذه المصاهرة عن طريق تحريض من في القصر للطعن بهذه الخطوبة<sup>(٥٨)</sup> ونجح بإقناع القائد غالب بعدم مصاهرة المصحفي، فتم فسخ هذه المصاهرة وفي نفس الوقت وافق القائد غالب على مصاهرة ابن أبي عامر وتم الزواج في شهر محرم سنة ٣٦٧هـ/٩٧١م<sup>(٥٩)</sup> .

توجه القائد غالب وابن ابي عامر في شهر صفر سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م ،نحو أراضي طليطلة<sup>(٦٠)</sup> في

وقيل مات خنقاً، فسلم إلى أهله في أقبح صورة<sup>(٦٧)</sup>.

وبالقضاء على المصحفي أصبح محمد بن أبي عامر الرجل الأول في الدولة ما دام الخليفة هشام المؤيد قاصراً عن أداء واجباته الفعلية، وقد وصل بن أبي عامر إلى هذه المكانة الرفيعة عن طريق أساليبه القمعية التي أتبعها في تصفية خصومه كلهم<sup>(٦٨)</sup>.

واصل ابن أبي عامر مخططاته التوسعية في الاستيلاء على مقاليد الحكم، فانتقل إلى مدينته الجديدة الزاهرة<sup>(٦٩)</sup> التي نقل إليها خزائن الأموال والأسلحة<sup>(٧٠)</sup> حتى تكون عاصمة لدولته في المستقبل (الدولة العامرية) والتي ستنتقل الأندلس إلى مرحلة جديدة<sup>(٧١)</sup>، فاستأثر منذ ذلك الوقت بكل سلطان الخليفة وما عاد حتى يكلف نفسه عناء استشارته وإطلاعه على الهام من أمور الدولة، فأشاع في أوساط الأندلسيين أن الخليفة هشام قد فوض إليه النظر في أمر الملك، وأوكله للأشراف على شؤون الدولة وذلك ليتفرغ لعبادة ربه<sup>(٧٢)</sup>، فمهد لحجب الخليفة هشام المؤيد عن

شر ممزق، وسارع إلى قتل هشام ابن أخو جعفر إذ كان أشد آل عثمان عداوة له وأخرجه إلى أهله ميتاً<sup>(٦٤)</sup>.

استمر محمد بن أبي عامر بنكبته لجعفر بن عثمان المصحفي سنين طويلاً، تارة يحبسه وأخرى يتركه، ومرات يصطحبه معه في غزواته وهو مسجوناً، واستمر على هذه الحال، حتى لم يعد يقدر على احتمال سجنه الذي عذب به عذاباً شديداً، فألقت محنته عليه أن يستجدي محمد بن أبي عامر، ويكتب إليه عارضاً نفسه عليه لتأديب ولديه عبد الله، وعبد الملك، فرفض ابن أبي عامر هذا العرض، وأمر بإحضار المصحفي إلى مجلسه بقصر الخلافة لمحاكمته ومحاسبته أمام الوزراء فيما نسب إليه من ابتزاز الأموال، فدخل المجلس والوزراء جلوس، وتعرض لإهانة وذلة لم يشهدها من قبل<sup>(٦٥)</sup>.

مات جعفر بن عثمان المصحفي في سجنه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م<sup>(٦٦)</sup>، ويُعد من قتلى محمد بن أبي عامر، حتى قيل أنه دس له شربة سم قضت عليه،

الرغم من سطوة وقوة محمد بن ابي عامر وسيطرته على مقاليد الحكم لم يعلن نفسه خليفة بدلاً لهشام المؤيد ، وكان حريصاً على أن يظهر للناس أن ما يأمر به في شؤون الدولة وسلطانها إنما هو صادر عن الخليفة هشام المؤيد بالله<sup>(٧٦)</sup> ، وذلك ليتجنب غضبهم عليه ويكسب مودتهم . وهكذا عمل محمد بن أبي عامر على تحطيم البيت الأموي تحطيماً لم يستطع أن يقوم على قدميه بعد، وتتبع كل من يرجى فيه خير من أفراده بالقتل والأذى والتشريد<sup>(٧٧)</sup>.

السؤال المهم هنا ما هو موقف السيدة صبح من مجريات هذه الأمور ؟ كان محمد بن أبي عامر يستمد قوته وسلطانه من السيدة صبح التي كان حبها المضطرب له يدفعها دوماً لمؤازرته والإذعان لرأيه، وكان إعجابها بقدرته وشجاعته يضاعف ثقتها به ، ويعميها عن إدراك الغاية الخطيرة التي يسعى إلى تحقيقها وهي باتت حقيقة لا أوهام تساور الكل. لذلك فقد اتخذت موقفاً معارضاً لكل ما حدث لأنها أدركت خطورة ما يجري من احداث

الناس فعمل على تحصين قصر الخليفة ، وقام بعمل سور دائري حول القصر ، ثم بادر إلى حفر خندق حوله ، واحكم غلق أبوابه ووكل بها من يمنع دخول أي شخص، أو ورود أي نبأ إلى الخليفة دون علمه وأذنه، حتى أن الخليفة لم يعد يستطيع أن ينفذ له أمر حتى في داخل قصره ولا حتى على حرمه<sup>(٧٣)</sup> ، بعدها أمر الناس بعدم ذكر اسم الخليفة هشام في مخاطباتهم، بعد ان منع الوزراء من الوصول إليه، إلا في نادر الأيام وبأذن مسبق منه يسلمون عليه<sup>(٧٤)</sup>، وبهذا الأجراء جرد بن أبي عامر الخليفة الصغير هشام المؤيد من صلاحياته كافة ، حتى بات محبوساً عن الناس لا يصله خبر ولا يرى أحداً في قصره سوى حاشيته الموجودة في داخل القصر ، ولم يعد له سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقش اسمه على النقود . بعدها عمل بن أبي عامر على قتل كل من يخشى منه من أمراء البيت الأموي وذلك خوفاً من ثورتهم عليه ، حتى أفنى من يصلح فيهم للخلافة فقتل البعض وهرب بعض آخر<sup>(٧٥)</sup>، وعلى

، فأغدقته السيدة صبح بالأموال فعمل على التشهير بمحمد بن أبي عامر وسياسته المتبعة مع الخليفة هشام المؤيد، لكن ابن أبي عامر لم يكن بالسياسي الذي تخفى عليه مثل هذه المؤامرات فسرعان ما اكتشفها قبل تنفيذها، وعمل على إسقاط هذا المخطط فسارع إلى رفع يد السيدة صبح عن أموال القصر كلها والتي كانت تتفنن في تهريبها بوساطة حاشية القصر وأخيها رائق<sup>(٧٩)</sup>، فعمل إلى نقل هذه الأموال إلى مدينة الزاهرة<sup>(٨٠)</sup>.

جزعت الناس من تلك الأحداث، وارتفعت أصواتهم لمشاهدة الخليفة هشام المؤيد والالتقاء به، حيث أن معظمهم لم يره قط، فأخرجه محمد بن أبي عامر في موكب عظيم يجوب شوارع قرطبة، فخرجت جموع غفيرة من الناس لمشاهدته، وكان ابن أبي عامر بجانبه راكباً يسايره، وابنه عبد الملك راجلاً يمشي بجانب موكب الخليفة الذي أحاطه الجيش من كل جانب، ومنع الناس من الاقتراب منه، وكانت هذه من الفرص النادرة التي سمح فيها بن أبي عامر للخليفة هشام المؤيد

على ولدها وعلى مستقبل الخلافة الأموية، فعملت على الحد من زحفه في الاستئثار بشؤون الدولة، فتحول هذا الود الذي كان قد ساد بينهما إلى تحفظ واحتشام، فثارت في نفسها سخطاً، في وقت كانت قد تجاوزت الأربعين من العمر وأضحت تبغض ذلك الرجل الذي سلب ولدها كل نفوذ السلطة<sup>(٧٨)</sup>، وإزاء قوة ابن أبي عامر وسطوته بات من المستحيل أن تقوم السيدة صبح بعمل مباشر يحد من هذه القوة، فلجأت عندئذ إلى العمل المتستر، فأخذت تتقرب من خصوم ابن أبي عامر لإسقاطه وإعادة مقاليد الدولة لولدها الخليفة هشام المؤيد.

أحس محمد بن أبي عامر بالخطر المحيط به، والذي تزعمته هذه المرة السيدة صبح فعمل على تسريح خدم القصر الذين كانت لهم ولاءات للسيدة صبح وولدها الخليفة هشام المؤيد، ومع ذلك استمرت السيدة صبح في مناهضتها لابن أبي عامر فقادها تفكيرها إلى الاتفاق مع (حاكم المغرب) زيري بن عطية الذي كان أقوى زعماء المغرب ومن المخلصين للخلافة الأموية

والاعتزال من المسرح السياسي فلم يعد يسمع لها دور في سير الحوادث، كما لا يعرف تاريخ وفاتها بالتحديد، فلا نعرف أن كانت وفاتها قبل وفاة محمد بن أبي عامر أو بعده فكل ما تذكره الرواية الإسلامية عن وفاتها أنها كانت في حياة ولدها هشام المؤيد، لكن على الأرجح أنها توفيت قبل وفاة ابن أبي عامر سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م، وذلك لأننا لم نجد لها دوراً أو دويماً في تاريخ الأندلس بعد وفاته<sup>(٨٤)</sup>.

٣- القضاء على قائد الثغر الأعلى غالب الناصري.

بعد ان قضى محمد بن أبي عامر على منافسيه كلهم، لم يبق أمامه سوى صهره القائد غالب الناصري قائد الثغر الأعلى<sup>(٨٥)</sup> التي كانت مدينة سالم تحت قيادته، وقد تنبه القائد غالب إلى أساليب ابن أبي عامر ودسائسه فأبدى امتعاضه منه لحجره الخليفة هشام المؤيد، واستبداده بالسلطة، ولكنه كتم ذلك على مضمض<sup>(٨٦)</sup>، وكان

بالخروج من القصر، ليوهم الناس من أن الخليفة غير محجوراً عليه<sup>(٨١)</sup>.

وبعد الانتهاء من مراسيم موكب الخليفة هشام المؤيد تحول ابن أبي عامر إلى خصمه زيري بن عطية المتحالف مع السيدة صبح فعزله من منصبه، وحدثت بينهما معارك عسكرية عدة، كانت الغلبة فيها إلى محمد بن أبي عامر ففر زيري بن عطية إلى الصحراء في المغرب الأقصى سنة ٣٨٨هـ/٩٩٧م، ومات متأثراً بجراحه<sup>(٨٢)</sup>.

وهكذا فشلت محاولات السيدة صبح جميعها للإطاحة بمحمد بن أبي عامر، والنيل منه فلم تكن بعد أن أستبد بالسلطة وتمكن من السيطرة على زمام الدولة الأموية حتى ذكر أنها قالت ذات يوم لولدها هشام المؤيد: "أترى ما يصنع هذا الكلب، وتعني محمد بن أبي عامر فقال لها ولدها دعيه ينبح لنا، ولا ينبح علينا"<sup>(٨٣)</sup>. استسلمت السيدة صبح لقدرها المحتوم، وأيقنت انه لا جدوى من مقاومة ابن أبي عامر، وأنه لا منقذ لولدها هشام المؤيد منه، فلجأت إلى السكينة والهدوء،



يقضي عليه لولا أن ابن أبي عامر استطاع ان يفر من أمامه، وعلى اثر ذلك باتت المواجهة العسكرية بين الرجلين هي الطريق الوحيد لحسم الموقف بينهما، وقد كان القائد غالب يدرك أن ليس باستطاعته أن يواجه هذا الخطر، الأمر الذي أرغمه للتحالف مع جيرانه من ملوك اسبانيا النصرانية) يبدو ان التحالف مع العدو النصراني صفة لازمة للحكام والقادة المسلمين في الأندلس وتطورت حتى وصلت إلى حكام الطوائف فيما بعد) الذين ما ترددوا في تأييده للتخلص من سطوة ابن أبي عامر الذي طالما نالهم أذاه<sup>(٨٩)</sup> .

عاد محمد بن أبي عامر إلى قرطبة ، واخذ يتأهب للاستعداد لخوض حرب عنيفة ضد صهره غالب، ولما اكتمل له ذلك سار بجيشه إلى مدينة سالم ونزل في حصن شنت بجنـت San vicent في محرم ٣٧١هـ/٩٨١م، فدارت معركة عنيفة كادت الدائرة تدور على ابن أبي عامر وجيشه ، لما أظهر خصمه غالب من شجاعة في القتال، وبراعة في القيادة فاشتدت رُحى المعركة واستمرت ثلاثة أيام . انتهت بقتل القائد غالب

ابن أبي عامر يخشى مواجهة القائد غالب ، لأنه كان يعرف بمقدرته ومهارته العسكرية التي كان يتمتع بها ، فرأى أن يجعل له ضدًا من أصحاب السيوف والحراب المشهورين، فلم يجد لذلك إلا جعفر بن حمدون المعروف بابن الأندلسي الذي اتصف بشدة بأسه، ورباطة جأشه، ونباهته، وجماله قدره<sup>(٨٧)</sup>، فعمل ابن أبي عامر في استدعائه وهو مقيم في العدو المغربية، وعمل على استصدار مرسوم يحمل توقيع الخليفة هشام المؤيد بتولية جعفر بن علي بن حمدون مرتبة الوزارة ، وبذلك ازدادت العلاقة الوثيقة بينهما، ففهم غالب الناصري مجريات هذه الأحداث مما زاد حذره اتجاه صهره وأكثر نفوره من سياسته عموماً .

التقى الرجلان وجهاً لوجه حينما كان ابن أبي عامر ذاهباً إلى غزوة في صائفة لأراضي الشمال الأسباني وتحديداً عند مدينة انتشيـه Antesa<sup>(٨٨)</sup> ، فقد دعا غالب صهره إلى وليمة ، دار خلالها بينهما عتاب شديد تحول فيما بعد إلى نقاش اشتدت حدته فسلّ القائد غالب سيفه وأشهره على ابن أبي عامر فأصابه بجراح شديدة، وكاد أن

يترتب عليه وعلى ديمومة حكمه و استمراره بالسلطة وخير مثال على ذلك هو قتله لأبنيه عبد الله سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م حينما رأى منه خطراً يهدد مستقبله السياسي<sup>(٩٢)</sup> .

محمد بن أبي عامر يتلقب بالمنصور .

بعد الانتصارات العسكرية التي حققها محمد بن أبي عامر، رافقها القضاء على منافسيه كلهم، لم يبق ما يعرقل طموحه ، ويؤخر استبداده الكامل بالحكم والسلطان ، لذا قرر التشبه بالملوك والارتقاء على سائر أقرانه من الوزراء، والقادة والحجاب فلقب نفسه بالمنصور سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، وأمر بالدعاء له على المنابر وكانت هذه خطوة أولى لاتخاذ لقب الملك بصفة رسمية بعد ان استأثر بكل سلطته الفعلية<sup>(٩٣)</sup>، كذلك أمر من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم أن يقبلوا يده، وينحنون له عند كلامه ومخاطبته، حتى أضفت هذه الأمور كلها عليه شيئاً من الجلالة، والعظمة وبلغ غاية العز والقدر .

وهزيمة جيشه<sup>(٩٠)</sup> ، فتخلص ابن أبي عامر من أشد خصومه وهو القائد غالب الناصري، بعدها استدار إلى حليفه جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي والذي كانت مشاريعه وأطماعه وتوسعه السياسي مصدر قلق لمحمد بن أبي عامر، فدعاها ذات ليلة إلى مأدبة عشاء فحضر وأكثر من الأكل والشراب، ثم خرج جعفر منقل الرأس، فاقد الوعي قاصداً منزله، فارصد ابن أبي عامر له أبا الأحوص معن بن عبد العزيز النجيب الذي يعد من فرسان العرب المشهورين في الأندلس مع طائفة من الجند، فأقدم أبا الأحوص على قتل جعفر وحمل رأسه إلى ابن أبي عامر وكان ذلك في عام ٣٧٣هـ/٩٨٣م، وتظاهر بالحزن عليه<sup>(٩١)</sup>، بعدها أقدم ابن أبي عامر على قتل أبا الأحوص وانفرد بأمر الدولة وحده دون منافس، وسار إلى تحقيق غايته بتحطيم منافسية والقضاء عليهم وهنا نستدل من أن أبي عامر لم يكن بالرجل الذي تثنيه عواطفه عن تنفيذ مخططاته، والتخلص من أقرب منافسيه إذا كان ذلك الأمر

في نفس الوقت أهملوا الكثير من إنجازاته العسكرية التي كانت سبب شهرته، ومحل فخره واعتزازه، ودعامة نظامه لدى الأندلسيين فالقارئ لهذه الكتابات يجدهم يركزون على أخبار حياته الخاصة، وعلاقاته الشخصية ويذكرونها بأدق تفاصيلها مهملين بقصد أو غير قصد تفاصيل جهاده الكبير ضد الممالك النصرانية فالمنصور بن أبي عامر كانت له صولات وجولات ضد هذه الممالك ، فقد كانت يغزوها في السنة الواحدة مرتين تعرف الأولى بالصانقة والثانية بالشاتية<sup>(٩٥)</sup>.

لذلك فلو قُدر أن يرث دولته أشخاص كانوا من طرازه لأمكن لها أن تصمد مدة أطول ، وإن يبقى الإسلام يرفرف في سماء اسبانيا .

امتازت سياسة المنصور الخارجية مع الممالك النصرانية بطابع جهادي ، منذ أن أصبح له الأمر النافذ في شؤون الخلافة الأموية، والمنتبع لتاريخ المنصور بن أبي عامر، يجد أن سياسته الجهادية كانت منسجمة إلى حد كبير مع المراحل التي قطعها لبلوغ قمة السلطة، فقد أتخذها طريقاً

في سنة ٣٨١هـ/٩٩١م ، اتخذ المنصور خطوة أخرى في سبيل تدعيم صفته الملوكية، فعمل على ترشيح ولده عبد الملك للولاية من بعده، وهو فتى لم يتجاوز الثامنة عشر من العمر، وعمل كذلك على تقليد ولده عبد الرحمن خطة الوزارة، بعدها أصدر المنصور أمراً في عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م، بأن يخص بألقاب سيادية وملوكية ، وإن تكتب جميعها فخطب المنصور منذ ذلك الوقت بالملك الكريم، وبولغ في .

### المبحث الثاني

المنصور بن أبي عامر وجهاده ضد الممالك النصرانية<sup>٩٤</sup> .

أن المنتبع والباحث في تاريخ المنصور بن أبي عامر يجد أن هناك ظاهرة ملفتة للنظر في روايات المؤرخين المسلمين الذين أسهبوا، وكتبوا لنا أخبار المنصور ، إنهم في الوقت الذي أحصوا فيه تفاصيل مهمة عن حياته ، وسيرة هذا الرجل، وما قام به من أعمال كبيرة أوصلته إلى الحكم ،

وقد اختلف المؤرخون في عدد غزوات المنصور<sup>(٩٧)</sup>، وقد جاء اختلافهم هذا في أن بعضاً منهم لم يذكر إلا المهم من هذه الغزوات، ويهمل الغزوات الثانوية التي كانت تتفرع منها الغزوات الأساسية الكبرى، فيذكر أن إحدى غزواته جمع فيها بين بنبلونه<sup>(٩٨)</sup> وبسط<sup>(٩٩)</sup> برشلونه<sup>(١٠٠)</sup>، كانت صائفة ذات دخلات ثلاثة وقد وقعت هذه الغزوة يوم الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م<sup>(١٠١)</sup>. ويعتقد البعض أن غزوات المنصور كانت موجهة كلها إلى نصارى الشمال وهذا اعتقاد خاطئ لأن بعضٍ منها كانت موجهة ضد الفاطميين الذين باتوا يشكلون خطراً على الأندلس لا يستهان به .

وقد قام المنصور بن أبي عامر بأربع وعشرين غزوة في العشر سنوات الأولى من حكمه، وأن غزواته الأخرى والبالغة ست وعشرين غزوة أو أكثر من ذلك كانت في السنوات الباقية من حكمه، وهي ست عشرة سنة على أساس غزوتين في كل عام كحد أعلى، وأنه كان دائماً متأهباً

لتحطيم خصومه والقضاء عليهم، الأمر الذي مكنه من اكتساب ثقة الشعب .

كانت غزوات المنصور بن أبي عامر محل خلاف وجدال لكثير من المؤرخين ، فالبعض يوردها بأنها كانت برسم طابع الجهاد، ونشر راية الإسلام، وبعضٍ آخر يوردها بأنها كانت ذات أهداف سياسية بعيدة المدى، لم يفكر فيها احد من قبله من أمراء الأندلس، ذلك لأنه فكر في أن يسحق الممالك النصرانية الأسبانية سحقاً تاماً، وأن يقض على استقلالها القومي<sup>(٩٦)</sup>، لذلك يمكننا القول ان المنصور بن ابي عامر قد خالف من سبقوه في الحكم ، فقد كانوا غالباً يحاربون للدفاع، ورد غارات النصارى، ولكنه في غزواته تلك كان هو البادئ بالحرب، وهذا يدفعنا للاعتقاد انه كان أكثر حكام الأندلس ارتباطاً، وتحمساً للجهاد ، والغزو كونه الوحيد الذي أعطى من وقته هذا المبلغ للحملات العسكرية التي كان يقودها بنفسه، ولم يقبل من أعدائه قط صلحاً أو مهادنة، ولم يقتنع إلا بالنصر الكامل .

لم يتمكن الملك راميرا الثالث من مواجهة المنصور وقواته التي عاثت في المنطقة خراباً، وقتلت ودمرت مئات القرى والضياع<sup>(١٠٥)</sup>، وهام النصارى في وجوههم في الجبال، والوديان ألوفاً مؤلفة، فهرع الملك راميرا الثالث إلى كونت قشتالة غرسية فرنانديث (٣٦٠-٣٨٥هـ/٩٧٠-٩٩٥م) وسانشو ملك نافارا (٣٥٩-٣٨٤هـ/٩٦٩-٩٩٤م)، وعقد الثلاثة تحالفاً لمواجهة المنصور ومحاربتِهِ، وسارت قواتهم لمحاربة المنصور ونشب قتال عنيف بين الفريقين، انهزم فيها النصارى، وقتل عدد كبير منهم<sup>(١٠٦)</sup>، بعدها ساءت الأوضاع في جليقية فقد خلع راميرا الثالث ونصب مكانه بن عمه برمودة (٣٧٢-٣٨٩هـ/٩٨٢-٩٩٩م)، الذي اضطر إلى دفع الجزية للمنصور بن أبي عامر. وخرج حاكم بنبلونه الملك شانجه من هذا الصراع معلناً خضوعه التام للمنصور ومقديماً ابنته هدية له فعقد عليها المنصور وتزوجها<sup>(١٠٧)</sup>.

أما الغزوة المهمة الأخرى فهي غزوته الثالثة والعشرون والتي كانت من الانجازات العسكرية المهمة للمنصور بن ابي عامر حيث توجه فيها

للغزو حتى قيل أنه كان يخرج إلى المصلى يوم العيد فتقع له نية في ذلك اليوم فلا يرجع إلى قصره، ويخرج بعد انصرافه من الصلاة وهو في همته العالية إلى الجهاد<sup>(١٠٢)</sup>، مما مكنته هذه الهمة العالية للوصول إلى معاقل، وحصون النصارى كان قد تعذر على من سبقه من حكام المسلمين من فتحها الأمر الذي كان يبعث للحكام النصارى رسالة مفادها من أن القوات الإسلامية قادرة على أن تصل، وتضرب أراضيهم حينما ترى أن الضرورة تتطلب ذلك.

ولعل من غزوات المنصور الشهيرة هي حملته الرابعة التي شنّها على مملكة ليون في عهد راميرو الثالث قاصداً منها مدينة سمورة Zamora<sup>(١٠٣)</sup>، الحصينة الواقعة في شمال شلبطرة، وضرب حصاراً عليها في أوائل عام ٣٧١هـ/٩٨١م، الغرض منها تأديب ملك ليون راميرا الثالث (٣٥٤-٣٧١هـ/٩٦٦-٩٨٣م) لتدخله في الأندلس وشؤونها الداخلية، وإمداده للقائد غالب بن عبد الرحمن بعدد من الجند الذين قاتلوا معه<sup>(١٠٤)</sup>.

من دخول المملكة، واقتحام أسوارها، وقتل قائدها الكونت جونزالفو جونثالث Jonzalfo jonthalth ، فعاث المسلمون فيها خراباً، ثم تركها المنصور، وتوجه إلى مدينة سمورة وحاصرها، واحرق في طريقه عدداً من الأديرة ومنها دير اسلونزا، ودير سهاجون العظيمين ، مما أضطر الملك برمودة إلى الهرب من المدينة سراً، وقام سكانها بتسليم المدينة إلى المنصور الذي أمر بنهبها معاقبة لأهلها على حمايتهم للملك برمودة الثاني ، الأمر الذي دفع بنبلاء المملكة بالاعتراف بسيادة المنصور عليهم<sup>(١٠٩)</sup>، وفي العام الثاني عاود المنصور غزو أراضي ليون، في أعقاب مؤامرة كان قد دبرها ابنه عبد الله بالاتفاق مع عبد الله بن عبد العزيز المرواني حاكم سرقسطة<sup>(١١٠)</sup>، فقد فكر الاثنان الإطاحة بالمنصور وتحالفا مع جيرانهما من نصارى نافارا ، وقشتالة فخرج المنصور بصانعة غازياً أولاً أراضي قشتالة فتمكن من احتلالها، واجبر حاكمها غرسيه فرناديث تسليم ولده عبد الله، وأقسم إلا يكف عن قتاله حتى ينزل

إلى إمارة قطلونية الواقعة في الشمال الشرقي من الأندلس والتي كانت تحت حكم الامير الكونت بوريل الثاني Borrel II فقد اقتحم المنصور أراضيها في عام ٣٧٤هـ/٩٨٥م، ووصل إلى مدينة برشلونة التي اقتحمها، ودخلها فدمرها ، وأحرقها ، وقتل معظم أهلها، وتركها قاعاً صافصفاً، وتمكن من أسر نائب الكونت بوريل، فاقتيد إلى قرطبة، ومكث في الأسر أعواماً، ولم يحتفظ المنصور بالمدينة ، لأن الهدف من غزوته تلك هو تدمير قوى النصارى في الطرف النائي من شبه الجزيرة<sup>(١٠٨)</sup> .

في عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م، اقبل المنصور على غزو مملكة ليون، فقد خرج في ربيع هذا العام على رأس جيش ضخم، وعبر به نهر دويرة، واخترق أراضي ليون شمالاً، وحينما سمع الملك برمودة بأنباء هذه الغزوة رابط في معظم قواته عند مدينة سمورة، اعتقاداً منه أن المنصور بن أبي عامر سيبدأ بالهجوم، لكن الأخير سار إلى مملكة ليون فواجهته مقاومة شديدة، لكنه تمكن في النهاية

ارضاً لم يبلغها قبله مسلم<sup>(١١٤)</sup>، ولم يفكر احد منهم منذ أيام طارق بن زياد أن يقصد إلى تلك المنطقة الجبلية الوعرة، وقد اعتزم المنصور أن يسير إلى أمنع مناطق اسبانيا النصرانية، وأبعدها عن متناول الفاتحين، وقد كانت شانت ياقب كعبة اسبانيا النصرانية ومزارها المقدس، ورمز زعامتها الروحية فيها يحلفون، وإليها يحجون من جميع أنحاء اسبانيا وأوربا، بل ومن قبط النوبة في مصر، اتخذها القديس ياقب (يعقوب الحواري)، احد حوارى السيد المسيح مرقداً له في كاتدرائيتها، لذلك فقد ربطت الأساطير الأسبانية في العصور الوسطى بين معجزات هذا القديس، وبين نضال الأسبان القومي والديني ضد المسلمين، فقد صورت هذه الأساطير أن القديس يعقوب كان يخرج أحياناً مع المقاتلين الأسبان يساعدهم على مواجهة المسلمين مما أعطاهم مع الوقت لقب قاتل المسلمين<sup>(١١٥)</sup>، وتبعاً لذلك تحول مع مرور الوقت من مجرد قديس إلى رمز وطني وقومي الأمر الذي جعل المنصور يدرك تماماً من ان وصوله إلى هذه المدينة واحتلالها سيكون انجازاً ومجداً

عند رغبته فامتتع غرسيه أولاً ثم اجبر على ذلك، فسُلم عبد الله إلى والده الذي أمر بقطع رأسه في ١٤ جمادي الآخرة عام ٣٨٠هـ / ٢٣ سبتمبر عام ٩٩٠م<sup>(١١١)</sup>، وكانت هذه هي الغزوة الخامسة والأربعين له .

في خريف نفس العام سار المنصور لغزو مملكة ليون، ومعاقبة ملكها برمودة ((٣٧٢ - ٣٨٩ هـ / ٩٨٢ - ٩٩٩م) على حمايته لعبد الله بن عبد العزيز، فاقترح أراضيه، وأرهقه بالحرب حتى غادر أستورقه، وألتمس الصلح من المنصور، متعهداً بدفع الجزية له فأجابه، واستولى على ما بيده من ممتلكات، مخلص مدينة سمورة من حكمه، واسكن المسلمين بها، وولى عليها احد عماله، وهكذا عادت مملكتي قشتالة وليون إلى دفع الجزية لحكومة قرطبة القوية<sup>(١١٢)</sup>.

أما أشهر غزوات المنصور بن أبي عامر فهي كانت الغزوة الثامنة والأربعين، والتي كانت تسمى بغزوة شانت ياقب<sup>(١١٣)</sup> التي حدثت في يوم الأربعاء الموافق الثاني من شعبان عام ٣٨٧هـ / ١١ اغسطس ٩٩٧م، فقد قصد بها المنصور

قرطبة استرجعوا هذه الأبواب والنواقيس، وحملوها على ظهورهم من قرطبة إلى شانت ياقب وتلك الأيام ندوالها بين الناس<sup>(١٢٠)</sup>.

ترك المنصور مدينة شانت ياقب، ومال في طريقه إلى بعض الأراضي التي كانت يحكمها الملك

Brmend فعات فيها خراباً حتى وصل إلى حصن لاميجو Lamego، وانسحب عائداً إلى مدينة قرطبة<sup>(١٢١)</sup>. وفي ربيع سنة

٣٩٢هـ/١٠٠٢م توجه المنصور بغزوته الأخيرة إلى أراضي مملكة قشتالة ووصل بها إلى أحواز مدينة برغش Brogos<sup>(١٢٢)</sup>، فقد انتصر، وقتل،

وسبي، وهدم على عادته إلا أن المرض والإعياء داهماه وعاد مسرعاً محمولاً على أكتاف الرجال حتى مدينة سالم فقد اشتدت عليه وطأة العلة<sup>(١٢٣)</sup>،

فمات هناك ودفن مجللاً بأكفان صنعت بأنامل بناته، وأمر أن يدفن بترابٍ كان قد جمعه من غزواته فقد كان ينفض الغبار الذي وقع على

درعه في غزواته، كلما انصرف من قتال دخل سرداقه المخصص له ويأمر خدمه بان ينفض

يضاف إلى أمجاده العسكرية لا لأنه يستهدف المعارضة الأسبانية في مدينة مقدسة وإنما أيضاً إلى وعورة طرق هذه الأرض طبيعتها الجبلية الصعبة، ولمناخها البارد، ولعل ما من مسلم قبله تجرأ على افتتاحها وهذا هو الأهم<sup>(١٢٦)</sup>.

دخل المسلمون مدينة شانت ياقب فوجدوها خالية من أهلها، وعملوا على هدم أسوارها، وصروحها التاريخية وكنيستها العظمى واستولوا على سائر ما

فيها من الذخائر والتحف، وأمر المنصور بصون قبر القديس يعقوب القائم وسط الكنيسة والمحافظة عليه<sup>(١٢٧)</sup>، ولم يجد المنصور بالكنيسة إلا شيخاً

من الرهبان يجلس على القبر فسأله عن مقامه فقال: "أؤانس يعقوب" فتركه وأمر بالكف عنه<sup>(١٢٨)</sup>، فأخذ المسلمون أبواب المدينة ونواقيس

الكنيسة وحملها الأسرى النصارى على كواهلهم حتى قرطبة، فوضعت الأبواب فيما بعد، في سقف الزيادة التي أنشأها المنصور بالمسجد

الجامع وعلقت به النواقيس رؤوساً للثريات الكبرى<sup>(١٢٩)</sup>، ولا ينكر أن المسيحيين عندما دخلوا



سالم، وقد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره، وامرأته متكئة إلى جانبه، فقال لي يا شجاع أما تراني قد ملكت بلاد المسلمين، وجلست على قبر ملكهم؟ قال: فحملتني الغيرة ان قلت له: لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه، ولا أستقر بك قرار منهم بي، فحالت امرأته بيني وبينه، وقالت له صدقك فيما قال، أيفتخر مثلك بمثل هذا؟<sup>(١٢٨)</sup>.

### الخاتمة

شهدت الأندلس خلال حكم الدولة الأموية متغيرات كثيرة كان أبرزها، وفاة الخليفة الحكم المستنصر وتولي ولده هشام المؤيد الطفل الصغير قيادة الأندلس، وقد كان لهذا الأمر تداعيات كبيرة لأن الأندلس لا يمكن ان تحكم إلا من خلال شخص تتوفر به مقومات القوة كلها، الأمر الذي ألقى بظلاله على قيادة الأندلس، وهياً إلى ظهور قوى كانت تتصارع على السلطة، وتطمح في الالتفاف حول الخليفة هشام المؤيد لتتمكن من تولي السلطة، والسيطرة عليها، فبرز محمد بن أبي

غبار ثيابه التي لبسها في المعركة كما كان يسمح ما علق على وجهه من غبار ثم يجمعه ويحفظه في منديل، وأمر ان ينثر هذا الغبار على كفيه تبركاً به إذا وضع في مئواه الأخير عام ٣٩٢هـ/١٠٠٢م<sup>(١٢٤)</sup>، وله من العمر خمس وستين سنة وعشرة أشهر، وكان له اثنان من الأولاد هما: عبد الملك وعبد الرحمن شنجول، فكانت مدة قيامه بالدولة منذ تقلد الحجابة إلى أن توفي خمساً وعشرين سنة وأربعة وأربعين يوماً<sup>(١٢٥)</sup>، وقد تنفس ملوك النصارى الصعداء لأنهم كانوا يكرهونه من أعماق قلوبهم لدرجة أن احد كهنتهم كتب في حولياته: " مات المنصور ودفن للجحيم"<sup>(١٢٦)</sup>، وقد كُتب على قبره هذان البيتان<sup>(١٢٧)</sup>:-

أثاره تتبيك عن أخباره

حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله

أبدأ ولا يحمي الثغور سواه

وقد ذكر شجاع مولى المستعين بن هود قائلاً: " لما توجهت إلى الملك أذفونش وجدته في مدينة

بن أبي عامر (المنصور)، قد شنّ نيفاً وخمسين غزوة أذل بها النصارى، وضربهم في عقر دارهم، وأحتل مدينة شانت ياقب التي يعدها النصارى مدينة مقدسة وان المساس بها يعني المساس بعقيدتهم الدينية لذلك فقد اهتزت النصرانية من أقصاها إلى أقصاها، ونزل الخبر على نصارى العالم كالصاعقة حينما أقدم المنصور على احتلال تلك المدينة فقد أحس النصارى ان الأمل كاد ينقطع من بقاء النصرانية في اسبانيا، الأمر الذي كان باعثاً قوياً في أن يتوحد ملوك النصارى أصحاب ليون ونافارا وقشتالة، وسائر المقاطعات المسيحية، ونبذوا خلفاتهم كلها وصاروا عصابة واحدة لمواجهة هذا الخطر الذي اخذ يحيط بالنصرانية كلها.

وخلاصة القول أن محمد بن أبي عامر(المنصور)، كان بارعاً في المجال العسكري ، فدانت له أقطار الأندلس كلها، ولم يضطرب عليه منها شيء أيام حياته لحسن سياسته، وعظيم هيئته ولو قدر للأندلس أن يأتي بعده شخصاً

عامر(المنصور)، الذي بدء حياته كاتباً عند باب القصر ومكنته الظروف من دخول بلاط الدولة الأموية فاستحسنته السيدة صبح الذي أوصلته إلى سدة الحكم، وتوليه مناصب إدارية وعسكرية مهمة مكنته أخيراً من قيادة الأندلس بأكملها بعد أن تخلص من مناوئيه ومنافسيه جميعاً مستغلاً علاقته بالسيدة صبح ، مما هيا له الإنفراد بالسلطة، وحجر الخليفة هشام المؤيد الأمر الذي يعده بعض الباحثين نقطة سوداء في تاريخ محمد بن أبي عامر (المنصور) .

اتبع المنصور سياسة خارجية مع نصارى الشمال أتسمت بإنهاك مناطق ليون وقشتالة ونافارا ، وتوجيه الضربات العسكرية لهم، إذ كان هو بادئاً في توجيه تلك الضربات، وقد اختلف المؤرخون في هدف هذه الحملات العسكرية فالبعض عدها بأنها أتسمت بطابع جهادي،و بعضٍ آخر عدها بأنها كان هدفها هو تحقيق مجداً، وعلواً عسكرياً يرتفع شأنه داخل بلاط الدولة الأموية، ورغم كل ما قيل حول تلك الحملات يمكن القول بأن محمد

## الحياة السياسية للمنصور بن أبي عامر

---

بمثله لما أصاب الأندلس ما أصابها من تمزق، وتفرقة كانت باعثاً قوياً لظهور دول الطوائف .

(١) المراكشي ، محي الدين أبي محمد عبد الواحد، (ت ١١٤٧هـ/١٢٤٩م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، (طبع مكتبة ليدن، ليدن ، ١٨٨١) ، ص ١٩ .

(٢) ابن بسام الشنتريني ، أبي الحسن علي ، ت ١١٤٧هـ/١١٤٢م ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، ط ١ ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ( دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩ ) ، ص ٥٧ .

(٣) طرش Torch من اشرف مدائن افرنجيه ولها موسم عظيم في الخريف يتصل ثمانية أيام وليس هناك موسم أعظم منه ينظر الحميري، محمد عبد المنعم ، (٧١٠هـ/١٣١٠م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ( مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ ) ، ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

٤ الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة أم حكيم ، وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة وبينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلاً . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٢٣ .

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني، (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ط ٢ ، ( دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦ ) ، ص ٥٩ .

(٦) قرطبة قاعدة بالأندلس وأهم مدائنهم ومستقر خلافة الأمويين بها ، وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦ .

(٧) الضبي، أحمد بن يحيى ابن احمد بن عميرة ، ( ت ٥٥٩هـ/١٢٠٢م ) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ( دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ ) ، ص ١١٦-١١٧ .

(٨) دارت معركة الخندق بضعة ايام، ولكنها بلغت ذروتها وتقرر مصيرها في ١١ شوال ٣٢٧هـ، اول أغسطس عام ٩٣٩م ، عند مدينة شنت مانقش (سيمانقاس Simancas) ، وقد سميت باسم الخندق بسبب خندق كان عبد الرحمن الناصر قد أمر بحفره تحت أسوار سيمانقاس حتى يحضر عنده قوات العدو الهاربة في حالة الهزيمة . وكان عبد الرحمن قد أحتفل بالاستعداد للمعركة احتفالاً ضخماً وحشد لها نحو ١٢٠ ألف جندي وسماها لهذا غزاة القدرة لأنه عول أن يجعلها قاضية على رذمير الثالث Ramiro III ملك ليون ، وقد خسر الناصر هذه المعركة وكانت آخر غزوة غزاها بنفسه. ينظر ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص٣٦-٣٧ .

(٩) ولد أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي في منازل كرد من أعمال ديار بكر عام ٢٨٨ هـ جده سلمان كان مولى لمحمد بن عبد الملك بن مروان . وفد إلى بغداد عام ٣٠٣ هـ في صحبة قوم في قرية «قالي قلا» من أعمال أرمينية، فُنسب إليها .ينظر ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ،(ت٤٠٣هـ/١٠١٣م) ، تاريخ علماء الأندلس، ج ١ عني بنشره السيد عزت الحسيني ، ( مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع ، ١٩٥٤ ) ، ص ٨٣ .

(١٠) هو أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي، المعروف بابن أبي رندقة. أحد الأئمة الكبار، عالم، فقيه مالكي، أصولي، محدث، مفسر، صوفي، شاعر. ويسمى بالطرطوشي نسبة إلى المدينة الأندلسية طرطوشة، التي ولد فيها (في شمال شرقي الأندلس، على ساحل البحر المتوسط . ينظر الحميري ،، الروض المعطار ، ص ٣٩١ .

(١١) أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي قرطبي الولد والوفاة ، حيث ولد سنة ٣٦٧هـ، والقوطية التي يرتقي نسبه إليها نسبة إلى قوط بن حام بن نوح عليه السلام ينظر ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، (٣٦٧هـ/٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ( القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٩ ) ، ص ٨ .

(١٢) الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١١٥ .

(١٣) ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م ، الحلة السرياء ، ج ١ ، تحقيق حسين مؤنس، ( دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ ) ، ص ١٦٨ .

(١٤) مالقة مدينة بالأندلس على شاطئ البحر ، عليها سور صخر والبحر قبلها وهي حسنة عامرة أهلة كثيرة الديار . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥١٧ .

(١٥) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٧٨ .

(١٦) تؤكد الرواية الإسلامية أن صبح البشكنسية كانت جارية نافارية تحترف الغناء ، ولا تذكر أن كانت قد استرقت بالأسر في بعض المواقع، أم كانت رقيقاً بالملك والتداول، ولكنها كانت تصفها بالجارية والحضية ، وصبح أو صبيحة هي ترجمة لكلمة Aurora الفرنجية ، ومعناها الفجر أو الصبح الباكر وهو الاسم النصراني الذي كانت تحمله صبح فيما يظهر . ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد المراكشي، (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م )، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ، ط ١، تحقيق ج.س . كولان وليفي بروفنسال ، ( دار الثقافة الدينية ، بيروت ، ١٩٨٠ )، ص ٢٥٢ .

(١٧) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢، ص ٢٥٢

<sup>١٨</sup> كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة نزلها جند الأردن من العرب وهي كثيرة الخيرات . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .

(١٩) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، ق ٤، م ١ ، ص ٦٠ .

(٢٠) جعفر بن عثمان المصحفي هو ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة، الحاجب المصحفي ، من بربر بلنسية، أديب عمل كاتباً أيام الناصر، وتقلد خطة الوزارة ابان خلافة الحكم، ولما آلت الخلافة إلى هشام المؤيد، تصرف في أمور الدولة وللمزيد من المعلومات ينظر إلى ابن خاقان ، أبي نصر الفتح محمد بن عبد الله ، ت

- ١١٣٤هـ/١١٣٤م ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، تحقيق، محمد علي شواكة ، ( دار عمار ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣ ) ، هامش رقم (١) ، ص ١٥٣ .
- (٢١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .
- (٢٢) أشبيلية مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون وهي مدينة قديمة ازلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني ان أصل تسميتها اشبالي معناه المدينة المنبسطة . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٨ .
- (٢٣) لبلبة مدينة في غرب الأندلس قديمة بها ثلاث عيون ، أحدها عين تهشر وهي أغزرها ، والثانية عين تنبعث بالشب ، والثالثة عين تنبعث بالزاج ومن طليلطة إلى لبلبة عشرين ميلاً . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٠٧ .
- (٢٤) نعني ، عبد المجيد ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، ( دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ت ) ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .
- (٢٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
- ٢٦ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ . وكذلك الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٧٩هـ/٧١١-٤٩٢م ، ( دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٦ ) ، ص ٢٩٢-٢٩٣ .
- (٢٧) ابن حزم ، أبو محمد علي بن محمد ، ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م ، رسائل ابن حزم ، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، تحقيق إحسان عباس ، ج ٢ ، ط ٢ ، ( المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ ) ، ص ١٩٤ .
- ٢٨ الصقالبة اشتقت هذه الكلمة من الكلمة اللتينية Esclave ومعناها العبد أو الرقيق أو الأسير ، وكان هؤلاء الصقالبة من الرقيق والخصيان الذين يؤتى بهم بالأخص من بلاد الفرنج وحوض الدانوب ومختلف ثغور البحر المتوسط ، فهم أذن من الجرمان ، وكان يؤتى بهم أطفالاً من الجنسين ويروون تربية إسلامية ثم يديرون على أعمال البطانة وشؤون القصر ، وقد سما شأنهم فيما بعد وتولوا مناصب الرياسة والقيادة ، وكان للخليفة الحكم فرقة منهم من الحرس الخاص . ينظر ابن سعيد ، علي

بن موسى بن محمد بن عبد الملك الغرناطي، (ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م)، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ط ١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧)، ص ١٣.

(٢٩) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المجلد ٤، (دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠)، ص ١٨٨.

(٣٠) المقري، أحمد بن محمد المقري، ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج ١، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨)، ص ٣٩٦.

(٣١) ابن حزم، رسائل ابن حزم، ج ٢، ص ١٩٦. وكذلك ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٣٢) دوزي، رينهارت، المسلمون في الأندلس، ج ٢، ترجمة حسن حبشي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤)، ص ٨٥.

(٣٣) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول القسم الثاني الخلافة الأموية والدولة العامرية، ط ٤، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٥١٧-٥١٨.

(٣٤) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق ٤، م ١، ص ٥٨. وكذلك الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي، ص ٢٩٩.

(٣٥) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام، العصر الأول القسم الثاني، ص ٥١٨.

(٣٦) حول هذه البيعة ينظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٤٣-٤٤.

(٣٧) عنان، محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، العصر الأول القسم الثاني، ص ٥٢٤.

(٣٨) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٥٩-٦٢. وكذلك نعني، عبد المجيد، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٢٦.

(٣٩) القحطاني، علي أحمد عبد الله، الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية ٣٦٨-٣٩٩هـ، (جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١م)، ص ٤٢.



- (٤٠) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٦٣ .
- (٤١) يذكر ان عد الصقالبه كان ثمانمائة او يزيدون عن ذلك ينظر المقري ، نفح الطيب ، ج ١، ص ٣٩٧ .
- (٤٢) ميورقة هي جزيرة في البحر الزقافي، تسامها قبيلة بجاية من بر العدة، بينهما ثلاث مجارٍ، ومن الجوف برشلونة من بلاد أرغون، وبينهما مجرى واحد، ومن الشرق إحدى جزيرتيها منرقة، وبينهما مجرى في البحر طوله أربعون ميلاً ، وشري ميورقة هذه جزيرة سدانية، بينهما في البحر مجريان . وللمزيد من المعلومات ينظر . الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٦٧
- (٤٣) بنو برزال قبيلة أمازيغية من الفرع الزناتي في الجزائر الحالية ، كان لهم دور كبير في التاريخ الأندلسي انتقل جزء منهم إلى الأندلس أيام الخليفة الحكم المستنصر بالله وبمساعده و كان لهم دور في عهد الحاجب المنصور الذي اتخذهم أهلاً لدولته وولاهم ولاية قرمونة و استقر بهم الحكم هناك في عهد الدولة العامرية وما بعدها ، من أعلامهم جعفر بن حمدون الأندلسي . وللمزيد من المعلومات ينظر ابن خلدون، عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون ، المجلد ٣ ، ص ٧٣-٧٤ .
- (٤٤) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ، ج ٢، ص ٢٦٣ .
- (٤٥) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٦٣ .
- (٤٦) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .
- (٤٧) عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام ، العصر الأول القسم الثاني، ص ٥٣٧ .
- ٤٨ رباح قلعة بالأندلس من عمل جيان ، وهي بين قرطبة وطليلة ، وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر أنه وهي مدينة محدثة في أيام بني أمية . ينظر الحميري الروض المعطار ، ص ٤٦٩ .
- (٤٩) السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط ١ ، ( دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، ٢٠٠٠ )، ص ١٩٤

- (٥٠) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ط ١، (دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٢)، ص ٣٢٨ .
- ٥١ مدينة بالأندلس، تتصل بأعمال بازوئشة، وهي قاعدة النَّعْر الأوسط من شرقيّ الأندلس، وكانت من أعظم المدن وأشرفها، وأكثرها شجراً وماء، وكان طارق بن زياد لما افتتح الأندلس ألفاها خراباً، فعمرت بالإسلام، وهي مدينة جلييلة . ينظر الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، مجلد ٤، (دار احياء التراث العربي، بيروت)، ج ٥، ص ١١ .
- (٥٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢، ص ٢٦٥ .
- (٥٣) دوزي، رينهارت، المسلمون في الأندلس ، ج ٢ ، ص ٩٧ .
- (٥٤) مجريط مدينة بالأندلس شريفة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ومن مجريط إلى قنطرة ياقوة وهي آخر حيز الإسلام، احد وثلاثون ميلاً ولمزيد من المعلومات ينظر إلى الحميري ، الروض المعطار، ص ٥٢٣ .
- (٥٥) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، ق ٤، م ١ ، ص ٦٤ .
- (٥٦) دوزي، رينهارت، المسلمون في الأندلس ، ج ٢، ص ٩٨ .
- (٥٧) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٥٢٨ .
- (٥٨) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ .
- (٥٩) القحطاني، علي أحمد عبد الله ، الدولة العامرية ، ص ٥٢ .
- (٦٠) طليطلة مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة وللمزيد من المعلومات ينظر الحموي، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٩-٤٠

<sup>٦١</sup> شلبطرة وهو حصن من حصون الأندلس من عمل قلعة رباح ، كان الملك الناصر أبو عبد الله محمد بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب نزل عليها وحاصرها بالمجانيق والآلات الحربية حتى قهر أهلها وملكها . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٤٤ .

(٦٢) العذري ، احمد بن عمر بن انس،(ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتتويج الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع البلدان ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ( منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مدريد ، د.ت)،ص٧٤-٨٠ .

(٦٣) ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ص ٦٠ . وكذلك المقري ، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٠-٤٢١ .

(٦٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص٢٦٨ .

(٦٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص٢٦٨ .

(٦٦) المقري، احمد بن محمد التلمساني ، (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م )، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ،(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٣٩)،حاشية رقم (٢) ص ١٩٣ .

(٦٧) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص٢٧٠ .

(٦٨) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص ١٩٥ .

<sup>٦٩</sup> الزاهرة مدينة متصلة بقرطبة من البلاد الأندلسية ، بناها المنصور بن ابي عامر لما استولى على دولة الخليفة هشام المؤيد . الحميري ، الروض المعطار، ص ٢٨٣ .

(٧٠) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ص ١٨٩ .

(٧١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مجلد، ٤ ، ص ١٤٨ .

(٧٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٦٢ .

- (٧٣) المقرئ،، نفح الطيب، ج١، ص ٥٨٠ .
- (٧٤) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مجلد ٤ ، ص٣١٩-٣٢٠ .
- (٧٥) ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، الكامل في التاريخ ،ج٨، ( دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧)، ص٤٢ .
- (٧٦) مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠٤)، ص٣٩٧ .
- (٧٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ،ص٥٨ .
- (٧٨) عنان ، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص٥٣٧.
- (٧٩) المقرئ، ، نفح الطيب، ج٣، ص٩٣.
- (٨٠) ابن بسم الشنتريني ، الذخيرة ، ق٤، م١، ص٧١ .
- (٨١) ابن بسم الشنتريني ، الذخيرة ق٤، م١، ص٧٣ .
- (٨٢) عنان، محمد عبد الله ، تراجم إسلامية شرقية واندلسية، ط٢، ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، ١٩٧٠ ) ، ص٢١٠ .
- (٨٣) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص١٩٥ .
- (٨٤) عنان، محمد عبد الله ، تراجم إسلامية، ص٢١٠-٢١١ .
- (٨٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٧٨ .
- (٨٦) مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣٩٣ .
- (٨٧) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص٢٧٨ .

<sup>٨٨</sup> أنتيشة بالشين المعجمة والجيم معاً، موضع على مقربة من بلنسية وبالقرب من بنشكلة من أرض الأندلس، وعقبة أنتيشة جبل معترض عالٍ على البحر والطريق عليه، ولا بد من السلوك على رأسه وهو صعب جداً . ينظر الحميري ، محمد عبد المنعم ، الروض المعطار ، ص ٤١ .

(٨٩) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٦٢ - ٦٥ .

(٩٠) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ، ص ٢٧٩ .

(٩١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٩٢) ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ص ٨٩ .

(٩٣) عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٥٥٢ .

<sup>٩٤</sup> سيذكر الباحث أشهر سبع غزوات للمنصور ابن أبي عامر ضد الممالك النصرانية دون التطرق إلى جميع غزواته .

(٩٥) رمضان، عبد المحسن طه ، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط١، (دار الفكر ، عمان ، ٢٠١٠) ، ص ٣٥٢ .

(٩٦) عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٥٤٠ .

(٩٧) حول اختلاف المؤرخون في عدد غزوات المنصور فيذكر انه غزا نيفاً وخمسين ذكرت فيها المآثر العامرية وفتح فتوحاً كثيرة ووصل إلى معاقل جهة امتعت على كل من كان قبله. ينظر إلى الضبي، أحمد بن يحيى بن احمد بن عميرة ، ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م ، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ج ١ ، ( دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٦٧ )، ص ١١٥ - ١١٦ . وكذلك يذكر أن عدد غزوات المنصور كانت سبع وخمسين غزوة. باشرها كلها بنفسه وهو في أكثرها يشكو علة النقرس ، ينظر ابن عذاري في البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٠١ . والبعض يذكر أن المنصور غزا ست وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم تنتكس له فيها راية ، ولا قل له جيش ، وما أصيب له بعث ، المقري ، نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٣٩٨ .

وبعضٍ آخر يذكر بأن نصرته على النصارى كانت متوالية وإن غزواته أكثر من خمسين غزوة . ينظر ابن الأبار ، الحلة السبراء ، ج١، ص٢٦٩ .

<sup>٩٨</sup> بنبولونه مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرين ميلاً بها كانت مملكة غرسية بن شانجه سنة ثلاثين وثلثمائة . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص١٠٤ .

<sup>٩٩</sup> بسط مدينة بالأندلس بالقرب من وادي آش وهي متوسطة المقدار حسنة الوضع عامرة أهلة حصينة ذات أسوار منيعة وبها تجارات وفعلة بضروب الصناعات . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص١١٣ .

<sup>١٠٠</sup> برشلونة مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً تقع على البحر ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة ولها ريبض وعليها سور منيع ، والدخول إليها والخروج عنها إلى بلدة الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل . ينظر الحميري ، الروض المعطار، ص٨٧ .

(١٠١) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص٧٩ .

(١٠٢) الضبي ، الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ص١١٦ .

(١٠٣) سمورة هي دار مملكة الجلائفة، على ضفة نهر كبير جداً خرار كثير الماء شديد الجرية عميق القعر وبين سمورة والبحر ستون ميلاً، وسمورة مدينة جبلية وقاعدة من قواعد الروم ، وعليها سبعة أسوار من عجيب البنيان قد أحكمته الملوك السابقة . وللمزيد من المعلومات ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٢٤ .

(١٠٤) رنسيما، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ترجمة السيد الباز العريني، ( دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧)، ص١٣٤ .

(١٠٥) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص٦٦-٦٧ .

(١٠٦) رمضان، عبد المحسن طه ، تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٥٣ .

(١٠٧) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ( المجلد الثاني، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٤ ) ، ص ١٠٤ .

<sup>١٠٨</sup> ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ١٤٩ .

(١٠٩) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج١، تحقيق حسين مؤنس ، ( الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٦٣ )، ص ٢١٨-٢٢٠ .

(١١٠) سرقسطة مدينة تقع في شرق الأندلس وهي قاعدة من قواعد الأندلس ، كبيرة القطر أهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن متصلة الجناات والبساتين ، ولها سور حجارة من طين ، وهي على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم من جبل قلعة ايوب ومن غير ذلك ، فتجتمع هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة . ينظر إلى الحميري ، الروض المعطار، ص ٣١٧ .

<sup>٤</sup> عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٥٥٠ .

(١١١) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٥٥٠ .

(١١٢) رمضان ، عبد المحسن طه ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٥٩ .

<sup>١١٣</sup> شانتت ياقب كنيسة عظيمة وهي في ثغور ماردة ، وهذه الكنيسة مبينية على جسد يعقوب الحواري ، يذكرون أنه قتل في بيت المقدس وأدخله تلامذته في مركب ، فجرى به المركب في البحر الشامي إلى أن خرج به إلى البحر المحيط حتى انتهى به إلى موضع الكنيسة بساحل فيه فبنيت الكنيسة عليه وسميت باسمه فيقصد إليها من افرنجة ومن روما والقسطنطينية ليوم معروف جعل عيداً لها . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٤٨ .

(١١٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

<sup>١١٥</sup> يعتقد الباحث ان هذه أسطورة شأنها شان الأساطير التي راقت عملية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس ٧١١/هـ ٩٢م .

- (١١٦) عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٥٥٩ .
- (١١٧) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ص ٦٦-٦٧ .
- (١١٨) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢ق ، ص ٢٩٧ .
- (١١٩) المقرئ ، نفح الطيب ، ج١ ، ص ١٩٣-١٩٥ .
- (١٢٠) ارسلان ، شكيب ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٥، ص ٢٤٧ .
- (١٢١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص ١٨١ .
- (١٢٢) برغش مدينة في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهراً، ولكل جزء منها سور والأغلب على هذا الجزء الواحد منها اليهود، وهي حصينة منيعة ذات أسواراً وتجاراً وعدد واموال، ينظر. الحميري ، الروض المعطار ، ص ٨٨ .
- (١٢٣) كان المنصور بن أبي عامر مصاباً بداء النقرس ، وحينما يشتد عليه ألم هذا الداء يعالج رجله بالكي، ومما قيل عن قوة صبره واحتماله للألم انه احتاج يوماً للكي فأمر الذي يكويه أن يقوم بتلك العملية وهو جالس في موضع يشرف منه على المجلس المعد لوزرائه وكبار رجال دولته، فعمل بأمره واخذ يتكلم مع رجال دولته ويصدر الأوامر لهم ورجله تكوى ، في وقت كان المجتمعون لا يشعرون بما يعانیه من آلام الكي حتى شموا رائحة الجلد واللحم فتعجبوا من شدة احتماله . المقرئ ، نفح الطيب ، ج١ ، ص ٤٢٠ .
- (١٢٤) الضبي ، الملتصق في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ص ١١٦ . وكذلك ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص ٢٥ .
- (١٢٥) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .



- (١٢٦) عبد الحلیم، رجب محمد ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، ( دار الكتاب المصري، القاهرة ، د.ت )، ص ٢٣٩ .
- (١٢٧) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٧٣ .
- (١٢٨) المقري ، نفع الطيب، ج ١، ص ٣٩٩ .

### قائمة المصادر والمراجع

#### قائمة المصادر

- ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) .
- ١- الحلة السيرة، ج ١، تحقيق حسين مؤنس، ( دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥ ) .
- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
- ٢- الكامل في التاريخ، ج ٨، ( دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ ) .
- ابن بسام الشنتريني، أبي الحسن علي، (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٦م)
- ٣- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط ١، القسم الرابع، المجلد الأول، ( دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩ ) .
- ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد، (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) .
- ٤- رسائل ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، ( المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧ ) .

- ٥- \_\_ جمهرة أنساب العرب ، ط٥ ، ( القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ) .
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)
- ٦- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ أسبانيا النصرانية ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ط٢ ، ( دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦ ) .
- ٧- \_\_ الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ( المجلد الثاني، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٤ ) .
- ابن خاقان ، أبي نصر الفتح محمد بن عبد الله (ت٥٢٩هـ/١١٤٣م)
- ٨- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، تحقيق، محمد علي شواكة ، ( دار عمار ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٣ ) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)
- ٩- تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ( دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٠ ) .
- ابن سعيد ، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الغرناطي . (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م)
- ١٠- المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ط ١ ، ( دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٧ ) .
- ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت: بعد ٧١٢هـ /١٣١٢م )

١١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ، ط ١ ، تحقيق ج.س . كولان وليفي بروفنسال ،  
(دار الثقافة الدينية ، بيروت ، ١٩٨٠) .

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م)

١٢- تاريخ علماء الأندلس، ج ١ عني بنشره السيد عزت الحسيني ، ( القاهرة، مكتبة الخانجي للطبع والنشر  
والتوزيع ، ١٩٥٤) .

ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر، (٣٦٧هـ/٩٧٧م)

١٣- تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ( القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٩ )

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

١٤- معجم البلدان ، مجلد ٤، (دار احياء التراث العربي، بيروت) .

الحميري، محمد عبد المنعم (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م)

١٥- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس، ( مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤) .

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٥٩هـ / ١٢٠٣م)

١٦- الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ج ١ و ج ٢ ، ( دار الكاتب العربي، القاهرة ، ١٩٦٧) .

العذري ، أحمد بن عمر بن انس (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)

١٧- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع البلدان، تحقيق عبد العزيز الأهواني ( منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، د.ت. ) .

المراكشي ، محي الدين أبي محمد عبد الواحد (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

١٨- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ( طبع مكتبة ليدن، ليدن ، ١٨٨١ ) .

المقري، ، احمد بن محمد المقري(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)

١٩- نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، ج ١ ، ( دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ) .

٢٠- \_ أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٣٩ ) .

### قائمة المراجع

ارسلان ، شكيب

١- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، (منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٥) .

الحجي، عبد الرحمن علي

٢- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٧٩هـ/٧١١-١٤٩٢م، (دار القلم، بيروت، ١٩٧٦).

دوزي ، رينهارت

٣- المسلمون في الأندلس ، ج٢، ترجمة حسن حبشي، ( الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٤).

رمضان، عبد المحسن طه

٤- تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط١، (دار الفكر ، عمان ، ٢٠١٠).

رنسيمان، ستيفن

٥- تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ترجمة السيد الباز العريني، ( دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧).

سالم، السيد عبد العزيز

٦- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ط١، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢).

السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون

٧- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط١ ، ( دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، ٢٠٠٠).

عبد الحلیم، رجب محمد

٨- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، (دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت).

عنان ، محمد عبد الله

٩- دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول القسم الثاني الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ط ٤ ، ( الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٧ ) .

١٠- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط ٢، ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، ١٩٧٠ ) .

القحطاني، علي أحمد عبد الله

١١- الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية ٣٦٨-٣٩٩هـ، ( د.مط ، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١م ) .

مؤنس، حسين

١٢- معالم تاريخ المغرب والأندلس، (دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠٤) .

نعني ، عبد المجيد

١٣- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، ( دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ت )

## اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكتب وخرزائنها

٣٣٤ - ٥٦٧هـ / ٩٤٥ - ١١٧١م

م.د. علي فيصل عبد النبي العامري

### المقدمة

نجحت الدعوة الاسماعيلية في جهودها بتأسيس نظام سياسي جديد متمثلا بقيام الخلافة الفاطمية في افريقية (تونس) سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م وكان اول خلفائها عبد الله المهدي (٢٩٦-٣٢٢هـ / ٩٠٩-٩٣٤م) الذي ارسى دعائم دولته وثبت اركانها مؤسسا مدينة المهديّة كحاضرة له في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، الا ان طموح الفاطميين كان منصبا في السيطرة على مصر التي تمتاز بمزايا حيوية من الناحية الجغرافية والاقتصادية والعسكرية وغيرها ، وقد اخفقت حملاتهم الثلاث الاولى في التمكن منها ، وشهد عهد اخر خلفائهم في افريقية المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٣-٩٧٥م) مد نفوذهم اليها على يد قائده جوهر الصقلي بانيا مدينة القاهرة كحاضرة جديدة لهم سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م ، لذا حرص الخلفاء الفاطميين على ايلاء العلم والثقافة اهتماما خاصا عن طريق رعاية الحركة الفكرية والعلمية وتاليف الكتب والعناية بالمكتبات وخرزائنها معتبرين هذا النهج احد ركائز تثبيت دولتهم ودعم توسعها على ارجاء العالم الاسلامي بنشر مفاهيم الدعوة الاسماعيلية الفاطمية.

اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكتب وخرزائنها

وكان الخليفة المنصور الفاطمي كثيرا ما يبحث قاضيه النعمان على تأليف كتابا او يصنع بيتا ويقول له : ((ان لا يكن ذلك فأجز شيئا أقوله وأضمنه !))<sup>(٤)</sup> فيقول النعمان عن ذلك : ((فو الله ما تهيأ لي شيء من ذلك اجلالا له في صدري ان اقبله به اجترئ عليه بالقول))<sup>(٥)</sup> وكذلك طلب منه المنصور ايضا ان يستخرج ((...من كتاب الله ما رفضته العامة وانكرته))<sup>(٦)</sup>، يبدو ان الخليفة الفاطمي ابتغى التركيز على الادلة التي تدعم شرعية خلافة الفاطميين من اجل الوقوف ضد خصومها السياسيين الذين يسعون الى تقويضها والاطاحة بها وان تأليف الكتب واهتمام الخليفة الفاطمي بهذا المجال ربما هو مشروع تنظيم مكتبة تركز في توجيهها على الدعوة الاسماعيلية في الافق القريب.

وقد عرف عن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) ولعه بالقراءة والمطالعة ففي احد المرات اثناء مطالعته الكتب وقع احدها تحت يديه فيه اخبار تنبئ على

عنوا الفاطميون بانشاء المكتبات التي هي احد دعائم حكمهم لانهم لا يريدون ان تكون لهم السيادة العسكرية فحسب بل السيادة الفكرية والثقافية<sup>(١)</sup>، لذا اهتموا بتأليف الكتب وابداء الرعاية والاهتمام بها الذي بدا منذ وجود حكمهم في المغرب حيث كان الخليفة المنصور بالله الفاطمي (٣٣٤ - ٣٤١ هـ/٩٤٦ - ٩٥٣م) مهتماً بتأليف الكتب فعندها رافقه القاضي النعمان<sup>(٢)</sup> في بعض اسفاره وقد نزل في احد قصوره وبستان قد احاط به الماء الجاري وبينما كان القاضي النعمان موجودا في احد نواحي المكان ، ذهب الى الخليفة كعادته فوجده يتظلل تحت الاشجار في جو صيف قانظ ، حاسر الرأس حليقا له وان العرق يتصبب منه وهو يؤلف احد كتبه، فقال : (( يامولاي ، في مثل هذا الحر لاتقوم الى مجلسك ؟ فقال : دعني ، قد قطع عليّ كلامك شيئا كان / اتصل عندي ، ولمثل هذا جلست وتحملت الحر ، لانه تهيأ لي من القول ماخشيت ان أفت من مكاني ان ينقطع عني))<sup>(٣)</sup>.



الثقافة بشقيها العلمية والانسانية ، وقد لعب الجامع الازهر الذي تأسس سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م دورا كبيرا في نشر الحياة الثقافية في مصر منذ اواخر عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (١٠).

وقد ركز الفاطميون على زيادة معارف الدعاة وكافة مناهل التعليم اذ سمح الخليفة العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) في سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م بتوسيع الجامع الازهر ليكون جامعة مختصة بدراسة مختلف العلوم للاديان والمذاهب الاخرى بعد ان كان مقتصرًا بدراسة الفقه الشيعي واقامة الصلاة ، وفي عهد ولده الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ هـ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) اسس دار للعلم سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م لزيادة وعي الدعاة الاسماعيليين بالعلوم الاخرى مثل الفلسفة ، والطب ، والفلك ، والرياضيات ، وفقه اللغة<sup>(١١)</sup>، وكان احد اغراض انشاء دار العلم (الحكمة) هو استيعاب الكتب والمطالعات والمحاضرات<sup>(١٢)</sup> .

الخلفاء العباسيين وتخذ اخبارهم ومآثرهم وقرأ سيرهم واحد تلو الاخر (( فاكثر ما يجري فيها ذكر شربهم للخمر))<sup>(٧)</sup>، اذ كلف احد علماء العربية في النحو بتأليف كتاب في هذا المجال<sup>(٨)</sup> ، ويبدو أن الخليفة الفاطمي اراد في بحثه ببطون الكتب اثبات عدم شرعية الخلفاء العباسيين في خلافة المسلمين وأن الدعوة الاسماعيلية هي الخط الاسلامي الصحيح الذي يجب اتباعه من قبل المسلمين فضلا عن اهتمامه بالتأليف والقراءة .

وامر الخليفة المعز بالله القاضي النعمان بجمع لخصه له وبسط معانيه واعتذر الاخير عن ابطائه في انجاز ما طلبه منه فرد عليه الخليفة : ((يانعمان لا تبال كيف كان القدر مع اشباع المعنى في ايجاز فكلمة اوجزت في القول واستقصيت المعنى فهو اوفق واحسن))<sup>(٩)</sup> ، وكان للمعز اهتمامات اخرى في كافة مجالات المعارف المذهبية ذات الصلة بالدعوة الاسماعيلية مثل الفقه والتفسير ، اذ عمد الفاطميون عند انتقال دولتهم الى مصر سنة ٣٥٨هـ/٣٥٨م الى نشر

خلف الفاطميين حضارة لها اهتمام كبير في مجالات العلم والادب والفن الى اقصى مدى<sup>(١٥)</sup> .

وكان في دار الوزير يعقوب بن كلس<sup>(١٦)</sup> مجموعة تكتب القرآن الكريم والآخرى تكتب الحديث والفقه والادب والطب (( ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطنونها))<sup>(١٧)</sup> ، وكان في هذه الدار مجلس للفقهاء يقرأ كتب الفقه كل حسب مذهبه<sup>(١٨)</sup> ، وهذا يدل على مدى التسامح الاسلامي وحرية الفكر التي انتهجها الفاطميين .

وكان يتولى مهمة صاحب خزانة الخليفة العزيز بالله الفاطمي والمتولي لامرها هو صاحب كتاب الديارات الشابشتي<sup>(١٩)</sup> .

وقال المسبحي (ت ١٠٢٩/هـ ٤٢٠م) نقلا عن المقرئزي<sup>(٢٠)</sup> (ت ٨٤٥/هـ ١٤٤١م) : ((ونذكر عند العزيز بالله ، كتاب العين للخليل بن احمد [ت ١٧٥/هـ ٧٩١م] ، فامر خزان دقاتره ، فاخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين ، منها نسخة بخط الخليل بن احمد ،

وتعرضت خزانة الكتب الى حريق يوم الجمعة الرابع من صفر سنة ٣٩١/هـ ١٠٠٠م في عهد الخليفة الحاكم بامر الله ادى الى تلف الكثير من كتب الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم ونهب من تضررت من الحرق وبيعت وهي على هذه الحالة ، وظفر الناس بكتبها النفيسة وملاحمها الغربية ، باثمان بخسة<sup>(١٣)</sup> .

وقد وصفها ابن ابي طي (ت ٦٣٠/هـ ١٢٣٢م) الذي نقل عنه ابوشامة<sup>(١٤)</sup> (ت ٦٦٥/هـ ١٢٦٦م) بانها ((من عجائب الدنيا ويقال انها كانت تشتمل على الف وستمائة الف كتاب ، وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة وان من عجائبها انه كان فيها الف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري [ت ٣١٠/هـ ٩٢٢م] )) .

وعندما انشأ الفاطميون خزائن الكتب سعوا الى نقلها وايلانها الاهتمام اللازم اذ كانت دار الحكمة مركز تجمع هام للناسخين والمطالعين ، فما اخرج من قصور الفاطميين على يد صلاح الدين الايوبي وما تم بيعه من كتبها مثيرة للدهشة فقد

واصحاب النحو واللغة ، والاطباء بعد ان فرشت هذه الدار ، وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها وممراتها الستور، واقيم قوام وخدام وفراشون ، وغيرهم وسموا بخدمتها ، وحصل في هذه الدار من خزائن امير المؤمنين الحاكم بامر الله من الكتب التي امر بحملها اليها من سائر العلوم ، والاداب والخطوط المنسوبة مالم ير مثله مجتمعا لاحد من الملوك . واباح ذلك كله لسائر الناس ، على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب ، والنظر فيها فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضاً والتي لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق السني ، لمن رسم له بالجلوس فيها ، والخدمة لها من فقيه وغيره ، وحضرها الناس على طبقاتهم ، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعلم ، وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام ، والورق والمحابر ، وهي الدار المعروفة بمختار الصقلبي<sup>(٢٦)</sup> .

وقد وصف لنا القاضي الرشيد بن الزبير<sup>(٢٧)</sup> مدى رعاية الخلفاء الفاطميين للكتب والاهتمام

وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري : اشتراها بمائة الف دينار ، فامر العزيز الخزان ، فاخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري ، منها نسخة بخطه)) . فكانت مكتبة العزيز بالله اكمل المكتبات الموجودة قياسا بنظيراتها في العراق وسوريا وجنوب شبه الجزيرة العربية ومراغة<sup>(٢١)</sup> والري<sup>(٢٢)</sup> لانها كانت موضبة ومصنفة بعناية<sup>(٢٣)</sup> ، لذا فان خزائن الكتب تعتبر من عجائب الدنيا قيل انه لم يكن نظيرا لها<sup>(٢٤)</sup> .

ويصف المقرئ<sup>(٢٥)</sup> طبيعة نشاط دار العلم وعمله من الناحية الواقعية ومدى اهتمام الخلافة الفاطمية بفتح مناهل العلم عبر عرض الكتب امام المختصين بها وامام عامة الناس لغرض نشر العلم والتعلم ولا بد ان تكون خزانة الكتب احد روافدها الهامة بقوله : ((فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة ، وجلس فيها الفقهاء ، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس إليها ، ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها التمس ، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها وجلس فيها القراء والمنجمون ،

مقطعة بحواجز منتظمة وعلى كل حاجز باب متقن بمفصلات وقفل ، وتضم على اصناف الكتب مايزيد على مائتي الف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات ، تختص منها في الفقه على سائر المذاهب، والنحو، واللغة ، وكتب الحديث النبوي ، والتواريخ وسير الملوك والنجامة ، والروحانيات ، والكيمياء من كل صنف، نسخة واحدة او تصل لعشرة نسخ حسب الحاجة ، ومنها النواقص التي ما تُممت ؛ كل ذلك تترجمه ورقة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها ، والمصاحف الكريمة في مكان يليق بقدسيتها . وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ومن بعده ومن يناظره كابن البواب وغيره .

وزاد اهتمام الخلفاء الفاطميين بخزانة الكتب حيث كان الخليفة يترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ومعه من يتدبر امورها وكان في زمنها الجليس بن عبد القوي<sup>(٣٢)</sup> فيهاً له المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يطلبه من

بخطوطها المحلاة بالمعادن النفيسة بقوله : ((وان عدة خزائن الكتب اربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب في العلوم القديمة ، وان الموجود فيها من جملة الكتب الفان واربع مئة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن ، محلاة بذهب وفضة وغيرهما . هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة )) .

ويكمل النص المقريري<sup>(٣٨)</sup> نقلا عن المسبحي عند ذكره لكتاب الجمهرة لابن دريد ( ت ٩٣٣/هـ ٣٢١ م ) : ((وان جميع ذلك كله ذهب فيما اخذه الاتراك في واجباتهم ببعض قيمته ، ولم يبق في خزائن القصر البرانية من شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل اليها ، ووجدت صناديق مملوءة اقلاما مبرية من برابية ابن مقلة<sup>(٣٩)</sup> ، وابن البواب<sup>(٣٠)</sup> وغيرهما))

وقدم لنا ابن الطوير<sup>(٣١)</sup> (ت٦١٧/هـ ١٢٢٠م) - الذي عاصر نهاية الدولة الفاطمية - وصفا مهما لدقة تنظيم خزانة الكتب كونها تحتوي على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم ، والرفوف

وفي ذات الوقت فقد تم الاستيلاء على نفائس خزانة الكتب الفاطمية وخزانة دار العلم من قبل الجند والامراء وكانت كلها مجلدا تجليدا رائعا ، وتحول قسم منها الى عماد الدولة بن المحترق بالاسكندرية بعد مصرعه بظروف غير معلومة الى المغرب ، عدا ماظفرت به قبيلة لواته وحملته الى الاسكندرية سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م من كتب غاية في الاهمية التي لا توجد لها نظير في بقية الامصار والتي امتازت بحسن خطها ومثانة واناقة تجليدها، والغريب في الامر بان عبيدهم وإماؤهم اول من استولى على جلودها وعملها كحذاء لارجلهم ، واحرقت اوراقها لرؤيتهم لها بان تحمل افكار المشاركة التي تخالف فكرهم فضلا عن ما غرق وتلف وصار الى سائر البلدان ونجى قسما منها من الحرق ، وقد غطتها الاتربة ، فشكلت تلالا عرفت بـ (تلال الكتب)<sup>(٣٨)</sup>.

وقد اقتصر الدمار المذكور على الكتب البرانية فقط ولم يصب كنوز الفاطميين الاخرى ، اذا احتفظت الخزائن الموجودة في القصور الداخلية التي كانت صعبة المنال وبقت في

الكتب فإن رغب في مطالعة شيء ما طلبه وارجعه الى موضعه بعد الانتهاء من ذلك<sup>(٣٣)</sup> .

وكان الخليفة الفاطمي يمعن النظر في الكتب وعناوينها ، اذ يوجد فيها ((ناسخان وفراشان صاحب المرتبة . واخر ، فيعطي الشاهد عشرين دينارا ويخرج الى غيرها))<sup>(٣٤)</sup> .

وفي سلسلة الازمات الكثيرة التي مرت بها الدولة الفاطمية تعرضت خزانة كتب العلم الى ضياع الكثير من ذخائرها والى تصفيتها بشكل نهائي، ففي العشر الأول من محرم سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م شوهد خمسة وعشرون جملا موقرة تحمل كتبنا نحو دار الوزير ابي الفرج محمد بن جعفر المغربي<sup>(٣٥)</sup>، وان حصة الوزير ابي الفرج منها قدرت عليه بخمسة الا دينار في حين هي تستحق اعلى من ذلك بكثير قد تصل الى اكثر من مائة الف دينار، والتي نهب باجمعها من داره في اليوم الذي شهد هزيمة ناصر بن حمدان<sup>(٣٦)</sup> من مصر في شهر صفر من السنة المذكورة<sup>(٣٧)</sup> .

مصيرهم عندما يمدحوا الخلفاء فحسب من دون الوزراء ، لذا يضطر الشعراء الى اقران ذكر الوزير بعد الخليفة في شعره خشية نقتهم عليهم ، مثال ذلك الشاعر اسماعيل بن محمد المعروف (بابن مكنسة)<sup>(٤١)</sup> فعرض عنه الافضل بن بدر<sup>(٤٢)</sup> بعد ان خلف والده في الوزارة ، فجمد امكانياته الادبية لانه كان منقطعا قبل ذلك الى مدح (ابي مليح) وهو عامل نصراني، حتى ساءت حالته<sup>(٤٣)</sup>، ونفهم من ذلك ان اهتمام الوزراء الفاطميين بالعلم والادب يعني مزيد من العناية بتأليف الكتب وزيادة عناوينها في كافة العلوم .

ولم يقتصر اهتمام الفاطميين بخرن الكتب والعناية بامرها ، بل حرصوا على بقائها ضمن سيادة دولتهم وعدم تسريبها الى خارج حدودها ، اذ ان الطيب ابو كثير افرائيم بن الحسن بن اسحاق بن ابراهيم بن يعقوب اليهودي ورث مكتبة استاذه طبيب الخليفة الحاكم بامر الله الفاطمي علي بن رضوان ، فجاء احد دلالي الكتب من العراقيين الذي ابتغى شراء جزء من هذه المكتبة

تطورها ونمائها لانها واقعة تحت رعاية الخلفاء الفاطميين ووزرائهم والذي دام حتى استيلاء صلاح الدين الايوبي على زمام الامور في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م فأمر ببيعها وخصص يومين في الاسبوع لهذا الغرض واستمر على هذه الحال مدة عشر سنوات وتولى عملية البيع دلال الكتب ابن صوّرة<sup>(٣٩)</sup> ، ونتيجة للظروف الاقتصادية والسياسية التي عاشتها مصر في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي استدعى الخليفة المستنصر الفاطمي والي عكا بدر الجمالي<sup>(٤٠)</sup> واعاد لمصر الاستقرار، واهتم الاخير بالجوانب العلمية والفكرية والتي استمرت بدورها حتى نهاية الدولة الفاطمية فبدأت مصر تستقطب من جديد العلماء والمفكرين والادباء واخذ العلماء يهتمون بتأليف الكتب والشعراء وينظمون القصائد التي تصب في مديح الوزراء الفاطميين الذين قويت شوكتهم في هذه الحقبة واصبحوا اصحاب الامر والنهي في الدولة ، اذ انتقل الشعراء من مدح الخلفاء الى مدح الوزراء ، وكانت خشية الشعراء على

خزائن قصر الخلافة من الكتب ما يناهز مائة الف  
سفر اعطاها لكاتبه وقاضيه الفاضل عبد الرحيم  
البيساني<sup>(٤٧)</sup> .

نستخلص من ذلك ان الفاطميين قد اولوا الثقافة  
والعلم اهتماما كبيرا عكست ثقافة خلفائهم ورغبتهم  
في نشر العلم والمعرفة ومد نفوذهم السياسي  
والديني عبر ترسيخ المذهب الاسماعيلي في ابعد  
رقعة ممكنة من ارض المعمورة عن طريق  
الاهتمام بالكتب ونسخها وتأنيق اغلفتها من اجل  
التشجيع على نشر الثقافة والعلوم والسعي في  
الوقت ذاته على مد هيبتهم السياسية والدينية في  
اصقاع نفوذهم ، ولكي تكون دولتهم مركز  
استقطاب علمي عن طريق العناية بالمنشآت  
العلمية وتعزيزها بالكتب وكل مقومات نجاح  
وازدهار الحركة العلمية والثقافية وسط جو من  
التسامح وحرية الرأي والتفكير الذي عرفت فيه  
دولتهم .

التي كانت تضم اكثر من عشرين الف كتاب ،  
فاتفق مع هذا الدلال على بيع عشرة الاف مجلد  
بثمان معلوم ، فعندما وصل النبأ للوزير الافضل  
بن بدر الجمالي ارسل من قام بصدده ومنعه من  
بيعه حتى لا تخرج الى المناطق الواقعة خارج  
سيطرة الفاطميين ، وقام بدفع كامل ثمنها<sup>(٤٤)</sup> ،  
وقد كان سعي الافضل الى افشال اخراج الكتب  
ودفع ثمنها من ماله الخاص وضيع بذلك جهود  
التاجر العراقي (دلال الكتب)<sup>(٤٥)</sup> ، وبعد مقتل  
الاخير سنة ٥١٥هـ/١١٢١م وجد لديه خمسمائة  
ألف مجلد من الكتب<sup>(٤٦)</sup> ، يتضح مما تقدم  
حرص الفاطميين على ان تكون خزانة كتبهم  
غنية بكتبها المتنوعة المتعلقة بكافة العلوم  
الانسانية والعلمية وخشيتهم عليها من الضياع  
والتلف اذا ما اصبحت خارج سيطرتهم ، ويعكس  
لنا كذلك حبهم وتعلقهم بالعلم والمعرفة .

وبعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م  
على يد وزيرها صلاح الدين الايوبي وجد في

<sup>١</sup> - صالح ، محمد حسن ، التشيع المصري الفاطمي اشعاع حي وحضاري ، دار المحجة البيضاء ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٧م) ج ٥ ، ص ١٠٨ ؛ بدأ الباحث بالحديث في هذا البحث منذ عهد الخليفة المنصور بالله الفاطمي لعدم توفر المادة التاريخية في عهد الخليفين الفاطميين الذين سبقا الاخير في الخلافة وهما عبد الله المهدي (٢٩٦-٣٢٢هـ / ٩٠٩-٩٣٤م) والقائم بأمر الله (٣٢٢-٣٣٤هـ / ٩٣٤-٩٤٦م) وربما يعود السبب لبداية نشأة الدولة الفاطمية ولانشغالها بمشاكلها الداخلية والخارجية والتي ابعدها عن اعطاء اقتناء الكتب وخرزنها او القيام بتأليفها الاهمية اللازمة .

<sup>٢</sup> - ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي، كان ملازما للمعز لدين الله ابي تميم مؤسس القاهرة وله يد طولى في العلوم والفقه والاختلاف ، ونفس طويل في البحث ، وصنف في الرد على ابي حنيفة في الفقه وعلى مالك والشافعي وله كتاب في اختلاف العلماء ، وكتبه كبار مطوله ، وكان وافر الحشمة ، في اولاده قضاة وكبراء توفي في القاهرة في رجب سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م ، ينظر : الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار التركماني ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٤م) مج ١٠ ، ص ٤١٩ ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعنتي بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها: تركي فرحان مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، ط١ (بيروت-٢٠١٠م) ج ٤ ، ص ٥٩ .

<sup>٣</sup> - القاضي النعمان ، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي، المجالس والمسائرات ، تحقيق : الحبيب الفقي واخران ، دار المنتظر ، ط١ (بيروت - ١٩٩٦م) ص ١٣٢ .

<sup>٤</sup> - م . ن ، ص ١٣٣ .



- ٥ - م . ن والصفحة .
- ٦ - م . ن ، ص ١٣٤ .
- ٧ - م . ن ، ص ٣٣٠ .
- ٨ - م . ن ، ص ١٣٤ ولم يشر المصدر الى اسم هذا الامام .
- ٩ - م . ن ، ص ٤٠١ .
- ١٠ - ابن عذاري ، أبو عبد الله بن محمد المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق : ج.س كولان وآخران ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت-٢٠٠٩م) ج ١ ، ص ٢٢١؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة، مطبعة كوستاستوماس (القاهرة- د.ت ) ج ٤ ، ص ٦٩ وما بعدها ؛ سرور ، محمد جمال الدين ، تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي (القاهرة - د . ت) ص ١٥٤ .
- ١١ - المقرئزي ، أبو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي ، اتعاط الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر احمد عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت-٢٠٠١م) ج ١ ، ص ٣٥٩ ؛ امدار العلم الجديدة فتم تاسيسها سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م ، ينظر : المقرئزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف (الخطط المقرئزية)، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت-١٩٩٨م) ج ٢ ، ص ٣٥٦-٣٥٥ ؛ حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة - د . ت ) ج ٣ ، ص ١٥١؛ جمال ، ناديا ايبو ، الناجون من الغزو المغولي ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار الساقى ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٤م) ص ٥٧ - ٥٨ .

## اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكتب وخرائنها

- ١٢ - الفلك الدوار في سماء الائمة الاطهار ، طبعة حلب ، ص ١٦٣ ، نقلا عن : حمزة ، عبد اللطيف ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ، دار الفكر العربي ، ط٨ (القاهرة - ١٩٦٨م) ص ٨٠ .
- ١٣ - المقرئزي ، الخطط ، ج٣ ، ص ٣٧٠ .
- ١٤ - شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، وضع حواشيه وعلق عليه : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٢م) ج٢ ، ص ١٣٧ .
- ١٥ - امين ، احمد ، ظهر الاسلام ، دار الكتب العلمية ، ط٢ (بيروت - ٢٠٠٧م) ج٤ ، ص ١١٢ ، ويرى ، هالم ، هاينز ، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، تعريب : سيف الدين القصير ، مراجعة : مجيد الراضي ، دار المدى للثقافة والنشر ، ط٢ (دمشق - د. ت) ص ١١٦ حول تسمية (دار الحكمة) حيث يراها تسمية مغلوبة لان الحكمة قد فهمت بشكل عام انها العلم الباطني الاسماعيلي الخاص ، الباطن الذي كان يأتي من الامام عبر الدعاة ، غير ان مؤسسة الحاكم لم تخدم الدعوة ، بل خدمت قبل الجميع ، كل الذين اختصوا بالعلوم الدنيوية .
- ١٦ - يعقوب بن كلس : كان يهوديا اولاً ثم اسلم وكان ابوه طبيباً ، ولد في بغداد وسافر مع ابيه الشام ودخل مصر ، واتصل بكافور الاخشيدي سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م واجلسه الاخير في ديوانه الخاص، خدم المعز لدين الله في المغرب واستوزه العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م ، توفي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، ينظر: ابن الطوير ، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني ، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين ، اعد بناءه وحققه وقدم له : ايمن فؤاد سيد ، دار النشر فرانس شتاينر شتوتغارت (ل. م - ١٩٩٢م) ص ٣٢-٣٣ ؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، عني بمراجعة اصوله والتعليق عليه: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي ، ط٢ (بيروت-١٩٦٧م) ج٧ ، ص ٩٦ ، هامش المحقق رقم (٥) ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص ٥٨ .

١٧ - ابن خلكان ، ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، حقق اصوله وكتب هوامشه : يوسف علي طويل - ومريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٨م) ج ٥ ، ص ٣٩٥ وما بعدها .

١٨ - المقرئزي ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٢٠٠.

١٩ - ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ . الشابشتي : هو ابو الحسين علي بن محمد ، كان ادبياً فاضلاً خدم الخليفة العزيز بالله فولاه امر خزانة كتبه وجعله يقرأ له الكتب ويجالسه ويناديه وكان حلو المحاوره لطيف المعاشرة وله كتب اخرى غير (الديارات) هي: (مراتب الفقهاء) و(التوقيف والتخويف) وله مكاتبات ومراسلات تضم شعراً وحكماً وغير ذلك من مصنفات الادب توفي سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م وقيل قبل سنتين او بعد التاريخ المذكور بتسع سنوات ، ينظر : م . ن ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .

٢٠ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعرف بالخطط المقرئزية ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٨م) ج ٢ ، ص ٢٩٠.

٢١ - مراغة : اشهر واكبر مدن اذربيجان ، طولها ثلاث وسبعون درجة وثلاث وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاث ، عسكر فيها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وكان والياً لارمينية واذربيجان منصرفاً من غزو موقان وجبلان الواقعتان بالقرب منها ، فكانت دوابه ودواب اصحابه تتمرغ فيها ، وألجئها اهلها الى مروان هذا فابتناها وصارت فيما بعد لبعض بنات هارون الرشيد العباسي وظهر فيها رجال في الحديث والشعر والادب والفقة وبها اثار وعمائر ومدارس ، ينظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، قدمها : عبد الرحمن المرعشلي ، دار التراث العربي (بيروت - د.ت) ج ٤ ، ص ٢٣٨.

- ٢٢ - الري : مدينة مشهورة تكثر فيها الفواكه والخيرات وهي محط استراحة الحاج وهي قسبة بلاد الجبال تبعد عن نيسابور مائة وستون فرسخا والى قزوین سبعة وعشرون فرسخا ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ .
- ٢٣ - المقرئزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ؛ منها ٦٥٠٠ كتاب في الرياضيات و ٨٠٠٠ كتاب في الفلسفة وغيرها من الكتب ، ينظر : ريسلر ، جاك ، الحضارة العربية ، منشورات سمويديات ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٣م) ص ١٠٥ .
- ٢٤ - ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، تاريخ ابن الفرات ، عني بتحريير نصه ونشره : حسن محمد الشماع ، مطبعة حداد (البصرة - ١٩٦٧م) مج ٤ ، ج ١ ، ص ١٦٧ .
- ٢٥ - م . ن . ج ٢ ، ص ٣٧٩ .
- ٢٦ - مختار الصقلبي : ينتمي الى كتائب الجيش الفاطمي التي تكونت من اصول اوربية ومنهم الصقالبة، وكان نقيباً في قلعة الخليفة العزيز بالله الفاطمي ، ينظر : م . ن . ج ٢ ، ص ٣٧٩ ، ج ٣ ، ص ١٤ ؛ هالم ، الفاطميون ، ص ١١٨ .
- ٢٧ - الذخائر والتحف ، تحقيق : محمد حميد الله ، تقديم ومراجعة : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ط ٢ (الكويت - ١٩٨٤م) ص ٢٦٢ .
- ٢٨ - الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .
- ٢٩ - ابن مقلة : ولد سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م وهو ابو علي محمد بن علي بن الحسين الكاتب المشهور ، تولى في بدء مشواره السياسي بعض اعمال فارس وقام بجباية خراجها استوزره الخليفة المقتدر العباسي سنة ٣١٦ / ٩٢٨م وقبض عليه بعد سنتين ونفاه الى بلاد فارس بعد ان صادره ، واستوزره الخليفة القاهر بالله العباسي بعد مقتل الخليفة المقتدر سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م ، وفي عهد الخليفة الراضي قطع الاخير يده اليمنى لمطالعة له لم ترق الخليفة اراضي ما ادى الى قطع لسانه ،

توفي سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م ، ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٧٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٧ .

٣٠. ابن البواب : ابو الحسن علي بن هلال عرف بجودة الخط وكان صاحب علم قاصدا في جامع المدينة ببغداد، وعرف كذلك بابن الستري لان ابوه كان يلازم ستر الباب، وشيخه في الكتابة هو محمد بن اسد بن علي القارئ الكاتب، البزاز البغدادي، توفي ببغداد سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١م وقيل في السنة التالية ودفن بجوار الامام احمد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م، ينظر : ابو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت- ١٩٩٧م) ج١، ص ٥٠٣؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص ٢٩٩ .

٣١. نزهة المقتلين، ص ١٢٧؛ المقرئ، الخطط، ج٢، ص ٢٩١ .

٣٢. الجليس بن عبد القوى : هو آخر اسرة عبد القوى الذين تولوا شأن الدعوة الفاطمية، وكان قد عاصر اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الايوبي سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م، ينظر : ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص ١١٢، ١٢٧ .

٣٣. ابن الطوير، م . ن، ص ١٢٦ - ١٢٧؛ المقرئ، الخطط، ج٢، ص ٤٩١ .

٣٤- المقرئ، م . ن، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ، ولم يشر المصدر المذكور الى اسم الخليفة الفاطمي .

٣٥. محمد بن جعفر المغربي : احد الوزراء الفاطميين استوزره الخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ولقبه ب (الوزير الاجل الكامل الاوحد صفى امير المؤمنين وخالسته) وقد تم عزله من الوزارة وتولى ديوان الانشاء الى وفاته سنة ٤٧٨هـ / ١١٥٣م، ينظر : ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ص ١٤٨ - ١٥٢، الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني، العبر في خبر من عبر، مطبعة دار الفكري (بيروت - ١٩٩٧م)

## اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكتب وخرائنها

- ج ١، ص ٤٣٠ - ٤٣١، الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم الاشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط١٦ (بيروت - ٢٠٠٥ م) ج ٦، ص ٧٢.
٣٦. ناصر بن حمدان : هو ناصر الدولة اخر امراء ال حمدان حكام حلب عزله الخليفة المستنصر بالله الفاطمي عن دمشق سنة ٤٤٤٠هـ/١٠٤٨م وقبض عليه ثم اطلق سراحه ، وجمع معه الانصار وخطب للخليفة القائم بامر الله العباسي (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٥٧م) وسيطر على امور مصر الى ان تمكن بعض القادة الاثراك من قتله سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ، ينظر: ابن خلدون ، العبر، ج ٤، ص ٦٧ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٩؛ الزركلي، خير الدين ، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط١٦ (بيروت- ٢٠٠٥م) ج ٢ ، ص ١٨٨.
٣٧. المقريزي، الخطط ، ج ٢، ص ٢٩١، سيد، ايمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الاسرة (القاهرة - ٢٠٠٧م) ص ٥٩٧، ومن الجدير بالذكر ان الجنود والموظفون الذين نهبوا الكتب المخطوطة لم يستثنوا من العقاب لانهم استولوا على اشياء لا تقل اهميتها عن جواهر الكنوز، ينظر : هالم، الفاطميون، ص ١٢٢.
٣٨. المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ؛ اتعاط الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد احمد عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠١م) ج ٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
٣٩. ابن صورة : احد دلالي الكتب الذين كانت مهمتهم بيع وشراء الكتب النادرة وكانوا يجوبون المدن ويزورون كل تاجر للبحث عن النادر منها، ينظر: هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله من الالمانية : فاروق بيضون - وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه : مارون عيسى الخوري، دار صادر، ط٨ (بيروت - د.ت) ص ٣٩١.

٤٠. بدر الجمالي : هو ابو النجم بدر الجمالي المنعوت بالسيد الاجل، اميرالجيش، سيف الاسلام، وغيرها، ولد سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م، كان مملوكا ارمنيا لجمال الدولة ابي الحسن على بن عمار صاحب طرابلس الشام، ولهذا نسب له، ولي دمشق من قبل الخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ووزره الاخير سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م وبنى سور القاهرة سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م والذي لم يكمل في عهده، توفي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، ينظر : ابن الصيرفي، أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان، الاشارة الى من نال الوزارة، عني بتحقيقه والتعليق عليه: عبد الواحد مخلص، مقتطف من مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، المجلد السادس والعشرون، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة- ١٩٢٤م) ص٥٥-٥٦ ذكر سنة وفاته في السنة التالية، ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢، ص ٣٠، النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب فواز- وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت-٢٠٠٤م) ج٢٣، ص١٥٤؛ المقرئ، المقفى الكبير، تحقيق : محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، ط ٢ (بيروت -٢٠٠٦م) ج٢، ص٢٢٧.

٤١. ابن مكنسة : هو ابو الطاهر اسماعيل بن محمد توفي حدود سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م، لم يحض بعناية الوزير الافضل بن بدر الجمالي في عهد الخليفة المستعلي بالله الفاطمي (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) لانه مدح ابو مليح جد الشاعر الاسعد بن مماتي وهو من كبار رجال الدولة الفاطمية، نصراني الديانة وبالغ فيه المديح وظل هكذا حتى تولى الافضل الوزارة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م فاعرض الاخير عنه ولم يقبل شعره الذي استكثره على ابي مديح وخاصة قوله :

طويت سماء المكرما                      ت وكورت شمس المديح  
ماكان بالنكس الدني                      ي من الرجال ولاالشحيح

## اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكتب وخرائنها

ينظر : امية بن ابي الصلت، امية بن عبد العزيز الاندلسي ، الرسالة المصرية، مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق : محمد عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف (القاهرة - ١٩٥١م) ص ٤٤ ؛ سلام، محمد زغلول، الادب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف (الاسكندرية- د. ت ) ص ١٢، ١٩٦-١٩٧؛ المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف (القاهرة - ١٩٧٠م) ص ١١٦، هامش (١).

٤٢. الافضل بن بدر: خلف والده في الوزارة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، انقسمت الاسماعيلية في عهده الى نزارية ومستعلية بسبب ميله للمستعلي بن المستنصر وابعاد اخيه الاكبر منه سنا نزار في خلافة والده ، وكان مدبرا في سياسته لامور الدولة ، ترك اموالا طائلة بعد مقتله سنة ٥١٥هـ/١١٢١م ، ينظر: ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص٥٧؛ الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد ، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، دراسة وتحقيق: محمد علي الطعاني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط ١ (الأردن-٢٠١١م) ص٣٣٢ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج٢٨، ص ١٨٠-١٨٥ ؛ ابن الشحنة، محب الدين أبي الوليد محمد بن محمد ، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق: سيد محمد مهني، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت-١٩٩٧م) ص٢٠٤.

٤٣. سلام ، الادب في العصر الفاطمي ، ص١٢ ، ص١٩٦-١٩٧ ؛ المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص ١١٥ - ١١٦ ؛ تامر ، عارف، المستعلي بالله ، دار الجيل ، ط ١ (ل. م - ١٩٨٠م) ص ٥١ - ٥٢.

٤٤. ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم السعدي، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ضبطه وصححه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٨م) ص ٥٢٣ - ٥٢٤ ؛

صالح ، التشيع المصري الفاطمي ، ج ٥ ، ١٠٩ ؛ دخيل ، محمد حسن ، الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للاسرة الجمالية ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٩م) ص ١٥٨ .



٤٥. المقرئزي ، الخطط، ج٢ ، ص ٢٩٢ ، ولم يشر المصدر المذكور الى اسم الخليفة الفاطمي.
٤٦. ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب، اخبار مصر، اعنتي بتصحيحه : هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة-١٩١٩م) ج٢، ص٥٧.
٤٧. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٨.

### المصادر والمراجع :

#### ١- المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
- ١- الكامل في التاريخ، عني بمراجعة اصوله والتعليق عليه: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، ط٢(بيروت-١٩٦٧م).
- ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم السعدي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م).
- ٢- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ضبطه وصححه : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٨م).
- امية بن ابي الصلت، امية بن عبد العزيز الاندلسي (ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م).

٣- الرسالة المصرية، مجموعة نوادير المخطوطات، تحقيق : محمد عبد السلام هارون، مطبعة لجنة

التأليف (القاهرة - ١٩٥١م) .

• ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/٤٦٩م).

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس

جامعة، مطبعة كوستاستوماس (القاهرة - د.ت) .

• ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/٤٠٥م).

٥- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،

اعتني بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها: تركي فرحان مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، ط ١

(بيروت-٢٠١٠م).

• ابن خلكان ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

٦- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، حقق اصوله وكتب هوامشه : يوسف علي طويل - ومريم قاسم

طويل ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٨م).

• الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني(٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٧- سير اعلام النبلاء ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت -

٢٠٠٤م).

- ٨- العبر في خبر من عبر ، مطبعة دار الفكر (بيروت - ١٩٩٧م).
- ابن الزبير، رشيد الدين ابو الحسن احمد بن علي ( ت القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي).
- ٩- الذخائر والتحف ، تحقيق : محمد حميد الله ، تقديم ومراجعة : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ط٢ ( الكويت - ١٩٨٤ م).
- ابو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي ( ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦م).
- ١٠- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، وضع حواشيه وعلق عليه : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت - ٢٠٠٢م).
- ابن الشحنة ، محب الدين أبي الوليد محمد بن محمد (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م).
- ١١- روض المناظر في علم الأوائل والأواخر ، تحقيق: سيد محمد مهني، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت-١٩٩٧م).
- ابن الصيرفي، أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م).
- ١٢- الاشارة الى من نال الوزارة ، عني بتحقيقه والتعليق عليه: عبد الواحد مخلص، مقتطف من مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، المجلد السادس والعشرون ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة- ١٩٢٤م).

- ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م).  
١٣- نزهة المقلتين في اخبار الدولتين ، اعاد بناءه ، وحققه وقدم له : ايمن فؤاد سيد ، دار النشر :  
فرانس شتايز شتوتغارت (ل. م - ١٩٩٢ م).
- ابن عذاري ، أبو عبد الله بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م).  
١٤- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق : ج.س كولان وآخران ، دار الكتب العلمية ،  
ط١ (بيروت-٢٠٠٩م).
- ابو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن  
أيوب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م).  
١٥- المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، ط١  
(بيروت-١٩٩٧م).
- ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م).  
١٦- تاريخ ابن الفرات ، عني بتحرير نصه ونشره : حسن محمد الشماخ ، مطبعة حداد (البصرة -  
١٩٦٧م).
- القاضي النعمان ، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي (ت ٣٦٥ هـ /  
١٩٧٥ م).

- ١٧- المجالس والمسائرات ، تحقيق الحبيب الفقي واخران، دار المنتظر (بيروت -١٩٩٦م).
- المقريري ، تقي الدين ابي العباس بن احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
- ١٨- اتعاض الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد احمد عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠١م).
- ١٩- المقفى الكبير، تحقيق : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الاسلامي ، ط ٢ (بيروت -٢٠٠٦م).
- ٢٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعرف بالخطط المقريرية ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٨م).
- النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١١٣٢م).
- ٢١ - نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب فواز - وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت-٢٠٠٤م).
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
- ٢٢- معجم البلدان ، قدمها : عبد الرحمن المرعشلي ، دار التراث العربي (بيروت - د. ت).
- ٢- المراجع :
- امين ، احمد.
- ١- ظهر الاسلام ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ (بيروت - ٢٠٠٧م).

- تامر ، عارف.
- ٢- المستعلي بالله ، دار الجيل ، ط ١ (ل.م - ١٩٨٠م).
- جمال ، ناديا ايبو.
- ٣- الناجون من الغزو المغولي ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار الساقى ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٤م).
- حسن ، حسن ابراهيم.
- ٤- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة - د. ت ) حمزة ، عبد اللطيف.
- ٥- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ، دار الفكر العربي ، ط ٨ (القاهرة - ١٩٦٨).
- دخيل ، محمد حسن.
- ٦- الدولة الفاطمية الدور السياسي والحضاري للاسرة الجمالية ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٩م).
- ريسلر ، جاك.
- ٧- الحضارة العربية ، منشورات سمويدات ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٣م).
- الزركلي ، خير الدين.
- ٨- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط ١٦ (بيروت - ٢٠٠٥م).
- سرور ، محمد جمال الدين.
- ٩- تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي (القاهرة - د. ت).

- سلام، محمد زغلول.
- ١٠- الادب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف (الاسكندرية- د. ت ) سيد ، ايمن فؤاد.
- ١١- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة (القاهرة - ٢٠٠٧م).
- المناوي ، محمد حمدي.
- ١٢- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف (القاهرة - ١٩٧٠م).
- صالح ، محمد حسن.
- ١٣- التشيع المصري الفاطمي اشعاع حي وحضاري ، دار المحجة البيضاء ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٧م).
- هالم ، هاينز.
- ١٤- الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، تعريب : سيف الدين القصير ، مراجعة : مجيد الراضي ، دار المدى للثقافة والنشر ، ط ٢ (دمشق - د. ت).
- هونكه، زيغريد.
- ١٥ - شمس العرب تسطع على الغرب، نقله من الالمانية : فاروق بيضون - وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه : مارون عيسى الخوري، دار صادر، ط ٨ (بيروت - د. ت) .

## الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس

١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م

أ.د. جاسم ياسين الدرويش

أ.م.د. حسين جبار العليوي

### المقدمة

قد لا يكون في خلد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك عند فراره من العباسيين أن يفكر في إمارة أو ملك ، لأن النجاة بالنفس هو أعلى ما يطلبه الإنسان عند الشدائد ، فأول ما ينشده هو المكان الآمن ، ولكن ما أن حلّ في المغرب وأحس بالأمان تاقت نفسه الطموحة إلى خوض غمار السلطة ، فمن طنجة Tanger عند ساحل البحر المتوسط أخذ يراقب الأحداث في الساحة حوله ، فكانت المغرب قد حرثها الخوارج وبثوا أفكارهم فيها ، فضلا عن سخط البربر على الحكم الأموي بسبب سوء معاملة بعض الولاة الأمويين لهم ، فما كان أمامه سوى الأندلس التي مزقتها الحروب الأهلية سواء بين العرب أنفسهم ( القيسية واليمانية ) أم بين العرب والبربر ، وهو ما فسح المجال له عن طريق موالى بني أمية فيها لخوض الصراع والذي توجّه بالاستيلاء على قرطبة Cordoba سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م وإقامة إمارة وراثية هناك .

في هذا الأثناء كان أغلب الأمراء الأمويون في الشام قد فروا على وجوههم من بطش العباسيين ، فما أن وصلت أسماعهم بنجاح عبد الرحمن بن معاوية ( الداخل ) في الاستيلاء على الحكم في الأندلس ، حتى قصده عدد كبير منهم باحثين عن الأمان وسعة العيش ، ومن جانبه فقد رحب بهم عبد الرحمن الداخل وضمهم إلى نفسه واستخدمهم في كثير من مناصب الدولة ، وكان يقول أن ((أعظم ما أنعم الله تعالى به عليّ بعد تمكني من هذا الأمر القدرة على إيواء من يصل إليّ من أقاربي، والتوسع في الإحسان إليهم، وكبري في أعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا



الأطلسي ) غرب جليقية ، أما الجبل الثالث فهو جبل الشارات Sierra Morena الذي يبدأ من طرطوشة Tortosa (٥) عند البحر المتوسط شرقاً حتى أشبونة Lisbon (٦) عند البحر المحيط غرباً ، والجبل الرابع يدعى جبل الثلج Sierra Nevada ويبدأ من ساحل كورة البيرة Vera,La (٧) عند البحر المتوسط شرقاً وينتهي عند البحر المحيط مما يلي الجزيرة الخضراء Algeciras (٨) (٩) .

أما الأنهار فهي الأخرى كثيرة في الأندلس بلغت الكبار منها أربعون نهراً (١٠) ، معظمها يجري من الشرق إلى الغرب أو العكس حسب طبيعة الأرض ، إلا إن أعظمها ستة وهي : نهر قرطبة الذي يبلغ طوله ٣١٠ ميلاً ، ونهر آنه Rio Guadiana الذي يبدأ من شرق الأندلس ويصب في البحر المحيط ويبلغ طوله ٣٠٠ ميل ، ونهر تاجة Rio Tajo الذي ينبع هو الآخر من جبال شرق الأندلس ويصب في البحر المحيط ويبلغ طوله ٦١٠ ميلاً ، والرابع نهر دويرة Rio El Duero الذي يخرج من جبل فوق ناجرة Najera (١١) ويصب في

منة لأحد عليّ فيه لأحد غيره )) (١) ، ولكن هؤلاء بعد أن كثّر عددهم وأحسوا بالأمن أخذوا يشكلون خطراً على السلطة نفسها .

ومن جانب آخر فقد كانت البيئة الطبيعية والاجتماعية من العوامل التي ساعدت على خلق أجواء للثورة والتمرّد في الأندلس ، فشبّه جزيرة أيبيريا Iberia ( أسبانيا والبرتغال ) تمتد من سواحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي جنوباً إلى جبال البرتات Pirineos وخليج بسكاي Bisay شمالاً ، ويغلب على سطحها التضاريس الوعرة والجبال والأودية والأنهار ، وقد فصلت المصادر في ذلك حتى أحصوا بها من الجبال سبع وثمانون جبلاً (٢) ، مقطعة أوصالها ممتدة في أغلبها من الشرق إلى الغرب ، وكان أعظمها إمتداداً أربعة وهي : جبل قرطبة المعروف بجبل العروس Vinaroz الذي يبدأ من ساحل البحر المتوسط عند بلنسية Valencia (٣) شرقاً وينتهي عند باجة Beja (٤) غرباً ، والثاني جبل البرت وهو الحاجز بين الأندلس والإفرنجة وجليقية Galicia ويبدأ من البحر المتوسط شرقاً حتى البحر المحيط )

القبائل الأخرى ، وهذا ينطبق إلى حد كبير على مراحل الفتح وعصر الولاة<sup>(١٦)</sup> ، ثم هناك البربر وهم المسلمون من سكان المغرب والذين شكلوا الغالبية العظمى من الفاتحين المسلمين ، وهم أيضاً ينقسمون إلى العديد من القبائل ، ويشعرون أن لهم النصيب الأوفر في الفتح ، ولهم طموحاتهم الخاصة بهم<sup>(١٧)</sup> ، فكانوا بيئة خصبة لكثير من حركات التمرد في الأندلس ، وجدير بالذكر هنا أنّ العديد من حركات التمرد التي قادها أبناء البيت الأموي ضد السلطة الحاكمة كان يقف إلى جانبها زعامات عربية غير أموية أو بربرية ، وهو ما سنتناوله في البحث .

### الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي

١٣٨-١٣٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م

قامت العديد من حركات التمرد على السلطة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ( ١٣٨ - ١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م ) تبني بعض منها أبناء البيت الأموي ، وكانت الأولى من قبل اثنين من أبناء عمومته وهما عبد السلام بن يزيد بن هشام بن عبد الملك المعروف باليزيدي ، وعبيد الله

البحر المحيط بجليقية ويبلغ طوله ٥٨٠ ميلاً ، والخامس نهر أبره Rio Ebro ويجري من الجوف نحو القبلية ويصب في البحر المتوسط عند طرطوشة ويبلغ طوله أربعمئة ميل ونيف ، والسادس نهر بنبلونة Rio Pamplona الذي يخرج من جبال البرت ويصب في البحر المحيط بجليقية وطوله ٣٠٠ ميلاً<sup>(١٢)</sup> ، وتتخلل تلك الجبال والأنهار من المدن والقرى والحصون والقلاع والبروج ما لا تحصى كثرته<sup>(١٣)</sup> .

أما من الناحية الاجتماعية فسكان الأندلس خليط غير متجانس ، فهناك سكان البلاد الأصليين الذين انقسموا قسمين منهم من دخل الإسلام واختلط بالمسلمين وهم المولدون<sup>(١٤)</sup> ، ومنهم من بقي على دينه وتأثروا بالثقافة العربية وهم المستعربون<sup>(١٥)</sup> ، وهناك أيضاً الفاتحين الذين ينقسمون إلى عرب وبربر ، والعرب لم يكونوا كتلة واحدة ، فهم منقسمون حسب التوزيع القبلي ما بين يمانية وقيسية ، فضلاً عن أن لكل قبيلة زعيمها الذي يسعى للحصول على المصالح والامتيازات له ولأفراد قبيلته حتى لو وصل الأمر في بعض الأحيان أن يتقاطع مع

ويبدو أن مؤامرات أبناء عمومة عبد الرحمن الداخل عليه ترجع إلى العديد من الأسباب منها:

١- على الرغم من إن عبد الرحمن الداخل سعى إلى إقامة إمارة وراثية إلا انه لم يحسم مسألة من يخلفه في السلطة ( ولاية العهد ) في وقت مبكر ، فقد خلف من الولد الذكور أحد عشر<sup>(٢٣)</sup> ، إلا إن المقربين له من ولده هما سليمان ولده الأكبر والذي كان ولد في الشام ، وهشام الذي ولد سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م من أم ولد أسبانية ، وقد كان يشاورهما في بعض أمور الحكم ، وولى ابنه سليمان عمل مدينة طليطلة Toledo<sup>(٢٤)</sup> ، وهشام مدينة ماردة Merida<sup>(٢٥)</sup> ، وتشير الروايات إلى أن عبد الرحمن كان متردداً فيمن يوليه الحكم من بعده ، فترك وصية غامضة لابنه عبد الله المعروف بالبنسي قال فيها (( من سبق إليك من أخويك ، فأرم إليه بالخاتم والأمر ، فإن سبق إليك هشام ، فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه ، وإن سبق إليك سليمان ، فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين إليه ))<sup>(٢٦)</sup> .

بن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وساعدهما في ذلك أبو عثمان عبيد الله بن عثمان<sup>(١٨)</sup> الذي سعى لمبايعة عبد الله بن أبان ابن أخي عبد الرحمن الداخل في حصن من حصون البيرة ، فوشى بهم مولى لعبيد الله بن أبان ، فقتل الداخل أولاد عمه وعفا عن أبي عثمان لسابق صنيعه معه<sup>(١٩)</sup> .

أما المؤامرة الثانية التي واجهت عبد الرحمن الداخل فهي من قبل ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وساعده في ذلك هذيل بن الصميل بن حاتم<sup>(٢٠)</sup> ، والخطة تقضي بقتل عبد الرحمن الداخل وتنصيب المغيرة مكانه ، وقد اختلف في تاريخ هذه المؤامرة ، فابن الأثير جعلها في سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م ، وذكرها ابن عذاري في أحداث سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م ، فاكتشف عبد الرحمن ذلك عن طريق شخص آخر وهو العلاء بن حميد القشيري الذي واطأهم أول الأمر ثم تقرب بهم إلى عبد الرحمن فقتلهم<sup>(٢١)</sup> ، وأضاف المقري أن عبد الرحمن بعد أن قتل المغيرة نفى أخاه الوليد بن معاوية إلى العدو<sup>(٢٢)</sup> .

٢- عامل الحسد والغيرة لما ناله عبد الرحمن الداخل من المكانة والزعامة وهو لا يقل عنهما في الرفعة والنسب ، وقد أشار المقرئ إلى ذلك بقوله إن ((بعض موالى عبد الرحمن الخاصين به أنه دخل على الداخل إثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور، وهو مطرق شديد الغم، فرفع رأسه إليّ وقال: ما عجبني إلا من هؤلاء القوم، سعينا فيما يرضعهم في مهاد الأمن والنعمة، وخاطرنا فيه بحياتنا، حتى إذا بلغنا منه إلى مطلوبنا، ويسّر الله تعالى أسبابه، أقبلوا علينا بالسيوف، ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا ودرت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم، وشمخوا بأنافهم ، وسموا إلى العظمى، فنارزوننا فيما منحنا الله تعالى، فخذلهم الله بكفرهم النعم إذ أطلعنا على عوراتهم، فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا، وأدى ذلك إلى أن ساء ظننا في البريء منهم، وساء أيضاً ظنه فينا، وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه، وإن أشد ما عليّ في ذلك أخي والد هذا المخذول، كيف تطيب لي نفسٌ بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه أم كيف يجتمع

بصري مع بصره اخرج له الساعة فاعتذر إليه، وهذه خمسة آلاف دينار ادفعها إليه، واعزم عليه في الخروج عني من هذه الجزيرة إلى حيث شاء من بر العدو. قال: فلما وصلت إلى أخيه وجدته أشبه بالأموات منه بالأحياء، فأنسته وعرفته، ودفعت له المال، وأبلغته الكلام، فتأوه وقال: إن المشئوم لا يكون بليغاً في الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه، وهذا الولد العاق الذي سعى في حقه قد سرى ما سعى فيه إلى رجل طلب العافية، وقنع بكسر بيت في كنف من يحمل عنه معرفة الزمان وكله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا مرد لما حكم به وقضاه ، ثم ذكر أنه أخذ في الحركة إلى بر العدو. قال: ورجعت إلى الأمير فأعلمته يقوله، فقال: إنه نطق بالحق، ولكن لا يخذعني بهذا القول عما في نفسه، والله لو قدر أن يشرب من دمي ما عف عنه لحظة، فالحمد لله الذي أظهرنا عليهم بما نوبناه فيهم، وأذلهم فيما نووه فينا )) (٢٧) .

٣- شدة عبد الرحمن وقسوته على بعض الخارجين عليه ، مما دفع العديد من أبنائهم وأنصارهم إلى التآمر عليه باستمالة بعض أفراد

مبالاً إلى هشام وشاعت روايات تقدمه على أخيه منها أن الأخوين كانا في حياة أبيهما يركبان إليه (( ... متداولين ومتناوبين لا يجتمعان فإذا كان يوم هشام تأهب حاضرو المجلس من كبار أهل المملكة ، والإفاضة في الحديث إلى إنشاد شعر أو ضرب مثل أو ذكر يوم من أيام العرب أو ذكر حرب أو اجتلاب حيلة أو حكاية تدبير أو إحماد سيرة وإذا كان يوم سليمان خلا من ذلك كله وانبسط الحاضرون في غث الأحدث وأخذوا في الدعابة ))<sup>(٣١)</sup> ، وعلى الرغم من بعض التحفظ على الروايات التي تشيد بهشام وبمناقبه لأنه يمثل السلطة ، إلا أنها تعكس أيضاً ميل عبد الرحمن الداخل لابنه هشام وهو ما رجح كفة البيعة له ، فقد روي أن الداخل كان (( كثيراً ما يسأل عن ابنه سليمان وهشام ، فيذكر له أن هشاماً إذا حضر مجلساً امتلأ أدباً وتاريخاً وذكراً لأمر الحرب ومواقف الأبطال ، وما أشبه ذلك ، وإذا حضر سليمان مجلساً امتلأ سخفاً وهذياناً ، فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان

البيت الأموي والبيعة لهم نكايه به ، فمثلاً كان تنكر عبد الرحمن لأحد أشهر أنصاره وهو أبو عثمان عبيد الله بن عثمان دفعه للتأمر عليه مع بعض الأمويين ، كما تأمر هذيل بن الصميل بن حاتم مع المغيرة ابن أخ عبد الرحمن لقتله أبيه<sup>(٢٨)</sup> .

وفي عهد كل من هشام بن عبد الرحمن (١٧٢ - ١٨٠ هـ/٧٩٦-٧٨٨ م) وابنه الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ/٧٩٦-٨٢١ م) شغلت تمردات ومؤامرات أولاد عبد الرحمن الداخل حيزاً مهماً من الأحداث وخاصة من قبل ولديه سليمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالبنسي ، وكان لسياسة عبد الرحمن الداخل تجاه ولده أثر في إذكاء روح التنافس والبغضاء بينهم ، فذكر ابن الأثير أنه في سنة ١٤٧ هـ/٧٦٤ م أرسل عبد الرحمن الداخل من أتاه بابنه الأكبر سليمان من الشام ، وكان قد ولد له ابنه هشام سنة ١٣٩ هـ/٧٥٦ م ، وكان عبد الرحمن يقدمه ما أوجد بينهما حقد وغل<sup>(٢٩)</sup> ، وعلى الرغم من إن عبد الرحمن كان يشاورهما في بعض أموره<sup>(٣٠)</sup> إلا أنه كان

دينار فركب البحر بأهله وولده ، أما عبد الله البلنسي فقد انصرف إلى أخيه هشام من غير عهد قبله واشترط عليه أيضاً أن يغادر إلى العدو ، فبقيا هناك طيلة مدة حكم الأمير هشام . (٣٦)

وتشير بعض الروايات إلى أن الأمير هشام قام بسجن ابنه الأكبر عبد الملك وتقريب ابنه الحكم منه وتوليته عهده سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م ، وقد بقي عبد الملك بن هشام في السجن حتى وفاته سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م وذلك لأمر أنكرها عليه دون أن توضح ذلك (٣٧) ، ولعل السبب يعود إلى المنافسة بين الأخوين على السلطة وفيمن يخلف أباه ، وهو ما دفع الأمير الحكم أن يستمر في سجنه حتى وفاته ، وقد وصف المقرئ حال الأمير هشام مع أخوته وأهل بيته قائلاً (( وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروباً ، ثم كانت الدائرة له )) (٣٨) .

ولما توفي الأمير هشام وبويع لابنه الحكم لم يعترف سليمان بن عبد الرحمن وعبد الله البلنسي بذلك وطلبوا الأمر لنفسيهما وكانا في

((٣٢) ، وقد انعكس ذلك على موقفه وإخوته بعد تسلّم هشام السلطة .

فما أن وصلت أنباء وفاة عبد الرحمن الداخل وتسلم ابنه هشام الإمارة مكان أبيه ، أعلن سليمان أنه لم يعترف بالوضع الجديد وأنه أحق بالأمر من أخيه ، وكان في طليطلة فغلب عليها وأخذ البيعة فيها لنفسه ، ثم زحف بجنوده نحو قرطبة ، فلما حصل بجيان Jaen (٣٣) خرج إليه أخوه هشام بجموعه فهزمه فهرب إلى طليطلة ، فلما كان سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩م طمعت نفس أخوه عبد الله البلنسي في الإمارة وكان الأمير هشام يبره ويترضاه ، فلم يقنع بذلك وخرج إلى طليطلة حيث أخوه سليمان ، فلما علم هشام بذلك زحف بجيشه إلى طليطلة ففر منها سليمان نحو شقنّدة Secunda (٣٤) تاركا أخوه عبد الله داخلها فحاصرها هشام وأرسل ابنه عبد الملك في إثر سليمان الذي التجأ إلى ماردة فقاتله عامها من قبل هشام وهزمه فالتجأ إلى بعض أطراف تدمير Tudmir (٣٥) ومن هناك أرسل إلى الأمير هشام يستأمنه فاشترط عليه أن يغادر الأندلس إلى العدو ويعطيه ٦٠ ألف

الأمان ، وكان محمد بن يزيد كاتب الأمير الحكم قد اتهم بموالاته سليمان عمّ الأمير الحكم فسخط عليه وأودعه السجن وبقي خاملاً حتى وفاته<sup>(٤٤)</sup> ، أما عبد الله البلنسي فإنه بعد أن آيس من الثغر التجأ إلى بلنسية وكاتب ابن أخيه الأمير الحكم وترددت الرسل بينهم إلى سنة ١٨٧هـ / ٨٠٢م فانعقد الأمان على أن يجري الرزق عليه ألف دينار كل شهر ، وأن يسكن في بلنسية ولا يحق له مغادرتها ولا أن يدخل الحضرة ، وأخذ العهد عليه الفقيه يحيى بن يحيى الليثي<sup>(٤٥)</sup> ، ثم استدعى الأمير الحكم أبناء أخيه وزوج أحدهم ابنته عزيزة وزوج آخر شقيقته أم سلمة<sup>(٤٦)</sup> .

كما شهد عهد الأمير الحكم أيضاً تواطىء أحد أبناء عمومته يعرف بابن الشماس من ولد المنذر بن عبد الرحمن بن معاوية ، مع عدد من فقهاء قرطبة الذين اتهموا الأمير الحكم بالمجون فأرادوا خلعه ومبايعة ابن عمه المذكور ، إلا انه خاف على نفسه فأخبر الأمير الحكم بما جرى فقبض على العديد منهم وقتل بعضهم<sup>(٤٧)</sup> .

العدوة ، فعبر أولاً عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي عمّ الأمير الحكم إلى الأندلس من تاهرت<sup>(٣٩)</sup> إلى أرض العدو منازعا الحكم سلطانه فتوجه إلى الثغر ، وكان أهل الثغر مضطربون على الأمير الحكم وفي مقدمتهما قواده عبد الملك وعبد الكريم ابني عبد الواحد بن مغيث ، فانظم إليهما عبد الله البلنسي فحاولوا جميعا الاستيلاء على سرقسطة Saragosa<sup>(٤٠)</sup> إلا إن واليها تمكن من هزيمتهم ففر عبد الله البلنسي إلى قارلة<sup>(٤١)</sup> ملك الإفرنجة مستجدا به ، ولما كانت سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م عبر سليمان بن عبد الرحمن عمّ الأمير الحكم من المغرب إلى الأندلس لمساندة أخيه عبد الله ضد الأمير الحكم ، فتقدم سليمان نحو قرطبة فالتقى مع الأمير الحكم في قيجيطة<sup>(٤٢)</sup> فانهزم سليمان ، ثم اجتمع إليه عدد من البربر وأقبل نحو الأمير الحكم فالتقى معه في بركلون من ارض إستجة Ecija<sup>(٤٣)</sup> فانهزم مرة أخرى ثم عاود سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م فاشتدت الحرب بينهم فانهزم سليمان نحو ماردة فأدركه الطلب وأسر فأمر الأمير عبد الرحمن بقتله وأعطى لولده

المنبر ، بعدها انتقل إلى داره فبايعه بقية الناس بها (٥٠) .

قال ابن حيان : ولما أفضت السلطة إلى عبد الرحمن بعد وفاة أبيه الحكم ، أقرّ أخاه على حاله في ولاية العهد ، فكان يسمى بها مدة ، ثم رأى أن يتخلى عنها لذاته وعن طيب نفسه ، فأشهد عليه الأمير عبد الرحمن أهل المملكة من الوزراء والقضاة والحكام والفقهاء وأعلام الناس وذلك في المسجد الجامع ، فشهدوا عليه بذلك ، فكان المغيرة أول من بايع الأمير محمد بن عبد الرحمن (٥١) ، فيما أشار ابن حزم إلى إن الأمير عبد الرحمن هو من خلعه (٥٢) .

ولا يكاد يعكر صفو أقارب الأمير عبد الرحمن بن الحكم ( ٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م ) له إلا محاولة عبد الله بن عبد الرحمن البلنسي الذي كان في بلنسية منذ أيام الأمير الحكم ، فلما وصل نبأ وفاة الحكم ومبايعة عبد الرحمن بن الحكم التوى عليه وماطل في بيعته وتوجه من بلنسية إلى تدمير وغلب عليها وحشد أتباعه للزحف على قرطبة ، وفي خطبة يوم الجمعة قبل مسيرته رفع يده إلى السماء وقال ((

وممن دعته نفسه إلى طلب الأمر لنفسه هشام بن الأمير الحكم ، فأشار ابن حزم إلى إن أباه بلغه عنه أنه يتمنى موته ليلي الأمر بعده وكان أكبر ولده فحلف ألا يليه أبداً وقدم أخويه عليه (٤٨) .

عمل الأمير الحكم بن هشام إلى وضع حدٍ إلى عدم الوضوح في عملية انتقال السلطة والتي عانى منها هو كثيراً بسبب ثورات أعمامه ، ففي سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م عقد البيعة لأبنيه عبد الرحمن ثم للمغيرة ، قال ابن حيان (( كان الأمير الحكم ، أول من أقام للناس ولي عهد ، من خلفاء بني أمية بالأندلس في حياته ، أشار عليه بذلك وزرأوه ، وذلك بعد وقعة الربيض بمدة ، فبايع لأبنيه عبد الرحمن بعده ، ثم من بعد عبد الرحمن للمغيرة بن الحكم أخيه ، وذلك في صدر ذي الحجة من سنة ست ومائتين )) (٤٩) ، وقد ابتدأ الناس بالبيعة لهما في قصر الإمارة ، ثم انتقلا إلى دار عبد الرحمن وانثال الناس عليهما هناك ، ثم إن المغيرة ركب إلى المسجد الجامع لمبايعة العامة وكانوا يبايعونه عند



الحال<sup>(٥٥)</sup> ، وعلى الرغم من أن هذه المحاولة كانت بتدبير زوجته وفتاه إلا أنها يمكن أن توضع في مصاف تنافس الأخوة للاستحواذ على السلطة .

وعمل الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ( ٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م ) على وضع حدٍ لطموح الأخوة والأبناء في منافسة الأمير أو من يخلفه ، فوجه بإخراجهم من قصر الإمارة بعد أن بنى لهم الدور والضياع ، قال ابن حيان (( ... فكان أول شيء نظر فيه الأمير محمد إخراج هؤلاء الأخوة عن القصر ... فتقدم في ابتياع الدور الفخمة والضياع المغلة لهم بحسب مقاديرهم ، واقتناء ما يحتاج إلى بنائه والتوسعة ، فلما كمل ذلك أخرجهم إليها أولاً أولاً بما يحتاجون إليه من العيال والإماء والعبيد والكرراع والفرش والآلة والكسي والمراكب بالحلي الفخمة ، فصير كلاً منهم بأكمل الجهاز وأتم العدة في داره ، وضم إلى كل منهم ما ابتاعه من ضيعة وغلّة ، وأجرى عليهم إلى ذلك الأرزاق السنوية الهلالية والمعارف السنوية ، وخص سراتهم على ذلك

... اللهم فإن كنت أحق بهذا الأمر الذي قمت فيه من عبد الرحمن بن الحكم بن هشام حفيد أخي ، فانصرتني عليه ، وافتح لي فيه ، وإن كان هو أحق به مني وأنا صنو جده فانصره عليّ ، فأمن الناس جميعاً عليه أصواتهم ، فلم يكد يستوعب كلامه حتى ضربته الريح الباردة ، فسقط إلى الأرض مفلوجاً ... فقال لأتباعه إن الله قد أجاب الدعوة ، وفصل الخطة ، وحماني الإمرة ، ... ثم أنفذ الكتاب إلى الأمير عبد الرحمن ، يخبر بعلمته ويأسه من نفسه ، وعهد إليه بالنظر لأهله وولده من بعده ، وجعل له وصيته ، ... فلم يعرض له الأمير طول حياته إلى أن هلك ببليسية سنة ثمان ومائتين ... ))<sup>(٥٦)</sup> .

ثم كان بعد ذلك محاولة فتاه نصر الخصي وطروب<sup>(٥٤)</sup> زوجته سمّه وذلك ليتمكن ابن طروب عبد الله بن عبد الرحمن بدل ولده الأكبر محمد الذي كان هواه معه ، وقد دسّ نصر الخصي إلى طيبب أن يصنع له السم ، فاكتشف الأمير عبد الرحمن المؤامرة وأرغم نصر الخصي على تجرع السم حيث مات في

محاصراً ابن حفصون ، واختلف في سبب موته ، وهل إن ذلك كان بتدبير أم لا ، فابن القوطية قال عن الأمير المنذر (( ... ثم شمر إلى ابن حفصون ، وأخذه بالعزم ، وكان قد أوفى عليه لولا أن المنية فاجأته وهو محاصره ، وكان أخوه عبد الله بن محمد ، الوالي بعده ، في الجيش ، فأجمع من حضر الغزاة من الخدم والقريشيين والموالي والأجناد عليه فبويع ... ويقال : أن ميسوراً فتاه سمّ له القطن المجمعول في جرح الفصد ، إذ كان قد تهدده لشيء اقتصره فيه ، أنه يوقع به عند انصرافه إلى قرطبة ، فلما هجم عليه الدم فجّر تفجير ضرورة ، ببشتر فعاجله الموت ... )) (٥٦) .

أما ابن عذارى فقال (( ... فبقى الأمير على حصن برشتر ، برومه روما ، مدة من ثلاثة وأربعين يوماً . وكان قد أصابته علة أكرثت نفسه ، وكدرت أنسه؛ فبعث في أخيه عبد الله لينوب منابه ، وينتدب في تلك الحال انتدابه . فلما وصل إليه ، وحصل في المظلة لديه ، خرجت في الحين روحه ... )) (٥٧) ، وقد اتهم ابن حزم أخوه عبد الله صراحة بقتله قائلاً ((سمه

بالقطائع الواسعة ، واستعملهم على الأعمال البعيدة ، ووالى الإحسان إليهم ، فكثروا وأمروا وازدانت بهم الدولة ، فاستحسن الناس فعله ، وتوزعهم اصطناعهم إياهم ، واستفادتهم منهم ، والتزم الأمير محمد مثل ذلك في ولده ... )) (٥٦) .

وكان إجراء الأمير محمد بن عبد الرحمن ذلك لتلافي ما حدث له عند وفاة والده ، إذ لم يستطع دخول القصر إلا متكرراً بزى امرأة خوفاً على نفسه من عيون أخوته وخاصة أخوه عبد الله ابن طروب حظية أبيه (٥٧) ، وجنى هذا الإجراء ثمرته في أيامه ، إذ لم نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى قيام أحد من أقاربه بالتآمر عليه .

كان الأمير محمد بن عبد الرحمن قد عهد إلى ابنه المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) ، وعندما توفي كان المنذر في غزوة له في كورة ريّة Reyو (٥٨) تجاه ابن حفصون (٥٩) ، فعندما سمع بذلك جد السير إلى قرطبة فدخلها وصلى على أبيه وأخذ البيعة لنفسه ، ولكن أيامه لم تدم طويلاً سوى سنتان ، إذ توفي وهو

ويدأهه على القيام على أبيه ويواصله. فسجن الأمير عبد الله ابنه محمداً ، وراقبه فلما لم تصح التهمة عليه أطلق سراحه ، فدخل المطرف إليه وقتله ، فلما علم ذلك الأمير عبد الله ، أعظم ذلك منه ، وهم بقتله ، فصرفه بعض حاشيته ، وكان ذلك في سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م (٦٥) ، وأشار ابن خلدون إلى أن الأمير عبد الله بعد أن آمن ابنه المطرف خرج في غزوة له ، فعدا المطرف على أخيه في محبسه وقتله (٦٦) ، وتختلف رواية ابن الأبار عن الرواية أعلاه إذ ذكر أن عبد الرحمن بن محمد والد الناصر ولاه أبوه إشبيلية (٦٧) Sevilla ثم هرب إلى عمر بن حفصون ، فحبسه أبوه بسبب ذلك ، وقتله أخوه المطرف في السنة أعلاه (٦٨) ، ويبدو إن الدسائس لعبت دورها في اتهام هذا الطرف أو ذاك فذهب الاثنان ضحيتها .

ثم إن الأمير عبد الله أخرج ابنه المطرف ووزيره عبد الملك بن أمية إلى إشبيلية وكان بين الاثنتين عداوة وتباعد فقتله في الطريق على ميلين من إشبيلية وحمل العسكر على القول بأنهم من حملوه على قتله لسوء سيرته

أخوه في مبضع فصد به )) (٦٢) ، ونقل ابن الخطيب رواية ابن حزم مرجحاً إياها إذ قال عن عبد الله بن محمد (( ... فإنه احتال على أخيه المنذر لما قصدته بالعسكر وأوطأ عليه حجاماً سمّ المبضع الذي فصد به )) (٦٣) .

وشهد عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ( ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م ) المزيد من الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي ، من ذلك التنافس بين ولدي الأمير عبد الله وهما محمد والمطرف ، وكان الأمير عبد الله قد رشح ابنه محمداً لولاية عهده ، فعظم الأمر على أخيه المطرف ، وبعدما بينهما ، وقابل الواحد الثاني بالهجران والصد والحسد ، فوجد المطرف يوماً فارساً من فرسان أخيه محمد فاغتاله ، وعندما خاف من أبيه ولم يأمنه ، سار إلى السجن وفتقه ، وأخرج من فيه من أهل الدعارة والفساد ، ولحق ببشتر Bobastro (٦٤) وصار عند ابن حفصون ، فخاطبه الأمير عبد الله أباه بالأمان ، فقبل من أبيه ، ورجع إلى قرطبة ، ولكنه لم يكف عن عداوة أخيه محمد ، واتهمه أنه يخاطب ابن حفصون ويدخله ،

وممن شملته الدسائس من أبناء البيت الأموي في عهد الأمير عبد الله بن محمد هو أخوه القاسم بن محمد بن عبد الرحمن إذ دسّ له السم فقتله (٧٢) .

ومنهم أيضاً أبو القاسم أحمد بن معاوية بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الرحمن الداخل المعروف بابن القط ، قيل إنه كان من أهل العناية بالعلم والنجوم ، خرج في سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م يطلب الدولة ويظهر الحسبة والرغبة في الجهاد ، منتزياً على الأمير عبد الله بالعجز عما قلده الله عن الجهاد ، داعياً إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصار بأرض الجوف ، وتجول بين قبائل البربر يدعوهم إلى جهاد الكفرة فاجتمع إليه خلق كثير قيل إنه بلغ ستين ألفاً ، فاقتحم أرض جليقية وقصد مدينة سمورة Zamora (٧٣) فنازله فيها الملك أذفتش بن أردون ، فهزّمهم أول الأمر ، ثم خذله بعض رؤساء البربر فانهزموا ، فدارت الدائرة عليه وقتل (٧٤) .

وبسبب كثرة من قتل الأمير عبد الله من أقاربه ، فقد نقل ابن الخطيب عن ابن حزم

وكتب بذلك كتاباً وأثبت فيه شهادتهم وأنفذه إلى أبيه الأمير عبد الله ، فلما قفل إلى قرطبة بقي عنده شهراً ثم قتله وذلك سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م (٦٩) .

وذكر ابن القوطية إن المطرف بعد رجوعه من غزوة إشبيلية وتأمين أبوه له توعد عدد من الأكابر ورجال الدولة بخلع والده وأخذ البيعة له ، فخافوا على أنفسهم وشكوه إلى أبيه فأرسل من قتله (٧٠) .

ومن دسائس البلاط في عهد الأمير عبد الله بن محمد أنه قتل أخاه هشام بن محمد ، فروي أن الأمير بعد مقتل وزيره ، عين مكانه ابنه أمية بن عبد الملك بن أمية ، قال (( ... فسنح على الفقراء بأنفه، وترقّع على الوزراء فمقتوه وسعوا فيه عند الأمير عبد الله بأنه بايع جماعة من سماسرة الشرّ لأخيه هشام بن محمد، ولققت بذلك شهادات اعتمد القاضي حينئذ قبولها للساعين أن يجعلوا في الجماعة للمشهود عليهم بالبيعة بعض أعدائه فتمّت الحيلة، وقتل هشام وأميّة الوزير وذلك سنة أربع وثمانين )) (٧١) .

ففي سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م أمر عبد الرحمن الثالث بقتل عمه العاصي بن الأمير عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، إذ شهد كل واحد منهما على صاحبه بنقض البيعة والمطالبة بالأمر له <sup>(٧٨)</sup> .  
ومن بني أمية المتآمرين عليه بني إسحاق المروانيين ، وهو إسحاق بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن الوليد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مروان، سكن إشبيلية أيام الفتنة عند بني حجاج <sup>(٧٩)</sup> ، ولما ولي أحمد بن مسلمة بن الحجاج اتهمه، وقبض عليه وعلى ولده وصهره يحيى بن حكم بن هشام بن خالد بن أبان بن خالد بن عبد الله بن عبد الملك بن الحارث بن مروان فقتل الولد والصهر ، وكان عنده سفير لابن حفصون فشفع في الشيخ إسحاق وولده أحمد ، ولما ملك عبد الرحمن الناصر إشبيلية من يد ابن مسلمة، رحل إسحاق إلى قرطبة واستوزره الناصر واستوزر بنيه أحمد ومحمد وعبد الله وقريهم وعلت مكانتهم في الدولة ، وتوفي أبوهم إسحاق فورثوا مكانه في كل ربيعة ، وكان عبد الله مقدمهم عند الناصر، واستوزره

وصفه للأمير عبد الله بن محمد قائلاً (( كان قتلاً تهون عليه الدماء مع ما كان يظهره من عفقه ، فإنه احتال على أخيه المنذر لما قصدته بالعسكر ، وأوطأ عليه حجاماً تسمّ الموضع الذي فصدته فيه ، ثم قتل ولديه معا بالسيف واحداً بعد واحد ، وقتل أخاه القاسم ثالثهم ، إلى من قتل غيرهم ، قلت : والإمام أبو محمد في التجريح والتعديل حجة على قومه ، ومنون الملك لا ينكر فيها أمثال هذه الطباع )) <sup>(٧٥)</sup> .  
ويبدو أن من بين الأسباب التي دعت أبناء البيت الأموي إلى مبايعة عبد الرحمن بن محمد دون منازع هو كثرة من قتل منهم بسبب النزاع على السلطة في عهد الأمير عبد الله بن محمد ما جعلهم يحجمون عنها ويزهدون فيها <sup>(٧٦)</sup> .  
ولم يخلو عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث ( ٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م ) من مؤامرات ، على الرغم من ذهاب معظم المصادر إلى القول بأن بيعته تمت بغير معترض ولا منازع ))  
فبايعة أجداده وأعمامه وأل بيته وقربته ومواليه وعامة رجاله بيعة إخلاص وسرور ... )) <sup>(٧٧)</sup> .

أهل قرطبة على القيام بالخلافة لفضله ودينه وأدبه وكرمه ، وجمعه لعلوم الفقه والحديث واللغة والشعر والحساب والطب ، فبايعه الناس على إنكار جور أبيه وسفكه للدماء ، فاكتشف أمره قبل استحكامه ، فحبسه ، ثم أخرجه وذبح بين يديه وكان ذلك سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م<sup>(٨٢)</sup> ، ويبدو إن هذا التاريخ فيه تصحيف لأن عبد الله بن الناصر ولد سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م<sup>(٨٣)</sup> ، وهو ما يجعلنا نرجح تاريخ الرواية الأولى .

وفي عهد الحكم المستنصر ( ٣٥٠- ٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م ) لم نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى تأمر أقاربه عليه على الرغم من كثرة أخوته ، ولعل ذلك يعود إلى علو سنه إذ تولى الخلافة وعمره سبع وأربعون سنة وطول خلافة أبيه حتى أنه كان يقول له (( لقد طوّلنا عليك يا أبا العاصي ))<sup>(٨٤)</sup> ، فضلاً عن قصر مدة حكمه ومكانه من أبيه ، إذ إن عبد الرحمن الناصر أخرج جميع أولاده من القصر إلا الحكم<sup>(٨٥)</sup> ، وفي ذلك يقول ابن الخطيب (( في أيامه سكنت الفتنة لتوطيد أبيه الدولة ، واستظهاره على الثوار

ثم اتهمه الناصر بالخلاف وكثرت فيهم السعيات، وصاروا في مجال الظنون فسطا بهم الناصر وفرقهم في النواحي، فانزوى أمية منهم في سنتين سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م وخلع الطاعة ، وقصده الناصر في العساكر فالتجأ إلى ملك جليقية ، ثم تغير له فجاء إلى الناصر من غير عهد وعفا عنه وبقي في غمار الناس إلى أن توفي ، وأمّا محمد فعزله الناصر عن سرقسطة لما نكب أبوه ، ثم تكاثرت السعاية فيه فقتله ، وأمّا أحمد فبقي في جملة الناصر حتى إذا تحرك إلى سرقسطة نمي عنه، ففرّ ولقي في مفرّه جماعة من أهل سرقسطة فقتلوه<sup>(٨٥)</sup> .

ومن المتأمرين في عهد الناصر ابنه عبد الله ، إذ سبق أن عهد الناصر إلى ابنه الحكم بولاية العهد ، فحسده أخوه عبد الله على ذلك ، واجتمع على رأيه قوم وأرادوا قتل الحكم فافتضحوا وقتلوا جميعاً ، أما عبد الله بن الناصر فقد أخرجه أبوه في ثاني يوم عيد الأضحى فذبح بين يديه وذلك سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م<sup>(٨٦)</sup> ، وفي رواية أخرى أن سبب قتله أنه أراد القيام عليه ، وبايعه أكثر

الحكم المستتصر ومبايعة هشام ، فيما مثل القسم الآخر كبار رجالات الصقالبة الذين يمتلكون قوة كبيرة في القصر قادرة على تنفيذ ما يريدون ، وكان هؤلاء الصقالبة يميلون لمبايعة المغيرة بن عبد الرحمن الناصر وأن يكون هشام بن الحكم ولي عهده ، وهكذا بدأ صراع بين الإتجاهين .

كان ابن أبي عامر يقظاً وحذراً وأدار الأمور بدهاء ، ذلك أنه (( اتصلت علة الخليفة الحكم من الفالج، وجعفر يدير سلطانه ، ووقع إرجاف بموت الحكم ، فأشار محمد بن أبي عامر على جعفر بن عثمان باستركاب ولي العهد هشام في ذلك اليوم في الجيش، إرهاباً لأهل الخلف؛ ففعل وركب في الناس ركبته المشهورة، ومحمد بن أبي عامر بين يديه، قد كساه الخرز، ونقله إلى أكابر أهل الخدمة ، وأمر ولي العهد هشام في ذلك اليوم وهو العاشر لصف من سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة في الزيت بقرطبة، وكانت إلى الناس مستكرهة ، فسروا بذلك أعظم سرور،

بحسن السيرة ، وطول العمر ، ومساعدة الأيام))<sup>(٨٦)</sup> .

توفي الحكم المستتصر تاركاً العهد لولده هشام المؤيد ولم يبلغ بعد الحلم ، إذ كان عمره يومئذٍ عشر سنوات وقيل إحدى عشرة سنة<sup>(٨٧)</sup> ، وهو ما فتح الباب على مصراعيه للتدخل في شؤون الحكم مع وجود الأعمام ورجالات بني أمية الكبار ، وقد وصف ابن الخطيب المشهد بقوله (( ووقع الاتفاق على تعيين هشام للخلافة مع وجود الأعمام الكهول ، وبني الأعمام الفحول أسود الهياج وغيوث المحول ، وهشام يومئذٍ صبي يناهز عشر سنين ، مع ضعف في الأصل ، وعدو في الخصل ، والكل على علم أنه لم يبلغ الحلم ))<sup>(٨٨)</sup> .

وعلى الرغم من أن المتحكمين في الأمر هم رجالات الدولة والبلاط إلا أنه لا بد من شخصية أموية يقومون بها ويلتفون حولها ، وقد انقسموا قسمين ، قسم تزعمه الوزير جعفر بن عثمان المصحفي<sup>(٨٩)</sup> ومحمد بن أبي عامر الناظر الخاص والقائد غالب بن عبد الرحمن<sup>(٩٠)</sup> ، ورأى هؤلاء ضرورة التمسك بوصية الخليفة

نكت بيعة هشام ، وأقبل بثبت أصحابه، وقال لهم: إن حبسنا الدولة على هشام، أمنأ على أنفسنا، وصارت الدنيا في أيدينا ، وإن انتقلت إلى المغيرة ، استبدل بنا وطلب شفاء أحقاده ، فأشار عليه أصحابه بقتل المغيرة قبل أن يبلغه موت أخيه ... ))<sup>(٩٣)</sup> وأوكلوا إلى ابن أبي عامر تنفيذ المهمة ، فأسرع من ساعته إلى دار المغيرة وأحاط رجاله به ، ثم اقتحم عليه الدار وأبلغه بموت أخيه الحكم ومبايعة الناس لهشام ، فذعر المغيرة من ذلك ، ثم استرجع ، وأعطاهم الطاعة لهشام ، وناشدهم دمه ، فرّق له ابن أبي عامر ، إلا أن الوزير المصحفي حذرهم منه فقتله خنقاً وأشاعوا أنه خنق نفسه لما أكرهوه على الركوب لابن أخيه<sup>(٩٤)</sup> ، وعليه فقد كان نتيجة ذلك الصراع أن ذهب المغيرة بن الناصر ضحية له فيما أصبح هشام المؤيد في حجر محمد ابن أبي عامر .

وقد أثار تسلط ابن أبي عامر على الخليفة هشام المؤيد سخط العديد من الأمويين والفقهاء ورجالات الدولة ، فقاموا بمحاولة للتخلص من ابن أبي عامر وهشام المؤيد والبيعة لعبد الرحمن

ونسب شأنها إلى محمد بن أبي عامر، وأنه أشار بذلك ، فأحبوه لذلك ... ))<sup>(٩١)</sup> .

ولكن لم يخف على الصقالبة فعلة ابن أبي عامر هذه فلما ((توفى الحكم، خُفي موته على وزيره جعفر وسائر أهل المملكة لطول ترده في العلة، وتفرد بعلم ذلك في وقته خادماه الخاصان به: فائق وجوزر ، فاستظهما بكتمان ذلك، وتقدما في ضبط الدار، وخلوا للتشاور، وقد عزموا على رد الأمر للمغيرة بن الناصر، أخي مولاها الحكم، خشية من انتشاره على ابنه هشام، لصغر سنه، وإنكار الناس لتقديمه على أن يقر ابن أخيه هشاماً على العهد بعده ، فيمينا على المغيرة بسوق الخلافة إليه، وبقياً لمولاها بارتقاب كبر ولده، ويكون الملك في أيديهما بحاله ... ))<sup>(٩٢)</sup> ، ثم اقترح جوزر على فائق بقتل جعفر المصحفي ليتم الأمر لهما ، فرفض فائق اقتراحه وأخبره أن لا أحد يمكنه مخالفتها لامتلاكهما القوة والنفوذ في القصر ، فأرسلا إلى جعفر وأخبراه بتدبيرهما ، فوعدهما بالمساعدة ، ثم خرج مسرعاً وأحضر ابن أبي عامر وبعض قواد الأجناد )) وعرفهم مذهب الصقالبة في



من رؤوس الكفرة ))<sup>(٩٨)</sup> ، ثم اتهمه بالاشتراك مع عبد الله بن المنصور بن أبي عامر الذي قام على أبيه بسبب تقديمه أخوه عبد الملك عليه وانضم إليهما بعض أكابر الجند ورجال الدولة ، إلا إن المنصور اكتشف المؤامرة وقتل عدد من المشركين فيها ، إلا أن عبد الله بن عبد العزيز المررواني فرّ إلى برمودو الثاني Bermudo II ملك ليون Leon فيما هرب وعبد الله بن المنصور إلى ملك قشتالة Castilla ، فأرسل المنصور إليه أن يسلمه إليه ولده وإلا قاتله ، ف وقعت بينهما الحرب ولحقت القشتاليين الهزائم العديدة حتى أذعن ملكهم إلى الصلح وسلم عبد الله بن المنصور فضرب عنقه وذلك سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م<sup>(٩٩)</sup> ، ثم قرر المنصور ابن أبي عامر معاقبة ملك ليون على حمايته لعبد الله بن عبد العزيز المررواني فنشبت الحرب بينهما وأرغم ملك ليون على تسليم المررواني إليه ، فقام المنصور بسجنه وبقي في السجن إلى أن مات المنصور فأطلقه ابنه عبد الملك المظفر وخلع عليه واستمر في خدمته حتى توفي غازياً

بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر ابن عم هشام المؤيد ، وكان في مقدمة المتآمرين عبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي<sup>(٩٥)</sup> ، إلا أن المؤامرة فشلت فقتل عبد الرحمن بن عبيد الله ، كما صُلب عبد الملك بن منذر على باب السدة ، وذلك سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨ م<sup>(٩٦)</sup> .

ومن المتآمرين من بني أمية في عهد هشام المؤيد ( ٣٦٦-٣٩٩هـ / ٩٧٦-١٠٠٨م ) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الرضي المررواني الملقب بالحجر لبأسه وشجاعته ، كان من المقربين من الخليفة فولاه طليطلة ، وعندما قامت المواجهة بين القائد غالب بن عبد الرحمن والمنصور ابن أبي عامر حاول غالب استمالته إليه ، فقد أشار ابن الابار إلى أن غالب دعاه إلى القيام بالخلافة<sup>(٩٧)</sup> ، ولكن يبدو أنه رفض ذلك ، وانضم إلى ابن أبي عامر في مقاومة غالب ، ثم اشترك معه في غزو جليقية سنة ٣٧١هـ / ٩٨١م فكان على خيل طليطلة ، وقام أيضا بمهاجمة مدينة سمورة واقتحمها ورجع إلى قرطبة كما يقول ابن حيان )) ومعه أربعة آلاف سبية ، وقد حرّز قريباً منها

الجبار ويخلع هشام المؤيد بسبب عجزه ، ولكن سرعان ما تسربت الخطة إلى عبد الملك المظفر الذي استعد لذلك ، فما أن وصل إلى دار الوزير عيسى حتى ألقى القبض عليه وقتله في الحال وعلق رأسه على باب مدينة الزاهرة عبرة للناس ، ثم القي القبض على هشام بن عبد الجبار وأودع السجن ثم قتل خفية (١٠٢) .

يطلق بعض المؤرخين على المدة بين ( ٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م ) بالفتنة (١٠٣) ، تولى خلالها الخلافة ستة من بني أمية وثلاثة من بني حمود الأدارسة ، وبعضهم تولى لأكثر من مرة ، ومعظم ذلك كان عن طريق الثورة والتغلب ، إذ شهدت هذه الحقبة صراع مرير بين المتنافسين على السلطة بين أبناء البيت الأموي ومن لفّ لفيفهم من أنصار وأتباع ، فعندما تولى عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر شنجول الحجابة للخليفة هشام المؤيد بعد وفاة أخيه عبد الملك المظفر وذلك في صفر من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م سعى لدى الخليفة هشام حتى استخلص منه أمراً بتولية العهد (١٠٤) ، وهو ما أثار استياء الأمويين خاصة

معه غزوته الأولى في مدينة ماردة سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م (١٠٠) .

ولم يخلو عهد عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر (٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠١-١٠٠٨م ) على قصره من أحداث ، فقد قاد هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م محاولة انقلاب كادت أن تنجح إلا أنها أحيبت في اللحظات الأخيرة ، وكان الطرف الثاني في المؤامرة الوزير عيسى بن سعيد اليحصبي (١٠١) الذي استاءه انهماك عبد الملك المظفر في الشراب واللهو واعتماده في تدبير الدولة على الصقالية صنائع العامريين ، فقام برسم خطة محكمة لقلب الحكم ، إذ اتفق مع صديقه هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر في ازالة بني عامر والخليفة هشام المؤيد والبيعة له في الخلافة ، وتقضي الخطة أن يقوم الوزير عيسى بدعوة عبد الملك المظفر وأخوه عبد الرحمن شنجول إلى حفل يقيمه في دارة قرب قصر الزاهرة ، فإذا حضر عبد الملك وأخوه انقض عليهم رجاله ثم يأخذ البيعة إلى هشام بن عبد

متفقة ونفوسهم من مخافته مختلة ، فلاذوا  
بمحمد بن هشام وبايعوه سراً ، وقد كان له ولأبيه  
قبل دعاة من أهل قرطبة فابتعثم الآن محمد بن  
هشام في الاجتراء على عبد الرحمن بن أبي  
عامر ، فاستملوا له خلقاً منهم وبايعوه ، وكان  
يلقاه من يثق به من وجوههم بأحواز قرطبة  
وبسبح جبلها في اكتتام وخفية وقد أعهم لوقت  
الوثوب ... )) (١٠٧) .

ثم جاءت الفرصة المناسبة ، ذلك أن عبد  
الرحمن شنجول قرر القيام بغزوة إلى جليقية ،  
وما أن جاءت أنباء وصوله إلى هناك حتى  
شرع محمد بن عبد الجبار بتنفيذ خطته ، ففي  
١٦ جماد الأولى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م فهاجم  
قصر قرطبة وأخرج عبد الله بن أبي عامر  
المعروف بعسكلاجة خليفة عبد الرحمن شنجول  
وأعدمه ، تقدم بعدها إلى الخليفة هشام المؤيد  
وعاتبه على تقريب العامريين ودعاه إلى خلع  
نفسه وأشهد عليه ، ثم أعلن نفسه خليفة وتلقب  
بالمهدي ، وانهالت الجموع من الناس ملتفة  
حوله مؤيدة ببعته ، واعتبروه بطلاً منقاداً (١٠٨) ،  
ولم يخطر ببالهم أن هذا التحول هو نذير فتنة

والمسلمين في الأندلس عامة فأخذوا يدبرون  
للتخلص منه ، وكان محور المؤامرة تدور حول  
شخصين ، أولهما محمد بن هشام بن عبد  
الجبار بن الناصر الأموي وكان ناقماً على  
العامرين بسبب قتل عبد الملك المظفر لأبيه  
سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م .

وثانيهما الذلفاء (١٠٥) والدة عبد الملك  
المظفر وكانت تتهم عبد الرحمن شنجول بأنه  
دسّ السم له (١٠٦) ، وكانت ذكية كثيرة المال  
والوجاهة ، فعملت على إيقاع به انتقاماً منه  
لابنها ، فقد اتصلت بوجوه بني أمية وأخذت  
تحثهم على ضرورة استرجاع دولتهم من بني  
عامر ، وكان الذي تولى ذلك بينها وبينهم أحد  
الفتيان الصقالبة ، وتعهدت الذلفاء بأن تمد  
المتآمرين بالمال ، فأرشد إلى محمد بن هشام  
بن عبد الجبار الذي يُعرف بفاتك بني مروان  
وكان ثاراً جسوراً يطلب الأمر منذ قتل أبوه  
وتألف شرار الناس ، فالتقت أهداف الطرفين ،  
واستظهر محمد بن عبد الجبار (( ... بسائر ولد  
أبيه الناصريين وقومهم المروانيين فجدوا في  
معونته ، وكلمتهم يومئذٍ في بغضاء العامريين

خمسة أشهر تم خلع وتنصيب ثلاثة من الخلفاء

ثم قام صراع مرير بين محمد المهدي وسليمان المستعين تناوبا فيه عمليات الكر والفر بالاستيلاء على قرطبة والانسحاب منها وكان آخر دخول لمحمد المهدي لها في ربيع من سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م حيث فرّ منها سليمان المستعين وأصحابه ، وقد ساءت الأحوال في قرطبة وضائق الأحوال من سياسة المهدي فقرر أحد أتباعه من الصقالبة وهو واضح الصقلي التخلص منه فقتله وأخرج هشام المؤيد مرة أخرى وأجلسه على كرسي الخلافة ، إلا أن سليمان المستعين وأتباعه من البربر الخضوع وأخذت غاراتهم تنال من قرطبة والمدن المحيطة بها وافتقد الأمن وعجزت السلطة الجديدة عن مواجهتهم ، وأمام سوء الأوضاع هذه تمكنت قوات سليمان المستعين من دخول قرطبة بالقوة وذلك في شوال من سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م والقي القبض على الخليفة هشام المؤيد وعاتبه وأقام معه أياماً ، فقبل غيب وكان آخر العهد به ،

أنت على الدولة الأموية في الأندلس بالسقوط وعلى قرطبة بالخراب .

أما عبد الرحمن بن أبي عامر فما أن سمع بما جرى في قرطبة حتى ارتد مسرعاً وفي الطريق تفرق عنه معظم أتباعه فأرسل إليه محمد المهدي من قتله<sup>(١٠٩)</sup> ، إلا أن محمد المهدي لم يكن رجل المرحلة ، فقد تتبع البربر والصقالبة وأبعدهم وقتل العديد منهم وهو ما أثار سخطهم عليه فالتف قسم منهم حول هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر وكان محمد المهدي قد جعل أباه سليمان ولي عهده ثم نعم عليه وسجنه ، فبايع الناقلين على المهدي هشام بن سليمان ولقبوه الرشيد ، ثم حدثت مواجهات بين الجانبين انتهت بتغلب المهدي وألقي القبض على سليمان الرشيد وأعدم في الحال<sup>(١١٠)</sup> ، عندها التف البربر حول شخصية أموية أخرى وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر الذي خلع طاعة محمد المهدي ونقله بالمستعين بالله وذلك في شوال من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م<sup>(١١١)</sup> ، وهكذا نرى أنه خلال

مجاهد العامري فقدمه وبايع له بالخلافة بشرق الأندلس وخطب له على المنابر الشرقية ولقبه المنتصر بالله وأثبت اسمه في السكة وذلك سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م ، ثم اختلف معه وخلعه ، فركب المعيطي البحر ونزل ببجاية Pechina وصار في آخر عمره معلماً للصبيان ، وتوفي بها سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م (١١٤) .

لما ولي علي بن حمود الحسني سبته Ceuta وأخوه القاسم الجزيرة الخضراء من قبل سليمان المستعين ، كانت نفس علي تتوق إلى قرطبة فاتصل بخيران العامري (١١٥) صاحب المرية وأحد الفتیان العامريين وأظهر كتاباً زعم أنه من الخليفة هشام المؤيد بولاية العهد ويطلب منه أن ينقذه من البربر ، فسار الطرفان نحو قرطبة بعد أن بايعه خيران على طاعة المؤيد ، وفي قرطبة دارت رحى معركة انهزم فيها سليمان المستعين ووقع في الأسر وذلك في محرم سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م ، فلما رأى علي بن حمود أن هشام المؤيد قد قتل واطلع على جثته بعد نبش قبره قتل سليمان وأبيه وأخيه ، ثم دعا

وقيل بل اغتاله خنقاً ، وقيل انه فرّ لوجهه فعمل سقاء بالمريّة Almeria (١١٢) .

حكم سليمان المستعين قرطبة للمرة الثانية للمدة من (٤٠٣ - ٤٠٧هـ/١٠١٢-١٠١٦م) وكانت مليئة بالاضطرابات فقد غلب عليه رؤساء البربر الذين أوصلوه إلى الحكم فمكّنهم من كور الأندلس ووزع عليهم الولايات ، وكان أبرزهم القاسم بن حمود الحسني الذي ولاه طنجة والجزيرة الخضراء ، وتتبع الصقالبة والفتيان العامريين الذي فرّ العديد منهم إلى شرق الأندلس ، وقد كان لذلك أثر كبير على ذهاب دولته (١١٣) ، وممن ثار عليه من بني أمية رجل يعرف بالمعيطي ، ساق ابن بشكوال نسبه قال هو : عبد الله بن عبيد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمرو بن عثمان بن محمد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط بن أبان بن عامر بن أمية بن عبد شمس المعيطي ، من أهل قرطبة، اشتغل بالعلم وروى عن أبي محمد الباجي وغيره ، وكان من أهل النبل والذكاء والشرف، ولما قامت الفتنة غادر قرطبة إلى دانية Denia وكان بها

إلى البيعة لنفسه وتم له ذلك وتلقب بالناصر لدين الله<sup>(١١٦)</sup> .

إلا أن خيران عندما لم يجد هشام المؤيد حياً سار إلى شرق الأندلس وأعاد الدعوة إلى بني أمية من جديد فوجد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الناصر الذي كان قد فرّ إلى جيان داعياً إلى نفسه ، فاستدعاه خيران وبايعه بالخلافة وتلقب بالمرتضى وأعلن ثورته على علي بن حمود الحسنى وانضم إليه معظم مناطق شرق الأندلس ، وزحف باتجاه غرناطة Granada ليحارب جيش صنهاجة وكانوا بزعامة زاوي بن زيري<sup>(١١٧)</sup> ويعرج بعدها إلى قرطبة ، إلا أن زاوي الصنهاجي تمكن من هزيمة المرتضى وقتله وتمزيق قواته وذلك في سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨م<sup>(١١٨)</sup> .

ترجع على كرسي الخلافة في قرطبة عدد من خلفاء بني حمود الحسينيين ، وزال ملك بني أمية منها ، ذلك أن علي بن حمود الذي بويع بالخلافة في قرطبة سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م لما بلغه ثورة المرتضى الأموي عليه في جيان قرر الخروج لقتاله وفي ذلك الأثناء وثب عليه ثلاثة

من فتيان القصر من موالي الأمويين فقتلوه في ذي القعدة من سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م ، وعندما سمع أخوه القاسم بن حمود بمقتله وكان والياً في إشبيلية أسرع إلى قرطبة وبويع بالخلافة وتلقب بالمأمون ، ولكنه ما كاد يستقر بسبب تحكم البربر فيه ، حتى ظهر ابن أخوه يحيى بن علي بن حمود طالباً الأمر لنفسه ، عندها آثر العم السلامة وغادر قرطبة إلى إشبيلية تاركاً قرطبة لابن أخيه يحيى بن علي بن حمود الذي بويع بالخلافة في جماد الأولى سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١م وتلقب بالمعتلي بالله ، أما القاسم الذي استقر في إشبيلية فهو الآخر تسمى بالخلافة وتلقب بالمستعلي ، وبذلك أصبح لبني حمود الحسينيين خليفتين في آن واحد ، إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً ، إذ قام البربر بخلع يحيى المعتلي في ذي القعدة من سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م فغادر قرطبة إلى مالقة Malaga<sup>(١١٩)</sup> ، وفي الحال تحرك عمه القاسم من إشبيلية إلى قرطبة وجددت له البيعة ، إلا انه لم يستطع ضبط الأمور بسبب العداوة بين أهل قرطبة والبربر إذ تجدد القتال بينهم في شوارع قرطبة وأسواقها ،

بهج جذلان، لا يشك في تمام الأمر له، وأصحابه يرتقبون مجيء ابني عمه المذكورين ... فبينما نحن على ذلك، والقلق على القوم باد، إذ غشيتنا ضجة وزعقة هائلة ارتج لها الجامع واضطرب لها من بالمقصورة ، فإذا عبد الرحمن بن هشام قد وافى شرقي الجامع، في خلقٍ رجالهما، شاهرين سيفيهما أمامه، لهيجن باسمه ، فراع الوزراء ذلك وألقوا للوقت بأيديهم وخذلتهم حيلهم، ودخل المقصورة عبد الرحمن فبويح لوقته، واستدعي سليمان بن المرتضى وجيء به مبهوراً فقبل يده وهنأه، فأجلسه إلى جنبه، ثم وافى محمد بن العراقي أيضاً فقبل يده وبايعه، ثم عقدت له البيعة، وذلك اليوم الرابع من شهر رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة (( (١٢١) .

وهكذا تمت البيعة لعبد الرحمن بن هشام وتلقب بالمستظهر بالله ، ويبدو أنه كان قد أعد لذلك أهبتة إذ فرض أتباعه أنفسهم على الحاضرين بالهتاف باسمه والتشهير بالسلاح مما أفزع الباقين وخضعوا إليه مذعنين ، ومما يعزز ذلك أنه بعد البيعة اصطحب معه ابني

عندها هاجم الأهالي قصر الخلافة وأخرجوا القاسم ومن انجاش إليه من البربر واستمرت الحرب بينهم خمسين يوماً أرغم بعدها بالتوجه نحو إشبيلية ولكنه وقع في قبضة ابن أخيه يحيى المعتلي الذي أودعه السجن حتى مات (١٢٠) .

عاد الصراع بين الأمويين بعد انتهاء حكم بني حمود الحسنيين ، إذ همّ بالوثوب على الخلافة بقرطبة ثلاثة من بني أمية ، وهم سليمان بن عبد الرحمن المرتضى ومحمد بن العراقي وعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ، فاتفق الخاصة والعامة على الحضور إلى المسجد الجامع لاختيار أحد هؤلاء شوري ، وكان المؤرخ ابن حيان ممن حضر ذلك ، قال ((وكننت في من حضر المقصورة يومئذٍ، فكان أول من وافى منهم سليمان بن المرتضى، جاء مع عبد الله بن مخامس الوزير في أبهةٍ وشارة دلت على المراد فيه ، فدخل من باب الوزراء الغربي والسرور بادٍ عليه، فاستقبله أصحابه وقدموه إلى بهو الساباط ، فأجلس هنالك على مرتبةٍ لا تصلح لأحد سواه، وهو

، وفضح حريم عبد الرحمن وسبى أكثرهن ...  
 وافْتُقِدَ عبد الرحمن المستظهر فوجدوه في ابزن  
 الحمام قد انطوى انطواء الحية في مكان حرجٍ،  
 فأخرج في قميص مسود بحالٍ قبيحة ، وجيء  
 به إلى محمد بن عبد الرحمن المستكفي وقد  
 بويح يوم السبت الثالث من ذي القعدة سنة أربع  
 عشرة وأربعمائة ، فبطش به بعض الرجال  
 القائمين على رأسه، فتهلل وجه ابن عمه القائم  
 عليه ، وأخذ في تدبير سلطانه فكانت إمارة  
 المستظهر - إلى أن قتل - سبعة وأربعين يوماً،  
 لم تنتشر له فيها طاعة، ولا التأمت عليه  
 جماعة، ولا تجاوزت دعوته قرطبة )) (١٢٣)

وهكذا نجح قائد الانقلاب محمد بن عبد  
 الرحمن بن عبد الله بن الناصر المستكفي بالله  
 وقد وصف أنه (( لم يكن هذا من الأمر في  
 ورد ولا صدر ، وإنما أرسله الله تعالى على أهل  
 قرطبة الخاسرين بلية وكان منذ عرف عطلا  
 منقطعاً إلى البطالة ، محمولاً على الجهالة ،  
 عاطلاً من كل خلة تدل على فضيلة وتكلمة ))  
 (١٢٤) ، ولم يسلم منه رجال الدولة البارزين  
 فغادر كثير منهم قرطبة ولجأوا إلى بلاط يحيى

عمه المرشحين فاعتقلهما (١٢٢) ، فكان ذلك  
 السبب في انحلال أمره على ما ذكره ابن بسام  
 قال (( ... وكان أيضاً مما حرك الناس عليه  
 استهدافه إلى أهل بيته من ولد الناصر،  
 ومبادرته لحبس سليمان بن المرتضى وابن  
 العراقي المذكورين، وتجاوزهما إلى نفر غيرهما،  
 اعتقل بعضاً وطلب بعضاً ... وكان ورد عليه  
 قبل إطلاقه بيومين فوارس من البربر، فكرم  
 مئواهم وأنزلهم معه في دار الملك، فاهتاج لذلك  
 الدائرة وقالوا للعامة: نحن الذين قهرنا البرابرة  
 وطردناهم عن قرطبة، وهذا الرجل يسعى في  
 ردهم إلينا، وتمكينهم من نواصينا ، فهاجوا  
 العامة، فوثبوا عليه بالقصر، وقتل البرابرة حيث  
 وجدوا ، ولم يشعر عبد الرحمن إلا والرجال قد  
 انتشروا على سقف القصر، وسمع المسجونون  
 عنده هتاف الناس فاستغاثوهم، فدقوا الأغلاق  
 دونهم، واختلط بالحرم ، فعلم عبد الرحمن أنه  
 مقتول. وأحيط به من كل جهة ، ... واستخفى  
 في أبزن الحمام، ففقد شخصه ، واستخفى  
 البرابرة في الحمام وفي أكناف القصر فبحث  
 عنهم وقتلوا. ولأذ منهم طائفة بالجامع فقتلوا فيه



عباد الذي تمكن من هزيمته وقتله سنة ٤١٧ هـ  
١٠٢٦م (١٢٦) .

أمام هذه الأوضاع المضطربة أجمع  
القرطبيون على رد الأمر لبني أمية ، فاتفقوا  
على مبايعة هشام بن محمد بن عبد الله بن  
الناصر ، أخ عبد الرحمن المرتضى الذي بويع  
سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨م في شرق الأندلس وبعد  
مقتله فرّ أخوه هشام ولجأ إلى حصن البونت  
Alpuente (١٢٧) شمال شرقي الأندلس إذ  
احتفى بصاحبها محمد بن عبد الله بن قاسم  
الفهري (١٢٨) ، ولما انتهى حكم الحمويون في  
قرطبة بعث إليه أهلها بالبيعة وهو هناك ولقب  
بالمعتد بالله وذلك في ربيع الآخر سنة  
٤١٨ هـ / ١٠٢٧م ومكث هناك سنتين وسبعة  
أشهر يخطب له في قرطبة وهو غائب عنها  
(١٢٩) .

وفي ذي الحجة من سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م  
قدم قرطبة فجددت له البيعة واستمر في الحكم  
سنتين ، ولكنه كان شيخاً كبير السن فاستولى  
على الأمور وزير له يدعى حكم بن سعيد القزاز  
الذي أساء السيرة وأبعد رجالات الدولة السابقين

بن حمود بمالقة منهم الوزير أو عامر بن شهيد  
الذي وصف لابن حمود سوء أحوال قرطبة وزين  
له فكرة السير إلى قرطبة ، عندها أرجف أهل  
قرطبة وطلبوا من المستكفي التخلي عن الخلافة  
لابن عمه محمد بن العراقي ، فاتهمه بالسعي  
ضده فأرسل من خنقه ونعاه للناس أنه مات  
وذلك سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤م ، عندها سئم الناس  
منه فدخل عليه الوزراء وكبار رجال الدولة  
وأغلظوا له في القول فخاف على نفسه فهرب  
متخفياً بزى امرأة صوب الثغر وذلك في شهر  
ربيع الأول من سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥م فقتله  
بعض مرافقيه بقرية شمونت من أعمال مدينة  
سالم Medinaceli (١٣٥) .

بقيت قرطبة ثلاثة أشهر بدون حكومة  
فوضى لا ضابط لها ، عندها قرر يحيى بن  
حمود الحسنى السير إليها فدخل القصر في  
رمضان من سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥م إلا أن مقامه  
بها لم يدم طويلاً إذ غادرها في محرم من سنة  
٤١٧ هـ / ١٠٢٦م متوجهاً إلى مالقة تاركاً في  
قرطبة وزيره أحمد بن موسى مع حامية من  
البربر ، وسار هو جنوباً فاصطدم بمحمد بن

وعلى الرغم من طوي صفحة الخلافة الأموية وإجماع الناس على ذلك ، كان الناصر أمية بن عبد الرحمن قد جلس في القصر وتبوأ مجلس هشام المعتد واستوى على فراشه ، وأخذ في ترتيب شؤونه وهو لا يشك أن الأمور قد آلت إليه ، ويروى أن بعضاً من أهل قرطبة قالوا لأمية (( إنا نخاف عليك في هذا اليوم القتل لما نرى من انقلاب الناس عليكم فقال لهم أمية بايعوني أنتم اليوم واقتلوني غداً حرصاً منه على الخلافة ، فأنفذ أهل قرطبة إلى المعتد وإلى أمية ألا يبقى واحد منهما بالقصر ولا بقرطبة وأجمعوا أمرهم على خلع بني أمية أجمعين )) (١٣٤) ، وكان ذلك في ١٢ ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ الموافق ٣٠ / ١١ / ١٠٣٠ م (١٣٥) .

#### الخاتمة

حكم الأمويون الأندلس للمدة بين ( ١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٥ - ١٠٣٠ م ) أي ٢٨٤ سنة تولى عشرة منهم الحكم للمدة بين ( ١٣٨ - ٣٩٩ هـ / ٧٥٥ - ١٠٠٨ م ) ، فيما تولى اثني عشر للمدة بين ( ٣٩٩ - ٤٢٢ هـ / ١٠٠٨ - ١٠٣٠ م ) منهم تسعة أمويون وثلاثة من بني

وقرب البربر وأخذ أموال التجار وتكرم بها عليهم فبغضه أهل قرطبة ، وهكذا اضطربت الأمور وفقدت الخلافة والدولة هيبتها ، عندها التفّ جماعة من الناقلين حول شخصية أموية أخرى طامعة في الحكم وهو أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان بن الناصر ، وكان كما وصف فتىً شديد التهور بعيد الأطماع (١٣٠) ، فعمل على الفتك أولاً بحكم بن سعيد القزاز الوزير ، ثم اتجه إلى القصر بجموعه ونهب جانب منه ، وخشي الخليفة هشام المعتد على نفسه فخرج من القصر مع ولده ونساءه إلى ساباط الجامع فهتف الناس بخلعه والتخلص من بني أمية ، وبقي يومه وليته أسيراً ذليلاً جائعاً يسأل عن كسرة خبز يسد بها جوع طفلة صغيرة له ، ثم أخرج إلى الثغر والتجأ إلى سليمان بن هود (١٣١) صاحب لاردة Lerida حيث توفي هناك سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م (١٣٢) ، ويعلق ابن عذاري على خلافة المعتد بالله قائلاً (( افتتح بيعته بإجماع وختمت بفرقة وعقدت برضى وحلت بكره )) (١٣٣) .

## الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس

محاولات ، وعبد الرحمن الأوسط ثلاث محاولات ،  
، والمنذر بن محمد محاولة واحدة ، وعبد الله  
بن محمد بن عبد الرحمن أربعة محاولات ، وعبد  
الرحمن الناصر أربعة محاولات ، وهشام المؤيد  
ثلاث محاولات ، وعصر الفتنة كله صراع على  
السلطة .

وفي تقديرنا أن الصراع على السلطة بين  
أبناء البيت الأموي كان واحداً من أهم عوامل  
سقوط الدولة الأموية في الأندلس .

حمود الحسينيين العلويين ، كان بعضهم تكررت  
خلافته لأكثر من مرة .

وخلال استعراضنا لعهود هؤلاء الأمراء  
والخلفاء وجدنا أنه لا يكاد يخلو عهد أحد منهم  
من محاولة انقلاب أو تمرد أو ثورة قام بها أحد  
رجال الأسرة الحاكمة ، باستثناء محمد بن عبد  
الرحمن الأوسط والحكم المستنصر ، فعبد  
الرحمن الداخل قام عليه ثلاثة من أقاربه ،  
وهشام بن عبد الرحمن شهد عهده ثلاث  
محاولات انقلاب أيضاً ، والحكم الرضي أربع

هوامش البحث

- <sup>1</sup> ( المقري ، نوح الطيب ، ٤٦/٣ .
- <sup>2</sup> ( مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس، ( تحقيق بوباية ) ص ٤٥ .
- <sup>3</sup> ( وهي من مدن شرق الأندلس تتصل بكورة تدمير Tudmir ، ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ٨٥ .
- <sup>4</sup> ( وهي من مدن غرب الأندلس بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ، الحميري ، صفة ، ٣٦ .
- <sup>5</sup> ( مدينة تتصل بكورة بلنسية وهي شرق قرطبة قريبة من البحر . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ١٨٥ .
- <sup>6</sup> ( وهي من مدن غرب الأندلس قريبة من البحر المحيط . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ٣٠ .
- <sup>7</sup> ( وهي كورة كبيرة من الأندلس بين القبلية والشرق من قرطبة . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان، ٤٠ .
- <sup>8</sup> ( وهي مدينة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر وهي شرقي شذونة Sidonia وقبلية قرطبة . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ١٠٨ .
- <sup>9</sup> ( ابن غالب ، فرحة الأنفس ص ٣٨-٣٩ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ( تحقيق بوباية ) ، ص ٤٥-٤٦ .
- <sup>10</sup> ( مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ( تحقيق بوباية ) ، ص ٤٦ .
- <sup>11</sup> ( مدينة في شرقي الأندلس من أعمال تطيلة Tudela . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان، ٢٨٨ .
- <sup>12</sup> ( ابن غالب ، فرحة الأنفس، ص ٣٩ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ( تحقيق بوباية )، ٤٦-٤٨ .
- <sup>13</sup> ( مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ( تحقيق بوباية ) ٤٣ .
- <sup>14</sup> ( وهو اسم أطلق على أولاد من دخل الإسلام من أهل البلاد الأصليين ، مؤنس ، فجر الأندلس ٤٦٠-٤٦١ .
- <sup>15</sup> ( وهم من بقي على النصرانية من أهل البلاد الأصليين ولكنه اتخذ العربية ثقافة ولساناً وأسلوب حياة ، مؤنس ، فجر الأندلس، ٤٦١ .
- <sup>16</sup> ( ينظر : مؤنس ، فجر الأندلس ، ٤٠٠-٤١٣ .
- <sup>17</sup> ( ينظر : مؤنس ، فجر الأندلس ، ٤١٩-٤٣٤ .
- <sup>18</sup> ( وهو من موالى بني أمية في الأندلس ومن أوائل الساعين في نصره عبد الرحمن الداخل والممهدين له عبوره إليها ، ينظر أخباره : مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ٦٥ وما بعدها .
- <sup>19</sup> ( ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ٩٤ ؛ المقري ، نوح الطيب ، ٤٤/٣ ، ٤٦ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق ١ ، ١٨٩ .

## الصراع على السلطة بين أبناء البيت الاموي في الأندلس

- <sup>20</sup> ( الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذي الجوشن الكلبي دخل الأندلس مع طالعة بلج بن بشر القشيري ثم رأس القيسية فيها وكان مدبر أمرها مع وإليها يوسف الفهري وعندما دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس عارضاه ثم إنهما أمامه في معركة المصارة وكانت وفاته في السجن سنة ١٤٣ هـ/٧٦٠م . ابن عذارى ، البيان المغرب، ٣٤ /٢ وما بعدها ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٣٤٥/٣-٣٤٩ .
- <sup>21</sup> ( مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة، ١٠٥ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ٩١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٤٦/٥ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٥٧/٢ ؛ المقري ، نفع الطيب ، ٤٦/٣ .
- <sup>22</sup> ( نفع الطيب ، ٤٦/٣ .
- <sup>23</sup> ( ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٨/٢ ..
- <sup>24</sup> ( وهي مدينة تتوسط بلاد الأندلس بينها وبين قرطبة تسع مراحل وبينها وبين بلنسية تسع مراحل وكانت دار الملك في الأندلس قبل الإسلام ، الحميري ، صفة، ١٣٠ .
- <sup>25</sup> ( وهي من مدن غرب الأندلس بين الغرب والجوف . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان، ٢٥٣ .
- <sup>26</sup> ( ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٦١/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٢/٢ .
- <sup>27</sup> ( نفع الطيب ، ٤٧/٣-٤٨ .
- <sup>28</sup> ( ينظر عن مقتل الصميل بن حاتم على يد عبد الرحمن : مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة، ٩٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٩/٢ .
- <sup>29</sup> ( الكامل في التاريخ ، ١٥٣/٥ .
- <sup>30</sup> ( ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ٦٢ ؛ ابن الابار ، الحلة السيرة ، ٤٢/١ .
- <sup>31</sup> ( ابن الابار ، الحلة السيرة ، ٤٢/١ ؛ ينظر أيضاً عن الروايات التي تذكر مناقب هشام دون أخوته : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ٥٦ ؛ مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ١١٠-١١١ .
- <sup>32</sup> ( المقري ، نفع الطيب ، ٣٣٤/١ .
- <sup>33</sup> ( كورة كبيرة بالأندلس مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ١١٥ .
- <sup>34</sup> ( وهي قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها . الحميري ، صفة ، ١٠٤ .
- <sup>35</sup> ( كورة بالأندلس تتصل بأحواز جيان وهي شرقي قرطبة . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ١٠١ .

- <sup>36</sup> ) ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، ٣٦٣/٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٥-٦٢/٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٣-١٢/٢ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ( تحقيق بوباية ) ، ١٧٠-١٧١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٢٤/٤ .
- <sup>37</sup> ) ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦ م ، تحقيق محمود علي مكي ، ٢٢٤-٢٢٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦٥/٢ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ( تحقيق بوباية ) ، ١٧٢ .
- <sup>38</sup> ) نفع الطيب ، ٣٣٧/١ .
- <sup>39</sup> ) وهي من مدن المغرب الأوسط تقع في سفلى جبل قرقل . مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ١٧٨ .
- <sup>40</sup> ) وهي إحدى مدن شرق الأندلس وقاعدة الثغر الأعلى وتتصل أعمالها بأعمال تطيلة . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ١٤٤ .
- <sup>41</sup> ) وهو أحد ملوك الفرنجة الذي افتتح مدينة أربونة Narbonne من المسلمين . المقرئ ، نفع الطيب ، ٢٧٤/١ .
- <sup>42</sup> ) مدينة بالأندلس من عمل حيان . الحميري ، صفة ، ١٦٥ .
- <sup>43</sup> ) وهي مدينة بالأندلس بين القبلة والغرب من قرطبة . الحميري ، صفة ، ١٤ .
- <sup>44</sup> ) ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦ م ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٠٠-١٠١ .
- <sup>45</sup> ) يحيى بن يحيى الليثي من أهل قرطبة له رحلة إلى المشرق وسمع من مالك بن أنس الذي لقبه بعامل الأندلس وتوفي سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٤٣١-٤٣٢ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٤٥-٣٤٨ .
- <sup>46</sup> ) ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦ م ، تحقيق محمود علي مكي ، ٩٣-١٠٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧١-٧٠/٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢١١/٢٣-٢١٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٢٥-١٢٦ .
- <sup>47</sup> ) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٨ ؛ وذكر ابن الأثير الرواية ولكن بشكل مختلف في حوادث سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٢ قال ( اجتمع وجوه أهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني ، عم هشام بن حمزة ، وأخذوا له البيعة على أهل البلد ، وعرفوه أن الناس قد ارتضوه كافة ، فاستنظر ليلة ليرى رأيه ، ويستخير الله ، سبحانه وتعالى ، فانصرفوا فحضر عند الحكم ، وأطلعته على الحال ، وأعلمه أنه على بيعته ، فطلب الحكم تصحيح الحال عنده ، فأخذ معه بعض ثقات الحكم ، وأجلسه في قبة في داره ، وأخفى أمره ، وحضر عنده القوم يستعملون منه هل تقلد أمرهم أم لأن فأراهم المخافة على نفسه ، وعظم الخطب عليهم ، وسألهم تعداد أسمائهم ومن معهم ، فذكروا له جميع من معهم من أعيان البلد ، وصاحب الحكم يكتب أسماءهم ؛ فقال لهم محمد بن القاسم : يكون هذا الأمر يوم الجمعة ، إن شاء

## الصراع على السلطة بين أبناء البيت الاموي في الأندلس

الله، في المسجد الجامع ، ومشى إلى الحكم مع صاحبه، فأعلماه جلية الحال، وكان ذلك يوم الخميس، فما أتى عليه الليل حتى حبس الجماعة المذكورين عن آخرهم، ثم أمر بهم، بعد أيام، فصلبوا عند قصره ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً ( الكامل في التاريخ ، ٣٦١/٥ .

<sup>48</sup> ) جمهرة أنساب العرب ، ٩٨ .

<sup>49</sup> ) المقتبس ، المقتبس ، للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/ ٧٩٦-٨٤٦م ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٨٣ .

<sup>50</sup> ) ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/ ٧٩٦-٨٤٦م ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٨٢-١٨٣ .

<sup>51</sup> ) المقتبس ، للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/ ٧٩٦-٨٤٦م ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٨٢ .

<sup>52</sup> ) جمهرة أنساب العرب ، ٩٨ .

<sup>53</sup> ) ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/ ٧٩٦-٨٤٦م ، تحقيق محمود علي مكي ، ٤٠٨-٤٠٩ .

<sup>54</sup> ) وهي إحدى جوارى الأمير عبد الرحمن الأوسط فكانت جميلة فغلبت عليه حتى أنه كان لا يرد لها طلباً ، وقد ولدت له ابنه عبد الله وسعت للتمهيد له في الحكم بعد أبيه بالاتفاق مع فتيان القصر الا إن خطتها فشلت ، ينظر : الدرويش ، أعلام نساء الأندلس، ١٨٤-١٨٦ .

<sup>55</sup> ) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ٩١ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ٢٣٢-٢٦٧ هـ / ٨٤٦-٨٨٠م ، تحقيق محمود علي مكي ، ٨-٩ .

<sup>56</sup> ) ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ٢٣٢-٢٦٧ هـ / ٨٤٦-٨٨٠م ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٩٤-١٩٥ .

<sup>57</sup> ) ينظر تفاصيل ذلك ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ٩١-٩٥ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ٢٣٢-٢٦٧ هـ/ ٨٤٦-٨٨٠م ، تحقيق محمود علي مكي ، ١٠٦-١٢٠ .

<sup>58</sup> ) كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء قبلي قرطبة . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ١٣٤ .

<sup>59</sup> ) عمر بن حفصون كان من المولدين ثار بالأندلس بإقليم رية سنة ٢٦٧هـ / ٨٨٠م واستمرت ثورته حتى عهد الناصر إذ تمكن من القضاء عليه ، وكانت وفاته سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م . ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م ، تحقيق العربي ، ٧٢-٧٧ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب، ٢/ ١٠٤ وما بعدها ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ٣٢/٢ - ٣٥ .

<sup>60</sup> ) تاريخ افتتاح الأندلس، ١١٣-١١٤ ؛ ينظر أيضاً : مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ( تحقيق بويابة )، ١٦٩ .

<sup>61</sup> ) البيان المغرب ، ١١٨/٢ .

- <sup>62</sup> ( رسائل ابن حزم ، ١٠٤/٢ .
- <sup>63</sup> ( أعمال الأعلام ، ٢٧/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م ، تحقيق العربي ، ٦٢ .
- <sup>64</sup> ( حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً . الحميري ، صفة ٣٧ ؛ والميل يساوي ٢ كم ، هنتس ، المكايل والأوزان الإسلامية ، ٩٥ .
- <sup>65</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٥٠/٢ .
- <sup>66</sup> ( العبر ، ١٧٦/٤ .
- <sup>67</sup> ( مدينة كبيرة بالأندلس بينها وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ٣١-٣٢ ؛ والفرسخ يساوي ٦ كم ، هنتس ، المكايل والأوزان الإسلامية ، ٩٤ .
- <sup>68</sup> ( الحلة السيرة ، ٢٦٨-٣٦٧/٢ .
- <sup>69</sup> ( ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م ، تحقيق العربي ، ١٣٣-١٣٧ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢٦٨/٢ .
- <sup>70</sup> ( تاريخ افتتاح الأندلس ، ١١٧ .
- <sup>71</sup> ( العبر ، ١٧٦/٤ ؛ ينظر أيضاً : ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٣٦٧/٢ .
- <sup>72</sup> ( ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٩٠/٢ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ١٢٧/٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٥٠-١٥١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢٧/٢ .
- <sup>73</sup> ( وهي إحدى قواعد بلاد الجلائقة بينها وبين البحر المحيط ستون ميلاً . الحميري ، صفة ، ٩٨ .
- <sup>74</sup> ( ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م ، تحقيق العربي ، ١٥٥-١٦١ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢٦٨-٢٧٠/٢ .
- <sup>75</sup> ( أعمال الإعلام ، ٢٧/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٥٦/٢ .
- <sup>76</sup> ( ينظر عن الأسباب الأخرى التي قدمت الأمير عبد الرحمن الناصر على غيره من أمراء بني أمية : السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ١٥٣-١٥٤ .
- <sup>77</sup> ( مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ٢٠٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٥٧/٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣١/٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٧٦/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٥٣/١ .



## الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس

- <sup>78</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٨١/٢-١٨٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٨٧/٤ .
- <sup>79</sup> ( بنو الحجاج نسبة إلى إبراهيم بن عمر بن حبيب اللخمي ثار في أيام الأمير عبد الله بن محمد واستقل بإشبيلية وتوارث بنوه الحكم فيها حتى قضى على تمردهم الخليفة الناصر . العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ١٠٣-١٠٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣٥/٢-٣٦ .
- <sup>٨٠</sup> ( ابن خلدون ، العبر ، ١٧٨/٤ .
- <sup>81</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢١٧/٢ ، ٢٢٨ ؛ وأورد الرواية أيضاً ابن حيان بشكل مقتضب فذكر أن أباه قتله لأنه سعى عليه ، ينظر : المقتبس ، للحقبة ٣٠٠-٣٣٠ هـ / ٩١٢-٩٤١ م ، تحقيق شالميتا ، ١٨ .
- <sup>82</sup> ( مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ٢٠٤ ؛ ذكر ابن الأبار هذه الرواية أيضاً إلا أنه جعل تاريخها سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ، الحلة السيرة ، ٢٠٧-٢٠٨ .
- <sup>83</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٧٠/٢ .
- <sup>٨٤</sup> ( ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢٠٠/٢ .
- <sup>85</sup> ( ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة ٣٠٠-٣٣٣ هـ / ٩١٢-٩٤١ م ، تحقيق شالميتا ، ١٨ .
- <sup>86</sup> ( أعمال الأعلام ، ٤٢/٢ .
- <sup>87</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٥٣/٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٤٤/٢ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ٢١٦ .
- <sup>88</sup> ( أعمال الأعلام ، ٤٥/٢ .
- <sup>89</sup> ( جعفر بن محمد بن عثمان المصحفي من البربر أديب شاعر استوزره الحكم المستنصر وولي الحجابة لهشام المؤيد توفي سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م . ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٥٦-٦٥ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢٥٧/١-٢٦١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٦٥/٢ وما بعدها .
- <sup>90</sup> ( غالب بن عبد الرحمن مولى الخليفة الناصر واحد القادة المشهورين في حرب الثغور في عصر الخلافة فضلا عن أنه كان شاعرا أديبا قتل في مواجهة له مع ابن أبي عامر سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م . الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٢٣٥ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢٥٧/١-٢٦٨ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ٢٠١/١-٢٠٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٧٨/٢-٢٩٨ .
- <sup>91</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٥٩/٢ .

- <sup>92</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٦١/٢ .
- <sup>93</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٦٠/٢ .
- <sup>94</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٦١/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن خلدون ، العبر ، ١٨٨/٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٩٦/١ .
- 95 ( عبد الملك بن مُنذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم ابن عبد الله بن نُجَيج البلوطي من أهل قُرطُبة؛ يُكْنَى أبا مروان ، سمع من أبيه ومن غيره ، وُوَلِّي خُطَّة الرِّدِّ ، اتهم بالتآمر على الخليفة هشام فَصُلِبَ على باب سُدَّة السَّلْطَان سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢٢٤ .
- <sup>96</sup> ( ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ٢٢٦ ؛ ابن حزم ، طوق الحمامة ، ١١٢-١١٣ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢٧٩/١-٢٨٠ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٣٧/١ .
- <sup>97</sup> ( الحلة السيرة ، ٢١٦/١ .
- <sup>98</sup> ( الحلة السيرة ، ٢١٦/١ .
- <sup>99</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٨٤/٢-٢٨٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ٥٥٠ .
- <sup>100</sup> ( ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢١٨/١-٢٢٠ ؛ التكملة ، ٢٣٥/٢ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ١٠/٢ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ٥٥٢ .
- <sup>101</sup> ( عيسى بن سعيد اليحصبي المعروف بابن القطاع كان بارعا حازما وزير للمنصور ابن أبي عامر وولده المظفر ، وقد تفرد بالسلطة أيام المظفر فكثر حساده وأوغروا صدر عبد الملك عليه فقتله سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م . ابن عذاري ، البيان المُغرب ، ٢٧/٣-٣٤ .
- <sup>102</sup> ( ابن بسام ، الذخيرة ، ١٢٥/١-١٢٩ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ٢٠٦/١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣٠/٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ٦١٩-٦٢٠ .
- <sup>103</sup> ( ابن بشكوال ، الصلة ، ٣٦ ؛ المراكشي ، المعجب ، ٤٠ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ٥٥/١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٤٢/٣ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ، ٣٤٧ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ٦٤٢ ؛ خلف ، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ٧٧ .

## الصراع على السلطة بين أبناء البيت الاموي في الاندلس

- <sup>104</sup> ) يقول ابن عذاري إن عبد الرحمن بن أبي عامر التقى الخليفة هشام المؤيد (( فأطال الخلوة به والتقرب منه حتى استندى نسبه منه بالخوولة إذ كانت أمهما بشكنسييتين فقدرها عبد الرحمن بجعله قرابة سما بها إلى ميراث الخلافة ) البيان المغرب ، ٤٢/٣ .
- <sup>105</sup> ) هي زوجة محمد بن أبي عامر وولدت له ابنه المظفر عبد الملك ولم تشر المصادر إلى نسبها ، ينظر ترجمتها : الدرويش ، أعلام نساء الأندلس ، ١٣٤-١٣٥ .
- <sup>106</sup> ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣٧/٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٠٣/٢ .
- <sup>107</sup> ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٢/٣-٥٣ ، ٦٣ ، ٦٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٠٣/٢-١٠٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ٦٣٤-٦٣٥ ؛ الدرويش ، أعلام نساء الأندلس ، ١٣٦-١٣٧ .
- <sup>108</sup> ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٥/٣-٦٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٠٢/٢-١٠٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ٦٣٢-٦٣٥ .
- <sup>109</sup> ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٣/٣ .
- <sup>110</sup> ) ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٢٨٣-٢٨٤ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٩-٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٠٦/٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٢٧ .
- <sup>111</sup> ) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢٢-٢٣ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ٣٠-٣١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٤/٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٠٨/٢ .
- <sup>112</sup> ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١١٣/٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١١٥/٢ .
- <sup>113</sup> ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١١٣/٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١١٢/٢-١١٤ .
- <sup>114</sup> ) الصلاة ، ٢٦١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١١٦/٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢٠٤/٢ .
- <sup>115</sup> ) خيران العامري من موالى المنصور ابن أبي عامر حكم المرية في أيام الفتنة بين سنة ٤٠٥-٤١٨ هـ / ١٠١٤-١٠٢٧ م . ابن سعيد ، المغرب ، ١٩٤/٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الإعلام ، ١٩٩/٢-٢٠١ .
- <sup>116</sup> ) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٦١٧/٧ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١١٩/٣-١٢٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ٦٥٨-٦٦٠ .

- <sup>17</sup> زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي من زعماء صنهاجة كان في المغرب وحارب إلى جانب الفاطميين ، ولما انتقل الفاطميون إلى مصر ووقع الاختلاف بين رجال صنهاجة جاز زيري بقومه إلى الأندلس فأكرمهم ابن أبي عامر ، وفي أيام الفتنة تغلب على غرناطة . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢١٠/٢ .
- <sup>18</sup> ( ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٥٨/٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٢٥/٣-١٢٧ .
- <sup>19</sup> ( مدينة الأندلس على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية . ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ٢٥٥ .
- <sup>20</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٣٤/٣ ، ١٤٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٢٧/٢-١٢٨ .
- <sup>21</sup> ( ابن بسام ، الذخيرة ، ٤٩/١-٥٠ ؛ ينظر أيضا : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٣٦/٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق ٢ ، ٦٦٤ .
- <sup>22</sup> ( ابن بسام ، الذخيرة ، ٥٠/١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٣٧/٣
- <sup>23</sup> ( ابن بسام ، الذخيرة ، ٥٤/١-٥٥ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٣٨/٣-١٣٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٢٩/٢ - ١٣٠ .
- <sup>24</sup> ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٤١/٣ .
- <sup>25</sup> ( الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢٨ ؛ ابن بسام ، الذخيرة ، ٤٣٦/١ ؛ الضبي ، بغية الملمتس ، ٣٦-٣٧ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ٥٥/١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٤٢/٣-١٤٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٣٠/٢-١٣١ .
- <sup>26</sup> ( الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٤٤/٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٣١/٢-١٣٢ .
- <sup>27</sup> ( ذكر البكري حصن البونت وقال : فيه حجر اليهودي وهو أنفع شيء للحصا ، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٨ ؛ وقال المقرئ : بنت حصن بالأندلس ويقال له أيضا بونت . نفع الطيب ، ٣٧١/٢ ؛ وقال القيسي الدمشقي إن البونت من عمل بلنسية ، توضيح المشتبه ، ٣١٨/١ .
- <sup>28</sup> ( أحد العرب الذين استقلوا بمدينة البونت أيام الفتنة وكان أولهم عبد الله بن قاسم الفهري وبقيت الرئاسة فيها لودنه من بعده . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٩٦/٢-١٩٧ .
- <sup>29</sup> ( الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٤٥/٣-١٤٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٣٣/٢ ،
- <sup>30</sup> ( قال ابن بسام اسمه أمية بن عبد العزيز العراقي من أبناء الناصر ، الذخيرة ، ٥٢٥/٥ .

## الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس

- <sup>131</sup> ) هو سليمان بن هود الجذمي أحد أمراء بني هود في سرقسطة ولاردة كانت وفاته سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٦٧/٢ .
- <sup>132</sup> ) ابن بسام ، الذخيرة ، ٥٢٥-٥٢٩ ؛ المراكشي ، المعجب ، ٥٠-٥١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣/١٥٠-١٥٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ١٣٤-١٣٥ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ( تحقيق بوباية ) ، ٢٤٨-٢٤٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤٣٨/١ .
- <sup>133</sup> ) البيان المغرب ، ٣/١٤٧ .
- <sup>134</sup> ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣/١٥٠-١٥١ ؛ ينظر أيضاً : ابن بسام ، الذخيرة ، ٥٢٩/٥ .
- <sup>135</sup> ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣/١٤٥ ؛ خلف . نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ، ١٢٨ .

### مصادر ومراجع البحث

ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)

١- التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة ، لبنان ، ١٩٩٥م

٢- الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

٣- الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م .

ابن بسام ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)

٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، ط١ ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٩١م .

ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)

٥- الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، عني بنشره وصححه وراجع أصله : السيد عزت العطار الحسيني ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٥٥م .

- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
- ٦- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ط ١، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- ٧- جمهرة أنساب العرب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٨- رسائل ابن حزم، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٩- طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ١٠- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تحقيق صلاح الدين هوارى، ط ١، بيروت ٢٠٠٤م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م)
- ١١- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشرها وصححها وعلق حواشيها إيفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)
- ١٢- المقتبس عن أنباء أهل الأندلس (للحقة ١٨٠-٢٣٢هـ / ٧٩٦-٨٤٦م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، الرياض ٢٠٠٣م.
- ١٣- المقتبس (للحقة ٢٣٢-٢٦٧هـ / ٨٤٦-٨٨٠م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.

- ١٤- المقتبس (للحقة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
- ١٥- المقتبس (للحقة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن خاقان القيسي (ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م )
- ١٦- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مدح أهل الأندلس ، تحقيق مديحة الشرقاوي ، ط٢ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .
- ١٧- الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ .
- ١٨- أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق إ-لوفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
- ١٩- تاريخ ابن خلدون ، المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، ١٩٧١م.
- خلف ، سالم بن عبد الله
- ٢٠- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ، ط١ ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣م
- الدرويش ، جاسم ياسين
- ٢١- أعلام نساء الأندلس ، ط١ ، البصرة ، ٢٠١٠م .
- سالم ، السيد عبد العزيز

٢٢- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، ط٢ ، مكتبة الانجلو مصرية ، ١٩٨٦ م .

السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.

٢٣- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.

ابن سعيد ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي ( في حدود ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

٢٤- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

الضبي ، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)

٢٥- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، ط١ ، بيروت ٢٠٠٥ م .

ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م)

٢٦- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان وإلـيفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م، د ٢ . ٣، تحقيق إـلـيفي بروفنسال، بيروت، د.ت.

العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)

٢٧- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.

عنان، محمد عبد الله.

٢٨- دولة الإسلام في الأندلس، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م.

ابن غالب ، محمد بن أيوب بن غالب (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥ م )



- ٢٩- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ، نشر لطفي عبد الوهاب ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .  
ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ( ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م )
- ٣٠- تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م .  
ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر ( ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م )
- ٣١- تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، ١٩٥٧ م .  
القيسي الدمشقي ، محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ( ٨٤٢ هـ / ٤٣٨ م )
- ٣٢- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣ م .  
مجهول، مؤلف(ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
- ٣٣- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧ م.
- مؤلف مجهول ( ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي )
- ٣٤- الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨١ م .  
مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥ هـ / ٤٨٩ م).
- ٣٥ - تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧ م.
- المراكشي ، عبد الواحد بن علي ( ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م )

- ٣٦- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط١ ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية صيدا- بيروت ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م .
- المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ( ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م )
- ٣٧- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧م . مؤنس، حسين .
- ٣٨- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٩٢- ١٣٨هـ / ٧١٠-٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م .
- النويري ، أحمد بن عبد الوهاب ( ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م )
- ٣٩- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ هنتس ، فالتر
- ٤٠- المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، عمان ، ١٩٧٠م .
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي ( ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م )
- ٤١- الأندلس من معجم البلدان ، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش ، ط١ ، البصرة ٢٠١٢م .



## محور الدراسات المتفرقة





## مدى إعمال القواعد ذات التطبيق الضروي في عقود التجارة الدولية

(( دراسة تحليلية مقارنة ))

د. علاء حسين علي شبع

### مقدمة

من المسلم به فقها وتشريعا وقضاء هو خضوع عقود التجارة الدولية للقانون الذي تختاره ارادة المتعاقدين ، فان لم تتصد الارادة لهذا الاختيار تعين اسناد العقد لقانون الدولة الاوثق صلة به وفقا لما تشير اليه ضوابط الاسناد الاحتياطية في قانون القاضي .

وقد نبهت اراء الفقه المقارن منذ القديم من خطورة تخويل المتعاقدين حرية اختيار قانون العقد على هذا النحو ،لما قد يؤدي اليه ذلك من فتح الطريق امامهم للإفلات من الاحكام الامرة في القوانين التي ترتبط بالعلاقة العقدية الدولية ، وهو ما دعى الفقه الحديث الى البحث عن نوع من التوازن المقبول و المعقول بين حق الارادة في اختيار القانون الواجب التطبيق من ناحية والاحترام المتطلب للنصوص الامرة التي تحكم العقد ذي الصفة الدولية من ناحية اخرى .

وتحقيقا لهذا التوازن اتجه الفقه في بدايات هذا القرن الى حصر دور الارادة ازاء عقود التجارة الدولية في مجال المسائل المكملة اسوة بدورها المماثل في نطاق العقود الداخلية ، ووفقا لذلك يظل العقد خاضعا للقواعد الامرة في القانون الذي يحكمه ،والذي يحدده المشرع بصفة مسبقة ، مع تخويل المتعاقدين الحق في اختيار قانون اخر في صدد المسائل التي اكتفى المشرع بتنظيمها بقواعد مكملة او مفسرة .

وعلى هذا الاساس انزل الفقه القديم القانون المختار منزلة الشروط العقدية التي لا يجوز لها ان تخالف الاحكام الامرة في القانون الذي تخضع له الرابطة العقدية والذي لا دخل للإرادة

في هذا الصدد الى حد منحهم حق الاختيار  
التنازعي لقانون منبت الصلة بالرابطة العقدية  
الدولية .

ولم يكمن من المتصور ان يترك هذا الاتجاه  
للمتعاقدين هذه الحرية الواسعة التي تمكنهم من  
الافلات من القواعد الامرة في قوانين الدول  
الاخري المرتبطة بالعقد الدولي دون أي قيد ،  
ولهذا فقد حرصت الاتفاقيات الدولية ، كما سنرى  
، على تخويل القاضي حق تقييد هذه الحرية من  
خلال سلطته في التطبيق المباشر لبعض القواعد  
الامرة في قوانين الدول المرتبطة بالعلاقة العقدية  
ذي الصفة الدولية .

وليس معنى ما تقدم ان يخضع العقد على هذا  
النحو لكافة القواعد الامرة في قوانين الدول  
المرتبطة بالعقد التجاري الدولي ، وانما فرق الفقه  
في هذا الصدد بين القواعد الامرة وفقا للمعنى  
المراد من هذا الاصطلاح في القانون الداخلي  
وبين القواعد التي تسهم بهذه الصفة على الصعيد  
التجاري الدولي ، أي القواعد " الامرة دوليا "

في تحديده ، وهو ما ينفي عن اختيار المتعاقدين  
لقانون اخر صفته التنازعية ليصبح مجرد اختيار  
مادي بحت .

على ان تطور الفكر القانوني اللاحق قد ادى الى  
تحويل المتعاقدين حرية الاختيار التنازعي لقانون  
العقد ، بما يترتب على ذلك من خضوع الرابطة  
العقدية الدولية للأحكام الامرة في القانون المختار  
بوصفه القانون الواجب التطبيق على هذه الرابطة  
وفقا لمنهج التنازع .

وإذا كان الراي الغالب في الفقه القانوني قد  
انتصر للاتجاه الذي اشترط في القانون المختار  
ان يكون على صلة بالعقد الدولي، على اساس  
ان المشرع قد منح للإرادة حرية الاختيار مقيدة  
بحدود وظيفتها في الاسناد ، وهي حل مشكلة  
تنازع القوانين ، وحتى لا تؤدي هذه الحرية الى  
تحويل المتعاقدين فرصة التحايل والغش نحو  
القانون ، فقد ظهر اتجاه وضعي قوي اكدته  
الاتفاقيات الدولية الحديثة ، مثل اتفاقية روما  
لسنة ١٩٨٠ ، يميل الى اطلاق حرية المتعاقدين

ولما كان تدخل الدولة بهدف التوجيه الاجتماعي والاقتصادي قد بلغ هذا القدر من الأهمية في مجال القانون الداخلي ، فإن هذا التدخل كانت له آثاره الحتمية على صعيد القانون الدولي الخاص باعتباره قانون العلاقات الخاصة الدولية ، حيث ارتبط ما يسمى بالقواعد ذات التطبيق الضروري ببروز مبدأ تدخل الدولة في مجال الحياة الاجتماعية والاقتصادية للأفراد .

وآثار هذا التدخل التشريعي في القواعد لم تقتصر في مجال القانون الدولي الخاص على وضع حلول خاصة للتنازع تستجيب إلى طبيعة هذه القواعد الأمرة فحسب ، بل اقتضى أيضا أعمالها على نحو مباشر حتى ولو كانت العلاقة العقدية الدولية تخضع لقانون آخر وفقا لمنهج التنازع التقليدي ، وذلك تحقيقا للأهداف التي تسعى إليها هذه القواعد ذات التطبيق الضروري .<sup>٢</sup>

وإذا ما تحدد لنا معنى القواعد ذات التطبيق الضروري ، فعلى أن نتصدى بعد ذلك للمعيار الواجب الاتباع من بين المعايير المختلفة التي

والتي يجري الفقه الحديث على تسميتها " بالقواعد ذات التطبيق الضروري " .

## المبحث الأول

### معنى القواعد ذات التطبيق الضروري ومعايير

#### تحديدها

مع بزوغ نجم الفكر الاشتراكي في مطلع هذا القرن ، على الظلام الطويل لمبدأ سلطان الإرادة ، بدأ يبرز مبدأ تدخل الدولة حتى في المجتمعات الرأسمالية في مجال النشاط الاجتماعي والاقتصادي ، للحد من حقوق وحرقات الأفراد بالقدر اللازم لإدراك المصلحة العامة وحماية الطرف الضعيف والقضاء على آثار المذهب الفردي الذي علا شأنه خلال القرنين الماضيين وتضاءلت في ظل مظاهر تدخل الدولة وانكماش في رحابه دور القاعدة القانونية ، التي اكتفت بالسهر على إطلاق حرية الفرد في استعماله لحقوقه والذود عنها ضد أي عدوان قد يقع عليها<sup>١</sup>.

التشريعات الحديثة للمتعاقدين حرية واسعة في هذا الاختيار ، وهو الامر الذي دفع هذه التشريعات ذاتها الى اقرار حق القاضي في الاعمال المباشر لقواعد فورية التنفيذ ، ولو لم تكن منتمية الى القانون الذي تشير قواعد التنازع باختصاصه لحكم الرابطة العقدية ذات الطبيعة الدولية<sup>٣</sup> .

وعلى هذا النحو ارتبطت القواعد ذات التطبيق الضروري بالمنهج الاحادي في تنازع القوانين لتعبر بهذه الصورة عن عودة جديدة لهذا المنهج القديم الذي كان الفقه قد هجره بعد تلقفه تعاليم المدرسة السافينية المزدوجة .

وهكذا تعددت المناهج في القانون الدولي الخاص المعاصر ، فإلى جانب منهج التنازع المزوج وجدت القواعد ذات التطبيق الضروري باعتبارها من القواعد ذات الطابع الاحادي لتتعايش مع قواعد الاسناد وتنافسها ، بل ولعلها المنافس الوحيد لهذه القواعد وفقا لما يراه جانب من الفقهاء<sup>٤</sup> .

تمسك بها الفقه وصولا الى تحديد طبيعة تلك القواعد ذي الطبيعة الامرة . وهذا ما سنتلوه في المطلب الثاني من هذا المبحث والذي خصصناه لمعايير تحديد القواعد ذات التطبيق الضروري .

وسوف نعرض لمعنى القواعد ذات التطبيق الضروري على هذا النحو في المطلب الاول من هذا المبحث .

### المطلب الاول

#### معنى القواعد ذات التطبيق الضروري

لاشك ان ادراك القواعد ذات التطبيق الضروري لمقاصدها المتوخاة، بوصفها قواعد تتضمن قيودا على حرية الافراد في ابرام عقود التجارة الدولية وتنفيذها ، يقتضي اعمالها على كافة الروابط العقدية التي تدخل في اطار سريانها بصرف النظر عن القانون الذي يحكم العقد بمقتضى منهج تنازع القوانين . بل لعل قدرة الارادة على الاختيار التنازعي لقانون العقد والذي قد يمكنها من الافلات من الاحكام الامرة التي تتضمنها قواعد خاصة بعد ان خولت بعض



الفرع الاول : تمييز القواعد ذات التطبيق

الضروري من قواعد الاسناد الاحادية

الفرع الثاني : تمييز القواعد ذات التطبيق

الضروري من قواعد الاسناد ذات الغاية المادية

الفرع الثالث : تمييز القواعد ذات التطبيق

الضروري من القواعد ذات التطبيق المباشر

### الفرع الاول

تمييز القواعد ذات التطبيق الضروري من قواعد

الاسناد الاحادية

ان قواعد الاسناد الاحادية أو المفردة

الجانب هي تلك القواعد التي تكتفي ببيان حالات

اختصاص قانون القاضي دون أن تشير الى

الحالات التي ينعقد فيها الاختصاص لقانون

أجنبي. وهذا ما يفرق قواعد الاسناد الاحادية عن

قواعد الاسناد المزدوجة التي تلقاها الفقه

المعاصر عن سافيني، والتي تتضمن معيارا

محايدا للإسناد قد يؤدي الى تطبيق قانون

القاضي أو الى تطبيق قانون أجنبي.

وإذا كانت القواعد ذات التطبيق الضروري تعبر

على هذا النحو عما يسمى بالأحادية الجزئية

التي تختلف عن الاحادية العامة التي سادت في

القديم ، فان هذه القواعد تختلف ايضا عن كل

من القواعد الاسناد المفردة الجانب من ناحية

وقواعد الاسناد ذات الغاية المادية من ناحية

اخرى .

بل ان القواعد ذات التطبيق الضروري قد تختلف

كذلك عما يسميه الفقه بالقواعد ذات التطبيق

المباشر . وتبدو اهمية هذه التفرقة بصفة خاصة

عند تصدي القاضي لأعمال القواعد الاجنبية

التي لا تنتمي للقانون المختص بمقتضى منهج

التنازع. اذ ان القواعد ذات التطبيق الضروري

دون غيرها من القواعد ذات التطبيق المباشر

،هي التي تملك القدرة على جلب الاختصاص

للنظام القانوني الذي تنتمي اليه ، نتيجة للصلة

العقلانية التي تربط مضمونها واهدافها بنطاق

سريانها .<sup>٥</sup>

وبناء على ما قدمناه تنقسم الدراسة في هذا

المطلب الى :

الفرنسية. وعلى هذا النحو تخضع العقود الدولية لنقل البضائع بحرا للقانون الفرنسي اذا كانت ميناء الشحن أو ميناء التفريغ كائنة في فرنسا.<sup>٦</sup>

والوضع يختلف بالنسبة لقواعد ذات التطبيق الضروري والتي تجلب الاختصاص للنظام القانوني الذي تنتمي اليه وفقا للرأي الراجح، سواء كان هذا النظام هو نظام القاضي المطروح عليه النزاع أو نظام أجنبي اخر. فسنرى فيما بعد أن للقاضي اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري ولو لم تكن تنتمي الى قانونه، أي ولو كانت منتمية الى نظام قانوني أجنبي، وهو ما أكدته بالفعل معاهدة روما لعام ١٩٨٠ والتي أصبحت نافذة في معظم الدول الاوربية بوصفها قانونا وضعيا.<sup>٧</sup>

ومثل هذا المسلك هو خير رد على الانتقادات الموجعة التي وجهها جانب من الفقهاء الى القواعد ذات التطبيق الضروري بكونها هجمة وطنية أو حكومية من شأنها لو عممت أن تقضي الى دمار القانون الدولي الخاص. فهي

وتعد قواعد الاسناد الاحادية من القواعد غير المباشرة أسوة بقواعد الاسناد المزدوجة، أي انها لا تتضمن حلا ماديا للنزاع المطروح، وانما هي تكتفي فقط بالإشارة الى القانون الواجب التطبيق على هذا النزاع دون حسمه.

ومن جهة أخرى فان قواعد الاسناد الاحادية، مثلها في ذلك مثل قواعد التنازع المزدوجة الجانب، تشير باختصاص نظام قانوني معين، دون أن يكون من مهمتها تحديد القاعدة المادية الواجب التطبيق داخل هذا النظام، باعتبار أن المرجع في هذا التحديد هو النظام القانوني الذي أشارت قاعدة التنازع باختصاصه.

ويتضمن القانون الفرنسي مثالا فريدا لقواعد الاسناد الاحادية في مجال عقود التجارة الدولية، وهو ما يعنينا بصفة خاصة في اطار هذه الدراسة. اذ تنص المادة (١/١٦) من القانون الفرنسي الصادر في ١٨ حزيران لعام ١٩٦٦ في شأن عقود النقل البحري، على تطبيق أحكام هذا القانون فيما لو تم النقل من والى الموانئ

اليه القواعد ذات التطبيق الضروري على حساب القانون الاجنبي المختص بمقتضى قواعد الاسناد المزوجة في حدود المسألة التي تحكمها هذه القاعدة. وعلى هذا الاساس يظل القانون الذي تشير اليه قواعد الاسناد المزوجة مختصا بحكم كافة أوجه النزاع التي تثيرها العلاقة التجارية الدولية.<sup>١٠</sup>

ولعل هذا ما يدعو كبار الفقهاء في القانون الدولي الخاص الى رفض ما انتهى اليه بعض الفقهاء الذين خلطوا بين قواعد الاسناد الاحادية والقواعد ذات التطبيق الضروري ، فاعتبروا على سبيل المثال، أن القاعدة التي تتضمنها المادة (١/٦) من القانون الفرنسي الخاصة بعقود النقل البحري والسابق الاشارة اليها تعد من القواعد ذات التطبيق الضروري،<sup>١١</sup> فمثل هذا القول يناهض مفهوم القواعد ذات التطبيق الضروري بوصفها قواعد مادية تتسم بالصلة العقلانية بين مضمونها ونطاق تطبيقها. والامر على خلاف ذلك فيما نحن بصده حيث تعد القاعدة التي تنطوي عليها المادة (١/٦) سالفه الذكر مجرد قاعدة تنازع

تعبير عن "المفاهيم الانغلاقية ونزعات التطرف الوطني"<sup>٨</sup>. فلا شك أن هذا النقد، والذي يمكن توجيهه الى قواعد الاسناد الاحادية، لا يصدق في شأن القواعد ذات التطبيق الضروري ، الا اذا اقتصر اعمالها على ما كان من القواعد منتميا الى قانون القاضي دون تلك التي تنتمي الى نظام قانون اجنبي.<sup>٩</sup>

ومن جهة أخرى، وحتى بالنسبة للقواعد ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لقانون القاضي، فان اعمال هذه القواعد لا يستبعد تماما تطبيق القانون الاجنبي المختص بمقتضى قواعد الاسناد المزوجة، وانما هو يؤدي فقط الى استبعاد القاعدة الموضوعية في هذا القانون التي تتعارض مع القاعدة ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق. فإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري لا يقصي جانبا قواعد التنازع المزوجة لصالح قانون القاضي الذي يصبح اختصاصه طبيعيا كما هو الشأن عند اعمال قواعد الاسناد الاحادية، وانما هو يؤدي فقط الى جلب اختصاص استثنائي للنظام القانوني الذي تنتمي

لو تطلبت ذلك الاعتبارات المتعلقة بمضمون القواعد ذات التطبيق الضروري أو الاهداف التي تسعى الى ادراكها.

ونخلص مما قدمناه الى أن اختصاص القواعد ذات التطبيق الضروري يرتبط بمفهومها وأهدافها، وذلك بصرف النظر عن انتماء هذه القواعد الى قانون القاضي أو الى قانون اجنبي. والوضع يختلف بالنسبة لاختصاص قانون القاضي بمقتضى قواعد الاسناد الاحادية والذي يتوقف على محض ارادة المشرع الصريحة دون أن يكون ثمة ارتباط بالضرورة بين مضمون هذا القانون ونطاق تطبيقه .

### الفرع الثاني

تميز القواعد ذات التطبيق الضروري من قواعد الاسناد ذات الغاية المادية

على نقيض القواعد ذات التطبيق الضروري، وهي كما انتهينا اليها قواعد مادية تجلب الاختصاص للنظام القانوني الذي تنتمي اليه على نحو مباشر، أي بناء على ارادتها في

أحادية وغير مباشرة تتضمن معايير لتحديد نطاق تطبيق القانون الفرنسي في شأن عقود النقل الدولي البحري، وهي معايير تشير باختصاص هذا القانون اختصاصا مطلقا فيما لو تم النقل من وإلى الموانئ الفرنسية ، بصرف النظر عن مضمون القاعدة الموضوعية التي تكون محلا للتطبيق على النزاع من بين مجموع القواعد المادية التي يتضمنها التشريع الفرنسي في شأن النقل البحري وما اذا كانت تعد من القواعد ذات التطبيق الضروري من عدمه.<sup>١٢</sup>

وهكذا يبدو الفارق الاساسي بين قواعد الاسناد الاحادية والقواعد ذات التطبيق الضروري. فقواعد الاسناد الاحادية تؤدي الى اختصاص النظام القانوني الوطني بحكم العلاقة العقدية الدولية مع اقضاء أي احتمال لتطبيق قانون أجنبي في شأنها. أما القواعد ذات التطبيق الضروري فهي لا تستبعد قواعد الاسناد المزدوجة والتي قد تؤدي الى اختصاص قانون أجنبي بالعلاقة العقدية الدولية المطروحة، وانما هي قد تحل فقط محل احدي القواعد المماثلة في القانون المختص فيما

وعلى هذا الاساس فقد تكون ضوابط الاسناد التي تتضمنها قاعدة التنازع ذات الطابع الاختياري كما هو الشأن بالنسبة لقاعدة اسناد شكل العقود ، وحيث يخضع شكل التصرف لقانون بلد ابرامه أو للقانون الذي يحكم الموضوع

وبناء على ذلك يكفي أن يكون العقد الدولي صحيحا من حيث الشكل وفقا لقانون بلد الابرام ولو كان باطلا عملا بأحكام قانون الموضوع أو العكس. وبذلك يكتفي المشرع بصحة العقد من حيث الشكل وفقا لأي من القوانين التي تشير باختصاصها ضوابط الاسناد التي تتضمنها قاعدة التنازع ولو كان باطلا عملا بأحكام قانون الموضوع أو العكس.

ومن أمثلة قواعد التنازع المتضمنة لضوابط اسناد ذات طابع تخييري ، هي المادة (٣٢) من القانون الدولي الخاص المجري التي تخضع المسؤولية التقصيرية لقانون محل وقوع الخطأ أو قانون محل تحقق الضرر، أيهما أصلح للمضرور، وهو مثال واضح يؤكد أن مضمون القانون المختص

الانطباق ودون حاجة الى اعمال منهج التنازع، فان قواعد الاسناد ذات الغاية المادية تعد من قواعد التنازع غير المباشر ذات الطابع المزدوج.<sup>١٣</sup>

كل ما في الامر انه اذا كانت قواعد التنازع المزدوجة تنسم بحسب الاصل بطابعها المحايد الذي لا يعر اهتماما الى مضمون القانون الذي تشير باختصاصه، فان قواعد الاسناد ذات الغاية المادية قد تخطت هذا الطابع ، لكونها تسعى الى تقرير اختصاص النظام القانوني الذي يؤدي تطبيقه الى نتائج تتحقق الاهداف التي تسعى هذه القواعد الى ادراكها<sup>١٤</sup>. وعلى هذا الاساس تهدف قواعد الاسناد ذات الغاية المادية والتي يلجأ المشرع الى تقريرها من خلال وسائل فنية متنوعة تقوم في الغالب على تعدد ضوابط الاسناد التي تتضمنها القاعدة على نحو يربط الفكرة المسندة بأكثر من قانون وصولا الى تطبيق أكثر هذه القوانين تحقيقا لحكمة الاسناد، أي أكثرها ادراكا للأهداف الاجتماعية والاقتصادية التي تسعى اليها قاعدة التنازع.<sup>١٥</sup>

ما يكشف عن الصفة العقلانية بين تحديد هذا النطاق والاهداف المادية التي تسعى اليها القواعد المذكورة ،فإنها تقترب بدورها من قواعد الاسناد ذات الغاية المادية والتي ترتبط بين تحديد القانون الواجب التطبيق بمقتضاها وبين مضمون هذا القانون ونتائج تطبيقه.<sup>١٧</sup>

ومع ذلك يبقى بين هذه الاخيرة والقواعد ذات التطبيق الضروري عدة فروق رئيسية. أولها ان القواعد ذات التطبيق الضروري تنطبق على المسائل التي تدخل في نظام تطبيقها دون اهتمام بالمراكز التي تخرج عن هذا النطاق، وعلى خلاف قواعد الاسناد ذات الغاية المادية والتي تتصدى عادة أسوة بغيرها من قواعد التنازع، لتحديد القانون الواجب التطبيق على كافة جوانب العلاقة الدولية محل الاسناد.

على أن أهم ما يفرق قواعد الاسناد ذات الغاية المادية عن القواعد ذات التطبيق الضروري ، هو أن هذه الاخيرة تعد من القواعد المباشرة التي لا يحتاج اعمالها على العلاقات الخاصة

ونتيجة تطبيقه على النزاع ليست بعيدة عن اهتمامات قاعدة التنازع وغاياتها والتي تسعى في هذا الفرض الى تحقيق عدالة مادية وهي في نظر المشرع حماية المضرور.<sup>١٦</sup>

وعلى العكس فقد يسعى المشرع أحيانا الى حماية المسؤول، من ذلك ما نصت عليه المواد ٤،٥،٦ من الاتفاقية الاوربية لعام ١٩٧٣ في شأن القانون الواجب التطبيق على الالتزام بالنفقة والتي تقضي بخضوع هذا الالتزام لقانون الدولة التي يوجد بها محل الإقامة المعتاد للدائن بالنفقة، فان لم يستطع هذا الأخير الحصول عليها وفقا للقانون المذكور تعين الرجوع الى قانون الجنسية المشتركة لكل من الدائن والمدين والا فقانون السلطة المختصة (قانون القاضي الذي طرح أمامه النزاع على سبيل المثال).

واذ تعد القواعد ذات التطبيق الضروري من القواعد المادية في القانون الداخلي التي تجلب الاختصاص للنظام القانوني الذي تنتمي اليه من خلال الرابط بين مضمونها ونطاق تطبيقها وهو

ومن هنا كانت أهمية التفرقة بين القواعد ذات التطبيق الضروي من ناحية والقواعد ذات التطبيق المباشر من ناحية أخرى .

### الفرع الثالث

تميز القواعد ذات التطبيق الضروي من القواعد ذات التطبيق المباشر

ان كان الاصل العام ان يطبق القاضي على العلاقات العقدية ذات الطابع الدولي القانون الذي تشير قواعد التنازع باختصاصه، فان ثمة قواعد مادية يتعين عليه مع ذلك تطبيقها تطبيقا مباشرا دون حاجة لإعمال منهج التنازع. فهي قواعد تقييد على هذا النحو من مجال الاعمال الطبيعي للقانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد، والذي يقتصر تطبيقه على غير المسائل التي تدخل في نطاق سريان القواعد ذات التطبيق المباشر.<sup>١٩</sup>

وأن من بين القواعد التي يتم اعمالها على نحو مباشر ما يسمى بقواعد القانون الدولي الخاص المادية التي تنتمي لقانون القاضي، وهي قواعد صنعت خصيصا لتنظيم العلاقات الخاصة

الدولية الى منهج التنازع. أما قواعد الاسناد المادية فهي قواعد غير مباشرة تكتفي بالإشارة الى النظام القانوني المختص. وعلى هذا الاساس لا يصل المشرع الى أهدافه بمقتضاها الا من خلال منهج التنازع غير المباشر مخاطرا بذلك باحتمالات تعذر ادراكه لهذه الاهداف.<sup>١٨</sup>

واذ تعتبر القواعد ذات التطبيق الضروي من القواعد المادية التي تحتاج اعمالها الى منهج التنازع، مما يعني أن تطبيقها لا يتم من خلال قواعد الاسناد، وسواء اتسمت هذه القواعد بطابعها المحايد أو كانت من قواعد الاسناد ذات الغاية المادية، فان القواعد ذات التطبيق الضروي تعد وفقا لهذه الصفة من القواعد ذات التطبيق المباشر.

مع الجدير بالذكر انه اذا كانت القواعد ذات التطبيق الضروي تعد من القواعد ذات التطبيق المباشر على هذا النحو فان العكس غير صحيح. اذ لا تعد كافة القواعد ذات التطبيق المباشر من القواعد ذات التطبيق الضروي .

يصعب مع ذلك وصفها بأنها من القواعد ذات التطبيق الضروري .

فان كان القاضي ملزما بإعمال كافة القواعد ذات التطبيق المباشر في قانونه، بما في ذلك بطبيعة الحال تلك التي تعد من القواعد ذات التطبيق الضروري ، وفقا للرأي الذي انتهينا اليه، وذلك اذعانا لأوامر مشرعه، فليس هنا ما يدعوه- على العكس- الى احترام كافة القواعد المباشرة في قانون اجنبي غير مختص بمقتضى قواعد التنازع. وانما يكون من حقه، بل من واجبه في بعض الاحيان، أن يحترم جانبا من هذه القواعد الاجنبية المباشرة، وهي تلك التي يمكن اعتبارها من القواعد ذات التطبيق الضروري التي يكشف مضمونها وأهدافها عن نطاق سريانها المكاني.<sup>٢٢</sup>

ولهذا فانه رغم التزام القاضي الفرنسي بالإعمال المباشر لقانونه الخاص بالنقل البحري مادام ان النقل قد تم من والى الموانئ الفرنسية، فهو غير ملزم بإعمال قانون اجنبي حدد مشرعه نطاق

الدولية، وسواء كان مصدرها داخلي مثل التشريع أو القضاء أو كانت مصدر دولي مثل بعض المعاهدات الدولية النافذة في دولة القاضي.<sup>٢٠</sup>

بل أن هناك قواعد تنتمي لقانون القاضي ووضعت في الاصل لتنظيم العلاقات الداخلية ولكن صفتها الأمرة قد بلغت حدا يقتضي امتداد تطبيقها أيضا على الروابط الخاصة الدولية. وهذه القواعد الأخيرة هي التي اصطلح على تسميتها بصفة خاصة بالقواعد ذات التطبيق المباشر لكونها تحدد بذاتها مجال سريانها المكاني دون حاجة لإعمال منهج التنازع. فهي قواعد يتم اعمالها المباشر على العلاقة الدولية المطروحة بناء على ارادة مشرعهما، وهي ارادة تكون صريحة وتكون ضمنية يستخلصها القاضي من مضمون القاعدة واهدافها.<sup>٢١</sup>

واذا كانت القواعد ذات التطبيق الضروري تعد بلا شبهة من القواعد ذات التطبيق المباشر وفقا لهذا المعنى، فان العكس كما بينا غير صحيح . اذ توجد بين القواعد ذات التطبيق المباشر قواعد



عقلانية بين هذه الإرادة وبين مضمون القاعدة والهدف الذي تسعى اليه، فليس هنالك ما يدعو على العكس الى احترام قاعدة أجنبية تخلف في شأنها هذا الشرط الاخير، لأنها بذلك لا تعد من القواعد ذات التطبيق الضروري، وانما هي تعد مجرد قاعدة أجنبية ذات تطبيق مباشر.<sup>٢٣</sup>

ومن الجدير بالإشارة الى ان ارادة الانطباق لا تكفي في ذاتها لاحترام القواعد الاجنبية بعد أن رفض الفقه الحديث النظرية الاحادية التقليدية لتنازع القوانين مفضلا الاخذ بها في مجال جزئي ومحدد هو مجال قواعد القانون العام والقواعد ذات التطبيق الضروري. وهكذا تقتصر اهمية التفرقة بين القواعد ذات التطبيق الضروري وغيرها من القواعد ذات التطبيق المباشر على الفروض التي تنتمي فيها هذه القواعد لقانون اجنبي غير مختص بمقتضى قواعد التنازع في دولة القاضي.

وإذا كانت القواعد ذات التطبيق الضروري دون غيرها من القواعد ذات التطبيق المباشر تتميز بتلك الصلة العقلانية بين مضمونها وأهدافها من

حكم تطبيقه على نحو مماثل مادامت قواعد التنازع لم تشر باختصاصه لحكم عقد النقل البحري المطروح أمامه. بل وقد وضعت الإشارة الى أن اعتبار المادة (١/١٦) من القانون الفرنسي المذكور من قواعد الاسناد الاحادية لا يعني امكان تفسيرها تفسيراً مزدوجاً. فمثل هذا النص الفرنسي يتعذر اعماله على نحو مزدوج.

وعلى هذا النحو يبدو الفارق الاساسي في تقديرنا بين القواعد ذات التطبيق الضروري من ناحية والقواعد ذات التطبيق المباشر من ناحية أخرى. فان كان يكفي للتطبيق المباشر لكل من هذين النوعين من القواعد ان تكون منتمية الى قانون القاضي المطروح عليه النزاع والى القانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد في دولة القاضي، فان الامر يختلف فيما لو كانت من القواعد الاجنبية التي لا تنتمي للقانون الذي تشير قواعد التنازع باختصاصه.

فبينما يجوز للقاضي ان يطبق القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية في هذا الفرض احتراماً لإرادتها في الانطباق وما دامت ثمة صلة

بصرف النظر عن القانون المختص بحكم الرابطة العقدية بمقتضى منهج التنازع.<sup>٢٦</sup>

فمضمون هذه القواعد التي وضعها المشرع لكفالة حرية المنافسة يؤدي الى ضرورة اعمالها على نحو مباشر في شأن كافة العقود التي تتضمن شروطا مقيدة للمنافسة والتي يجري تنفيذها في اقليم هذه الدولة، وهو ما يفضي الى ابطال هذه الشروط رغم ان القانون الذي اختارته ارادة المتعاقدين والمختص بمقتضى قواعد الاسناد لا يتضمن حكما مماثلا. وعلى هذا النحو ينطبق قانون العقد على كافة جوانبه الموضوعية عدا ما كان منها داخلا في نطاق تطبيق القاعدة ذات التطبيق الضروري المقررة في قانون دولة التنفيذ، وهو ما يفضي الى عدم مشروعية الشرط

التعاقدى لحرية المنافسة في هذه الدولة.<sup>٢٧</sup>

ولاشك ان هذا الارتباط العقلاني بين مضمون واهداف القواعد ذات التطبيق الضروري التي تكفل حرية المنافسة وبين نطاق تطبيقها والذي يمتد ليشمل كافة التعاقدات التي يجري تنفيذها

ناحية ومجال تطبيقها من ناحية أخرى، فقد ذهب البعض بناء على ذلك الى اعتبار كافة القواعد التي يضعها المشرع لحماية الطرف الضعيف في العقد، مثل العامل في عقد العمل أو المستهلك في عقود الاستهلاك، من القواعد ذات التطبيق الضروري.<sup>٢٤</sup>

ولهذا فان خضوع عقد العمل لقانون الارادة في رأي البعض لم يمنع من الزام القاضي مع ذلك باحترام القواعد ذات التطبيق الضروري التي تقرها دولة تنفيذ العمل والتي تفرض أهدافها الاجتماعية ضرورة تطبيقها على كافة علاقات العمل التي يجري تنفيذها داخل اقليم هذه الدولة.<sup>٢٥</sup>

ومن هذه القواعد أيضا ما يقره المشرع من أحكام خاصة بحماية المنافسة بوصفها هدفا أساسيا لحسن الاداء الاقتصادي في المجتمعات الليبرالية، وهو هدف يقضي اعمال هذه القواعد على كافة العقود التي يجري تنفيذها في الاقليم

بمضمونها وأهدافها، وعلى خلاف القواعد ذات التطبيق المباشر والتي تشتمل على القواعد ذات التطبيق الضروري وفقا للمعنى الذي حددناه بالإضافة الى غيرها من القواعد التي حدد مشرعها نطاق سريانها ولو كان التحديد منطويا على توسع غير عادي على حساب نطاق تطبيق القوانين الاجنبية المختصة بمقتضى منهج التنازع.

ومن الجدير بالذكر القول انه لو كان القاضي ملزما بأعمال كافة القواعد ذات التطبيق المباشر في قانونه اذعانا لأوامر مشرعه، فهو لا يتقيد بالقواعد الاجنبية المماثلة التي لا تنتمي للنظام القانوني المختص بمقتضى قواعد الاسناد الا اذا كانت هذه القواعد تعد من القواعد ذات التطبيق الضروري وفقا للمعنى الذي حددناه.

### المطلب الثاني

#### معايير تحديد القواعد ذات التطبيق الضروري

تباينت اراء الفقه القانوني المقارن بصدد المعيار الواجب الاتباع لتحديد القواعد ذات التطبيق

في اقليم الدولة التي يتضمن قانونها هذه القاعدة هو أهم ما يميز القواعد ذات التطبيق الضروري ويمنحها على هذا النحو أساس تطبيقها الضروري ، فمثل هذا التطبيق لا يستجيب فقط الى ارادة القاعدة في الانطباق كما هو شأن كافة القواعد ذات التطبيق المباشر، وانما يقوم ايضا على تلك الصلة العقلانية التي تربطه بمضمون القاعدة وأهدافها.<sup>٢٨</sup>

ولعل هذه التفرقة بين القواعد ذات التطبيق الضروري وبين القواعد ذات التطبيق المباشر هي التي دعنتا بصفة خاصة الى عدم اطلاق هذا الاصطلاح الاخير على القواعد ذات التطبيق الضروري مفضلين في شأنها هذا الاصطلاح الاخير.

وهكذا يتأكد الفارق بين القواعد ذات التطبيق المباشر والقواعد ذات التطبيق الضروري وفقا لمفهوما في هذه الدراسة.

فالمقصود من هذه الاخيرة هو القواعد المباشرة التي يرتبط بمجال سريانها المكاني بصلة عقلانية

تعد القواعد القانونية من القواعد ذات التطبيق الضروري وفقا لانصار هذا المعيار، فيما لو حرص مشرع هذه القاعدة على تحديد نطاق سريانها المكاني على نحو صريح . فهذا المسلك من جانب المشرع يكشف عن ارادته في تطبيق هذه القاعدة على كافة المراكز التي تدخل في اطار سريانها المكاني دون حاجة لإعمال الاسناد المزدوجة ، بل ولو كانت هذه القواعد تقضي الى اختصاص قانون اجنبي في شان المركز المطروح على القاضي .<sup>٢٩</sup>

ويعيب هذا الاتجاه انه علق اكتساب القاعدة القانونية لوصف القواعد ذات التطبيق الضروري على الارادة المعلنة للمشرع في تحديد نطاق تطبيقها ، في حين انه من غير المجزوم به ان هذا هو مقصد المشرع من هذا التحديد .<sup>٣٠</sup>

ويكفي للتدليل على سلامة هذا النقد ان المعيار السابق سيؤدي اعماله في فرنسا الى تصوير المادة الثالثة من القانون الفرنسي على انها من القواعد ذات التطبيق الضروري لمجرد ان المشرع

الضروري ، وهو المعيار الذي يكشف عن الاسباب التي من اجلها تفرض هذه القوانين تطبيقها على العلاقات التجارية الدولية دون الحاجة في المرور بمنهج تنازع القوانين .

ونعرض فيما يلي لاهم المعايير التي قيل بها في هذا الصدد ، فننتدى للمعايير الفنية مثل معيار الاقليمية ومعيار النظام العام ، ثم للمعايير الغائية مثل معيار مصلحة الدولة ومعيار التنظيم ، لنختتم الدراسة في هذا المطلب بالمعيار العقلاني الذي يعد الراجح في اختياره كأساس لتحديد وكشف القواعد ذات التطبيق الضروري .

على انه وقبل التعرض لكافة هذه المعايير يحسن ان نقف في البداية عند المعيار الذي يتخذ من مجرد ارادة المشرع الصريحة في تحديد نطاق سريان القاعدة القانونية اساسا لاعتبارها من القواعد ذات التطبيق الضروري ، و هو ما اصطلح عليه بالمعيار الشكلي .

## الفرع الاول

### المعيار الشكلي

التطبيق الضروري لا يترتب فقط على تحديد  
المشعر صراحة لنطاق تطبيقها ، وانما ايضا  
حرصه على منح هذه القاعدة مجالا واسعا  
للانطباق يزيد على ذلك المترتب على اعمال  
قواعد تنازع القوانين .

ويضرب البعض مثالا لهذا الوضع بالمادة  
(١٨٥) من القانون الايطالي الصادر في ٢٢  
نيسان من عام ١٩٤١ في شان حق المؤلف  
والتي تنص على تطبيق القانون الايطالي على  
كافة الاعمال الخاصة بمؤلفين ايطاليين وكذلك  
المؤلفين الاجانب المقيمين في ايطاليا ، وذلك  
فيما لو نشرت هذه الاعمال في ايطاليا .<sup>٣٣</sup>

ومن ذلك ايضا المادة (١٦) من القانون  
الفرنسي الصادر في ١٨ حزيران من عام ١٩٦٦  
والخاص بالنقل البحري والسابق الاشارة اليه  
والذي حرص على تحديد نطاق تطبيقه بكافة  
عمليات النقل البحري من والى الموانئ  
الفرنسية.<sup>٣٤</sup>

قد نص في فقرتها الثانية مثلا ، على تطبيق  
القانون الفرنسي على العقارات الكائنة في فرنسا  
حتى وان كانت مملوكة للأجانب ، كما نص في  
فقرتها الثالثة على تطبيق القانون الوطني على  
اهلية الفرنسيين ولو كانوا مقيمين في الخارج  
،فكان كافة القوانين الفرنسية التي تحكم العقارات  
او اهلية الاشخاص تعد على هذا النحو من  
القواعد ذات التطبيق الضروري لمجرد ان المشعر  
قد حدد نطاق تطبيقها المكاني او حتى اطلق  
عليها هذا الوصف .<sup>٣١</sup>

ومثل هذه النتيجة تخالف حقيقة هذه القوانين  
التي يصعب وصفها بهذا الوصف على هذا  
النحو الاجمالي . بل ان مسلك القضاء الفرنسي  
نفسه يؤكد خطأ هذا النظر .فقد فسر هذا القضاء  
نص المادة (٣) سالفة الذكر تفسيراً اضى به  
على ما تضمنته من قواعد طابعا مزدوجا انتهى  
فيه الى اخضاع اهلية الاشخاص لقانون  
جنسيتهم واخضاع العقارات لقانون موقعها .<sup>٣٢</sup>

ولعل هذا النقد هو الذي دفع البعض الى القول  
بان تكييف القاعدة على انها من القواعد ذات

اذ ليس هناك ما يلزم القاضي في هذا الفرض بالانصياع للتحديد التشريعي لنطاق تطبيق القاعدة الاجنبية ، ومن ثم يفقد المعيار الشكلي محل البحث فعاليته ، اذ تبدو في هذا الفرض بصفة خاصة اهمية البحث عن معيار اخر للكشف عما اذا كانت القاعدة الاجنبية من القواعد ذات التطبيق الضروري ، وليست مجرد قاعدة مباشرة ، حتى يمكن للقاضي ان يطبقها رغم عدم انتائها للقانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد ، فإرادة القانون الاجنبي في الانطباق لا تكفي في ذاتها لاعتبار هذا القانون من القوانين ذات التطبيق الضروري الاجنبية .

والامر يختلف كما راينا فيما لو كانت القاعدة التي تريد الانطباق وفقا للمعيار الشكلي منتمية الى قانون القاضي حيث تعد في هذا الفرض من القواعد ذات التطبيق المباشر التي يتعين على المحكمة اعمالها دون حاجة للبحث عما اذا كانت من القواعد ذات التطبيق الضروري من عدمه.

ويشير الاستاذ "لوسران" الى ان هذا الاتجاه الاخير وان كان اكثر انضباطا من سابقه الا انه يحصر القواعد ذات التطبيق الضروري في نطاق ضيق للغاية ، اذ يكاد لا يعد من القواعد ذات التطبيق الضروري في فرنسا وفقا لهذا الراي سوى نصوص القانون الخاص بالنقل البحري سالف الذكر ، وهي نتيجة يصعب قبولها.<sup>35</sup>

وان كان اعمال القاضي للقواعد ذات التطبيق الضروري المباشر في القانون لا يثير أي مشكلة خاصة ، ولو لم يكن هذا القانون هو المختص بمقتضى قواعد التنازع ، على اساس ان القاضي ملزم في جميع الاحوال بالانصياع لأوامر مشرعه والذي حدد له نطاق تطبيق هذه القواعد على نحو صريح وفقا للمعيار الشكلي محل البحث ، وهو ما يجرى البحث عن معيار اخر من أي قيمة عملية في هذه الحالة ، فان الامر يختلف فيما لو كانت القاعدة القانونية المطلوب تحديد طبيعتها منتمية الى نظام قانون اجنبي بمقتضى قواعد الاسناد.<sup>36</sup>

وهي المعايير الفنية في تحديد القواعد ذات التطبيق الضروي .

### الفرع الثاني

#### المعايير الفنية

حاول البعض من الفقهاء ان يستند الى طبيعة القاعدة محل البحث في رد فكرة القواعد ذات التطبيق الضروي غير المعروفة الى افكار فنية مألوفة في فقه القانون الدولي الخاص مثل فكرة الاقليمية وفكرة النظام العام .<sup>٣٨</sup>

وقد كان هذا هو مسلك القضاء الفرنسي بصفة خاصة لتبرير استبعاده في بعض الفروض لمنهج التنازع وتطبيقه للقانون الوطني تطبيقا مباشرا باسم الاقليمية حينما او باسم النظام العام احيانا اخرى .

#### اولا: معيار الاقليمية

استندت بعض احكام القضاء الفرنسي الى فكرة الاقليمية كمعيار لتحديد القواعد ذات التطبيق الضروي . واساس ذلك انه مادامت

ولعل هذا ما يفسر قبول البعض للمعيار الشكلي محل البحث حينما كان الفقه لا يتصور التطبيق المباشر للقاعدة القانونية التي لا تنتمي للقانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد الا اذا كانت هذه القاعدة منتمية الى قانون القاضي المطروح عليه النزاع المتعلق بالعقد الدولي . اما وقد اتجه الفقه المعاصر الى التسليم بالإعمال الاحادي لبعض القواعد الاجنبية ، فقد اصبح من غير المعقول ان يتم هذا الاعمال بناء على مجرد ارادتها في الانطباق ، وانما بات من المتعين ان يشترط ايضا لإعمال القاعدة الاجنبية في هذ الفرض ان تكتسب وصف القواعد ذات التطبيق الضروي .<sup>٣٧</sup>

وعلى هذا النحو يعجز المعيار الشكلي عن تحديد المقصود بالقواعد ذات التطبيق الضروي ، ومن ثم يظل التساؤل قائما حول المعيار الواجب الاتباع في هذا الصدد . وقد حاول البعض ان يجيب على هذا التساؤل مستخدما بعض الافكار التقليدية في القانون الدولي الخاص مثل فكرة الاقليمية وفكرة النظام العام .

المراكز الدولية التي تدخل في نطاق سريانها الاقليمي دون حاجة لإعمال منهج التنازع .

ولقد انتقد الفقه المعاصر هذا النظر، ذلك ان فكرة الاقليمية في القانون الدولي الخاص كانت دائما محلا للجدل نظرا للغموض الذي شابها عبر العصور ومحاولات تفسير ظاهرة القواعد ذات التطبيق الضروري في ضوء فكرة الاقليمية هي في حقيقتها محاولات لفهم فكرة غامضة عن طريق فكرة اخرى اشد غموضا . فهل المقصود بالقانون الاقليمي هو قانون القاضي ام قانون موقع العمل او قانون موطن الشخص او قانون محل ابرام العقد او محل تنفيذه؟<sup>٣٩</sup>

وبعبارة اخرى فهل المقصود بالإقليمية هو ما يسمى بالإقليمية المطلقة التي تسمح للدولة بالاقتصار على تطبيق قوانينها داخل حدودها الجغرافية على نحو يتنافى مع اتاحة أي فرصة لتطبيق قانون اجنبي ،ام ان المقصود هو تحديد ضوابط الاسناد على اساس اقليمي مما يؤدي الى امكان تطبيق القوانين الاجنبية ،كما لو تم اسناد

القواعد ذات التطبيق الضروري ذات تطبيق اقليمي فان الاقليمية تصبح على هذا النحو معيارا للكشف عن هذه القوانين وتحديدتها .<sup>٣٩</sup>

وعلى هذا الاساس فاذا قدر القاضي ان قاعدة معينة في قانونه اقليمية التطبيق فهو يتصدى لإعمالها على كافة الوقائع والتصرفات القانونية التي تتم في اقليم الدولة ، او على الاشخاص المقيمين فيها او الاموال الموجودة بها على حسب الاحوال دون اعتداد بما تشير اليه قواعد التنازع من اختصاص لقانون اجنبي . فالإقليمية وفقا لهذا النظر هي شيء مضاد للتنازع ،او كما قرر البعض "فان العلاقة ما بين الاقليمية والتنازع كالعلاقة بين الماء والنار . فأما ان يطفئ ماء الاقليمية لهيب التنازع ،واما ان يتمكن هذا اللهيب من تبخير مبدا الاقليمية ."<sup>٤٠</sup>

وعلى هذا النحو تعد القواعد ذات الطبيعة الاقليمية في قانون القاضي من القواعد ذات التطبيق الضروري التي يتعين تطبيقها على



ثانيا : معيار النظام العام

ذهب جانب من الفقهاء واحكام القضاء الى تفسير ظاهرة القواعد ذات التطبيق الضروي في ضوء فكرة النظام العام ، فالقواعد الاقليمية القابلة للتطبيق المباشر دون حاجة لمنهج التنازع هي في حقيقتها قواعد امرة تتعلق بالنظام العام .<sup>٤٢</sup>

بل انه لا يوجد ما يستوجب وجود أي صلة بين النزاع والاقليم عند تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروي ، وفقا لهذا النظر وخلافا لما رأيناه بالنسبة للقوانين الاقليمية . وانما يكفي وفقا لهذا المعيار ان يقف القاضي عند الاهداف الاجتماعية والاقتصادية للقانون المرتبط بالنظام العام .

وعلى هذا الاساس استند القضاء الفرنسي في العديد من احكامه على فكرة النظام العام ليؤكد ضرورة التطبيق المباشر لبعض القواعد الامرة في قانونه رغم اختصاص قانون اجنبي بحكم العلاقة العقدية الدولية وفقا لقواعد الاسناد . والتطبيق المباشر للقواعد ذات التطبيق الضروي

الحق العيني على المال لقانون موقعه او حالة الاشخاص او اهليتهم لقانون موطنهم ؟ ففي مثل هذه الفروض قد يفضي الضابط الاقليمي الى تطبيق قانون اجنبي كما لو كان المال محل النزاع في الخارج او كان الشخص الذي طرح امر اهليته على القضاء متوطن في دولة اجنبية ، وهو ما يزيل أي تعارض بين الاقليمية وفقا لهذا المعنى وبين منهجية تنازع القوانين .

وعلى هذا الاساس يصعب الكشف عن القواعد ذات التطبيق الضروي في ضوء فكرة الاقليمية ، وهي فكرة متغيرة ، بل ولعل هذا هو وجه الشبه الوحيد بينها وبين القواعد ذات التطبيق الضروي ، فالمعيار المستمد من هذه الفكرة هو معيار يخلو من أي مضمون الى حد قد يسمح لكل شخص بان يقدم في مجال الاقليمية حقيقته الخاصة .

وهكذا تعجز فكرة الاقليمية عن الكشف عن القواعد ذات التطبيق الضروي وتحديدها ، وهو ما دفع بعض احكام القضاء الى الاستناد في هذا الصدد الى معيار النظام العام .

الضروري بوصفها مظهرا من مظاهر النظام العام الداخلي في رأي البعض ، او النظام العام التوجيهي في رأي البعض الاخر .<sup>٤٥</sup>

### ثالثا : المعايير الغائية

حاول جانب من الفقه القانوني ان يتصدى لتحديد او تكييف القواعد ذات التطبيق الضروري من خلال معايير غائية تضع في اعتبارها الغاية التي تسعى اليها القاعدة محل التحديد او التكييف .

ولعل اهم المعايير في هذا الصدد الذي استند اليها الفقيه " فرنسسكاكي " في مرحلة تالية من مراحل تطور فكره في هذا الخصوص ، هما معياران الاول :معيار المصلحة والاخر معيار التنظيم ،فالقواعد ذات التطبيق الضروري وفقا لهذا النظر هي تلك القواعد التي تسعى الى حماية المصلحة الحكومية و التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الدولة .<sup>٤٦</sup>

### (١) معيار مصلحة الدولة

باسم النظام العام على هذا النحو قد سبق ان قال به كل من مانثيني في ايطاليا وبيليه في فرنسا ، مع ملاحظة الغموض الذي شاب هذه الافكار في البداية نتيجة لما وقع فيه هؤلاء الفقهاء من خلط بين النظام العام من ناحية والاقليمية من ناحية ثانية ، وهو ما يفسر تصورهم اللاحق لإمكان الاعمال المزدوج لفكرة النظام العام بما يسمح بتطبيق قوانين اجنبية .<sup>٤٣</sup>

وهكذا طبق "مانثيني " على سبيل المثال القواعد الوطنية الخاصة بالمسؤولية التقصيرية تطبيقا مباشرا فيما لو كان الفعل الضار قد تحقق في دولة القاضي ،وهو ما مهد له الطريق في التسليم بعد ذلك بتطبيق القانون الاقليمي للدولة الاجنبية التي وقع فيها الفعل المنشئ للالتزام التقصيري .<sup>٤٤</sup>

وقد تخطى جانب من الفقه الحديث هذا الخلط بين استخدام النظام العام كفكرة مسندة قد تؤدي الى الازدواج في اطار منهج الاسناد التقليدي ، وبين التطبيق المباشر للقواعد ذات التطبيق

وهكذا استخدمت فكرة مصلحة الدولة في اطار رفض تطبيق القوانين السياسية الصادرة عن دولة اجنبية ، وهو ما يفيد امكان تطبيق هذه القوانين فيما لو كانت صادرة عن دولة القاضي ، ويتمشى هذا النظر مع الاتجاه الذي كان سائدا ازاء القواعد ذات التطبيق الضروري التي يتعين تطبيقها تطبيقا مباشرا فيما لو كانت تنتمي لقانون القاضي بصرف النظر عن القانون المختص بمقتضى قواعد التنازع ، وعلى العكس فلم يكن من المتصور وفقا لهذه الافكار ان يطبق القاضي قانونا اجنبيا يتسم بالطابع السياسي على هذا النحو ولو كان هذ القانون منتما الى النظام القانوني المختص بموجب قواعد الاسناد ، فالقوانين السياسية او القواعد ذات التطبيق الضروري وفقا لهذا النظر تعبر عن فكرة الاقليمية البحتة التي لا يتصور في اطارها قيام التنازع بين القوانين .<sup>٤٩</sup>

وقد سبق للاستاذ بيليه ان اقام تفرقة شبيهة بين القوانين التي تحمي المصالح الفردية والقوانين التي تسعى الى حماية الجماعة ، فهذه القوانين

حدد الاستاذ "ارمنجون" معنا للقواعد ذات التطبيق الضروري ينصرف بانها القواعد السياسية التي تخرج عن مجال تنازع القوانين لتتطبق على كافة الاشخاص والوقائع والتصرفات التي صدرت من اجلها ، والتي تسعى على هذا النحو الى ادراك مصلحة الدولة التي اصدرتها.<sup>٤٧</sup>

وقد لاقى هذه الافكار صدى في كل من القضاء الالمانى والبلجيكي . وعلى هذا النحو رفضت المحكمة الفيدرالية الالمانية في ١٧ كانون الثاني في عام ١٩٥٩ ان تعتد بالقوانين الصادرة عن جمهورية المانيا الديمقراطية (سابقا ) والتي تتضمن قيودا نقدية ، بوصفها من القواعد ذات التطبيق الضروري التي تسعى الى تحقيق مصالح هذه الدولة .<sup>٤٨</sup>

ومن جهة اخرى فقد رفضت محكمة النقض البلجيكية في ٢ حزيران من عام ١٩٦٠ الاعتداد بقوانين التامين الصادرة عن الحكومة التشيكية على اساس انها قوانين لا شان لها برعاية المصالح الخاصة ، وانما هي تهدف الى حماية مصالح الدولة التي اصدرتها .

من نافلة القول، ان الفقيه "فرنسكاكي" هو اول من نبه الفقه الفرنسي المعاصر الى ضرورة العودة الى المنهج الاحادي لتحليل القواعد القانونية التي تريد الانطباق على العلاقات الدولية المطروحة الى جانب المنهج السافيني المزدوج في شان تحليل هذا العلاقات تمهيدا للبحث عن القانون الواجب التطبيق في شأنها ، وقد قصر هذا الفقيه اعمال المنهج الاحادي على ما اسماه بالقوانين ذات التطبيق المباشر والتي راينا ان لها مفهوما يتسع لدى هذا الفقيه الفرنسي ليشمل القواعد ذات التطبيق الضروري وغيرها من القواعد التي لا يتوقف تطبيقها على اعمال قواعد التنازع غير المباشرة .<sup>٥١</sup>

ومن ناحية اخرى فقد ربط هذا الفقيه بين القواعد ذات التطبيق المباشر وبين فكرة النظام العام ، على ان هذا الاستاذ الفرنسي قد فضل في مرحلة لاحقة من مراحل تطور افكاره ان يتخذ من فكرة تنظيم الدولة معيارا لتحديد المقصود بالقوانين ذات التطبيق المباشر والتي تشمل ما اسميناه بالقواعد ذات التطبيق الضروري.

الاخيرة هي التي تعد من القواعد ذات التطبيق الضروري والتي يتسم اعمالها بالطابع الاقليمي البحت ، ومن ثم يقتصر تطبيقها على اقليم الدولة التي اصدرتها ، وهو ما يفيد رفض تطبيقها فيما لو كانت صادرة عن دولة اجنبية .<sup>٥٠</sup>

ولعل الخلاف القائم بين الفقه الحديث يقتصر على ما اذا كان من الجائز ان يتصدى القاضي للتطبيق المباشر للقواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية ولو كانت تنتمي لقانون غير مختص بمقتضى قواعد التنازع كما سنرى فيما بعد ، ام انه يشترط لتطبيق هذه القواعد ان تكون منتمية الى القانون الذي تشير قاعدة الاسناد باختصاصه على نحو ما قرر الفقيه " فرنسكاكي " الذي فضل اعتناق معيار غائي اخر لتحديد القواعد ذات التطبيق الضروري، وهو معيار تنظيم الدولة .

## (٢) معيار تنظيم الدولة

والتامين على حوادث السيارات و.....الخ من ضروب القوانين العامة .وهي مجالات وان كانت لا تدخل في فكرة التنظيم بالمعنى الضيق الا ان اهميتها تصل الى حد رفض تصور أي تطبيق لقوانين اجنبية في شأنها .<sup>٥٤</sup>

ويعيب معيار التنظيم الذي اقترحه الفقيه فرنسيسكاكي انه بدوره معيار غامض وغير محدد .فكما قرر البعض بحق فان تنظيم المجتمع هو غاية القانون بصفة عامة ،ومن ثم فان الاخذ بالمعيار السابق سيؤدي الى اعتبار كافة القواعد القانونية من القواعد ذات التطبيق الضروري وهو ما يصعب التسليم به .

وهكذا يؤدي المعيار الذي تمسك به هذا الفقيه لتحديد المقصود بالقواعد ذات التطبيق المباشر الى التوسع في مفهوم هذه القواعد ليشمل كل قاعدة حدد المشرع نطاق سريانها المكاني على نحو صريح ،بالإضافة الى كافة القواعد التي تهدف الى تنظيم الجماعة سياسيا او اجتماعيا او اقتصاديا، وهو توسع يفضي في النهاية الى اهدار منهج التنازع .

وعلى هذا الاساس يعرف جانب من الفقه القانوني القواعد ذات التطبيق المباشر بانها "القواعد التي يتعين مراعاتها من اجل حماية التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي للدولة والتي يتمثل المعيار المميز لها في فكرة التنظيم "<sup>٥٢</sup>

وعلى هذا النحو وضع هذا الاتجاه بدوره معيارا مستمدا من الهدف الذي ابتغاه المشرع من سن هذه القوانين وصولا الى تحديدها وتعريفها . فهي قوانين تعكس فكرة التنظيم في الدولة ، ومن ثم يتحتم تطبيقها دون تزاحم، لان طابع التنظيم فيها لا يطبق تدخل القانون الاجنبي . وهكذا تعرف القواعد ذات التطبيق الضروري وفقا لهذا الاتجاه في ضوء وظيفتها وباعتبارها قاعدة من قواعد التنظيم .<sup>٥٣</sup>

ويترتب على هذا النظر بالضرورة اتساع نطاق القوانين ذات التطبيق المباشر والتي لا تقتصر على هذا النحو على مجال علاقات القانون الخاص بل تمتد لتشمل ايضا كافة روابط القانون العام مثل القانون الاداري والقانون الجنائي بالإضافة الى مجال التأمينات الاجتماعية

من المسلم به في فقه القانون الدولي الخاص ان اهم ما يميز القواعد ذات التطبيق الضروري، هي تلك الصلة العقلانية التي تربط ما بين مضمون هذه القواعد واهدافها من ناحية ونطاق تطبيقها من ناحية اخرى.<sup>٥٥</sup>

وقد سلم جانب من الفقه القانوني بأهمية هذه الصلة عند تعريفه للقواعد ذات التطبيق الضروري ، الا انه لم يرى فيها معيارا لتكييف هذه القواعد وتحديدها، على اساس ان التعريف السابق للقواعد ذات التطبيق الضروري، هو مجرد تعريف وصفي لا يكشف عن الاسباب التي من اجلها تفرض بعض القواعد القانونية تطبيقها على العلاقات الدولية عن غير طريق قواعد الاسناد.<sup>٥٦</sup>

وعلى خلاف ذلك يعتقد البعض بحق ان هذه الصلة العقلانية بين مضمون القاعدة واهدافها من ناحية ونطاق تطبيقها من ناحية اخرى ، هي المعيار الذي يتعين الاعتداد به للكشف عن طبيعتها بوصفها من القواعد ذات التطبيق

وتزداد حدة هذا النقد اذا عرفنا ان الفقيه فرنسيسكاكي قد رفض التطبيق المباشر للقواعد الاجنبية التي لا تنتمي للقانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد ، وهو ما يخل من ناحية بالتوازن المنشود بالمعاملة بين القوانين المتصلة بالرابطة العقدية الدولية والتي لن تخضع على هذا النحو، في خارج اطار منهج التنازع، الا لقواعد في دولة القاضي المطروح عليه النزاع .

ومن ناحية اخرى فان الاقتصار على الاعمال المباشر للقواعد ذات التطبيق الضروري في دولة القاضي دون غيرها يجرّد هذه القواعد من اهم خصائصها الذاتية التي تتمتع بها بصرف النظر عن انتمائها لقانون القاضي او اي قانون اخر، وهي الصلة العقلانية بين مضمونها واهدافها ونطاق سريانها . فمن هذه الرابطة يتعين استخراج المعيار الذي يحدد صفتها كقاعدة من القواعد ذات التطبيق الضروري، وهذا هو فحوى المعيار العقلاني الذي ستبحثه الدراسة لمعرفة مدى اعمال هذه القواعد الاخيرة او الكشف عنها .

رابعا : معيار الصلة العقلانية

الامرة التي تتضمنها القواعد المرتبطة بالعلاقة العقدية ، أي القواعد ذات التطبيق الضروري التي يرتبط نطاق تطبيقها على هذا النحو بصلة عقلانية بمضمونها واهدافها التي تسعى الى ادراكها.<sup>٥٨</sup>

وهكذا يمكن القول في النهاية بان اهمية المعيار العقلاني الذي نرجحه في دراستنا ، لا تبدو الا عند تحديد القاعدة الاجنبية المطلوب اعمالها على نحو مباشر . اما حيث تنتمي القاعدة الى قانون القاضي فيكفي لأعمالها خارج اطار منهجية التنازع ان تكون من القواعد الامرة التي تريد الانطباق على نحو مباشر.

ولاشك ان اعمال المعيار العقلاني المقترح ، اسوة بغيره من المعايير السابق عرضها ، يقتضي النظر في كل حالة على حدة وفقا لما يراه القاضي المطروح عليه النزاع في شان مدى عقلانية الصلة بين اهداف قاعدة المطروحة ونطاق سريانها كما حدده المشرع الاجنبي .

الضروري، فتعريف القواعد ذات التطبيق الضروري ، على هذا النحو يتضمن في الوقت نفسه معيار تحديد هذه القواعد الذي يكشف عن الاسباب التي تدعو الى فرض تطبيقها على العلاقة العقدية المطروحة رغم اختيار الافراد لقانون اخر لحكم هذه العلاقة ، أي رغم عدم انتماء القواعد ذات التطبيق الضروري الى القانون المختص بمقتضى منهج تنازع القوانين الحكم في العلاقات الدولية.<sup>٥٧</sup>

اما القول بان هذه الصلة العقلانية لا تكفي في ذاتها كمعيار لتحديد القواعد ذات التطبيق الضروري لأنها لم تكشف عن الاسباب الداعية الى ضرورة تطبيقها فهو يتضمن مصادرة على المطلوب، خاصة و بعد ان مقتضيات التعاون الدولي تستلزم هذا التطبيق ، بل ان محاربة الغش نحو القانون تقتضي بدورها اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية خاصة وان ضابط الاسناد في مسائل العقود الدولية يقوم على ارادة المتعاقدين التي قد تتعمد اختيار قانون العقد على نحو يمكنها من الافلات من الاحكام

ومن جهة أخرى فإنه رغم أهمية اليقين القانوني في مجال عقود التجارة الدولية بصفة خاصة إلا أن رعاية هذا اليقين لا يصح أن يأتي على حساب الاحترام المتطلب لهذه القواعد الأمرة التي تتصل بالرابطة العقدية اتصالاً يراه القاضي وثيقاً. وفي القول بغير ذلك فتح لطرق الغش نحو القانون أمام المتعاقدين الذين يستطيعون على هذا النحو الإفلات من هذه الأحكام الأمرة مستغلين ما أتاحه لهم المشرع من حق الاختيار التنازعي للقانون الواجب التطبيق على الرابطة العقدية الدولية.<sup>٦٠</sup>

ولعل هذه الحقيقة هي التي دفعت القضاء المعاصر إلى إعمال القواعد الوطنية ذات التطبيق الضروري على العقود الدولية التي تصدى هذا القضاء للمنازعات التي ثارت بشأنها رغم ما قد يؤدي إليه هذا التطبيق من مفاجأة للمتعاقدين نتيجة لاستبعاد أحكام قانون الإرادة في شأن المسائل التي تدخل في نطاق سريان القواعد المذكورة.

وقد خشي البعض أن تؤدي سلطة القاضي التقديرية على هذا النحو إلى التحكم والاختلال بالأمان القانوني الذي ينشده المتعاقدون حينما قاموا بالاختيار التنازعي لقانون العقد، وهو قانون قد يستبعده القاضي في خصوص مسألة محددة قدر دخولها في نطاق سريان قاعدة من القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون الإرادة، مما قد ينال من توقعات المتعاقدين.<sup>٥٩</sup>

ومع ذلك فما يقلل من تحكم القاضي في هذا الصدد، وكذلك من مدى الاختلال بتوقعات الأفراد، أن سلطة القاضي في إعمال القواعد ذات التطبيق الضروري، على هذا النحو تخضع لرقابة المحكمة العليا، ولاشك أن هذه الرقابة ستحد من احتمالات تحكم القضاة وتؤدي في الوقت نفسه إلى وحدة الحل قدر الامكان. وتقوم رقابة المحكمة العليا في هذه الحالة على أساس أن إعمال القواعد ذات التطبيق الضروري أو الامتناع عن إعمالها حين يتوجب هذا الإعمال، هي مسألة قانونية تدخل في صميم اختصاص المحاكم العليا.



مضت الاشارة الى ان منهج القواعد ذات التطبيق  
الضروري يقوم الى جانب منهج التنازع التقليدي  
في فقه القانون الدولي الخاص المعاصر ، فان  
كانت الرابطة العقدية ذات الطابع الدولي تخضع  
بحسب الاصل للقانون الذي تختاره ارادة  
المتعاقدين بمقتضى منهج التنازع المزدوج فان  
على القاضي مع ذلك ان يراعي اعمال القواعد  
ذات التطبيق الضروري على المسائل التي تدخل  
في نطاق سريانها ، وهو ما يؤدي بطبيعة الحال  
الى استبعاد قانون العقد في صدد هذه المسائل  
ذي الطبيعة التجارية الدولية غالبا ، مما يفضي  
في النهاية الى تجزئة الرابطة العقدية واخضاعها  
لأكثر من قانون واحد .<sup>٦٢</sup>

وهكذا يبدو اعمال القواعد ذات التطبيق  
الضروري بوصفه منهجا منافسا يعمل الى جانب  
منهج التنازع ويقيد من مجال اعمال قانون العقد  
. فهذا القانون الاخير لا ينطبق الا على المسائل  
التي لا تدخل في اطار سريان القواعد ذات  
التطبيق الضروري .

بل ان القضاء الحديث لم يتردد في اعمال  
القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية التي  
تتنمي لغير القانون الذي تشير قواعد الاسناد  
باختصاصه ، مادام انه قد توافر في شأنها  
المعيار العقلاني السابق الاشارة اليه .

وعلى هذا الاساس لم يعد العقد التجاري الدولي  
خاضعا للقانون المختص بمقتضى منهج التنازع  
فحسب ، وانما اصبح خاضعا ايضا للقواعد ذات  
التطبيق الضروري، والتي جرى القضاء على  
اعمالها سواء كانت منتمية الى قانون القاضي  
(القواعد ذات التطبيق المباشر بصفة عامة) او  
الى قانون اجنبي (القواعد ذات التطبيق  
الضروري الاجنبية ) على نحو ما سنرى في  
المبحث الثاني والذي خصصناه لإعمال القواعد  
ذات التطبيق الضروري امام القضاء .<sup>٦١</sup>

## المبحث الثاني

اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام  
القضاء

حالتنا قانون الارادة او غيره من القوانين التي تشير قواعد الاسناد باختصاصها عند سكوت الارادة عن اختيار قانون العقد. وسوف نعرض لكافة المسائل المتقدمة في المطلب الثاني من هذا المبحث والذي سنتصدى فيه لإعمال القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروري .

ولئن كان اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية يتم على هذا النحو بناء على ارادتها في الانطباق على المسألة المطروحة فانه من المتصور والحال كذلك ان يواجه القاضي اكثر من قاعدة بوليس اجنبية تريد الانطباق على النزاع رغم انتماء كل منها لنظام قانوني مختلف . بل وقد تكون هذه القاعدة من القواعد ذات التطبيق الضروري في قانون القاضي نفسه لا تريد بدورها ان تنطبق على النزاع المعروض امامه ، وهو ما يثير في النهاية مشكلة تنازع القواعد ذات التطبيق الضروري والتي ستعرض لها الدراسة في المطلب الثالث من هذا المبحث.

### المطلب الاول

واعمال القواعد ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لقانون دولة القاضي لم يعد يثير مشكلة خاصة في فقه القانون الدولي الخاص ، فقد سبق للقضاء منذ فترة غير قصيرة ان اكد على ضرورة التطبيق المباشر لبعض القواعد الامرة التي تنتمي لقانونه والتي تريد الانطباق على المسائل التي تتناولها بالتنظيم .<sup>٦٣</sup>

وسوف نعرض في المطلب الاول من هذا المبحث لإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري في قانون القاضي. واذا كان اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري في قانون القاضي لا يثير مشكلة خاصة فان الامر يختلف عند اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية .اذ يرفض جانب من الشراح تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية من حيث المبدأ كأصل عام .وان كان الفقه الحديث لم يمانع على العكس من تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية فان جانبا من الشراح قد اشترط ان تكون هذه القواعد منتمية الى القانون المختص بمقتضى منهج التنازع،<sup>٦٤</sup> وهو في

اعمال القواعد ذات التطبيق الضروفي في  
قانون القاضي

مضت الاشارة في المبحث الاول من هذه الدراسة الى التفرقة بين قواعد ذات التطبيق الضروفي وبين القواعد ذات التطبيق الفوري او المباشر . فان كانت كافة القواعد ذات التطبيق الضروفي وفقا للمفهوم الذي حددها تعد من القواعد ذات التطبيق المباشر التي لا يحتاج اعمالها لمنهج التنازع ، فان العكس غير صحيح. اذ توجد من القواعد المباشرة ما يصعب اعتبارها من القواعد ذات التطبيق الضروفي . فهذه الاخيرة تتميز كما رابنا بالصلة العقلانية بين مضمونها واهدافها من ناحية ونطاق تطبيقها من ناحية اخرى.<sup>٦٥</sup>

وان كانت القواعد ذات التطبيق المباشر هي القواعد التي حدد المشرع صراحة نطاق تطبيقها الذاتي ، او امكن استخلاص ارادته في هذا الصدد من خلال مضمونها والاهداف التي تسعى الى ادراكها . وهي في راي البعض حماية التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي للدولة ، فقد بات من المتعين على القاضي ان يذعن لإرادة

مشرعه في هذا الصدد دون ان تكون له سلطة التقدير في شان مدى عقلانية الصلة بين مضمون هذه القواعد او اهدافها من ناحية وبين نطاق تطبيقها من ناحية اخرى.<sup>٦٦</sup> فان كان القاضي يملك هذه السلطة التقديرية عند اعمال القواعد ذات التطبيق الضروفي الاجنبية التي لا تنتمي للقانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد كما سنرى فيما بعد، فانه لا يتمتع بدهاة بهذه السلطة ازاء القواعد ذات التطبيق المباشر التي تنتمي لقانونه ، نظرا لالتزامه بالإذعان لإرادة مشرعه التي فرضت اعمال هذه القواعد على النزاع الدولي المطروح عليه بصرف النظر عن تقديره لمدى عقلانية هذا الاعمال .

ولعل هذه الحقيقة هي التي دفعت البعض الى القول ، وبحق ، بان اعمال القواعد المادية التي تنتمي لقانون القاضي على نحو مباشر نزولا على ارادة مشرعه ، ولو لم يكن هذا القانون مختصا بمقتضى قواعد التنازع، وهو امر يسهل تبريره . وانما تثور الصعوبة الحقيقية عند محاولة البحث عن الاساس القانوني لإعمال القواعد

بمقتضى منهج التنازع ، سيؤدي بالضرورة الى تجزئة العقد وخضوعه الى اكثر من نظام قانوني واحد .

### الفرع الاول

#### التزام القاضي بإعمال كافة القواعد ذات التطبيق الضروري

أيا ما كان الاساس الفقهي لإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري في قانون القاضي فان الامر الذي لاشك فيه ، ان القضاء قد جرى بالفعل على اعمال بعض القواعد المادية في قانونه على العلاقات الخاصة الدولية المطروحة عليه رغم اختصاص قانون اجنبي بحكم هذه العلاقات بمقتضى قواعد الاسناد .<sup>٦٨</sup>

فرغم الخلاف الفقهي الذي قام في شان القواعد ذات التطبيق المباشر فان الجميع فيما يبدو يعترفون في النهاية بتعدد المناهج في القانون الدولي الخاص المعاصر بوصفه حقيقة اكدها القانون الوضعي كما هو كائن امام المحاكم . ومن هنا يقرر البعض بحق ان

الاجنبية المماثلة التي تنتمي لقانون لم تشر قواعد الاسناد في دولة القاضي باختصاصه ،اذ يتعين لإعمال هذه القواعد ان تكون من قواعد ذات التطبيق الضروري.<sup>٦٧</sup>

ومن هنا يشير الاتجاه السابق الى ان مدى اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري لا تبدو اهميته الحقيقية الا في الفرض الذي تنتمي فيه القاعدة المطروحة الى نظام قانوني اجنبي غير مختص بمقتضى منهج التنازع.

وقد اشرنا من قبل الى ان القضاء قد جرى على الاعمال المباشر لبعض القواعد المادية على الروابط العقدية الدولية المطروحة عليه رغم اختيار المتعاقدين لقانون اجنبي لحكم هذه الروابط ، وذلك استنادا الى فكرة الاقليمية حيناً او الى فكرة النظام العام احيانا اخرى.

ولاشك ان هذا الاعمال المباشر لبعض القواعد التي تنتمي لقانون القاضي في شان المسائل التي تدخل في مجال تطبيقها، مع بقاء المسائل العقدية الاخرى محكومة بالقانون المختص

صياغة عامة لا تخص العقود وحدها ، فنصت المادة (١٨) منه على ان (( اعمال القانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد المقررة في القانون لا ينال من مجال سريان القواعد الامرة في القانون السويسري والتي تفرض اهدافها الخاصة ضرورة تطبيقها على النزاع )) .

وقد تأكد هذا الحل في كافة قوانين الدول الاوروبية التي انضمت الى اتفاقية روما لعام ١٩٨٠ في شان القانون الواجب التطبيق على الالتزامات العقدية والتي اصبحت نافذة اعتبارا من نيسان من عام ١٩٩١ . فقد نصت المادة (٢/٧) منها على (( ان نصوص هذه الاتفاقية لا تتال من تطبيق القواعد الداخلية الامرة في قانون القاضي والتي تحكم المركز محل النزاع بصرف النظر عن القانون الواجب التطبيق على العقد ))<sup>٧٢</sup> .

وقد اقر مجمع القانون الدولي بدوره هذا الحل في دورة انعقاده بمدينة "بال" بسويسرا في عام ١٩٩١ حيث نصت المادة (١/٩) من المشروع الذي اقره المجمع على ان (( تطبيق القانون

المحاكم تدرك تماما الحالات التي يجب الا تتخلى فيها عن اعمال بعض القواعد المادية في قانون القاضي على نحو مباشر في شان العلاقة الدولية رغم اختصاص قانون اجنبي بحكم هذه العلاقة بمقتضى قواعد التنازع المزدوجة.<sup>٦٩</sup>

وعلى هذا الاساس يؤكد البعض ان احساس القاضي بان الصفة الامرة لبعض القواعد التي تنتمي الى قانونه قد بلغت حدا لا تطبق فيه مزاحمة قانون اجنبي هو الذي يدعوه في النهاية الى التطبيق المباشر لهذه القواعد.<sup>٧٠</sup> وقد اعتنق القانون الدولي الخاص الالمانى الصادر في عام ١٩٨٦ هذا النظر في مجال عقود التجارة الدولية ، فنص في المادة (٣٤) منه على (( ان اعمال القانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد التي قررها هذا القانون لا ينال مع ذلك من النصوص الامرة في القانون الالمانى التي تحكم المركز محل النزاع بصرف النظر عن القانون الذي يحكم العقد ))<sup>٧١</sup> .

وقد فضل القانون الدولي الخاص السويسري الصادر في عام ١٩٨٧ ان يتبنى هذا الحل في

ولهذا يطالب البعض بقصر الاعمال المباشر لقواعد قانون القاضي على الحالات التي يكون فيها المشرع قد تصدى صراحة لتحديد مجال سريان القاعدة القانونية ، وهو اتجاه لم يلق مع ذلك استجابة من الفقه الغالب ، ولم يأخذ به القضاء الا في بعض احكامه .<sup>٧٤</sup>

ويفضل جانب اخر من الشراح قصر الاعمال المباشر على قواعد قانون القاضي التي تعد من قبيل القواعد ذات التطبيق الضروري وفقا للمعنى الذي حددناه من قبل دون غيرها من القواعد ذات التطبيق المباشر ، على الاقل في اطار المعاهدات الدولية ، وحتى لا يؤدي التوسع في تطبيق قواعد قانون القاضي الى الاخلال بوحدة الحلول بوصفها الهدف الاساسي الذي تسعى الى ادراكه المعاهدات الموحدة لقواعد الاسناد .<sup>٧٥</sup>

اما الفقه والقضاء الغالب وكذلك التشريعات الداخلية الحديثة ، فهي قد خولت القاضي اعمال كافة القواعد ذات التطبيق المباشر في قانونه ولو لم يكن المشرع قد حدد نطاق تطبيقها على نحو

الذي اختاره المتعاقدون لا ينال من النصوص الامرة في قانون القاضي التي تحكم المركز محل النزاع بصرف النظر عن القانون الواجب التطبيق (على العقد) .

وينبه جانب من الفقهاء مع ذلك الى خطورة الاعمال المباشر لبعض القواعد المادية في قانون القاضي لما يؤدي اليه ذلك من تعطيل للعمل بقواعد الاسناد المزوجة بوصفها الوسيلة المعتادة لحل تنازع القوانين ، وهو ما يخل بالتنسيق المتطلب بين الانظمة القانونية ، ويهدد على هذا النحو وحدة الحلول بوصفها هدفا ساميا لفقه القانون الدولي الخاص .<sup>٧٣</sup>

ويزيد من خطورة هذا الوضع ميل القضاة بطبيعتهم الى تطبيق قانونهم الوطني ، وهو ما يدفعهم الى التوسع في هذا الاتجاه دون مبرر تحت ستار سلطتهم في تفسير ارادة المشرع في تحديد نطاق القاعدة القانونية من خلال مضمونها واهدافها .

للأحادية المطلقة، منهج التنازع التقليدي بل تقوم الى جانبه، كما يقتصر اعمالها وفقا لما يراه بعض الشراح على مجال قانون القاضي دون غيره من القوانين الاجنبية .

وعلى هذا الاساس تتمتع القواعد ذات التطبيق المباشر، و من بينها القواعد ذات التطبيق الضروري بطبيعة الحال، بخصوصية تميزها عن غيرها من قواعد القانون والتي يتم حل التنازع بينها في ضوء منهج التنازع المزدوج.

وعلى هذا النحو تختلف كل من قواعد التطبيق الضروري وقواعد الاسناد المزدوجة، من حيث الهدف التي تسعى اليه، فالأولى تسعى الى مجرد تحقيق فاعلية قانون القاضي بينما تهدف الثانية الى ادراك غاية اعم وهي تنظيم العلاقات الخاصة الدولية.<sup>٧٧</sup>

ومن ناحية اخرى فان اعمال القاعدة المباشرة في قانون دولة القاضي انما يتم فنيا بطريقة مسبقة ومستقلة عن قواعد الاسناد، فإعمال القاعدة المباشرة في قانون القاضي يستبعد

صريح، وذلك فيما لو تمكن القاضي من استخلاص ارادته الضمنية في هذا الصدد والتي يكشف عنها مضمون القاعدة وكذلك الاهداف التي تسعى الى ادراكها .

واذ يرتد اعمال القاعدة القانونية ذات التطبيق الضروري الى ارادتها في الانطباق فان تطبيقها على هذا النحو يتم من خلال المنهج الاحادي . فالمنهج الاحادي اذن هو اساس الاعمال المباشر لبعض قواعد قانون القاضي .

### الفرع الثاني

#### المنهج الاحادي اساس اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري

يؤكد جانب من الفقه القانوني المقارن الى ان التطبيق المباشر لبعض قواعد قانون القاضي ذات الطابع الامر هو اعمال للمنهج الاحادي في القانون الدولي الخاص.<sup>٧٦</sup>

ومن الجدير بالذكر ان المقصود في هذا المقام هو الاحادية الجزئية كأساس للإعمال المباشر لقانون القاضي والتي لا تستبعد، وخلافا

التي اتخذها مشرع هذه القاعدة اساسا لتحديد نطاق سريانها، وتتخذ هذه الصلة اشكالا مختلفة مثل ابرام العقد او تنفيذه او وجود موطن او محل اقامة احد المتعاقدين في هذه الدولة .

ومن الجدير بالإشارة ان التزام القاضي بإعمال القواعد ذات التطبيق المباشر في قانونه على المسائل التي تدخل في نطاق سريانها رغم خضوع الرابطة العقدية المطروحة لقانون العقد وفقا لمنهج التنازع المزدوج لا يقابله في نظر الفقيه "فرنسكاكي" وجانب كبير من الشراح الذين شايعوه أي التزام مماثل بصدد القوانين الاجنبية ذات الطبيعة المماثلة ،مالم تكن الاخيرة منتمية الى نظام القانون المختص بمقتضى منهج التنازع .

وهكذا يعمل المنهج الاحادي وفقا لهذا النظر بشكل جزئي ولصالح قانون القاضي دون غيره من القوانين الاخرى .

ومثل هذه التفرقة بين القانون الوطني والقوانين الاجنبية، والتي اقرها القضاء الفرنسي في احكامه

احتمالات أي تنافس بينها وبين اي قاعدة اجنبية ، فالتطبيق المباشر لقانون القاضي لا يتم اذن بناء على فكرة الاختيار التي تقوم عليها قواعد التنازع المزدوجة.<sup>٧٨</sup>

واخيرا فان اعمال القاعدة المباشرة في قانون القاضي يقوم على منهج تحليل القوانين والبحث عن نطاق تطبيقها على خلاف منهج التنازع والذي ينصب كما راينا من قبل على تحديد الروابط القانونية تمهيدا لإسنادها الى القانون الواجب التطبيق بشأنها .

على ان جانبا من فقه القانون الدولي الخاص رفض هذا النظر مؤكدا على العكس من ان اعمال القواعد ذات التطبيق المباشر انما يتم من خلال فكرة الاسناد ،مما يجرّد هذه القواعد من أي طابع خاص يميزها عن غيرها من القواعد القانونية.<sup>٧٩</sup>

فالتطبيق المباشر لقاعدة من قواعد قانون القاضي لا يتم بداهة الا اذا كان ثمة صلة بين القاعدة المذكورة والنزاع المطروح ،وهي الصلة



اختصاصها بمقتضى منهج التنازع ، وهو ما يحدث بصفة خاصة عند اختيار المتعاقدين لقانون على غير صلة وثيقة بالرابطة العقدية .<sup>٨٠</sup> وعلى هذا النحو يؤدي اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية المرتبطة بالعقد التجاري الدولي الى تحقيق مبدا خضوع الرابطة العقدية للقانون او للقوانين الاوثق صلة بها ، وهو ما يتعذر ادراكه بغير هذا السبيل في القانون الوضعي الاوروبي المعاصر والذي يخول للإرادة حرية شبه طليقة في اختيار قانون العقد . وعلى هذا الاساس يعيد اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية التوازن المفقود بين قانون القاضي وغيره من القوانين الاخرى من ناحية بالإضافة الى ما يتضمنه هذا الحل من كفالة خضوع العلاقة العقدية لسلطان القواعد الامرة في القوانين التي ترتبط بهذه العلاقة بصلة وثيقة من ناحية اخرى .

ولعل هذه الاعتبارات هي التي دعت جانبا من الفقه الحديث الى تخويل القاضي حق اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية بعد ان

، تخالف منهج التنازع والذي يقيم مساواة شكلية بين كل من قانون القاضي وغيره من القوانين الاخرى نتيجة للطابع المحايد لقواعد الاسناد المزوجة .

بل ان اعمال المنهج الاحادي على هذا النحو لصالح قانون القاضي فقط يشكل لاشك خطوة للوراء في القانون الدولي الخاص المعاصر بعد ان كان فقه هذا القانون قد تجاوز هذا الموقف حينما هجر المنهج الاحادي واعتنق منهج التنازع ذو الاصل السافيني .

على ان اوجه النقد السابقة قد تتجرد من فاعليتها اذا سلمنا بإمكان رجوع القاضي ايضا الى للقواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية ولو لم تكن تنتمي لقانون العقد ، وهو ما يفيد امكان اعمال هذه القواعد بدورها على نحو مباشر، أي عملا بالمنهج الاحادي وعن غير طريق قواعد الاسناد ، اسوة بالقواعد المماثلة في قانون القاضي .ذلك ان التسليم بهذا النظر سيعيد التوازن بين قانون القاضي والقوانين الاخرى المرتبطة بالعلاقة العقدية الدولية رغم عدم

وقد استند الفقه التقليدي في رفضه لإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية الى طبيعة هذه القواعد والتي وصفها حيناً بالإقليمية ونعتها احياناً اخرى بكونها من القوانين السياسية التي لا يمتد سريانها الى خارج اقليم الدولة التي اصدرتها.<sup>٨٢</sup>

وعلى هذا الاساس اتخذ الفقه التقليدي من القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية الموقف نفسه الذي اتخذه من قواعد القانون العام الاجنبي والتي لم يتصور هذا الفقه امكان تطبيقها ولو كانت منتمية الى النظام القانوني المختص بمقتضى قواعد الاسناد. وعلى هذا النحو اخرج هذا الفقه كل من قواعد القانون العام والقواعد ذات التطبيق الضروري ، وهي قد لا تكون بالضرورة كما ذكرنا سلفاً من قواعد القانون العام لكونها تحكم تلك المنطقة الوسطى بين القانون العام والقانون الخاص من دائرة تنازع القوانين . فكل من القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية وقواعد القانون العام الاجنبية تظل حبيسة في

كان كل من الفقه التقليدي والقضاء الغالب يرفض هذا الاعمال من حيث المبدأ . وقد استجابت التشريعات الحديثة ومن بينها بصفة خاصة اتفاقية روما لعام ١٩٨٠ لهذا الاتجاه على نحو ما سنرى في المطلب الثاني من هذا المبحث والذي كرسناه لإعمال القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروري .

## المطلب الثاني

### اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية

اتخذ كل من الفقه والقضاء التقليدي موقفا رافضاً لإعمال القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروري . بل ان الكتابات الفقهية حول هذا الموضوع هي كتابات حديثة تنسم بالندرة النسبية، وعلى خلاف ما بيناه في شان القواعد المماثلة في قانون القاضي والتي لاقت اهتماماً كبيراً من الشراح منذ فترة غير قصيرة ، كما ان القضاء لم يتردد في اعمال هذه الاخيرة على نحو مباشر باسم الاقليمية حيناً او النظام العام احياناً اخرى.<sup>٨١</sup>

وقد اقر مجمع القانون الدولي في دورة انعقاده في عام ١٩٧٥ هذا النظر ، فاكد في توصياته ان : (( الصفة العامة لقاعدة اجنبية اشارت قواعد الاسناد باختصاص النظام القانوني الذي تنتمي اليه لا تقف عقبة في سبيل تطبيقها مع التحفظ الخاص بالنظام العام )) .

وقد اكدت المادة (١٣) من القانون الخاص السويسري لعام ١٩٧٨ هذا الاتجاه فقترت ان (( اختصاص قانون اجنبي بمقتضى قواعد الاسناد المقررة في هذا القانون يتضمن كافة القواعد التي ينطوي عليها القانون المختص والواجبة التطبيق على النزاع. ولا يجوز استبعاد قاعدة اجنبية في القانون المختص لمجرد اعتبارها من قواعد القانون العام )) .

ويفضل جانب من الشراح الفصل بين القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في هذا الصدد. واسباس ذلك ان الفقه الحديث وان كان قد تنازل عن فكرة الاقليمية المطلقة لقواعد القانون العام فان ثمة عقبات حقيقية قد تحول دون امكان تطبيق هذه القواعد بواسطة اجهزة

اقليم الدولة التي اصدرتها ولا يتصور تطبيقها امام قضاء دولة اخرى<sup>٨٣</sup>.

وقد انتقد الفقه الحديث هذا النظر . فالقانون الاقليمي ليس هو القانون الذي يتعذر تطبيقه بواسطة القضاء الاجنبي ، وانما هو القانون الذي ينطبق على الوقائع او التصرفات التي تقع في الاقليم. وليس هناك ما يمنع القاضي الاجنبي من تطبيق القانون الاقليمي وفقا لهذا المعنى على كافة الوقائع والتصرفات التي حدثت في الاقليم.<sup>٨٤</sup>

وعليه فاذا ما اشارت قواعد الاسناد بتطبيق قانون دولة معينة على العلاقة التجارية الدولية امام القاضي وهي بحسب الاصل من علاقات القانون الخاص، فليس هناك ما يمنع من الرجوع الى قواعد القانون العام الاجنبي التي تحكم مسألة فرعية يتوقف عليها الحكم في الدعوى .فالتمسك ببطلان العقد التجاري الدولي لعدم اختصاص الموثق الاجنبي بإبرامه يقتضي الرجوع بالضرورة الى قواعد القانون العام في دولة بلد الابرام للتحقق من سلامة هذا الدفع .

فهي لا تتنازع في اختصاص القانون العام الاجنبي ، ولكن المشكلة تنحصر في ان هذا القضاء ليس مختصا بالمنازعات العامة التي لا يكون قانون القاضي منطبقا في شأنها .

وعلى هذا النحو لا يثير تطبيق القانون العام الاجنبي مشكلة تتعلق بتنازع القوانين بقدر ما يثير مشكلة خاصة بالاختصاص القضائي الدولي .

والامر يختلف بالنسبة للقواعد ذات التطبيق الضروري والتي تتعلق بالروابط الخاصة بين الافراد ولا يثير تطبيقها مشكلة تتعلق بالاختصاص القضائي الدولي .<sup>٨٦</sup>

ومن جهة اخرى فان اعمال القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروري سيسهم في التنسيق الدولي للحلول وييسر على هذا النحو سبيل الاعتراف وتنفيذ الاحكام الاجنبية . فان كانت محاكم الدولة التي اصدرت هذه القواعد لا تتردد كما رينا في تطبيقها تطبيقا مباشرا . فان رفض محاكم الدول الاخرى لإعمال نفس هذه القواعد

اجنبية .اذ يرتبط الاختصاص القضائي بالاختصاص التشريعي في هذا الفرض على نحو يتعذر معه اعمال القانون العام الاجنبي .<sup>٨٥</sup>

وعلى هذا الاساس فان القول باستحالة تطبيق القانون الجنائي او القانون المالي يرجع في حقيقة الامر الى عدم الاختصاص للمحكمة بالفصل في علاقة من علاقات القانون العام التي تتعلق مثلا بمطالب دولة اجنبية بالضرائب المستحقة لها .ففي اطار خارج المعاهدات الدولية فان مطالبة دولة امام محاكم دولة اخرى بالضرائب المستحقة لخزيتها العامة من احد الممولين هي مطالبة تخضع لاشك للقانون المالي للدولة الاجنبية ، ولكن اجهزة الدولة الاخرى غير مختصة بجباية ضرائب مستحقة لدولة اجنبية.

وهكذا فان صعوبات اعمال القانون العام الاجنبي لا ترجع الى رغبة المحكمة المطروح امامها النزاع في تطبيق قانونها ، بل ان العكس تماما هو الصحيح ، ذلك ان محاكم الدولة ترفض انطباق قانونها في هذا الفرض ، وبالتالي

القانون ، ام ان المقصود هو مجرد اخذها في الاعتبار<sup>٨٨</sup>.

وقد اثارَت مسألة التفرقة بين تطبيق القاعدة الاجنبية ووضعها في الاعتبار جدلا فقهيًا صاخبا بعد ان استخدمت المادة (١٩) من القانون الدولي الخاص السويسري كلا من الاصطلاحين السابقين ، اذ ان اتفاقية روما لعام ١٩٨٠ قد تصدت في عبارات غير واضحة لإمكان الاعتداد بأثار القواعد ذات التطبيق الضروي الاجنبية وهو ما يتضمن كل من فكرتي التطبيق والاخذ في الاعتبار .

وتطبيق القاعدة القانونية يعني انزال ما تتضمنه من "حكم" على المسألة المطروحة اذا توافرت شروط هذا التطبيق المقررة في "الفرض " الذي تواجهه القاعدة، فتطبيق القاعدة التي تقرر ان كل من تسبب بخطئه في الاضرار بالغير وهو الفرض، يلتزم بالتعويض وهو الحكم ، ويعني ذلك ترتيب الاثر القانوني او الحكم (الالتزام بالتعويض ) على الفرض الذي تحكمه ( ارتكاب شخص لخطا سبب ضررا للغير ) .

سيؤدي الى اختلاف الحلول بحسب المحكمة التي سيطرح عليها النزاع<sup>٨٧</sup>.

ومثل هذا الوضع قد يدفع محاكم الدولة التي صدرت عنها القواعد ذات التطبيق الضروي الى رفض تنفيذ الاحكام الاجنبية التي لم تطبقها ، وهو ما يؤدي في النهاية الى الاخلال باليقين القانوني المتطلب في عقود التجارة الدولية .

وان كان الفقه الحديث قد سلم في النهاية بمبدأ اعمال القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروي، وهو الامر الذي تأكد بوصفه حقيقة وضعية في الدول الاوروبية بعد ان اعتنقت المادة (١/٧) من اتفاقية روما لعام ١٩٨٠ كما سنرى فيما بعد . فان التساؤل قد ثار حول المقصود بهذا الاعمال.

### الفرع الاول

#### المقصود باعمال القواعد ذات التطبيق الضروي الاجنبية

اختلف الفقه حول المقصود باعمال القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروي . هل المقصود هو تطبيق هذه القواعد اسوة بغيرها من قواعد

المركز المطروح عليه ، وانما هو سيطبق في نهاية الامر حكم القانون الوطني ويقضي بالعقوبة المقررة فيه اذا توافرت شروط هذا التطبيق ومن بينها ان يكون الفعل المرتكب جريمة معاقبا عليها في القانون الاجنبي.<sup>٩٠</sup>

وهكذا يضع القاضي العراقي في اعتباره حكم القانون الاجنبي بينما هو تصدى فنيا لتطبيق القانون الوطني.

ويؤكد البعض ان اعمال القاضي الوطني للقواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروري لا يعدو ان يكون مجرد "وضعها في الاعتبار" على النحو السابق دون ان يحتاج الامر الى تطبيقها من الناحية الفنية.<sup>٩١</sup>

على اننا لا نميل مع البعض الى اجراء هذه التفرقة في شان القواعد ذات التطبيق الضروري ، ذلك ان غالبية الامثلة التي يضرها الفقهاء لفكرة الاخذ في الاعتبار تتعلق اما بالقرارات التشريعية الاجنبية كقرار نزع الملكية مثلا او للقوانين العامة

والامر يختلف بالنسبة للأخذ في الاعتبار حيث تتم استشارة القاعدة القانونية دون التصدي لتطبيقها من الناحية الفنية ، أي دون ان يعمل القاضي المختص عنصر الحكم او الاثر القانوني الذي تتضمنه.<sup>٨٩</sup>

ويحدث ذلك بصفة خاصة عندما يضع القاضي في اعتباره قاعدة من قواعد القانون العام الاجنبي بوصفها شرطا لتطبيق القاعدة الوطنية ، ومثال ذلك في القانون العراقي المادة العاشرة من قانون العقوبات التي تنص على ان "كل عراقي ارتكب وهو في خارج فعلا يجعله فاعلا او شريكا في جريمة تعد جنائية او جنحة بمقتضى هذا القانون يعاقب بأحكامه اذا وجد في الجمهورية وكان ما ارتكبه معاقبا عليه وفقا لقانون البلد الذي وقع فيه " ففي هذه الحالة يتعين على القاضي ان يضع قانون العقوبات الاجنبي في اعتباره ليتأكد من ان الفعل المرتكب معاقب عليه وفقا لهذا القانون (وهذا هو الفرض في القاعدة الوطنية المنصوص عليها في المادة ١٠/عقوبات)، دون ان يطبق مع ذلك حكم القانون الاجنبي على

محل التعاقد الى الخارج في الدولة (أ) سيؤدي الى ذات النتيجة وهي بطلان العقد .

وعلى هذا النحو يمكن القول بان الحالات التي يقتصر فيها الامر على وضع القانون الاجنبي في الاعتبار هي حالات نادرة وتتعلق في الغالب بمسائل القانون العام وحيث يكون الرجوع الى حكم القانون الاجنبي مجرد شرط لتطبيق القاعدة المادية الوطنية .

ولهذا فانه يتعين تفسير نصوص اتفاقية روما لعام ١٩٨٠ وغيرها في شان اعمال القوانين ذات التطبيق الضروي الاجنبية على انه تطبيق لهذه القواعد ذات التطبيق الضروي وليس مجرد وضعها في الاعتبار.<sup>٩٢</sup>

على ان التساؤل مع ذلك يظل قائما حول ما اذا كان القاضي ملزم باعمال القواعد ذات التطبيق الضروي الاجنبية وفقا لهذا المعنى اذا ما توافرت شروط اعمالها ام انه يتمتع بسلطة تقديرية في هذا الشأن .

بل ان الغالب حتى في هذا الفروض ، هو امكان التوصل الى ذات النتيجة بتطبيق القاعدة الاجنبية وليس بمجرد وضعها في الاعتبار . وعلى ذلك فان تعلق الامر بعقد تصدير بضائع من الدولة (أ) الى الدولة (ب) واختار فيه المتعاقدون قانون هذه الدولة الاخيرة (ب) ليحكم العقد الدولي ، بينما تقضي احكام قانون الجمارك في الدولة (أ) بحظر اخراج البضائع محل التعاقد من اقليمها لقيمتها الاثرية مثلا ، فبدلا من وضع قانون الدولة الاجنبية (أ) في الاعتبار لينتهي القاضي الى الحكم بفسخ العقد لاستحالة تنفيذ المصدر لالتزامه ، او للحكم بإبطال العقد لمخالفته للمبادئ الاخلاقية (سواء في قانون العقد او قانون القاضي او الاخلاقيات التي يفرضها النظام العام الدولي) ، فان الايسر من هذا كله هو تطبيق قانون الدولة التي (أ) تطبيقا مباشرا على العقد في شان هذه المسألة باعتباره من القواعد ذات التطبيق الضروي رغم خضوع كافة الجوانب الاخرى للرابطة العقدية للقانون المختار (قانون الدولة ب) . ولاشك ان تطبيق القاعدة القانونية التي تحظر تهريب البضائع

بل ويذهب البعض الى حد عدم الزام القاضي بهذا التطبيق ولو تمسك الخصوم بإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية وتوافرت شروط اعمالها ، وذلك على اساس ان الزام القاضي بإعمال هذه القاعدة قد يضعه المشرع في طريق مسدود فيما لو ارتبط النزاع بقاعدتين متعارضتين من قواعد تنتميان الى دولتين مختلفتين .<sup>٩٤</sup>

وعلى هذا النحو فان كان من العسير ان نفرض على القاضي التزاما بإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري من تلقاء نفسه ، فانه يتعين على الاقل ان نلزمه بهذا التطبيق اذا تمسك احد الخصوم بقاعدة من هذه القواعد وتوافرت في شأنها الشروط المتطلبة لإعمالها . ويخضع القاضي في تقديره لمدى توافر هذه الشروط ، وكذلك في مدى ملائمة اعمال قاعدة التي توافرت شروط تطبيقها على هذا النحو ، لرقابة المحكمة العليا ، باعتبارها مسالة قانون لا مسالة واقع .<sup>٩٥</sup>

### الفرع الثاني

للإجابة عن ذلك يرى جانب من الفقه الفرنسي انه لو كان القاضي غير ملزم بتطبيق القانون الاجنبي الذي تشير قواعد الاسناد باختصاصه من تلقاء نفسه وفقا لما استقر عليه قضاء Bisbal الشهير الصادر عن محكمة النقض الفرنسية ، فانه لا يكون ملزما من باب اولى بإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية التي لا تنتمي الى القانون المختص بمقتضى منهج التنازع .<sup>٩٣</sup>

ويبدو ان هذا الراي قد احس برياح التغيير في قضاء محكمة النقض الفرنسية في هذا الصدد بالنسبة للقوانين ذات التطبيق الضروري الاجنبية التي تشير قواعد الاسناد باختصاصها ، اذ يعزز رايه بالقول بانه حتى وان حدث هذا التغيير ، وهو ما تم بالفعل في عام ١٩٨٨ حيث اكدت محكمة النقض التزام القاضي بتطبيق القوانين الاجنبية من تلقاء نفسه، فانه يتعين ان يظل الامر مختلفا بالنسبة للقواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية التي لا تنتمي للقانون المختص بمقتضى منهج التنازع .



## حل التنازع بين القواعد ذات التطبيق الضروري

إذا كان وجود منهج التنازع التقليدي في اغلب النظم القانونية المقارنة الى جانب المنهج الاحادي الذي يقتصر اعماله على مجال القواعد ذات التطبيق الضروري ، كفيل بحل مشكلة الفراغ التشريعي الناجم عن التنازع السلبي بين هذه القواعد ، فان الامر يختلف فيما لو كان التنازع بين قواعد ايجابية ، أي فيما لو تبين للقاضي وجود اكثر من قاعدة تريد الانطباق على المسألة المعروضة . اذ يتعين على القاضي المقارن ان يواجه هذه المشكلة بالحلول اللازمة اسوة بما يفعله القاضي الوطني في الفروض المشابهة .

وهذه هي مشكلة تنازع القواعد ذات التطبيق الضروري التي ستكون محلا لدراستنا في الفرع الثاني من هذا المطلب .

## اولا : التنازع السلبي للقواعد ذات التطبيق الضروري

ان كانت المسألة المعروضة على القاضي لا تدخل في إطار سريان قاعدة من القواعد ذات التطبيق الضروري، أي لا توجد قاعدة من هذه القواعد تريد الانطباق في شأنها فإننا نكون بصدد ما يسمى بالتنازع السلبي للقواعد ذات التطبيق الضروري .

ولا ينطوي هذا الفرض على صعوبة خاصة، إذ يمكن للقاضي عند عدم وجود قاعدة من قواعد تريد الانطباق على المسألة العقدية المطروحة أن يرجع في شأنها الى القانون المختص بمقتضى منهج التنازع وهو قانون الإرادة او القانون الاوثق صلة بالرابطة العقدية عند سكوت الإرادة عن اختيار قانون العقد.

والوضع يختلف لدى شراح المدرسة الاحادية والذين يرفضون حلول التنازع من خلال قواعد الاسناد المزدوجة. ولذا فقد اضطر هؤلاء الى تلافي الفراغ التشريعي الناجم عن رفض القوانين المختلفة للانطباق على المسألة المطروحة بالالتجاء الى قانون القاضي، او للقانون الذي يعتقد الاطراف أنهم خاضعين لأحكامه.<sup>96</sup>

قواعد الاسناد المزدوجة باختصاصه، وهو في حالتنا قانون العقد التجاري الدولي.

على أن الامر قد يدق في حالة التنازع الايجابي للقواعد ذات التطبيق الضروري.

### ثانيا : التنازع الايجابي للقواعد ذات التطبيق الضروري

ان تبين للقاضي انه لا يوجد سوى قاعدة واحدة من القواعد ذات التطبيق الضروري تريد الانطباق على المسألة المطروحة فانه يتعين عليه اعمالها اذا توافرت الشروط اللازمة لانطباقها على نحو ما أسلفنا في ذكره. ولا يتردد فقه المصالح الحكومية في الولايات المتحدة عن اعمال هذا الحل ازاء كافة قواعد القانون أيا كانت طبيعتها على أساس أننا لا نواجه في هذه الحالة تنازع حقيقي بين القوانين التي تريد الانطباق على المسألة المطروحة ، وانما نحن بصدد "تنازع كاذب" و"مشكلة كاذبة" على حد تعبير الفقه الامريكي.<sup>٩٨</sup>

وقد انتقد البعض بحق هذه الحلول. فإعمال قانون القاضي لمجرد انه لا توجد قاعدة أخرى تريد الانطباق هو حل غير ملائم في كثير من الفروض، خاصة اذا كان هناك قانون آخر أكثر اتصالا بالنزاع، وهو في حالتنا القانون الذي تشير قواعد الاسناد باختصاصه.<sup>٩٧</sup>

ومن جهة أخرى فوفقا لأي معيار سيحدد القاضي القانون الذي اعتقد الاطراف أنهم خاضعين لأحكامه. لاشك أن هذا التحديد يتضمن قدرا كبيرا من التحكم، مما يؤدي الى الاخلال بالتوقعات، وهو ما يخالف الهدف الذي يسعى انصار هذا الرأي الى ادراكه.

وأيا كان الامر فلا محل لكافة الحلول المتقدمة في الانظمة التي تحتفظ لمنهج التنازع التقليدي بمكان الصدارة ولا تلجأ الى المنهج الاحادي الا في صدد القواعد ذات التطبيق الضروري ، حيث يطبق القاضي عند التنازع السلبي بين القواعد ذات التطبيق الضروري احكام القانون الذي تشير

المقرر في القواعد الاخرى سوف يؤدي الى ارضاء هذه القواعد الاخيرة. كذلك فان كنا بصدد عدة من القواعد ذات التطبيق الضروي التي تهدف جميعها الى حماية المستهلك بمنع ادراج الشروط التعسفية في العقد، فان تطبيق القاعدة التي تعتق مفهوما موسعا لهذه الشروط سوف يرضى بالضرورة المصالح التي تسعى القواعد الاخرى الى تحقيقها.

ويتفق غالبية الفقه على التفرقة في هذه الحالة بين فرضين. أولهما هو الفرض التي تكون فيه احدى القواعد ذات التطبيق الضروي المتنازعة منتمية الى قانون القاضي. اذ يتعين في هذا الفرض ترجيح هذه القاعدة ، لتعلق الأمر بالنظام العام في دولة القاضي.<sup>99</sup>

أما الفرض الثاني فهو اذا لم تكن احدى القواعد ذات التطبيق الضروي المتنازعة على المركز المطروح تنتمي لقانون القاضي ، فقد رأى البعض ضرورة العودة في هذا الفرض الى القانون المختص بمقتضى قواعد الإسناد ، وهو حل يتنافى في تقديرنا مع طبيعة القواعد ذات

بل ولا تثار مشكلة خاصة فيما اذا كان هناك أكثر من قاعدة واحدة من القواعد ذات التطبيق الضروي تريد كل منها الانطباق على جانب مختلف من جوانب الرابطة العقدية الدولية. اذ يخضع كل جانب من هذه الجوانب للقاعدة التي تريد الانطباق عليه.

وانما تثار المشكلة الحقيقية فيما لو تبين للقاضي أن أكثر من قاعدة واحدة من القواعد ذات التطبيق الضروي تريد الانطباق على جانب واحد من جوانب الرابطة العقدية الدولية محل النزاع.

ولعل من المفيد أن نوضح من البداية أنه حتى هذا الفرض فقد يستطيع القاضي أن يتجنب المشكلة فيما لو طبق القاعدة ذات تطبيق ضروي التي يؤدي اعمالها الى ارضاء المصالح التي تسعى اليها القواعد ذات التطبيق الضروي الاخرى التي تريد الانطباق.

وعلى هذا الاساس فان تطبيق القاعدة التي تقرر حد أقصى لسعر الفائدة يقل عن الحد

متوقع تنفيذه في الدولة التي سيصدر الحكم عن محاكمها.

فيما يفضل جانب آخر من الفقهاء حل التنازع بين القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية في ضوء معيار مستمد من العناصر التي تسمح للقاضي بأن يتخذ قراره في شأن تطبيق القاعدة ذات التطبيق الضروري الاجنبية حتى وان لم يكن هناك تعارض بين هذه القاعدة وغيرها من قواعد الأخرى، وهو ما يؤيده على الأقل في الفروض التي يتوقع فيها تنفيذ الحكم في اقليم دولة القاضي.<sup>١٠١</sup>

وعلى هذا الاساس يتعين في هذا الفرض أن يعتد القاضي عند اجراء المفاضلة بين القواعد ذات التطبيق الضروري الأجنبية المتنازعة بطبيعة كل قاعدة وموضوعها ومدى مشروعيتها حتى يستطيع في ضوء هذه العناصر اتخاذ قراره في شأن اختيار القاعدة الواجبة التطبيق.

ولعل سكوت معاهدة روما عن وضع قواعد خاصة لحل التنازع بين القواعد ذات التطبيق

التطبيق الضروري والهدف المراد ادراكه من خلال اعمالها.

ولهذا يفضل أصحاب المدرسة الأحادية الحديثة تطبيق القاعدة ذات التطبيق الضروري التي يرونها أكثر ارتباطا بالمتعاقدين من حيث الواقع والتي يصعب عليهم استبعادها أو الإفلات من أحكامها. وهذا هو معيار الفعالية الذي يعد الهدف الرئيسي للمنهج الأحادي والذي يسعى إلى إخضاع الأفراد للقانون الذي يتمتع بالفعالية الأقوى في مواجهتهم.<sup>١٠٠</sup>

وغالبا ما يؤدي معيار الفعالية على هذا النحو الى ترجيح تطبيق القاعدة ذات التطبيق الضروري التي يتوقع القاضي تنفيذ حكمه فيها ، والتي ستفرض تنفيذ الحكم فيما لو صدر بالمخالفة لقاعدة من قواعدها الآمرة ذات التطبيق الضروري.

اذ في الغالب يكون اختصاص القاضي بالنزاع قائما على أن حكمه هو الأكثر قابلية للتنفيذ من الحكم الصادر من قضاء أي دولة أخرى، أي

## محور الدراسات المتفرقة

اذ أن تقدير القاضي لكافة هذه الاعتبارات يستلزم الكشف عن مضمون القاعدة وتحليل أهدافها والوقوف على آثار تطبيقها أو عدم تطبيقها في كل حالة على حدة، وهو ما قد يؤدي الى التحكم وبالتالي الاخلال بتوقعات المتعاقدين في عقود التجارة الدولية.

ومن جهة أخرى ورغم أهمية الاعتبارات الخاصة باليقيين القانوني في مجال عقود التجارة الدولية، وهي الاعتبارات التي سمحت بإسناد هذه العقود للقانون الذي تختاره ارادة المتعاقدين، الا انه من المتعين على القاضي في نفس الوقت ألا يتجاهل القواعد ذات التطبيق الضروري الأمر في الدولة التي ترتبط بالعقد والتي تهدف الى حماية مصالح جماعية لا يجوز اغفالها، بالإضافة الى حماية الطرف الضعيف في التعاقد. ذلك أن تجاهل هذه القواعد، تحت ستار احترام ارادة المتعاقدين وتوقعاتهم، قد يغري هؤلاء بالغش نحو القانون، بل والافلات بالعقد من مجال سلطان قواعد الأمر. ١٠٣

الضروري الاجنبية يكشف عن قصد واضعها في ضرورة العودة في هذا الصدد الى المواجهات العامة المنصوص عليها في مادتها السابعة والتي يتعين في ضوءها أن يتخذ القاضي قراره في شأن مدى سلامة اعمال القاعدة ذات التطبيق الضروري الاجنبية التي تمسك بها الخصوم، والتي يمكن ايضا من باب القياس أن يضعها القاضي في اعتباره عند المفاضلة بين القواعد ذات التطبيق الضروري الاخرى التي تتنازع لحكم المسألة المطروحة.

وعلى هذا النحو يمكن للقاضي أن يعتد في هذا الصدد بطبيعة القاعدة وموضوعها والاثار المترتبة على تطبيقها أو عدم تطبيقها، وهي ذات العناصر التي يضعها القاضي في اعتباره، بصريح نص المادة (٧) من الاتفاقية، قبل اتخاذ قراره بإعمال القاعدة ذات التطبيق الضروري الاجنبية التي لا تنتمي للقانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد ولو لم يكن هناك تنازع بين هذه القاعدة وغيرها من قواعد. ١٠٢

يتسم اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين بطابع خاص يرتد بصفة اساسية الى سببين رئيسيين.

يعود السبب الاول الى ان المحكمين ليس لهم قانون اختصاص داخلي وفقا للرأي السائد في قضاء التحكيم الدولي المعاصر.<sup>١٠٥</sup> ويترتب على ذلك ان تصبح كافة القواعد ذات التطبيق الضروري لدى المحكمين في حكم القواعد الاجنبية وتعامل على هذا الاساس.

وعلى هذا الاساس تفقد التفرقة بين القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروري والقواعد ذات التطبيق المباشر في دولة القاضي أهميتها لدى المحكمين، باستثناء الوضع الخاص بالإعمال المباشر لأحكام القانون التجاري المشترك، وهي أحكام تعد من القواعد المادية في القانون الدولي الخاص للمحكم.

ولهذا لا يتصور اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين الا وفقا للمنهج الاحادي والحال انه لا يوجد لهم قانون

أما الخشية من تحكم القضاء عند تحديد المقصود القواعد ذات التطبيق الضروري التي تقيد من اعمال قانون العقد في كل حالة على حدة ، فمردود عليه بأن سلطة القضاء التقديرية في هذا الصدد لا تفلت من رقابة المحاكم العليا<sup>١٠٤</sup>.

وإذا تمسك أحد المتعاقدين بقاعدة أجنبية من القواعد ذات التطبيق الضروري في هذا الفرض فإن الغالب أن يرفض القاضي اعمالها، أما لان القاعدة ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لقانونه تسعى الى ادراك أهداف مشابهة، أو لأنها على العكس تتناقض تماما مع القاعدة الاجنبية التي تمسك بها الخصوم مما قد يستوجب الامتناع عن اعمال هذه الاخيرة باسم النظام العام.

### المبحث الثالث

اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين

فالمحكم يستمد سلطاته من ارادة الاطراف وبالتالي فهو لا يمتلك كمبدأ عام الخروج عن هذه الارادة او الاخلال بتوقعاتها المشروعة.

ولعل هذا هو السبب في تردد المحكمين في اعمال قواعد التي استبعدتها الاطراف صراحة او التي لم يتوقع هؤلاء تطبيقها.

فمن ناحية اولى ان عدم وجود قانون اختصاص للمحكم في الوقت الذي يتعين فيه على هذا الاخير ان يحترم توقعات الاطراف من ناحية أخرى، هو الذي يضيف على حلول التنازع بين القواعد ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق طابعا خاصا امام المحكمين . اذ لا يتصور من باب التفضيل المسبق للقواعد ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لقانون القاضي والحال ان المحكم ليس له قانون اختصاص داخلي كما رأينا. ومن ناحية أخرى فان احترام توقعات الاطراف يقضي دائما تفضيل القواعد ذات التطبيق الضروري التي يتوقع هؤلاء تطبيقها او يفترض فيهم ذلك.

اختصاص ينطوي على قواعده الخاصة التي قد يؤدي الاعمال المزدوج لمعايير انطباقها الى تحديد القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروري التي يتعين اعمالها وفقا لما انتهى اليه جانب من الفقهاء.<sup>١٠٦</sup>

بل ان اصطدام القواعد ذات التطبيق الضروري بالنظام العام يتخذ صورة خاصة امام المحكمين نتيجة لعدم وجود قانون اختصاص داخلي لهم، وبالتالي ينعدم وجود نظام عام وفقا للمعنى المحدد لهذه الفكرة في القانون الدولي الخاص الداخلي. فما يسهر المحكم على حراسته هو النظام العام الدولي وفقا للمعنى الحرفي لهذا الاصطلاح بالإضافة الى ما قد يضطر اليه من احترام للنظام العام في دولة مقر التحكيم او الدولة التي يتوقع تنفيذ حكمه فيها، رعاية لمبدأ الفعالية المستقر في المعاملات التعاقدية الدولية.

اما السبب الثاني الذي يؤدي الى خصوصية اعمال قواعد امام المحكمين فهو الطابع الاتفاقي للتحكيم

اختصاص محاكمها بنظر الدعوى بمقتضى شرط التحكيم، أو الدولة التي اختار المحكمون الرجوع الى قواعد الاسناد المقررة في قانونها.. الخ

ويترتب على هذا النظر ضرورة رجوع المحكم الى قواعد القانون الدولي في هذه الدولة أو تلك عند الفصل في النزاع باعتباره قانون اختصاص المحكم أسوة بقاضي هذه الدولة، وهو ما يقتضي اعمال ما يتضمنه قانونها من قواعد للتنازع، بالإضافة الى ما ينطوي عليه هذا القانون من القواعد ذات التطبيق المباشر.<sup>١٠٨</sup>

ومما تجدر الاشارة اليه أن قضاء التحكيم التجاري الدولي المعاصر قد جرى في غالبية احكامه على مسلك آخر لا يتقيد فيه بأحكام القانون الدولي الخاص في دولة معينة. فهو يرجع احيانا لما يسمى بالتطبيق الجامع لأنظمة القانون الدولي الخاص المحيطة بالنزاع، أو القانون الدولي الخاص بصفة عامة دون التقيد بنظام دولة محددة بالذات أو للمبادئ التي استقر عليها العمل في التحكيم الدولي المستقاة من

وفي ضوء ما قدمناه نعرض في المطلب الاول من هذا المبحث لآثر عدم وجود قانون اختصاص داخلي للمحكمن في اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري، ثم نتصدى في المطلب الثاني للطابع الاتفاقي للتحكيم وأثره في اعمال هذه القواعد.

### المطلب الاول

عدم وجود قانون اختصاص داخلي للمحكمن وأثره في اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري

ان جانبا من الفقه التحكيمي قد أراد الربط بين التحكيم الدولي والنظام القانوني لدولة معينة، فأكد أن المحكمن يملكون قانون اختصاص داخلي.<sup>١٠٧</sup> وكل ما في الامر ان هؤلاء الفقهاء قد اختلفوا حول قانون اختصاص المحكمن على هذا النحو، هل هو قانون دولة مقر التحكيم كما أوصى بذلك مجمع القانون الدولي في دورة انعقاده بأمستردام في عام ١٩٥٧، أم قانون الدولة التي اختار الاطراف قانونها لحكم الرابطة العقدية، أو الدولة التي استبعد الاطراف



القواعد الاخيرة هي بطبيعتها من قواعد القانون الداخلي لدولة معينة، وتسري بصفة اساسية على العلاقات الداخلية وان كان من المتصور ان يمتد تطبيقها الى الروابط الخاصة الدولية لتصبح على هذا النحو من القواعد الآمرة دولياً على نحو ما بينا من قبل.<sup>١١٠</sup>

ولما كان قضاء التحكيم الدولي قد استقر كما رأينا على عدم اعتناق القانون الداخلي لدولة محددة باعتباره قانون اختصاص المحكم، فلم يعد من المتصور وفقاً لهذا النظر ان يكون للمحكمين قانوناً داخلياً يسهرون على حراسته أسوة بالقاضي، وبالتالي فانه من المتعذر ان تطرح امامهم مشكلة اعمال القواعد الوطنية ذات التطبيق المباشر، أي القواعد التي تنتمي لقانون القاضي، والحال انهم لا يملكون قانوناً داخلياً يعد قانون اختصاصهم.

و على هذا الاساس نكتسب كافة القواعد الداخلية ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق على العلاقة المطروحة على المحكمين الصفة الأجنبية.<sup>١١١</sup>

العقود النموذجية ولوائح الشركات، بالإضافة الى المبادئ العامة والتي يمكن أن تعقد في مجموعها جزءاً من القانون التجاري الدولي المعاصر تقوم الى جانب ما يتضمنه هذا القانون من احكام موضوعية لتنظيم روابط التجارة الدولية.<sup>١٠٩</sup>

وعلى هذا الاساس تتضمن هذه المبادئ، بالإضافة الى القواعد الموضوعية التي تنطبق مباشرة على الروابط العقدية المطروحة، قواعد التنازع المستقر عليها في العمل الدولي والتي يفضل المحكمون اختيارها بوصفها قواعد الاسناد الملائمة لظروف التجارة الدولية.

ومثل هذه المبادئ العابرة للحدود وان تضمنت قواعد الاسناد بالإضافة للأحكام الموضوعية المستقرة في الاعراف الدولية والتي تعد في حكم قواعد القانون الدولي الخاص المادي التي يمكن للمحكم ان يطبقها مباشرة على العلاقة العقدية الدولية المطروحة عليه دون حاجة للالتجاء الى منهج التنازع، الا انها لا تنطوي على ما اسميناه بالقواعد ذات التطبيق الضروري أو غيرها من القواعد الداخلية ذات التطبيق المباشر. فهذه

## الفرع الاول

### الصفة الاجنبية للقواعد ذات التطبيق الضروري

#### امام المحكمين

ان كان المحكمون لا يملكون قانون اختصاص داخلي يسهرون على حراسته. فهم لا يلتزمون بأعمال القواعد ذات التطبيق المباشر التي يتضمنها قانون داخلي معين.<sup>١١٢</sup>

وعلى هذا النحو تفقد التفرقة بين القواعد ذات التطبيق الضروري اهميتها امام المحكمين.

اذ تعد كافة قواعد امام قضاء التحكيم بمثابة القواعد الاجنبية، وهو ما يضيف على اعمالها صعوبات متعددة في غالبية الاحوال.

ولا تثار مشكلة خاصة عند اعمال المحكمين للقواعد ذات التطبيق الضروري التي تنتمي للقانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد التي يعتقها المحكمون(قانون الارادة مثلا).اذ يتعين اعمال القواعد المنتمية الى قانون العقد بما فيها القواعد ذات التطبيق المباشر التي تعد قواعد

ذات التطبيق الضروري جزءا منها، استنادا لفكرة

الاسناد الاجمالي التي سبقت الاشارة اليها.

وانما قد تثار الصعوبة بالنسبة للقواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون العقد المختص بمقتضى منهج التنازع. اذ يترتب على عدم وجود قانون اختصاص داخلي للمحكمين ان يصبح من المتعذر أن يتم تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروري في هذا الفرض من خلال الاعمال المزدوج لمعايير سريان القواعد المماثلة في قانون القاضي على نحو ما انتهى اليه جانب من الفقهاء. فمثل هذا الاتجاه يفرض وجود قانون للقاضي يتضمن القواعد ذات التطبيق ضروري يمكن اعمال معايير انطباقها بطريقة مزدوجة، وهو افتراض لا يقوم على اساس من الواقع فيما لو كان النزاع مطروحا على المحكمين. اذ لا يملك هؤلاء كما بينا قانون اختصاص داخلي حتى يمكن استخدام معايير انطباقه بطريقة مزدوجة وصولا الى الكشف عن قواعد الاجنبية الواجبة الاتباع.<sup>١١٣</sup>

وللمحكم في هذه الحالات، وأسوة بالقاضي، أن يتأكد من مشروعية المصلحة التي تقتضي اعمال القاعدة ذات التطبيق الضروري، وهو ما قد يلتزم، وفقا لما قرره اتفاقية روما سالفه الذكر، ان يضع في اعتباره طبيعة القاعدة ذات التطبيق الضروري المزمع اعمالها، وموضوعها، والنتائج المترتبة على تطبيقها او عدم تطبيقها.

على ان خصوصية اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين تبرز في هذا الموضوع مرة اخرى نظرا لعدم وجود قانون اختصاص داخلي للمحكم يدفعه، عند تقديره لمشروعية المصلحة التي تفرض تطبيق قاعدة، للاستجابة لبعض الاعتبارات السياسية أسوة بالقاضي.

فما دام ان المحكم لا يلتزم بالقانون الداخلي لدولة معينة باعتباره قانون اختصاصه الذي يمكن على اساسه تقدير الاعتبارات السياسية التي قد تدعوه الى اقرار شرعية اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لدولة اخرى من عدمه، فلم يعد من المتصور ان تكون الاعتبارات المذكورة محلا لاهتمام المحكم.<sup>١١٥</sup>

وعلى هذا النحو فلا يبقى امام المحكمين الا الالتجاء الى المنهج الاحادي كأساس لإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري على المنازعات الدولية المطروحة عليهم.

وفي سبيل اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري، وفقا لهذا المنهج فانه يتعين على المحكم ان يتأكد من ارادة القاعدة الاجنبية في الانطباق على المسألة المطروحة وبشرط ان تكون هناك صلة عقلانية بين مضمون القاعدة واهدافها على هذا النحو وبين نطاق تطبيقها.<sup>١١٤</sup>

ومؤدى هذا الاشتراط الاخير، وكما رأينا من قبل، ان يتأكد المحكمون من ان هناك صلة يرونها وثيقة بين العلاقة العقدية الدولية والقانون الداخلي للدولة التي تنتمي اليها قاعدة، وهو ما يحدث عادة فيما لو كان العقد منفذا في هذه الدولة او كان لاحد المتعاقدين موطن فيها، أو لو كانت الدولة المذكورة طرفا في العقد كما هو الشأن في عقود الدولة على سبيل المثال.

معينة، وانما هم مكلفون بحماية المصالح العليا لمجتمع التجارة والاعمال العابرة للحدود، أي بحماية النظام العام الدولي وفقا للمعنى الحرفي المقصود من هذا الاصلاح.<sup>١١٦</sup>

ومن هنا يتأكد الطابع الدولي للنظام العام كمانع من موانع اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين.

### الفرع الثاني

النظام العام كمانع من موانع اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين

من نافلة القول انه اذا تصدى القاضي لتحليل مضمون وأهداف القاعدة الاجنبية ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق على المسألة المطروحة، وتبين تعارض هذا المضمون او تلك الاهداف مع المبادئ العليا في دولته، أي مع النظام العام فيها ، فانه يتمتع عن اعمالها.<sup>١١٧</sup>

ذلك ان تأكد القاضي من اصطدام القاعدة ذات التطبيق الضروري الاجنبية بالنظام العام في

وكما سنرى فيما بعد ان من اهم ما يشغل بال المحكم عند اتخاذ قراره بإعمال القاعدة ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق على العقد هو احترام توقعات الاطراف في هذا الصدد، وهو اعتبار على اهميته يناهض اهداف القواعد ذات التطبيق الضروري والتي تسعى الى ادراك مصالح جماعية او مصالح خاصة قدر المشرع اهميتها الجوهرية مثل حماية الطرف الضعيف، وذلك بصرف النظر عن توقع الاطراف لتطبيق هذه القواعد من عدمه.

وأيا كان من الامر فاذا كان القضاء الداخلي يحرص عادة، وقبل التصدي لإعمال القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروري، على الرجوع للمبادئ السائدة في قانونه لتقدير مشروعية هذه الاعمال وشروط سلامته، وكذلك مدى تعارضه مع النظام العام في دولته، وهو ما يضيف على فكرة النظام العام في مجال القانون الدولي الخاص طابعا وطنيا، فان الامر يختلف امام المحكمين والذين لا يسهرون بحسب الاصل على المبادئ الاساسية التي تسود في جماعة داخلية

وإذا كان الطابع الخاص لآلية تدخل النظام العام عند التصدي لإعمال القواعد الاجنبية ذات التطبيق الضروي التي لا تنتمي للقانون المختص بمقتضى قاعدة الاسناد لا يختلف سواء كانت القاعدة ذات التطبيق الضروي الاجنبية التي تريد الانطباق مطروحة امام القاضي او امام المحكمين، فان مفهوم فكرة النظام العام ذاتها يختلف في كل من الحالتين السابقتين.

ذلك ان مفهوم النظام العام امام القضاء الداخلي هو مفهوم وطني بحت. اذ ان دور النظام العام يختلف في مجال القانون الداخلي عنه في نطاق القانون الدولي الخاص، حيث يجري الفقه على تسميته في هذا الفرض الاخير بالنظام العام الدولي، أي النظام العام المتعلق بعلاقات القانون الدولي الخاص والتي يكتسب مفهومه في اطارها طابعا مخففا. ومع ذلك يظل للنظام العام في هذا الاطار طابعه الوطني بوصفه وسيلة لحماية المبادئ والقيم العليا للجماعة الوطنية<sup>١١٩</sup>.

دولته هذا الفرض يتم عادة في مرحلة تحليل هذه القاعدة للبحث عن مدى ارادتها في الانطباق وقبل التوصل الى قرار نهائي باختصاص بحكم المسألة المطروحة، وهو ما يخالف الاعمال التقليدي للدفع بالنظام العام في مواجهة القانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد، وحيث يتم هذا الاعمال في مرحلة تالية على تحديد اختصاص القانون المذكور بحكم النزاع.

ولهذا يعد النظام العام في هذه الحالة الاخيرة اداة لاستبعاد القانون الاجنبي الواجب التطبيق بمقتضى منهج التنازع، بينما يؤدي النظام العام دوره السابق في مجال القواعد ذات التطبيق الضروي الاجنبية التي لا تنتمي للقانون المختص بطريقة غير محسوسة وفي المرحلة السابقة على تحديد اختصاص القاعدة المطروحة ، والتي يكتفي القاضي، فيما لو تبين تعارضها مع النظام العام في دولته، بالامتناع عن تطبيقها قبل ان تثار مسألة اختصاصها اصلا.<sup>١١٨</sup>

الضروري التي تتصل بصميم النظام العام السوري، وذلك لتعارضه مع ما أسماه هؤلاء بحرية التجارة ومبادئ عدم التمييز التي تتعلق في تقديرهم بالنظام العام الدولي او المشترك الذي يتعين على المحكمين اعلائه على النظام العام الداخلي.<sup>١٢١</sup>

ويشير البعض مع ذلك الى انه لو كان مضمون النظام العام واحدا امام القضاء الداخلي سواء أستخدم كأداة لتثبيت الاختصاص لقانون القاضي(القواعد ذات التطبيق المباشر) او كأداة لاستبعاد القانون الاجنبي، فان مضمون النظام العام يختلف امام المحكم حسب الوظيفة التي يؤديها. فان كان النظام العام امام المحكم يعد دوليا بالفعل عند استخدامه كأداة لاستبعاد القانون الواجب التطبيق على العقد وسواء كان هذا القانون هو المختص بمقتضى منهج التنازع المزدوج او كان من القواعد ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق على المسألة المطروحة على نحو ما رأينا، فانه يكون وطنيا (أي نظام عام خاص بدولة معينة) وذلك حينما

والوضع يختلف امام قضاء التحكيم الدولي وحيث لا يملك المحكمون قانون اختصاص داخلي يسهرون على حماية مبادئه العليا. اذ يتخذ النظام العام امامهم طابعا دوليا محضا يهدف الى حماية القيم الانسانية المشتركة ، وكذلك أخلاقيات العقود الدولية والتي تفرض على المحكم مثلا الامتناع عن تطبيق قانون داخلي لا يناهض الفساد ، كما لو كان يجيز دفع العمولة للموظف العام في الدولة المضيفة للاستثمار مقابل التسهيلات التي قدمها الاخير للمستثمر الاجنبي بحكم وظيفته.<sup>١٢٠</sup>

بل ان قضاء التحكيم الدولي قد استقر على الامتناع عن تطبيق القانون الداخلي الذي يتعلق بالنظام العام وفقا للمعنى المحدد لهذه الفكرة في القانون الدولي الخاص للدولة التي ينتمي اليها هذا القانون ، وذلك فيما لو تعارض مفهومه مع النظام العام الدولي او المشترك. فقد امتنع المحكمون عن تطبيق القانون السوري الذي يقضي بمقاطعة الشركات التي تتعامل مع اسرائيل رغم انه يعد من القواعد ذات التطبيق

التحكيمية خشية الطعن على الحكم. اما رعاية النظام العام في الدولة التي يتوقع تنفيذ حكمه فيها يقوم على مبدأ الفعالية السالف الذكر، وحتى لا يخاطر برفض قضاء هذه الدولة لتنفيذ الحكم التحكيمي الذي يخالف النظام العام فيها.

ويشير البعض بحق الى ان اضطرار المحكم الى مراعاة النظام العام الوطني في اكثر من دولة قد يؤدي به عملا الى رعاية النظام في الدولة الاكثر تشددا.<sup>١٢٣</sup>

ومن جهة اخرى فقد لاحظ هذا الرأي ان الاتجاه الغالب يميل الى احترام النظام العام الوطني في الدولة التي يختص قانونها بحكم الرابطة العقدية وفقا لمنهج التنازع، وبصفة خاصة التي اختار المتعاقدان قانونها الداخلي كقانون للعقد ، بشرط الا يتعارض ذلك مع النظام العام الدولي الذي يعتبر المحكمون في النهاية حراسا عليه بوصفه تعبيرا عن المبادئ العليا التي تسود في الاسواق العابرة للحدود والتي يعد نظامها القانوني هو قانون اختصاص المحكم.

يتصدى المحكم لتطبيق قاعدة داخلية من القواعد ذات التطبيق الضروري في دولة معينة تتصل بالرابطة العقدية ، فإعمال المحكم للقواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي للقانون المختص بمقتضى منهج التنازع فيما لو كانت تريد الانطباق على المسألة المطروحة، هو في حقيقة الامر اعمال للنظام العام الداخلي للدولة التي تنتمي اليها هذه القاعدة ذات التطبيق المباشر.<sup>١٢٢</sup>

بل ان المحكم قد يراعي النظام العام الوطني لدولة محددة في فروض اخرى. واذا تركنا جانبا رعاية المحكم للنظام العام في الدولة التي يختص قانونها بحكم الرابطة العقدية الدولية بمقتضى منهج التنازع، على اساس ان هذا هو مؤدى الاعمال الطبيعي لقاعدة الاسناد، فانه قد يضطر في بعض الفروض الى مراعاة النظام العام الداخلي في دولة مقر التحكيم او في الدولة التي يتوقع تنفيذ حكمه فيها.

فهو يراعي النظام العام في قانون دولة مقر التحكيم بالنسبة للإجراءات المتبعة في الدعوى

ارادة الاطراف، وهو ما يدفعهم الى الحرص على احترام هذه الارادة وكفالة حقها في اليقين القانوني حتى عند التصدي لإعمال قواعد ذات التطبيق الأمر.

وهكذا يؤثر الطابع الاتفاقي للتحكيم على اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين على نحو ما سنرى في الفرع الاول من هذا المطلب.

كذلك ان عدم امكانية تطبيق الحلول التي جاء بها القضاء ازاء مشكلة تنازع القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين قد اورث هذا الموضوع اهمية خاصة تقودنا الى استعراضه في الفرع الثاني .

#### الفرع الاول

الطابع الاتفاقي للتحكيم وأثره في اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري

اذا كنا قد اخلصنا فيما سبق الى ان المحكم، وخلافا للقاضي، يستمد سلطاته في القضاء من

ويبقى التساؤل حول الاسباب التي تدعو المحكمين، عند التصدي لإعمال القواعد الداخلية الأمر ذات التطبيق الضروري، الى تفضيل ما كان من هذه القواعد منتما الى قانون العقد، وبصفة خاصة القانون الذي اختارته ارادة المتعاقدين<sup>١٢٤</sup>.

ولعل من اهم هذه الاسباب هو ان القانون المختار على هذا النحو هو القانون المختص بحكم الرابطة العقدية. ومن جهة اخرى فان اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري في هذا القانون لا يشكل مفاجأة للمتعاقدين، ولا يخل بتوقعاتهم المشروعة في عقود التجارة الدولية.

#### المطلب الثاني

الطابع الاتفاقي للتحكيم وخصوصية تنازع القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين

لاشك ان حرص المحكمين على احترام توقعات المتعاقدين على هذا النحو هو النتيجة الطبيعية للطابع الاتفاقي للتحكيم. اذ يستمد المحكمون سلطاتهم في القضاء، وعلى خلاف القاضي، من



القانون التجاري المشترك على هذا النحو والتي شاركوا في نشأتها واعتادوا على التعامل على أساسها<sup>١٢٧</sup>.

وإذا سكت المتعاقدون عن اختيار قانون العقد، ولم يجد المحكم في الاعراف التجارية الدولية حكما للنزاع المطروح، فإنه يطبق في العادة في القانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد التي يراها ملائمة. وإذا صرفنا النظر عن مناسبة القانون الذي يشير قواعد الاسناد باختصاصه للرابطة العقدية المطروحة وكونه الاكثر صلة بها، فالملاحظ على غالبية احكام المحكمين أنها تفضل تطبيق القانون الذي يتوقعه الاطراف.

وهذا هو السبب الذي يميل المحكمون من اجله الى اختيار قواعد الاسناد المعترف بها في الدولة المرتبطة بالنزاع او في المبادئ العامة للقانون الدولي الخاص، لأنها تعد في الحالة الاولى في القواعد المستقرة في المحيط الضيق للأطراف، وتعتبر في الحالة الثانية من القواعد المعترف بها دوليا ومن ثم تكون اقرب الى توقعات المتعاقدين .

ارادة الاطراف. ولهذا فهو يسعى جاهدا الى احترام توقعاتهم عند تحديد قانون العقد.

ولعل هذا ما يفسر ما مضت الاشارة اليه من اتجاه بعض احكام المحكمين الى انزال نصوص القانون المختار منزلة الشروط العقدية مما يسمح للمتعاقدین بالتثبيت الزمني لأحكام هذا القانون حتى لا يفاجئوا بأي تعديلات تشريعية لاحقة على ابرام العقد الدولي تقيد او تحد من القدرة على ابطال العقد خلافا لما يتوقعه أطرافه.<sup>١٢٥</sup>

وحتى أحكام المحكمين التي احتفظت للقانون المختار بصفته الأمرة، فقد منحت للمتعاقدین مع ذلك حرية واسعة في الاختيار حتى لو أدى ذلك الى تطبيق قانون لا تربطه بالعقد أي علاقة معقولة، وذلك خشية أن يؤدي تصحيح المحكم لهذا الوضع الى مفاجأة الاطراف بما لم يتوقعوه.<sup>١٢٦</sup>

بل ان اتجاه المحكمين الى اخضاع العقد للعادات والاعراف التجارية الدولية قد برره بعض الفقهاء على اساس ارتياح المتعاقدين لقواعد

تسري القواعد اللاحقة الا لو كانت متوقعة من الاطراف.

ورغم ان مفاد هذا الحكم أنه قد أنزل نصوص القانون المختار مزلة الشروط العقدية، ورفض اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري التي شرعت مرحلة تالية لإبرام العقد، وهو ما يخالف طبيعة هذه القواعد التي تحدد بذاتها نطاق سريانها الأمر بصرف النظر عن ارادة المتعاقدين.

الا أنه قد أوضح على أي حال الى أي حد غالت بعض أحكام المحكمين في احترام توقعات الاطراف على حساب الاحترام المتطلب للنصوص الأمرة التي يتعين تطبيقها بأثر فوري على كافة العلاقات القانونية الممتدة.

على ان الامر يدق امام المحكمين بالنسبة لإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون العقد والتي رأينا ان السبيل الوحيد لإعمالها هو اعتناق المنهج الاحادي واحترام ارادتها في الانطباق، بشرط ان تكون هناك صلة

ولا يختلف الامر، عند المحكمين، فيما لو تصدوا لإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لقانون العقد، خاصة فيما لو تصدى المتعاقدون لاختيار هذا القانون. فمثل هذا الاعمال لا يشكل مفاجأة للمتعاقدين.<sup>١٢٨</sup>

وقد أدرك المحكمون ان اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الأمرة في قانون العقد قد يؤدي الى ابطال الشروط العقدية المخالفة، ولهذا فانهم لم يترددوا في ابطال الشرط الذي حدد سعر الفائدة بما يزيد عن الحد المقرر في القاعدة ذات التطبيق الضروري التي تنتمي للقانون الواجب التطبيق.<sup>١٢٩</sup>

ومع ذلك ففي حكم لغرفة التجارة الدولية صادر عام ١٩٧٩، رفض المحكمون تطبيق القاعدة ذات التطبيق الضروري التي يتضمنها قانون العقد والتي شرعت بمقتضى تعديل تشريعي لاحق على ابرامه بدعوى ان الحقوق والالتزامات المتبادلة بين الطرفين تظل محكومة بالقانون الذي كان مختصا عند ابرام العقد، ومن ثم لا

قانون العقد على أساس القوة القاهرة المترتبة على أعمال هذه القواعد في المجال الدولي.

ففي حكم صادر من غرفة التجارة الدولية في عام ١٩٧٤ تساءل المحكمون حول ما اذا كان رفض السلطات النقدية في بلد المشتري للسماح بتنفيذ العقد الخاضع لقانون دولة البائع يعد قوة القاهرة تسمح بإعفاء المشتري من التزامه المقرر بمقتضى قانون العقد من عدمه<sup>١٣١</sup>.

وعلى هذا الاساس لم يطبق المحكمون القاعدة ذات التطبيق الضروري الاجنبية التي تخول للسلطات النقدية رفض السماح للمشتري بأداء الثمن بعملة قابلة للتحويل الى البائع وانما هم وضعوا هذه القاعدة في الاعتبار وصولا الى القضاء بفسخ العقد لاستحالة التنفيذ.

بل ان هناك من أحكام المحكمين ما فضل الاكتفاء بوضع القاعدة ذات التطبيق الضروري في الاعتبار رغم انه كان بالإمكان تطبيقها لإدراك النتيجة المرجوة. ومن أمثلة ذلك ما حكم به المحكمون الالمان في شأن دعوى تتعلق بعقد

معقولة بين مضمون هذه القواعد وأهدافها من ناحية ونطاق تطبيقها كما حدد مشرعها من ناحية اخرى.

ويشهد الواقع التحكيمي تضاربا واضحا في الاحكام ازاء موقف المحكمين من القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون العقد الدولي.

فهناك من أحكام المحكمين ما رفض تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون العقد وان كانت بعض هذه الاحكام قد وضعت القواعد المذكورة في اعتبارها أخذ بالتفرقة التي يراها البعض بين تطبيق القاعدة القانونية من ناحية واخذها في الاعتبار من ناحية أخرى على نحو ما اشرنا من قبل<sup>١٣٠</sup>.

وغالبية الاحكام التي اتجهت الى وضع القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون العقد في اعتبارها قد أرادت بذلك ان تصل الى اعفاء المدين من التزامه بالعقد الذي يفرضه

حتى تدخل الاعتبار عند تطبيق المادة (٣٠٦) من القانون الواجب التطبيق على العقد. وحيث ان المتمسك بهذه الآثار لم يقدم الدليل على وجود استحالة مادية، قد انتهت المحكمة الى صحة العقد رغم ان القضاء ببطلانه كان متعينا دون حاجة لذلك فيما لو كانت المحكمة قد طبقت القاعدة ذات التطبيق الضروري المقررة في قانون المانيا الغربية. اذ لو كانت المحكمة قد طبقت القاعدة ذات التطبيق الضروري ، وانتهت بناء على ذلك الى ابطال العقد لترتب على هذا البطلان بدهاء استحالة التنفيذ<sup>١٣٢٠</sup>

ويشير البعض الى ان اكتفاء غالبية احكام المحكمين بفكرة وضع القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون العقد في الاعتبار دون التصدي لتطبيق هذه القواعد قد قصد به عدم الاصطدام بمصالح الاطراف على نحو سافر، وهو ما يكشف مرة أخرى عن خصوصية اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري أمام قضاء التحكيم، والذي يعد أقل حرصا من القضاء الداخلي على رعاية المصالح

مبرم بين مؤسسة المانية شرقية (في ذلك الوقت) ومؤسسة المانية غربية اتفق فيه على تطبيق قانون المانيا الشرقية. وقد تمسكت المؤسسة الغربية بقانون دولتها الذي يؤكد حرية المنافسة للانتهاء الى ابطال العقد الذي خالف هذا القانون الذي يعد من قوانين ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي الى قانون العقد.

وبدلا من ابطال العقد وفقا للقاعدة ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق على هذا النحو اكتفت محكمة التحكيم بوضع هذه القاعدة في اعتبارها عند تطبيق قانون العقد(قانون المانيا الشرقية) الذي تنص المادة ٣٠٦ من تقنينه المدني على ان العقد الذي يستحيل تنفيذه يعد باطلا.

وقررت المحكمة أنه كان يجب على المدعي أن يثبت وجود استحالة مادية حتى يمكن ابطال العقد وفقا لقانون المانيا الشرقية.

وهكذا اعتبر ان آثار تطبيق القاعدة ذات التطبيق الضروري التي تكفل حرية المنافسة في المانيا الغربية هي مجرد آثار مادية يتعين اثباتها

السارية في هذه الدولة الاخيرة. وهو لا يملك الادعاء بجهل هذه القواعد أو عدم الخضوع للقواعد الخاصة بالاستيراد في هذه الدولة ، خاصة لو كانت هذه القواعد سارية عند ابرام العقد التجاري الدولي<sup>١٣٤</sup>.

ومن جهة أخرى فقد اتجهت بعض أحكام المحكمين الى رفض تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون العقد حينما استشعرت أن تطبيقها على المسألة المطروحة سيؤدي الى الاخلال باليقين القانوني للأطراف.

وان كان لاحترام توقعات الاطراف هذه الاهمية عند تصدي المحكمين لإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري فيكون من الطبيعي أن تستمر هذه الاهمية ايضا عند التصدي لحلول التنازع بين هذه القواعد. فاحترام توقعات الافراد هو اساس حلول التنازع بين القواعد ذات التطبيق الضروري أمام المحكمين في مجال عقود التجارة الدولية.<sup>١٣٥</sup>

### الفرع الثاني

العامة التي تسعى القواعد ذات التطبيق الضروري الى ادراكها.<sup>١٣٣</sup>

وعلى خلاف الاحكام السابقة فقد اتجهت بعض أحكام المحكمين الى تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون العقد وان كانت قد حرصت على ربط هذا التطبيق بالاحترام المتطلب لتوقعات الاطراف.

ومن ذلك، وعلى سبيل المثال، الحكم الصادر عن غرفة التجارة الدولية في عام ١٩٧٣ والذي طبق القواعد ذات التطبيق الضروري السائدة في قانون دولة تنفيذ العقد رغم خضوع الرابطة العقدية لقانون آخر بمقتضى منهج التنازع. وجاء في الحكم أنه (( وما دام العقد سيجري تنفيذه في كل من لبنان وسوريا والاردن فان المؤكد ان المستورد اللبناني كان سيحترم القوانين ذات التطبيق الضروري في الدول المستوردة، ومن ثم لا يصح للمصدر الياباني الادعاء بأنه لا يجوز التمسك بهذه القوانين في مواجهته )) . وأضاف الحكم أن "كل تاجر يبيع منتجاته في دولة أخرى عليه أن يحترم القواعد ذات التطبيق الضروري

## خصوصية تنازع القواعد ذات التطبيق الضروري أمام المحكمين

مضت الإشارة الى الحلول التي اقترحها الفقه لمواجهة التنازع الايجابي بين القواعد ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق على العلاقة العقدية المطروحة على القضاء . ونحن نحيل في شأنها الى ما سبق أن بيناه من قبل مقتصرين هنا على ايضاح الطابع الخاص لهذه المشكلة فيما لو طرحت على قضاء التحكيم.

ولعل أول مظاهر خصوصية المشكلة أمام المحكمين أن هؤلاء لا يملكون قانون اختصاص داخلي على نحو ما رأينا من قبل، ومن ثم فهم لا يستطيعون اعتناق الحل الذي استقر عليه القضاء الداخلي في شأن ترجيح القاعدة ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لقانون القاضي فيما لو كانت تريد الانطباق على المسألة المطروحة في الفروض التي توجد فيها قاعدة أو عدة قواعد أجنبية أخرى مماثلة تريد الانطباق بدورها على النزاع.<sup>١٣٦</sup>

اذ أن كافة القواعد ذات التطبيق الضروري تعد في حكم القواعد الاجنبية بالنسبة للمحكم، وهو ما يزيد من صعوبة المشكلة المترتبة على التنازع الايجابي بين هذه القواعد فيما لو طرحت على المحكمين .

وتميل بعض أحكام المحكمين الى حسم المشكلة في ضوء مبدأ الفاعلية السابق الإشارة اليه، أي تطبيق القاعدة ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لقانون الدولة التي يتوقع المحكمون أن حكمهم سينفذ في اقليمها، والتي سيرفض قضائها غالبا الامر بتنفيذ الحكم فيما لو كان قد تجاهل قاعدة الأمرة التي ينطوي عليها قانونها لمخالفة هذا الفرض للنظام العام في دولة التنفيذ، مما يجرّد الحكم التحكيمي من فاعليته.<sup>١٣٧</sup>

على ان جانبا من الفقهاء قد أشار بحق الى صعوبة التوقع المسبق للدولة التي سيتم فيها تنفيذ الحكم بالنظر لوجود أموال المحكوم ضده عادة في دولة مختلفة ما دمنا بصدد علاقة دولية بطبيعتها.<sup>١٣٨</sup>

قانونها. فاذا تبين للمحكم ان اعمال القاعدة ذات التطبيق الضروي التي تريد الانطباق سيؤدي الى مفاجأة للأطراف فانه يتجاهل اعمالها مفضلا الرجوع الى القاعدة التي لا تناهض توقعاتهم.

وعلى هذا النحو ففي دعوى طرحت على قضاء التحكيم كان الامر يتعلق بعقد دولي ابرم بين بنك باكستاني وشركة هندية تعهد فيه الاول بضمان المدفوعات المستحقة للشركة في باكستان. وقد امتنع البنك عن تنفيذ التزاماته بالضمان، الذي يعد صحيحا وفقا للقانون الهندي الذي يحكم العقد، وذلك استنادا للمراسيم الباكستانية التي حظرت الدفع لأي طرف هندي (بسبب الخلافات السياسية بين الهند وباكستان في ذلك الوقت)، وهي تعد من القواعد ذات التطبيق الضروي التي تريد الانطباق على الرابطة العقدية المطروحة.

وقد حكم المحكمون لصالح الطرف الهندي عملا بقانون العقد، بما يتضمنه من قواعد ذات تطبيق مباشر، وتجاهلوا القواعد ذات التطبيق

ومن جهة أخرى فان التحديد المسبق لدولة التنفيذ يتضمن مصادره على المطلوب. ذلك ان تحديد هذه الدولة يتوقف على معرفة الطرف الذي سيصدر الحكم في مواجهته. ومعرفة هذا الطرف تتوقف بدورها على تطبيق او عدم تطبيق القاعدة ذات التطبيق الضروي المزمع اعمالها. وعلى هذا الاساس يؤدي الرأي السابق الى حلقة مفرغة. ذلك ان معرفة القاعدة ذات التطبيق الضروي التي يتعين تطبيقها تتوقف على تحديد قانون دولة التنفيذ ، بينما أن تحديد هذه الدولة يتوقف على اعمال القاعدة ذات التطبيق الضروي من عدمه .

وأخيرا فان اعتداد المحكم الدولي بالقواعد ذات التطبيق الضروي السارية في دولة التنفيذ قد يلقي معارضة القاضي المطلوب منه الامر بتنفيذ الحكم التحكيمي والذي قد يرى أن هناك قاعدة آمرة أخرى أولى بالإتباع .

ولهذا يميل جانب كبير من أحكام المحكمين الى ترجيح اعمال القواعد ذات التطبيق الضروي السائدة في الدولة التي يتوقع الاطراف تطبيق

فقط الى ان هؤلاء يستمدون اختصاصهم من ارادة الاطراف، وانما أيضا لان المحكمين لا يعدون حراسا على الانظمة القانونية الداخلية ولا يشعرون مثل القاضي بضرورة الازعان لما تنطوي عليه من قواعد أمره تسعى الى ادراك مصالح اجتماعية واقتصادية وسياسية للدولة التي تنتمي اليها.

ولهذا يمكن القول بان قضاء التحكيم يبدو أكثر تحررا من قضاء الدولة ازاء القواعد الآمرة من القوانين الداخلية. بل ان بعض احكام المحكمين قد حاولت ان تفلت بالعقد الدولي من نطاق تطبيق القوانين الداخلية لتخضعه بصفة أساسية لأحكام القانون التجاري الدولي العابر للحدود.<sup>١٤٢</sup>

#### الخاتمة

ان طوي بساط البحث في هذه الدراسة التي حاولت لملمة الجوانب القانونية المتعددة لمدى اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري في مجال عقود التجارة الدولية وفق المنهج المقارن يستوجب ان نسوق الافكار الرئيسة التي تعد

الضروري الباكستانية التي تؤدي اعمالها الى مفاجأة للمتعاقدين وهو ما لا يجوز<sup>١٣٩</sup>.

ولهذا يشير البعض الى ان المحكمين يفضلون عند التنازع الايجابي للقواعد ذات التطبيق الضروري في مجال التجارة الدولية اعمال ما كان تطبيقه منها متفقا مع توقعات الأطراف.<sup>١٤٠</sup>

وعلى هذا النحو تبدو أهمية احترام توقعات الاطراف كأساس لإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري امام المحكمين، وهو ما يؤكد مرة اخرى الاثر المترتب على الطابع الاتفاقي للتحكيم في هذا الصدد. فالمحكم يستمد سلطاته من الاطراف، ومن ثم فهو يشعر بضرورة احترام ارادتهم عند تحديد القانون الواجب التطبيق. فان تعلق الامر بقواعد داخلية ذات طابع أمر فان اعمالها يتطلب في القليل احترام توقعات الاطراف وعدم مفاجأتهم بتطبيق قاعدة قانونية لا يتوقعون تطبيقها.<sup>١٤١</sup>

ومثل هذا الحرص على احترام ارادة المتعاقدين، والذي لا يخفيه المحكمون، لا يرجع



٣- لا يكفي عند اعمال القواعد ذات التطبيق الضروي ان يحدد مشرعها نطاق تطبيقها المكاني سواء كان هذا التحديد صريحا او يمكن للقاضي استخلاصه ضمنا من مضمون القاعدة واهدافها ، وانما يتعين ايضا على هذا الاخير تفسير المعيار الذي اتخذته القاعدة اساسا لتحديد نطاق تطبيقها حتى يمكن الكشف عما اذا كان امام قاعدة من القواعد ذات التطبيق الضروي يتوافر في شأنها الصلة العقلانية بين مضمونها واهدافها بنطاق سريانها . فاذا لم تتوفر هذه الصلة العقلانية فإننا لا نكون بصدد قاعدة من القواعد ذات التطبيق الضروي، وانما امام قاعدة من القواعد القانونية اراد مشرعها ان يحدد نطاق سريانها المكاني ، ومثل هذه القاعدة الاخيرة لا تستطيع جلب الاختصاص للنظام القانوني الذي تنتمي اليه .

٤- اذا كانت قواعد القواعد ذات التطبيق الضروي تعد من القواعد ذات التطبيق المباشر ، فان العكس غير صحيح ، اذ لاتعد كافة القواعد المباشرة من القواعد ذات التطبيق الضروي ،حيث لا يكفي لوصف قاعدة بانها من

حجر الاساس لبناء نظام قانوني لهذه القواعد ذي الطبيعة الامرة .

١- ينصرف مفهوم القواعد ذات التطبيق الضروي الى القواعد الداخلية التي تتسم بطابع امر يفرض تطبيقها على المراكز التي تدخل وفق التصور العقلي في نطاق سريانها المكاني الذي يتطلبه مضمونها واهدافها التي تسعى الى تحقيقها ، سواء كانت هذه المراكز ذات طابع داخلي بحت او اتسمت بالصفة الدولية ، وان كان هذا الفرض الاخير هو الذي يتحدد به نطاق هذه الدراسة بشكل رئيس .

٢- ان اعمال القواعد ذات التطبيق الضروي في مجال عقود التجارة الدولية اصبح حقيقة لا يمكن انكارها دعت اليها الحاجة في النظم القانونية المختلفة التي استشعرت اهمية بعض المسائل ذات المساس بكيان الدولة الاجتماعي والاقتصادي ، فرات اخضاعها لقانون القاضي مستبعدة في شأنها تطبيق أي قانون اخر .

القواعد جزءا من النظام القانوني المختص بموجب قاعدة الاسناد في دولة القاضي ام كانت جزءا من تشريع اجنبي غير مختص بمقتضى هذه القاعدة الاخيرة ولكنه على صلة بالعقد التجاري الدولي .

٧- يعد المنهج الاحادي هو اساس التطبيق المباشر للقواعد ذات التطبيق الضروري .اذ المقصود في هذا المقام هو الاحادية الجزئية التي لا تستبعد - خلافا للأحادية العامة - منهج التنازع بل تقوم الى جانبه ، لان اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري في قانون القاضي لا يستبعد تماما القانون الاجنبي المختص بمقتضى قواعد الاسناد المزدوجة ، وانما هو يؤدي فقط الى اقصاء القاعدة الموضوعية في هذا القانون التي تتعارض مع القاعدة ذات التطبيق الضروري التي تريد الانطباق .

٨- اذا كان من العسير ان نفرض على القاضي التزاما بإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية من تلقاء نفسه ، الا انه يتعين على الاقل ان نلزمه بذلك اذا ما توافرت في

القواعد ذات التطبيق الضروري ان يكون مشرعها قد اراد اعمالها على نحو مباشر بنص صريح ٥- ان احتواء قانون القاضي على القواعد ذات التطبيق الضروري التي تتولى بنفسها تحديد نطاق تطبيقها المكاني وتنطبق مباشرة على المراكز القانونية التي تدخل في مجال سريانها حتى وان تضمنت عنصرا اجنبيا يؤدي على هذا النحو الى تعطيل اعمال قاعدة الاسناد في خصوص المسائل التي تدخل في نطاق هذه القواعد ، بما يترتب عنه تجزئة العقد التجاري الدولي ، بحيث يخضع لقانون الارادة فيما عدا جوانبه التي تدخل في نطاق سريان القواعد ذات التطبيق الضروري .

٦- تحتم النصوص الوطنية الامرة والبعض من قواعد الاسناد على القاضي المطروح عليه النزاع ، ان يقوم بإعمال ليس فحسب القواعد ذات التطبيق الضروري الوطنية أي التي تنتمي لنظامه القانوني ، بل وايضا كافة القواعد ذات التطبيق الضروري الاجنبية اذعانا لأوامر مشرعه واردة قانونه في الانطباق .سواء شكلت هذه

الضروري كلها عن حكم النزاع وترفض الانطباق

وهو ما اصطلح على تسميته بالتنافس السلبي .

١٠ - ان قضاء التحكيم الدولي قد استقر

منذ وقت ليس بالقريب على عدم اعتناق القانون

الداخلي لدولة محددة باعتباره قانون اختصاص

المحكم ، فلم يعد من المتصور وفقا لهذا النظر

ان يكون للمحكمين قانونا داخليا ياتمرون بأوامره

او ينتهون بنواهيه اسوة بالقاضي ، وبالتالي فانه

من المتعذر ان تطرح امامهم مشكلة اعمال

القواعد الوطنية ذات التطبيق المباشر ومنها

القواعد ذات التطبيق الضروري الموجودة في

قانون الوطني لدولة القاضي ، وبهذا تكتسب

كافة القواعد الداخلية ذات التطبيق الضروري

التي تريد الانطباق على العلاقة المطروحة على

المحكمين الصفة الاجنبية .

١١ - ان اهم ما يشغل بال المحكم في

مجال عقود التجارة الدولية عند اتخاذه قراره

بإعمال القواعد ذات التطبيق الضروري التي تريد

الانطباق على العقد الدولي ، هو احترام توقعات

الاطراف في هذا الصدد ، وهو اعتبار على

اهميته يناهض اهداف القواعد ذات التطبيق

القواعد ذات التطبيق الضروري شروط اعمالها

وتمسك بها احد الخصوم في العقد التجاري

الدولي ، حيث انه وان كان تطبيق القواعد ذات

التطبيق الضروري يجب الا يتم بطريقة الية ، الا

ان ذلك لا يعني ان يترك للقاضي السلطة

التقديرية في هذا الشأن ، الامر الذي يؤدي الى

تحكمه . بل ويخضع القاضي في تقديره لمدى

توافر الشروط المطلوبة لإعمال القواعد ذات

التطبيق الضروري وكذلك في مدى ملاءمة

اعمال هذه القواعد التي توافرت شروط تطبيقها

حسب ما تفرضه قواعد الملاءمة قانونه لرقابة

المحاكم العليا .

٩- ليس بالأمر المستبعد في مجال عقود

التجارة الدولية ان يحدث نوع من التزاحم بين

القواعد ذات التطبيق الضروري المختلفة التي

ترتبط بالعلاقة العقدية الدولية، اذ تريد هذه

القواعد جميعها الانطباق على جانب معين من

جوانب العقد التجاري الدولي رغم انتماء كل منها

الى نظام قانوني مختلف ، وهو ما يطلق عليه

التنازع الايجابي .ولا يعد امر مستغربا كذلك في

الحال الذي تتخلى فيه القواعد ذات التطبيق

العقد فيما لو كان هذا الاعمال سيؤدي الى الاخلال بتوقعات المتعاقدين، ولعل هذا الاعتبار هو الذي يدفع المحكمين بصفة خاصة الى وضع هذه القواعد بالاعتبار بدلا من التصدي لتطبيقها على نحو مباشر، وعلى العكس فان تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروري التي يتوقع الاطراف اعمالها او يفترض فيهم ذلك ، الامر الذي يجري على خلاف ذلك امام القضاء الداخلي والذي يصعب عليه تجاهل تطبيق هذه القواعد الامرة ولو كان تطبيقها ليس محلا لتوقعات المتعاقدين

١٤- واعمالا للطابع الاتفاقي للتحكيم واثره على اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري ،فان الكثير من احكام المحكمين وان احتفظت للقانون المختار بصفته الامرة ،الا انها ايضا قد منحت للمتعاقدين حرية واسعة في الاختيار حتى ولو ادى ذلك الى تطبيق قانون لا تربطه بالعقد الدولي أي علاقة معقولة وذلك درءا لمغبة مفاجأة المحكم للأطراف بما لم يتوقعوه .

الضروري والتي تسعى الى ادراك مصالح جماعية او مصالح خاصة قدر المشرع اهميتها الجوهرية مثل حماية الطرف الضعيف ، وذلك بصرف النظر عن توقع الاطراف لتطبيق هذه القواعد من عدمه .

١٢- تثبت للنظام العام الذي يواجهه المحكم في عقود التجارة الدولية كمانع من موانع تطبيق القواعد ذات التطبيق الضروري ، الصفة الدولية التي ينصرف مفهومها الى حماية المصالح العليا لمجتمع التجار والاعمال العابرة للحدود بعيدا عما يسود جماعة داخلية من مبادئ اساسية تتعلق بمفهوم النظام العام الداخلي .

١٣- ان اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري اما قضاء التحكيم يتميز بطابع خاص يرجع الى كون المحكم يستمد سلطاته في الاصل من ارادة الاطراف ، ومن ثم فهو لا يملك الخروج عن هذه الارادة او الاخلال بتوقعاتها المشروعة ، الامر الذي يؤدي بالمحكم الى التردد في اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري التي لا تنتمي لقانون

## محور الدراسات المتفرقة

١٥- واخيرا لم يغب مبدا احترام توقعات الاطراف عن اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري في مجال عقود التجارة الدولية ، اذ ان سكوت المتعاقدين عن اختيار قانون العقد يدفع بالمحكم اذا لم يجد حكما للنزاع في الاعراف التجارية الدولية ان يهتدي للقانون المختص بمقتضى قواعد الاسناد التي يراها ملائمة ، وتكون هذه القواعد ملائمة ان كانت اقرب الى توقعات المتعاقدين .وهذ ما يفسر تسبيب غالبية احكام المحكمين على انها تفضل تطبيق القانون الذي يتوقعه الاطراف في عقود التجارة الدولية .

هوامش البحث :

- ١ - د. شمس الدين الوكيل ، النظرية العامة للالتزامات، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ ، ص ٥١ .
  - ٢ - د. منير عبد المجيد ،تنازع القوانين في علاقات العمل الفردية ،منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٢ ، ص١٢١ .
  - ٣ - د فؤاد ود. سامية راشد ،الوسيط في القانون الدولي الخاص، الجزء الثاني، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدولي، القاهرة ١٩٩٢.ص١٣٤ .
  - ٤ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، علم قاعدة التنازع والاختيار بين الشرائع ،ط١، مكتبة الجلاء الجديدة ، المنصورة - مصر ،١٩٩٦،ص ٢٢٥ .
  - ٥ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، دار النهضة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٨٥ ، ص١١٦ .
  - ٦ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية - مصر ، ١٩٩٥ ، ص١٧٣ .
  - ٧ - د. احمد قسمت الجداوي ،نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، عدد ١ و٢ ، ١٩٨١، ص ٢٣ ، ص٣-٥ .
  - ٨ - د. أحمد قسمت الجداوي، نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين، المرجع السابق ، ص ٥٨ .
- <sup>9</sup>- Goldman, Regles de confits regles dapplication immediate regles materelles dans labitrage commercial int .com F. de droit .int ,prive 1967 p.120.

١٠ - د. احمد قسمت الجداوي ،نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين ، المرجع السابق ، ص٢٢١.

11- Loussouarn La Regle de conflit est-elle-une Regle neuter?Trav.

C.F.de droit int prive 1980-1981,tome II p.43.

١٢ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري في القانون الدولي الخاص ، المجلة المصرية للقانون الدولي ،مجلد ٤٠ ، ١٩٨٤ ، ص١٣٣ .

١٣ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص١١٩ .

14- Helene Gaudement- talon, utilisation des regles de conflint a caractere Substentiel dans les conventions internationals Melanges en lhonneur de Yvon Loussouarn ,Daloz 1994,p.181

١٥ - د. محمد ابراهيم دسوقي ،الجوانب القانونية والواقعية في ضوابط الاسناد ، مجلة الدراسات القانونية ، جامعة قاريونس - ليبيا، ١٩٧٧، ص١٠١ .

١٦ - نقلا عن : د. هشام علي صادق ، تنازع القوانين في مسائل المسؤولية التقصيرية المترتبة على التصادم البحري والحوادث الواقعة على ظهر السفن ، منشأة المعارف ، الاسكندرية - مصر ، ١٩٧٧، ص٢١١.

١٧ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص١٢٤.

١٨ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ،ص١٨١.

- ١٩ - د. احمد قسمت الجداوي ،نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين ، المرجع السابق ،ص٢٩ .
- ٢٠ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص٢٧٣،
- 21- De nova ,Confits des lois et norms fixan leur propres domaine d application ,Mélanges Maury, Tome I,p.377 et s.
- Graulich Regles de Conflit et Regles d application immediate, Mélanges Dabin, Tome II,p.634 .
- ٢٢ -د. احمد صادق الشيربي ،الاتجاهات الحديثة في تعيين القانون الذي يحكم العقود الدولية ، بحث منشور في المجلة المصرية للقانون الدولي ،مجلد ٢١ ، ١٩٦٥، ص٦٣ .
- ٢٣ - د. فؤاد عبد المنعم رياض ، د. محمد خالد الترجمان ،تنازع القوانين والاختصاص القضائي الدولي واثار الاحكام الاجنبية ،بدون ناشر ،١٩٩٧، ص٣٥ .
- ٢٤ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ،ص١٨٧ .
- ٢٥ - د. منير عبد المجيد ، تنازع القوانين في علاقات العمل الفردية ،رسالة مقدمة الى جامعة الاسكندرية ، منشأة المعارف ، مصر، ١٩٩٢، ص٢١٦ .
- ٢٦ - د. محمود محمد ياقوت ،قانون الارادة وقواعد ضرورية التطبيق ،دار الفكر الجامعي ، الاسكندرية - مصر ، ٢٠٠٣ ، ص٦٦ .
- ٢٧ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٨٤ .



## محور الدراسات المتفرقة

٢٨ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

29 - Loussouarn et Bourel, Droit int , prive 4 edition,1993,p.125 .

٣٠ - د. محمود محمد ياقوت ، حرية المتعاقدين في اختيار قانون العقد الدولي بين النظرية والتطبيق ، ط١ ، منشأة المعارف ، الاسكندرية - مصر ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٠٠ .

٣١ - د. هشام علي صادق ، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

٣٢ - د. محمود محمد ياقوت ، قانون الارادة وقواعد ضرورة التطبيق ، ص ٦٨ .

٣٣ - احمد صادق القشيري ،الاتجاهات الحديثة في تعيين القانون الذي يحكم العقود الدولية ، ص ١٦٤ .

٣٤ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

٣٥ - احمد قسمت الجداوي ، نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

٣٦ - د. هشام علي صادق ، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

٣٧ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

38- MESTRE ,Note sous cassation14/2/1934,Sirey 1934 tome1,p.297 .

39- Deby Gerard ,le role de le regle de conflit dans le reglement des rapports internationaux,these paris 1973.p.34.

٤٠ - د. احمد عبد الحميد عشوش ،تنازع مناهج تنازع القوانين ، دار النهضة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٨٥ ، ص٩٦ .

٤١ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٩٢ .

٤٢ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص١٣٤ .

43- Overbek Alfredvon , cours la Haye 1982 ,p.70. and Oppetit,note sous paris 30/11/1972.

44- Mancini ,de lutilie de rendre obligatoires pour tous les etats sous la forme civils et criminilles ,journal du droit int .prive 1874,p.294.

٤٥ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٩٢ .

46- Francescakis ,la theorie du renvoi et les conflits de systeme en droit internatonal en droht praive , Rev . Crit. 1960. P.198.

47-- Arminjon , les lois politiques et le droit international prive ,rev.crit.1930, p.385.

48- Dicey and Morris ,the conflict of laws ,8e edition ,tome 2, p.13.

٤٩ - د. عنایت عبد الحمید ثابت ،اطراح فكرة النظام العام في نطاق القانون الدولي الخاص ، دار النهضة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٥ ، ص٥٦ .

50- Beale ,treatise on the conflict of laws ,P.176.

## محور الدراسات المتفرقة

51 – 51 – Francescakis ,la theorie du renvoi et les ,p.200.

٥٢ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص٢٩٨.

٥٣ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٩٤ .

٥٤ - د. احمد قسمت الجداوي ،نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين ، المرجع السابق ،ص٣٢ .

٥٥ - د. محمود محمد ياقوت ،قانون الارادة وقواعد ضرورة التطبيق ، ص٦٨ .

٥٦ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٩٤ .

٥٧ -- د. محمود محمد ياقوت ،حرية المتعاقدين في اختيار قانون العقد الدولي بين النظرية والتطبيق ،المرجع السابق ، ص٢٠٧.

٥٨ - د. احمد عبد الحميد عشوش ،تنازع مناهج تنازع القوانين ، المرجع السابق ، ص٩٨ .

٥٩ - . محمود محمد ياقوت ،قانون الارادة وقواعد ضرورة التطبيق ، المرجع السابق ، ص٧٣ .

٦٠ - د. احمد عبد الحميد عشوش ، قانون العقد بين ثبات اليقين واعتبارات العدالة . بلا ناشر ، ١٩٨٥ ، ص ١١٣ .

٦١ - . هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٩٤ .

٦٢ - د. احمد عبد الحميد عشوش ،تنازع مناهج تنازع القوانين ، المرجع السابق ، ص٩٩ .

63- SOUS cassation 5/12/1910 (American trading) sirey 1911,p.129.

٦٤ - هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٩٥ .

- <sup>٦٥</sup> - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ .
- <sup>٦٦</sup> - د. محمود محمد ياقوت ، قانون الارادة وقواعد ضرورية التطبيق ، المرجع السابق ، ص ٧٦ .
- <sup>٦٧</sup> - د. احمد قسمت الجداوي ، نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .
- <sup>68</sup> - Batiffol Henri , note sous cassation 21/6/1950, rev.crit 1951,p.609 .
- <sup>٦٩</sup> - د. احمد عبد الحميد عشوش ، تنازع مناهج تنازع القوانين ، المرجع السابق ، ص ٩٩ .
- <sup>٧٠</sup> - د. جابر جاد عبد الرحمن ، تنازع القوانين ، القاهرة- مصر ، ١٩٧٠ ، ص ١١٧ .
- <sup>٧١</sup> - د. حفيظة السيد حداد ، نظرية الاحالة في القانون الدولي الخاص الالاماني الجديد ، دراسة تحليلية وانتقادية ، دار الفتح ، الاسكندرية - مصر ، ١٩٨٩ ، ص ٢١١ .
- <sup>٧٢</sup> - عوني محمد الفخري ، اتفاقية روما لسنة ١٩٨٠ بشأن القانون واجب التطبيق على الالتزامات التعاقدية ، مطبعة العاني ، بغداد - العراق ، ٢٠٠٧ ، ص ٨٥ .
- <sup>٧٣</sup> - د. محمد كمال فهمي ، اصول القانون الدولي الخاص ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ ، ص ١٩٦ .
- <sup>٧٤</sup> - د. سامية راشد ، قاعدة الاسناد امام القضاء ، بحث في القانون الدولي الخاص المصري والمقارن ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، السنة الرابعة عشر ، العدد الثاني- يوليو ، ١٩٧٢ ، ص ٣٧٨ .
- <sup>٧٥</sup> - د. محمود محمد ياقوت ، قانون الارادة وقواعد ضرورية التطبيق ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .
- <sup>٧٦</sup> - د. احمد عبد الحميد عشوش ، تنازع مناهج تنازع القوانين ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
- <sup>٧٧</sup> -- د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

## محور الدراسات المتفرقة

- ٧٨ - د. هشام علي صادق، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، المرجع السابق، ص ١٩٤.
- ٧٩ - د. احمد قسمت الجداوي، نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين، المرجع السابق، ص ٣٢.
- ٨٠ - د. محمود محمد ياقوت، قانون الارادة وقواعد ضرورة التطبيق، المرجع السابق، ص ٧٨.
- ٨١ - د. هشام علي صادق، تنازع القوانين دراسة في المبادئ العامة والحلول الوضعية المقررة في التشريع المصري، منشأة المعارف، الاسكندرية - مصر . ١٩٧٤، ص ١٤٧.
- ٨٢ - د. عز الدين عبد الله، القانون الدولي الخاص، ج ٢، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين، ط ٣، ١٩٩٦، ص ٣١٢.
- ٨٣ - احمد عبد الكريم سلامة، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص، المرجع السابق، ص ١٧٤.
- ٨٤ - د. هشام علي صادق، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، المرجع السابق، ص ٢٠٣.
- ٨٥ - د. احمد عبد الكريم سلامة، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص، المرجع السابق، ص ١٧٥.
- ٨٦ - د فؤاد عبد المنعم رياض ود. سامية راشد، الوجيز في القانون الدولي الخاص، الجزء الثاني، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدولي، ١٩٩٥، ص ٢١٨.
- ٨٧ - د. طرح البحور علي حسن فرج، تدويل العقد، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٨٢.
- ٨٨ - د. احمد عبد الكريم سلامة، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص، المرجع السابق، ص ١٧٥.
- ٨٩ - د. هشام علي صادق، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، المرجع السابق، ص ٢٠٣.

- <sup>٩٠</sup> - قانون العقوبات العراقي النافذ رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ .
- <sup>٩١</sup> - د. احمد قسمت الجداوي ،نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين ، المرجع السابق ،ص٣٢ .
- <sup>٩٢</sup> - عوني محمد الفخري ،اتفاقية روما لسنة ١٩٨٠ بشأن القانون واجب التطبيق على الالتزامات التعاقدية ، مطبعة العاني ،بغداد - العراق ، ٢٠٠٧ ، ص٨٩ .
- <sup>٩٣</sup> -- Mayer pierre, le mythe de ordre juridique de base 'melanges goldman,p.277.
- <sup>٩٤</sup> - د. عز الدين عبد الله ، القانون الدولي الخاص ، ج٢، المرجع السابق ، ص٢٦٢ .
- <sup>٩٥</sup> - د. عكاشة عبد العال، قانون العمليات المصرفية الدولية، دراسة في القانون الواجب التطبيق على عمليات البنوك ذات الطبيعة الدولية، الدار الجامعة بيروت ١٩٩٣، ص٧٩ .
- <sup>٩٦</sup> - . طرح البحور علي حسن فرج ، تدويل العقد ، المرجع السابق ، ص٢٣٢ .
- <sup>٩٧</sup> - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٠٠١ .
- <sup>٩٨</sup> - Audit Bernard , Droit international prive , Economica 1991,p.102.
- <sup>٩٩</sup> - Holleux, Foyer, De La Paradelle droit int . prive p.333, Mayer, op. cit., p.392.
- <sup>١٠٠</sup> - وهو رأي الفقيه QUADRI نقلا عن : د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٠٠١ .
- <sup>١٠١</sup> - د. حسام الدين فتحي عبد اللطيف ناصف ،مركز قانون القاضي في حكم المنازعات الخاصة الدولية رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٢ ، ص٣٢ .

## محور الدراسات المتفرقة

- ١٠٢ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ٩٧.
- ١٠٢ - د. احمد عبد الحميد عشوش ، تنازع مناهج القوانين ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .
- ١٠٤ - د.عكاشة عبد العال، المرجع السابق ، ص ١٩٩.
- ١٠٥ - د. محمود محمد ياقوت ،قانون الارادة وقواعد ضرورة التطبيق ،المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .
- ١٠٦ - د. هشام علي صادق ،مدى سلطة المحكمين في اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري ، بحث مقدم الى مؤتمر التحكيم التجاري الدولي ، الاسكندرية ، ١٩٩٦، ص ٤.
- 107 - Beale ,treatise on the conflict of laws or private international law ,New-yorkBAKERVOORHIS,1935,P.271.
- ١٠٨ - د. عصام الدين القسبي ،النفاز الدولي لاحكام التحكيم - دراسة تحليلية لقواعد القانون الدولي الاتفاقي والقانون المقارن- ، دار النهضة العربية . القاهرة - مصر ، ١٩٩٣ . ص ١٣٨ .
- ١٠٩ - د. اشرف عبد العليم الرفاعي ،النظام العام والتحكيم في العلاقات الدولية الخاصة ، دراسة في قضاء التحكيم ، رسالة دكتوراه - جامعة عين شمس ، ١٩٩١ ، ص ٦١ .
- ١١٠ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص ١٠١٠ .
- ١١١ - د. سامية راشد ، دور التحكيم في تدويل العقود ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠ ، ص ١٩٨ .
- ١١٢ - د. هشام علي صادق ،مشكلة خلو اتفاق التحكيم من تعيين اسماء المحكمين في العلاقات الخاصة الدولية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٥ .

- ١١٣ - د. هشام علي صادق ، تنازع الاختصاص القضائي الدولي ، ط ٢ ، منشأة المعارف ، الاسكندرية- مصر . ١٩٧٧ ، ص ١٣٦ .
- ١١٤ - د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري في القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .
- ١١٥ - د. محمود محمد ياقوت ، قانون الارادة وقواعد ضرورية التطبيق ، المرجع السابق ، ص ٢٣١ .
- ١١٦ - د. هشام علي صادق ، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص ١٠١٣ .
- ١١٧ - د. عنایت عبد الحميد ثابت ، اطراح فكرة النظام العام في نطاق القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
- ١١٨ - د. حفيظة السيد حداد ، الطعن بالبطلان على احكام التحكيم الصادرة في المنازعات الخاصة الدولية ، دار الفكر الجامعي ، ١٩٩٦ ، ص ٢٤١ .
- ١١٩ - د. عنایت عبد الحميد ثابت ، اطراح فكرة النظام العام في نطاق القانون الدولي الخاص ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
- ١٢٠ - د. حفيظة السيد حداد ، الطعن بالبطلان على احكام التحكيم الصادرة في المنازعات الخاصة الدولية ، المرجع السابق ص ٢٤٢ .
- ١٢١ - الحكم التحكيمي الصادر عن غرفة التجارة في باريس رقم ٣٩١٦ لسنة ١٩٨٣ منشور في جريدة التحكيم ، ١٩٨٤ ، ص ٩٣٠ .
- ١٢٢ - د. هشام علي صادق ، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، ص ١٠١٨ .
- ١٢٣ - د. هشام علي صادق ، مدى سلطة المحكمين في اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري ، المرجع السابق ، ص ١١ .
- ١٢٤ - حول اتجاه المحكمين الى اعمال قواعد ذات التطبيق الضروري التي تنتمي لقانون العقد، يراجع :الحكم التحكيمي الصادر عن غرفة التجارة الدولية رقم ١٣٩٧ لسنة ١٩٦٦ . والحكم رقم ٢٨١١ الصادر عام ١٩٧٨ .



## محور الدراسات المتفرقة

١٢٥ - د. محسن شفيق ،التحكيم التجاري الدولي - دراسة في قانون التجارة الدولية - ، جامعة القاهرة - مصر ، ١٩٧٤،ص٣١٨.

١٢٦ - يراجع : الحكم التحكيمي الصادر عن غرفة التجارة الدولية رقم ١٥٨١ لسنة ١٩٧١ . والذي انتهت فيه المحكمة الى تطبيق القانون الفرنسي الذي اختارته ارادة المتعاقدين رغم ما ذكرته المحكمة من ادراكها لكون الرابطة العقدية تتصل بعناصرها الرئيسية بالقانون السويسري. وجاء في الحكم أن "المحكمن وخلافا للقاضي ملتزمون بإرادة الاطراف. ولهذا فعلى المحكمن تطبيق القانون الفرنسي المختار رغم اتصال النزاع بعناصره الغالبة بسويسرا. وهذه النتيجة التي انتهت اليها المحكمة تبدو ضرورية للمحكم رغم مخالفتها لمبادئ القانون الدولي الخاص" .

١٢٧ - يراجع ايضا : الحكم التحكيمي الصادر عن غرفة التجارة الدولية رقم ٣٥٤٠ الصادر عام ١٩٨٠ . حيث طبق المحكمن الاعراف الدولية مع استبعاد قانونيين داخليين على اتصال بالرابطة العقدية بحجة ان المتعاقدين لم يختاروا أي من هذين القانونين .

١٢٨ - د. هشام علي صادق ،القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ،المرجع السابق ، ص١٠٢٥ .

١٢٩ - يراجع في هذا الشأن : حكم غرفة التجارة الدولية ،رقم ٢٨٢٦، لسنة ١٩٧٨ .

١٣٠ - . احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري في القانون الدولي الخاص ،المرجع السابق ، ص٢٠٢ .

١٣١ - يراجع الحكم : في القضية رقم ٢٢١٦ منشور في مجلة التحكيم التجاري الدولي ، ١٩٧٥ ، ص٩١٧ .

132\_ Derains Yves ,le statut des usages du commerce devient les juridictions,rev,1973,p.122.

١٣٣ - د. هشام علي صادق ، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص١٠٢٦ .

١٣٤ - الحكم القضائي الصادر في القضية ذي الرقم ١٨٥٩ لسنة ١٩٧٣ .

- ١٣٥ - د. سامية راشد، التحكيم في العلاقات الدولية الخاصة، المرجع السابق، ص ١٨٤.
- ١٣٦ - د. هشام علي صادق، مدى سلطة المحكمين في اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري، المرجع السابق، ص ٣٢.
- ١٣٧ - د. عصام الدين القصي، النفاذ الدولي لأحكام التحكيم، دراسة تحليلية لقواعد القانون الدولي والقانون المقارن، دار النهضة العربية، ١٩٩٣، ص ١٦٨.
- ١٣٨ - د. احمد شرف الدين، قواعد التحكيم (اتفاق التحكيم - اجراءات الخصومة والحكم فيها) القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٨٩.
- ١٣٩ - يراجع : الحكم التحكيمي الصادر عن غرفة التجارة الدولية، القضية رقم ١٥١٢ .
- ١٤٠ - . حفيفة السيد حداد ، الطعن بالبطلان على احكام التحكيم الصادرة في المنازعات الخاصة الدولية ، المرجع السابق ، ص ٢١٧
- ١٤١ - د. هشام علي صادق ، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية ، المرجع السابق ، ص ١٠٣٢.
- ١٤٢ - د. محمود محمد ياقوت ، قانون الارادة وقواعد ضرورية التطبيق ، المرجع السابق ، ص ٣٤٦.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المراجع العربية

#### أ - الكتب والمؤلفات القانونية :

(١) د. احمد شرف الدين، قواعد التحكيم "اتفاق التحكيم - اجراءات الخصومة والحكم فيها " القاهرة

، ٢٠٠٧ .

## محور الدراسات المتفرقة

- (٢) د. احمد عبد الحميد عشوش ، قانون العقد بين ثبات اليقين واعتبارات العدالة . بلا ناشر ، ١٩٨٥.
- (٣) د. احمد عبد الحميد عشوش ،تنازع مناهج تنازع القوانين ، دار النهضة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٨٥.
- (٤) د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري وقواعد القانون العام في القانون الدولي الخاص ، دار النهضة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٨٥ ، ص١١٦.
- (٥) د. احمد عبد الكريم سلامة ، علم قاعدة التنازع والاختيار بين الشرائع ، ط١، مكتبة الجلاء الجديدة ، المنصورة - مصر ، ١٩٩٦ .
- (٦) د. جابر جاد عبد الرحمن ، تنازع القوانين ، القاهرة- مصر ، ١٩٧٠.
- (٧) د. حفيظة السيد حداد ، الطعن بالبطلان على احكام التحكيم الصادرة في المنازعات الخاصة الدولية ، دار الفكر الجامعي ، ١٩٩٦.
- (٨) د. حفيظة السيد حداد ، نظرية الاحالة في القانون الدولي الخاص الالاماني الجديد ، دراسة تحليلية وانتقادية ، دار الفتح ، الاسكندرية - مصر ، ١٩٨٩.
- (٩) د. سامية راشد ، دور التحكيم في تدويل العقود ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠.
- (١٠) شمس الدين الوكيل ، النظرية العامة للالتزامات، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٣.
- (١١) د. طرح البحور علي حسن فرج ، تدويل العقد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ٢٠٠٠.

- (١٢) د. عز الدين عبد الله ، القانون الدولي الخاص ، ج٢ ، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين ، ط٣ ، ١٩٩٦ .
- (١٣) د. عصام الدين القسبي ، النفاذ الدولي لأحكام التحكيم - دراسة تحليلية لقواعد القانون الدولي الاتفاقي والقانون المقارن- ، دار النهضة العربية . القاهرة - مصر ، ١٩٩٣ .
- (١٤) د. عكاشة عبد العال ، قانون العمليات المصرفية الدولية، دراسة في القانون الواجب التطبيق على عمليات البنوك ذات الطبيعة الدولية، الدار الجامعة ، بيروت ١٩٩٣ .
- (١٥) د. عنايت عبد الحميد ثابت ، اطراح فكرة النظام العام في نطاق القانون الدولي الخاص ، دار النهضة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٥ .
- (١٦) عوني محمد الفخري ، اتفاقية روما لسنة ١٩٨٠ بشأن القانون واجب التطبيق على الالتزامات التعاقدية ، مطبعة العاني ، بغداد - العراق ، ٢٠٠٧ .
- (١٧) د. فؤاد عبد المنعم رياض ود. سامية راشد ، الوجيز في القانون الدولي الخاص، الجزء الثاني، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدولي ، ١٩٩٥ .
- (١٨) د. فؤاد عبد المنعم رياض ، د. محمد خالد الترجمان ، تنازع القوانين والاختصاص القضائي الدولي واثار الاحكام الاجنبية ، بدون ناشر ، ١٩٩٧ .

## محور الدراسات المتفرقة

- (١٩) د. فؤاد ود. سامية راشد ،الوسيط في القانون الدولي الخاص، الجزء الثاني، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدولي، القاهرة ١٩٩٢.
- (٢٠) د. محسن شفيق ،التحكيم التجاري الدولي - دراسة في قانون التجارة الدولية - ، جامعة القاهرة - مصر ، ١٩٧٤.
- (٢١) د. محمد كمال فهمي ،اصول القانون الدولي الخاص ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ ، .
- (٢٢) د. محمود محمد ياقوت ،حرية المتعاقدين في اختيار قانون العقد الدولي بين النظرية والتطبيق ، ط١، منشأة المعارف ، الاسكندرية - مصر ، ٢٠٠٠.
- (٢٣) د. محمود محمد ياقوت ،قانون الارادة وقواعد ضرورة التطبيق ،دار الفكر الجامعي ، الاسكندرية - مصر ، ٢٠٠٣.
- (٢٤) د. منير عبد المجيد ،تنازع القوانين في علاقات العمل الفردية ،منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٢.
- (٢٥) د. هشام علي صادق ، تنازع الاختصاص القضائي الدولي ، ط٢ ، منشأة المعارف ،الاسكندرية- مصر . ١٩٧٧.
- (٢٦) د. هشام علي صادق ، تنازع القوانين في مسائل المسؤولية التقصيرية المترتبة على التصادم البحري والحوادث الواقعة على ظهر السفن ، منشأة المعارف ، الاسكندرية - مصر ، ١٩٧٧.

- (٢٧) د. هشام علي صادق ،تنازع القوانين دراسة في المبادئ العامة والحلول الوضعية المقررة في التشريع المصري ،منشأة المعارف ، الاسكندرية - مصر . ١٩٧٤ .
- (٢٨) د. هشام علي صادق ،مشكلة خلو اتفاق التحكيم من تعيين اسماء المحكمين في العلاقات الخاصة الدولية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ .

ب- الرسائل والبحوث والمجلات المنشورة :

- (١) د. احمد صادق القشيري ،الاتجاهات الحديثة في تعيين القانون الذي يحكم العقود الدولية ، بحث منشور في المجلة المصرية للقانون الدولي ،مجلد ٢١ ، ١٩٦٥ .
- (٢) د. احمد عبد الكريم سلامة ، القواعد ذات التطبيق الضروري في القانون الدولي الخاص ، المجلة المصرية للقانون الدولي ،مجلد ٤٠ ، ١٩٨٤ .
- (٣) د. احمد قسمت الجداوي ،نظرية القوانين ذات التطبيق الضروري ومنهجية تنازع القوانين ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ،عدد ٢١ ، ١٩٨١ ،السنة ٢٣ .
- (٤) د. اشرف عبد العليم الرفاعي ،النظام العام والتحكيم في العلاقات الدولية الخاصة ، دراسة في قضاء التحكيم ، رسالة دكتوراه - جامعة عين شمس ، ١٩٩١ ، ص ٦١ .

- (٥) د. حسام الدين فتحي عبد اللطيف ناصف ،مركز قانون القاضي في حكم المنازعات الخاصة الدولية رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٢ .
- (٦) د. سامية راشد ، قاعدة الاسناد امام القضاء ، بحث في القانون الدولي الخاص المصري والمقارن ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، السنة الرابعة عشر ،العدد الثاني- يوليو ، ١٩٧٢ .
- (٧) د. محمد ابراهيم دسوقي ،الجوانب القانونية والواقعية في ضوابط الاسناد ، مجلة الدراسات القانونية ، جامعة قاريونس - ليبيا، ١٩٧٧ .
- (٨) د. منير عبد المجيد ، تنازع القوانين في علاقات العمل الفردية ،رسالة مقدمة الى جامعة الاسكندرية ، منشأة المعارف ، مصر، ١٩٩٢ .
- (٩) د. هشام علي صادق ،مدى سلطة المحكمين في اعمال القواعد ذات التطبيق الضروري ، بحث مقدم الى مؤتمر التحكيم التجاري الدولي ، الاسكندرية ، ١٩٩٦ .

ج- القوانين الوطنية والاتفاقيات الدولية والاحكام القضائية :

- (١) القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ .
- (٢) القانون المدني المصري رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٩ .
- (٣) القانون المدني الفرنسي لسنة ١٨٠٤ .
- (٤) القانون المدني الايطالي لسنة ١٩٤٢ .

- (٥) القانون المدني الألماني لسنة ١٨٩٦.
- (٦) القانون المدني النمساوي لسنة ١٩٤٨.
- (٧) القانون المدني النمساوي لسنة ١٩٤٨.
- (٨) اتفاقية المبادئ الأوربية بخصوص العقد والتعاقد عام ١٩٩٨.
- (٩) القانون المدني البلجيكي لسنة ١٩٤٢.
- (١٠) اتفاقية لاهاي لعام ١٩٧٨ في شأن القانون الواجب التطبيق على عقود الوساطة والتمثيل التجاري.
- (١١) اتفاقية البيع الدولي للبضائع (فيينا) لعام ١٩٨٠.
- (١٢) قانون الالتزامات السويسري لسنة ١٨٨١.
- (١٣) اتفاقية روما للقانون الواجب التطبيق على الالتزامات التعاقدية لعام ١٩٨٠.
- (١٤) قانون التجارة العراقي المرقم ٣٠ لسنة ١٩٨٤.
- (١٥) القانون التجاري الاميركي الموحد.
- (١٦) المبادئ المتعلقة بعقود التجارة الدولية التي اقرها المعهد الدولي لتوحيد القانون الخاص بروما عام ١٩٩٤.
- (١٧) قانون العقوبات العراقي النافذ رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩.



## محور الدراسات المتفرقة

- (١٨) حكم التحكيم الصادر عن غرفة التجارة الدولية رقم ١٥٨١ لسنة ١٩٧١ .
- (١٩) حكم التحكيم الصادر عن غرفة التجارة الدولية رقم ٣٥٤٠ الصادر عام ١٩٨٠
- (٢٠) حكم غرفة التجارة الدولية ،رقم ٢٨٢٦ ، لسنة ١٩٧٨ .
- (٢١) حكم التحكيم في القضية رقم ٢٢١٦ منشور في مجلة التحكيم التجاري الدولي ، ١٩٧٥ .
- (٢٢) الحكم القضائي الصادر في القضية ذي الرقم ١٨٥٩ لسنة ١٩٧٣ .
- (٢٣) حكم التحكيم الصادر عن غرفة التجارة في باريس رقم ٣٩١٦ لسنة ١٩٨٣ منشور في جريدة التحكيم ، ١٩٨٤ .
- (٢٤) حكم التحكيم الصادر عن غرفة التجارة الدولية رقم ١٣٩٧ لسنة ١٩٦٦ .
- (٢٥) حكم التحكيم رقم ٢٨١١ الصادر في عام ١٩٧٨ .
- (٢٦) حكم التحكيم الصادر عن غرفة التجارة الدولية في القضية رقم ١٥١٢ .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

- (١) Arminjon , les lois politiques et le droit international prive ,rev.crit.1930.
- (٢) Audit Bernard , Droit international prive , Economica 1991.
- (٣) Batiffol Henri ,note sous cassation 21/6/1950, rev .crit 1951.
- (٤) Beale ,treatise on the conflict of laws or private international law ,New-yorkBAKERVOORHIS,1935.

De nova ,Confits des lois et norms fixan leur propres domaine d application ,Mélanges (٥)

Maury, Tome I.

Deby Gerard ,le role de le regle de conflit dans le reglement des rapports (٦)

internationaux,these paris 1973.

Derains Yves ,le statut des usages du commerce devant les juridictions,rev,1973. (٧)

Dicey and Morris ,the conflict of laws ,8e edition ,tome 2. (٨)

Francescakis ,la theorie du renvoi et les conflits de systeme en droit international en (٩)

droit praive , Rev . Crit. 1960.

Goldman,Regles de confits regles dapplication immediate regles materelles dans (١٠)

labitrage commercial int .com F. de droit .int ,prive 1967.

Graulich Regles de Conflit et Regles d application immediate, Mélanges Dabin, (١١)

.Tome II

Helene Gaudement- talon, utilisation des regles de conflint a caractere Substentiel (١٢)

dans les conventions internationals Melanges en lhonneur de Yvon Loussouarn ,Daloz

.1994

Holleux, Foyer, De La Paradelle droit int . prive 1988. (١٣)

Loussouarn et Bourel, Droit int , prive 4 edition,1993,p.125 . (١٤)

Loussouarn La Regle de conflit est-elle-une Regle neuter?Trav.C.F.de droit int prive (١٥)

1980-1981,tome II.

Mancini ,de lutilie de rendre obligatoires pour tous les etats sous la forme civils et (١٦)

criminilles ,journal du droit int .prive 1874.

Mayer pierre, le mythe de ordre juridique de base 'melanges Goldman. (١٧)

MESTRE ,Note sous cassation14/2/1934,Sirey 1934 tome1. (١٨)

Overbek Alfredvon , cours la Haye 1982 ,p.70. and Oppetit,note sous paris (١٩)

30/11/1972.

SOUS cassation 5/12/1910 (American trading) sirey 1911. (٢٠)